جامعة سعد دحلب –البليدة-
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية.
قسم اللغة العربية وآدابها.

التقدير في القرآن الكريم.

دراسة وصفية تحليلية
للمقدّرات الصّوتية، والمعجمية، والتركيبية.

رسالة لنيل شهادة
الدكتوراه.

إعداد الطالب :
محمد خليفاتي.

إشراف الأستاذ الدكتور:
عمار الساسي.

أعضاء اللجنة العلمية المناقشة:

بن لعلام مخلوف	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
ساسي عمار	أستاذ التعليم العالي	مقررا ومشرفا
رتيمة محمد العيد	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا
الحباس محمد	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا
لعبيدي بو عبد الله	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا
سلامي عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2009- 2010 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾

[الفرقان/2]

صدق الله العظيم.

إهـداء

إلى والديّ الكريمين اللذين نشّآني على حبّ الحرف العربي

إلى زوجتي الفاضلة، وأبنائي الأعزة الذين حرمتهم حقّهم في نشقة هواء ، في جوّ فسيح ، ولحظة انطلاق، طوال مرحلة إنجاز هذا العمل

إلى كلّ شغوف بالقرآن وأسراره، ومدافع عن العربية وأرومتها

أهدي هذا العمل المتواضع

مع تجلّة وتقدير.

المقدّمة:

لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن التقدير من الموضوعات الخطيرة في الدرس النحوي، نظرا لما له من علاقة ببعض الظواهر النحوية الفاعلة، كالحذف والتضمين والتوهم ، ومبدأ الأصل والفرع والقياس . ولِمَا له أيضا من تأثير في تخريج السياقات والمسائل التي تبدو وكأنها خالفت النظام النحوي المتبّع . هذا عن التقدير عامة، ويضاف إلى أهمّية دراسته انقسام النحاة إلى مؤيِّد لوجود التقدير، وآخذ به ، ورافض له ،ثائر عليه كابن مضاء القرطبي ، وما يتبع ذلك من أثر في صياغة القاعدة النحوية، والتباين في تخريج المسائل التي تتراءى وكأنها جنحت إلى ما لا يتماشى وظاهر القاعدة.

فإذا كان للتقدير هذه المكانة في النحو عامة، فكيف يكون التقدير في القرآن الكريم ؟!

المعروف أن الباحثين عبر مختلف العصور درسوا القرآن الكريم من جوانب شتى ، وتناولوه من وجهات متعدِّدة ، كلٌّ من نظرة معيّنة ، ولغرض محدّد ، فكان التفسير لفهم كتاب الله وبيان معانيه واستخراج أحكامه، والدِّراسات النحوية لفهم تركيبه وطبيعة تحبيره ، والدِّراسات المعجمية الخاصة بغريبه ، حيث أغنى العربية بزخم من الألفاظ كالفردوس، والحطمة، والأبّ، والخبء، والكِفات والسلسبيل، وغيرها من الألفاظ التي لم تكن دارجة على الألسن ، أو كانت مستعملة ولكن في وضعها الأصلي، لا بالمفهوم الديني كالصلاة والنار واللظى والعذاب والسلام والرحمة والجنان والصراط والهدى وغيرها. فبعث القرآن هبّة في أوساط الدارسين ،ونفخ فيهم العزيمة ، وحرّك فيهم العقول فنشطت وأبدعت ، وأتاح لهم مجالا للبحث والتنقيب عن أسراره التي لا تنضب ،وعجائبه التي لا تنقضي . فكان - والحال هاته- أن يتعرّضوا له بالدِّراسة والتفسير ، فألفوا في آياته أساليب من القول لمْ يألَفُوها، وإن كانت من لغتهم، وضروبا من فنون البيان تتأبّى عليهم ، وإن كانت من حروفهم فوقفوا حيالها مشدوهين متسائلين ، واستثارت انتباهَهم أفانينُ القول فجعلتهم يتريّثون في إخراجها وإعرابها ، فصعب عليهم تخريجها على الظاهر فكان عليهم – والحال هاته- أن يحملوا التركيب على معنى آخر، ويعطوا اللفظ مدلولا غير البارز ، وينزلوا الحرف منزلة يقتضيها السياق ويتطلبها المقام . فعنّت من خلال ذلك المسلك ظواهرُ توسّل بها الدارسون، كالحذف والتضمين والتوهم . فكانت دراسة التقدير دراسة لظواهر نحوية شتى نظرا للعلاقة المتينة التي بينها وين التقدير إذ كان هو نتيجة لها، وصورة دالة على إجرائها . فإذا حذفنا، كان لزاما تقدير بعد الحذف

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة 154]. فهنا حذف المبتدأ والتقدير (هم أموات وهم أحياء) .

وإذا ضمّنا قدّرنا أيضا كما في قوله تعالى حكاية على لسان فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه/71] أي على جذوع النخل لأن الصلب لا يكون في الجذوع بل عليها .

إذن من هنا تظهر أهمّية التقدير ، ويتبيّن دوره الأساس في الدرس النحوي، وعلاقته بالأصل وبالقياس وعلى هذا فتناوله بالدّراسة والبحث في غاية الأهمّية .

لكن لـِمَ كان تناول التقدير في القرآن الكريم موضوعَ بحثي هذا ؟ لقد أشرت إلى أن التقدير موضوع خطير في الدرس النحوي، يجمع بين ظواهر شتى لها علاقة وُثقى بتأصيل القاعدة النحوية وهذا سبب كافٍ، وعلة محفزّة لتناول التقدير عامة بالبحث والدّراسة، وبحث التقدير خاصّة في القرآن الكريم لأنه أكثر خطورة، وأشدّ وقعا،وألحّ مطلبا في الدّراسات، وأولى بأن يبحث لما يترتب على الأخذ به من أحكام، وما ينجم عنه من تخريجات، وما يثيره من قضايا في النص القرآني، إذ يثير جدلا كبيرا حول ماهية المقدَّر ، أهو من القرآن ؟ وفي هذا خطورة أيضا لما يعتبر في عرف الكثيرين تطاولا على النص القرآني الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت/42] . وفي هذه الحال أيضا يعتبر التقدير أمرا دخيلا مقحما، كما ذهب إليه الرافضون كابن مضاء القرطبي . أمّا لدى القائلين به فهو وسيلة تخريج لمواقف وظواهر، وتوجيه لقراءات ما كان لها أن تكون إلا بالتقدير، خاصة عندما يُصرف اللفظ عن ظاهر القاعدة، ويجنح إلى الانزياح ويحمل دلالة غير التي كانت له في الأصل . من هنا رحت أتناول هذا الموضوع بالبحث ولكن في حذر وبحيطة، نظرا لقداسة النص القرآني، ووجوب التحفظ لدى إصدار الأحكام أثناء إجراء التقدير.

يضاف إلى السبب الآنف الذكر ، رغبتي الجامحة في تناول مثل هذه الموضوعات التي تجمع الدّراسة اللغوية بالقرآنية، لما للقرآن من أسرار، وسحر بيان ، وتنوّع أفانين القول، ممّا يفيد الدارس

ويجعله يشعر بأنه في عالم عجيب من الفصاحة ، زاخر بكلِّ رائع من كنوز اللغة، وعجيب البيان. وكلما أوغل في جلاله أحسّ بانبهار، وتملّكته رغبة في الاستزادة.

لكن حتى لا يبقى الكلام عامّا فما هو الإشكال الذي يطرحه موضوع البحث ؟

البحث يتناول المقدّر في القرآن الكريم ، ويحاول تأصيل مصطلح التقدير بتتبّع أوّليات ظهوره وبيئة نشأته، أهي بيئة المفسِّرين ؟ أم النحاة ؟ ومن أوّل من درج على لسانه من هؤلاء؟ ومن قال به من النحاة و المفسِّرين؟ ومن رفضه من القدماء والمحدثين؟ وما علتهم في ذلك؟

كما يطرح الإشكال علاقة التقدير بالأصل ، ودور القياس في بروز التقدير ، وهل في القرآن الكريم تقدير؟ وكيف يصنّف؟ فيحاول البحث الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال نماذج من القرآن في المستويات الصوتية والمعجمية، والتركيبية النحوية والبلاغية.

ونظرا لتعدّد جوانب الموضوع، فقد اِرتأيت تقسيم البحث إلى أربعة فصول ،حيث بيّنت في الفصل الأوّل تحديد المصطلح وأوّليات ظهوره . وتناولت التقدير عند المفسِّرين والنحاة قدماء ومحدثين . وفي الفصل الثاني تناولت الأسس التي انبنى عليها التقدير كمبدإ الأصل والفرع ،وعلاقة ذلك بالقياس ، ثمّ دور العامل في التقدير.

أمّا الفصل الثالث فقد خصّصته لآليات التقدير كالحذف والتضمين والتوهم ،وما لذلك من أثر في إيجاد التقدير. والفصل الرابع والأخير تناولت فيه مستويات التقدير : الصوتي ،والمعجمي والتركيبي فالبلاغي ،وكلّ ذلك من خلال نماذج قرآنية. فخاتمة لنتائج البحث.

وقد يلاحظ تفاوت بين الفصول في السعة، وذلك عائد إلى طبيعة كلّ فصل ومضمونه، وأعني بذلك الفصل الأخير، لأنه مدار إجراء النماذج ،وإيراد الشواهد والأمثلة في كل المستويات .

ونظراً لتشعّب عناصر البحث،وتنوّع مجالاته بين دراسة نحوية وتأصيل، وجدتني أستعين متوسلا- بمناهج عدة كالمنهج التاريخي لتحديد أوليات ظهور مصطلح التقدير ، وبيئة نشأته وتدرّجه عبر مختلف البيئات، لدى فئات متعدّدة للدّارسين ،من نحاة ومفسِّرين ومُعربي القرآن الكريم، وباحثين محدثين.

0أمّا المنهج الذي رافقني في البحث ، وكان المعوّل عليه ، فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة في بيئتها ، ويرصدها عند فئات معيّنة، ويحلـّلها، خاصّة حين تناول مبدإ الأصل والفرع وعلاقة التقدير بالقياس. والمعروف عن هذا المنهج، أنه يتناول الظواهر المراد دراستها من حيث وجودها آنيا، فيرصدها ويتتبّعها، ويضبط مكوّناتها ، وخصائصها ، ثمّ يحدّد المشترك من هذه الخصائص، ويعمل على تفسيرها. لذا غالبا ما يقترن الوصف هنا، بالمقارنة والتصنيف. والملاحظ أني أخذت من المنهج الوصفي النمط المسحي الذي يتناول الظاهرة لدى شرائح واسعة في بيئة أو بيئات مختلفة، ويتقفّاها بالدّراسة. وهذا الذي جرى عليه البحث، حيث تناولت ظاهرة التقدير عند فئات مختلفة من مفسّرين ونحاة، والآليات التي استغلتها كلّ فئة ، ونظرة كلّ منها إلى التقدير، ثمّ معالجتها للنص القرآني من خلال ذلك، كلّ حسب تخصّصه.

والحقَّ أقول، بأنه واجهتني صعوبات جمّة وأنا أعدّ هذا البحث المتواضع ، من أهمِّها تحرّجي الشديد من بحث التقدير في القرآن الكريم ، إذ التقدير تصوّر عقلي ، فكيف يُعتقد بوجود شيء ما،في النص القرآني غير ظاهر ؟ وهل يُعدّ ذاك من القرآن؟ فكان هذا أشدّ وطئاً على تفكيري ،وأكثر إحجاما وحبسة للسان . يضاف إلى هذا أنّ بحث التقدير في القرآن الكريم شِرْك مُقتسم بين طوائف شتى من مفسِّرين وقرّاء ،ونحاة وأصوليين ، وهذا من شأنه أن يضاعف الجهد حتى يُلمّ برأي كلّ طائفة في التقدير، ويُعلم مذهب كلّ فئة وتخريجاتها وفقْـه، ومن ثمّ تحتـّمت العودة إلى كتب القراءات والتفاسير، بَلْـهَ مؤلفات النحاة خاصة معربي القرآن منهم.

ولكن الذي ذلـّل هاته الصعاب وغيرَها شعوري بأني أعيش في كنف القرآن الكريم ،وأتفيّأ ظلاله. كما استعنت بما توفـّر لديّ من مصادر ومراجع تخصّ البحث ، وما اطلعت عليه من بحوث ودراسات أفدت بها من المكتبات داخل الوطن وخارجه. يُضاف إلى ذلك توجيهات الأستاذ المشرف القيّمة ، ونصائحه السديدة التي مسّت المنهج والمضمون، وسهّلت كلّ عقبة كؤود.

ومن مراجع البحث أذكر كتاب العين للخليل بن أحمد ، والكتاب لسيبويه ،والخصائص والمحتسب وسرّ صناعة الإعراب لابن جني ، ومقاييس اللغة لابن فارس ، وكتاب التعريفات للشريف الجرجاني،والكليات لأبي البقاء الكفوي، وشرح المفصّل لابن يعيش ، والمغني لابن هشام، وهمع

الهوامع والاقتراح للسيوطي وأنباه النحاة للقفطي، والإنصاف ،ولمع الأدلة لابن الأنباري والأصول لابن السرّاج ، وغيرها.

ومن التفاسير المستعان بها المقباس في تفسير ابن عباس ، ومعاني القرآن للفراء، وإعراب القرآن للنحاس ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وتفسير الفخر الرازي والكشاف للزمخشري ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وفي ظلال القرآن للسيِّد قطب وغيرها.
ومن المعاجم أذكر : لسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي ،والمعجم الوسيط والأشباه والنظائر لمقاتل البلخي ، وتفسير ألفاظ غريب القرآن لمحمد التونجي.

كما كان لملاحظات المشرف الأستاذ الدكتور " عمار ساسي" دور فعّال في دفعي قدما لإنجاز هذا البحث المتواضع في آجاله المحدّدة، بما أمدّني به من مراجع تخصّ موضوع البحث ، وما أسداه إليّ من نصائح سديدة، وتوجيهات قيّمة ، فجزاه الله عنّي خير الجزاء .

وللإنصاف أقول أني أفدت من تقرير الخبرة الذي قدّمه الأستاذ الدكتور "بلعلام مخلوف" ونسّقت بعض عناصر البحث وفق ما جاء فيه من ملاحظات دقيقة، ومعلومات راقية في صميم البحث، كما أفدت من أطروحة دكتوراه القيّمة (التقدير عند سيبويه) . فجميله في هذا المقام لا ينكر ،وفضله عليّ كبير .

كما لا يسعني إلا أن أشكر أعضاء اللجنة الموقرة على ما تجشموه من أتعاب، وما لاقوه من عبء حين أولوْا هذا البحث المتواضع قسطا من وقتهم الثمين ، وعناية خاصّة بالقراءة والتمحيص. وأستسمحهم- ممتنّا- على أني أضفتُ إلى أعبائهم عبئاً خاصّاً، وهم في خضمّ الأعمال ، وغمرة الأشغال. ولكنْ عزائي أني أفيد من ملاحظاتهم القيّمة، وأسترشد بآرائهم السديدة التي تكون للبحث إثراءً وتقويماً، ولي نبراساً أستنير به في دروب البحث التي لا تدرك.

فإليهم جميعا ، كلّ شكري وعرفاني بجميلهم، واعتذاري.

ويبقى هذا العمل المتواضع محاولة لتلمّس سبيل البحث، وتبيّن دروبه التي لا تنتهي، ومداه الذي لا يُبلغ، ومعارفه المتجدّدة على الدّوام. هذا بشهادة جهابذة العلم، وأساطين المعرفة. فكيف والأمر يتعلق بطالب لا يزال في أوّل الدرب؟

وهذا يؤكده العماد الأصفهاني حين قال: «إني رأيتُ أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسنَ، ولو زيدَ كذا لكان يُستحسن. ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكن أجمل. وهذا هو أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على البشر»

وأخيرا أشكر كلّ من كان وراء إنجاز هذا العمل المتواضع ، أو أمدّني بمرجع، أو آزرني بكلمة طيِّبة . والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل .

مدخل

المدخل :

القرآن الكريم كلام الله المنزّل على رسوله ﷺ المنقول بالتواتر، لا يرقى إليه الشك. ألفاظه تشتدّ أحياناً فإذا هي-كما يقول الرافعي- «أمواج البحر الزاخرة، وإذا لانت فهي أنفاس الحياة الآخرة»(1)

نزل القرآن يخاطب العقول ، ويأخذ بشغاف القلوب ، ويطرق الأسماع بأعذب الكلمات، وأرقّ الألفاظ، وأوعظ العِبر. فإذا كانت للبشرى والمواساة اِستراحت النفوس ، واطمأنّت القلوب﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(2)

﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ**﴾ (3) ﴿ **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ (4) ﴿ **وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً** ﴾ (5)

وإذا كانت للتحذير وشحذ الهمم ،اِقشعرّت الأبدان ، واِختلجت المُهج، وتصدّعت الأفئدة، ورأت البصائر الجزاء والعذاب، والمآل المحتوم رأي العين ،فارتاعت خوفاً وطمعاً ﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ**﴾ (6) ﴿**فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى**﴾ (7) ﴿**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾ (8) ﴿**سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ**﴾ (9)

---

(1)- مصطفى صادق الرافعي– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- ط9- 1393هـ/1973م- 30.
(2)-الرّعد/28.
(3)- المطففين/22-23.
(4)- فاطر/33.
(5)-الإنسان/11.
(6)-الملك/ 8
(7)-الليل/14
(8)- المعارج/15-16
(9)-الملك/ 7.

وإذا كان الموقف يتطلّب التفكير في الوجود ، وتأمّل مظاهر الكون، أجاب القرآن إجابة لا مراء فيها ، ولا تلجلج ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾(1) وفي خلق الله الذي أتقن كلّ شيء ﴿ **فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ** ﴾(2)

وفي التدبّر في ملكوت الله للوصول إلى الحقيقة عن طريق إعمال النظر ، وتقليب الأمور ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾(3)﴿ **خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ** ﴾(4)

وإذا كانت الآيات تتناول أصل الإنسان وخَلْقه، كان قوله تعالى بيِّناً صريحاً فيصلاً ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾(5) ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ** ﴾(6)

لقد خاطب القرآن الكريم العرب الفصحاء البلغاء فبزّهم ، فانبهروا بجلاله، ولم يفيقوا من الصدمة حتى قرعت الآياتُ أسماعهم تبكيتاً وتقريعاً﴿ **أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ**﴾(7) بل إنّ القرآن يسري في قلوب الذين يعقلون ، وفي نفوس الذين يتدبّرون سريان دبيب الحياة ، وهو يتغلغل في أوصال الوجود فلم يجد جهابذة البلاغة حجة ، ولم تسعفهم فصاحتهم إلا أن قالوا ﴿ **أَسَاطِيرُ**

---

(1)- الأنبياء/ 30.
(2)- الملك/3-4.

(3)- آل عمران/190.
(4)- لقمان /10.
(5)- فاطر/ 11.
(6)- المؤمنون/12-13.
(7)- الطور/15.

الْأَوَّلِينَ﴾(1) فتحدّاهم الله داحضاً مزاعمهم﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ (2) ثمّ تدرّج في تحدِّيهم، وكشف ضَعفهم وأباطيلهم فقال :﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾(3). ولكن لمّا سُقط في أيديهم ، وتأكّد اِنخذالهم رغم كون بعضهم ظهيراً لبعض ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾(4) فكيف يعجزون ويسلّمون وهم أذراب العرب وفصحاؤهم ، والقرآن من كلامهم ولغته من حروفهم ؟!

إذن ، لقد عجزوا فوقفوا مشدوهين أمام بلاغة القرآن ، وقوّة حجّته ، وروعة نظمه ، وعذوبة لفظه وسلامة تركيبه ، وجودة معانيه حتى قال فيه شيخهم الوليد بن المغيرة :« والله إنّ لقوله لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أصله لغديق، وإن عرفه لجناة...» (5) ولمّا لم تسعفهم الحيلة ، شرعوا يتلمّسون الأعذارَ، ويسقطون خيباتهم فحسدوا النبيّ ﷺ على ما أتاه الله من فضله ، وكأنهم سلّموا . ولكن رأوا أنّ القرآن إنّما ينبغي أن يكون في أحدهم فقالوا ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾(6) وما زال ذلك دأبهم حتى أتمّ الله نوره، وانتصرت الدّعوة ، ونعمت الأرض بنور القرآن ، فكان الشغوفون به حفظاً ودراسة وتفسيرا ،كلٌّ من وجهة معيّنة ، فقامت علوم كثيرة كلها تخدمه من جانب . بل إنّ جميع علوم المسلمين التي نشأت بمختلف أنواعها كانت بدافع القرآن الكريم – كما قال الإمام محمود شلتوت- « ...لا نكاد نعرف علماً من العلوم التي اِشتغل بها المسلمون في تاريخهم الطويل، إلا كان الباعث عليه هو خدمة القرآن الكريم من ناحية ذلك»(7)

حقّاً ، قد ظهرت علومٌ كثيرة بتأثير الدِّراسات القرآنية التي كان منطلقها فهم القرآن الكريم ، وإخراج

---

(1)- المطففين/3.
(2)-الطور/ 13.
(3)-هود/ 13.
(4)-البقرة/23.

(5)-أحمد جمال العمري- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني- مكتبة الخانجي- القاهرة- 1410هـ/ 1990م- 21.
(6)-الزخرف/31.
(7)-محمود شلتوت- تفسير القرآن الكريم- دار الشروق- بيروت- ط9- 1402هـ/1982م- 63.

ما فيه من أسرار لا تنضب ، وحقائق لا تنتهي، وإدراك مواطن الإعجاز فيه، وكشف مكمن روعته، ومواطن بيانه. فقد راعهم فبزّهم « وبهرهم أنه تأمّلوه سورة، سورة، وعشراً، عشراً ، وآيةً آيةً ، فلم يجدوا في الجميع كلمة أصلح أو أشبه، أو أحرى، أو أخلق، بل وجدوا اِتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور» (1)

إذن، فالقرآن قد أحدث هَبّة مباركة في النفوس ، ونفخ فيها العزيمة ، وبعث فيها حبّ المعرفة والتدبّر ﴿**أفلا يتدبّرون**﴾. فتسابق العلماء إلى معرفة كنهه، وإدراك معانيه، بلْه العملَ به والاقتداء بما جاء فيه ،والامتثال لأوامره ونواهيه . فكان والحال هاته، أن قامت دراسات تخصّ جوانب كثيرة ، فكانت الدّراسات النحوية لتقويم اللسان، وحفظه من الخطإ والخطل. والمراد النطق الصحيح للقرآن . وعلوم البلاغة للكشف عمّا تفرّد به من أوجه البيان ، وأفانين القول، ونواحي الإعجاز ، والدّراسات اللغوية بمختلف أشكالها، كضبط مفرداته ، وتحديد مدلولاتها، واِلتماس شواردها، وجدّتها وعلميتها ، كالصراط، والقسطاس، والنطفة، والأمشاج، والعلقة والمضغة والذرة، والمثقال، والشواظ .

والدّراسات الصوتية المختلفة لضبط الأصوات ، وتحديد مخارجها وصفاتها ، وما يعتريها من تغيّرات بقصد الخفّة والتقريب الصوتي ، كالإبدال ،والإعلال، والإدغام، وذلك بقصد المحافظة على القراءة السليمة للقرآن الخالية من اللحن والتكسير.

وكان علم الأصول لبيان قواعد الشريعة ، وتبيان طريقة استنباط الأحكام منها.

وحتى علم الفلك والرِّياضيات كان للقرآن دورٌ في ازدهاره عند المسلمين خدمة للدِّين ، وتحديد مواقيت العبادات، وتقسيم التركة والمواريث، ومعرفة الكواكب ، ورصد سير الأفلاك ، وعلاقة ذلك بتأدية الشعائر في أوقاتها المحدّدة﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾(2).

---

(1)-عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز في علم المعاني- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت- لبنان- 1398هـ/1978م- 32.

(2)-يس/39-40.

حتى الشعر تأثّر بالقرآن الكريم معجماً ومعانيَ، ومنه قول الحصين بن الحمام المرّي (1):

أعـوذ بربِّي من المخزيـــا ت يوم ترى النفوس أعمالها

وخفّ الموازينُ بالكافرين وزُلزلت الأرضُ زلزالها

بعد هذا ، نعود فنسأل : ما علاقة هذا بموضوع البحث ؟ فالمعروف أنّ الرقعة الجغرافية الإسلامية اتّسعت بعد الفتح الإسلامي لجزيرة العرب، ودخل أقوام غير عرب في الإسلام ، فامتزجت الثقافات وتلاقحت الأفكار، فظهر حراك فكريّ نتيجة ذلك ، فكان والحال هاته، أن بدت آراء متباينة تجاه الإسلام عامّة، والقرآن خاصّة .

فمِن الدّارسين مَن شرع يبحث في أوجه الإعجاز القرآني، ويتوسّل في ذلك بمختلف علوم عصره من فلسفة،وعلم الكلام، وفقه، ولغة. ومنهم ن أخذ يطعن في الدّين ، ويشكّك فيما جاء في القرآن ويحكم – زعماً وباطلاً- عليه بالتناقض وتضارب النظم . وفي ذلك يقول ابن قتيبة : «وقد اِعْتـرض كتابَ اللهِ بالطعن ملحدون ولـَغوا فيه وهجّروا ، واتـبّعوا ما تشابه منه ، اِبتغاء الفتنة، واِبتغاء تأويله بأفهام كليله، وأبصار عليله، فحرّفوا الكلم عن مواضعه، وعدلوه عن سُبله، ثمّ قضوا عليه بالتناقض والاِستحالة ، واللحن وفساد النظم والاختلاف »(2) ولخطورة الموقف عكف المسلمون على دراسة القرآن الكريم من زوايا شتـّى، وبطرائق مختلفة، وكان حافزُهم في ذلك أمرين - كما يقول الباحثون(3) - أوّلهما : الدِّفاع عن القرآن الكريم أمام هجمات المتقوِّلين وثانيهما : محاولة معرفة كنه إعجاز القرآن ، وسماته وخصائصه، فكان هذا سبباً لظهور كثير من التآليف والدِّراسات لكشف مواطن الإعجاز ،كلٌّ في تخصّصه . وهكذا نشأت علوم شتـّى كان القرآن دافعاً لظهورها.

ومن أهمِّ القضايا التي شغلت بال الدّارسين قضيّة القول بالصرْفة. لقد اِتـّفق العلماء على أنّ القرآن معجز لا يُجارَى، ولكن اِختلفوا في علـّة إعجازه. فذهب بعضهم إلى أنّ القرآن معجز بالصرفة ويتزعّم هذا الرأي شيخ المعتزلة إبراهيم النظّام (ت. 231هـ) حيث قال :« إنّ العرب إذ ْعجزوا

---

(1)- شوقي ضيف- العصر الإسلامي- دار المعارف بمصر- د.ت- 71.
(2)- ابن قتيبة- تأويل مشكل القرآن- تحـ: أحمد صقر- ط 1954- ص24. .
(3)- أحمد جمال العمري- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني- 25.

على أن يأتوا بمثل القرآن ،ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه ومعانيه ، ونسجه ونظمه، بل كان لأن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله»(1). فالنظّام يرى أنّ القرآن لا يزيد على كلام البشر .

وقد ردّ الجاحظ قول أستاذه النظام بالحجّة الدّامغة، وممّا قاله: «...إنما عيبُه الذي لا يفارقه سوء ظنّه ، وجودة قياسه على العارض والخاطر، والسابق الذي لا يوثق بمثله . فلو كان بدلَ تصحيحه القياس ، اِلتمس تصحيح الأصل الذي قاس عليه ، كان أمره على الخلاف ،ولكنه كان يظنّ الظنّ ثمّ يقيس عليه، وينسى أنّ بدء أمره كان ظنّاً »(2) .

يلاحظ أنّ الجاحظ لم يوافق أستاذه فيما ذهب إليه من قياس تجريدي ، حاول تطبيقه على القرآن مع نفيه صفات الله عن ذاته ، ومن ثمّ فلا كلام لله في الشكل اللفظي المعهود ، وهذا يتماشى ومذهبه الاعتزالي ، إذ يعتبر المعتزلة كلام الله «وحياً وإلقاءً في الرّوع لا لفظاً»(3) . مثل هذا الرأي من النظّام وجد معارضة من طوائف مختلفة ، وعلى رأسهم أهل السنّة. وانقسم العلماء حيال ذلك فريقين : فريق يقول بالصرفة، وآخر ينفي ذلك، ويرى أنّ الإعجاز القرآني في ذاته لا لشيء خارج عنه. وانبرى علماء السنّة كابن قتيبة ،يفنّدون رأي النظّام وأضرابه ، لأنه – حسب رأيهم- لو كانت الصرفة هي المانع لما كان القرآن هو المعجز ، وإنما يكون المعارضون قد أعْجزوا، وهم قادرون . وهذا يتنافى وحقيقة القرآن، وكذا يتنافى وحقيقتهم ، إذ لم يثبت أن جاؤوا بما يقارب نظم القرآن ، لا في ألفاظه ، ولا في معانيه، ولا في بيانه قبل نزول القرآن الكريم.

في هذا الجوّ الزاخر بأفكار المعتزلة، ودفاع أهل السنة، ظهرت عدّة دراسات تخصّ القرآن لفظاً ومعنىً وأسلوباً تفسيراً وتأويلاً . فكان ابن قتيبة بكتابه (تأويل مشكل القرآن) الذي يناضح فيه عن كتاب الله وأسلوبه المتميّز وممّا قاله : «فأحببت أن أنضح عن كتاب الله ، وأرمي من ورائه بالحجج

---

(1)- أحمد جمال العمري- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني - 28.
(2)- الجاحظ-الحيوان- تحـ: عبد السلام هارون- الحلبي- ج2- 231.
(3)- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني- 29.

النيِّرة ، والبراهين البيِّنة، وأكشف للناس ممّا يلبسون ،فألّفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً ذلك من التفسير، بزيادة في الشرح والإيضاح ،وحاملاً ما لم أعلم فيه مقالاً لإمام متّبع على لغات العرب»(1)

فقضيّة الإعجاز كانت أهمّ قضيّة وجّهت العلماء إلى دراسة العناصر البلاغية التي يكون على أساسها الإعجاز،فانطلقت الدِّراسات البلاغية لكشف أوجه الإعجاز من إيجاز وحذف ، وإطناب وبيان. وفي هذا يقول الجاحظ :« ولي كتاب جمعت فيه آياتٍ من القرآن لتعرفَ بها فضل ما بين الإيجاز والحذف،وبين الزوائد والفضول والاستعارات. فإذا قرأتها رأيتَ فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة »(2) . الملاحظ أنّ الجاحظ قد تناول عناصر الأسلوب من إيجاز وحذف وإطناب ، وبيان، من خلال نماذج من القرآن الكريم.

من هنا بدأت الدِّراسات اللغوية معانقة للدِّراسات البلاغية لتحديد عناصر الإعجاز ، ومجال النظم فظهرت دراسات تخصّ هذا الجانب عند الفرّاء(ت. 207هـ) في كتابه " معاني القرآن " الذي تناول فيه الأسلوب القرآني بدراسة التراكيب والإعراب ، وتطرّق من خلاله إلى القراءات المختلفة مبدياً رأيه فيها ، مفسِّراً للآيات حسب تعدّد القراءات. وكلّ ذلك يتمّ في إطار النظام النحوي . وظلّت الدِّراسات القرآنية تتمّ في جوٍّ بلاغيّ نحويّ عند كثير من البلاغيين المفسِّرين كأبي الحسن الرمّاني (384/296هـ) برسالته "النكت في إعجاز القرآن " التي دافع فيها عن القرآن، وأبرز من خلالها وجوه الإعجاز فيه ، واعتبره أعلى طبقات البلاغة . ومن ثمّ فهو معجز للناس كافّة ، والبلغاء مهما أوتوا من القدرة، لا يمكنهم الارتقاء إلى درجة القرآن البلاغية . والبلاغة عنده«في إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة للفظ »(3) وتناول في النكت الإيجاز وأنواعه ، وطرقه، والمجاز والقصر ، والحذف عامّة، وربط كلّ ذلك بالإعجاز القرآني « وإذا تأمّلت ما جاء في القرآن

---

(1)- ابن قتيبة- تأويل مشكل القرآن- 10.
(2)- الحيوان- ج3- 86.
(3)- أبو الحسن الرماني- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل- تحـ: محمد زغلول سلام وزميله- ط . دار المعارف- مصر- ص75.

عرفت أفضيلته على سائر الكلام ، وعلوّه على غيره من أنواع البيان»(1). والذي يهمّنا هنا أنّ الرمّاني قرن البلاغة بالنحو ، حيث تعرّض للحذف وأنواعه، وطرائقه. فكان لزاماً أن يتعرّض للتقدير . وحتى على المستوى البياني نجده يستعين بالتقدير في تخريج الصورة، كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ (2) نرى الرّماني يحوّل ظاهر الآية إلى مضمونها (بنيتها العميقة) وذلك تقديراً ، فيقول: « حقيقته: فبلّغ ما تؤمر به ، والاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنّ الصدع بالأمر لابدّ له من تأثير ، كتأثير صدع الزجاجة ، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الذي يجمعها الإيصال،إلا أنّ الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ» (3) . وإذ سُقنا الرمّاني نموذجاً في الدّراسة البلاغية النحوية فلـِنُدللّ على أنّ قضيّة الإعجاز التي شغلت بال الكثير من العلماء كان لها دور في بعث دراسة ما له علاقة بظاهرة التقدير. وفي السياق نفسه ، نجد عبد القاهر الجرجاني قد درس مفهوم الإعجاز عامّة ، والإعجاز القرآني خاصّة ، وربط ذلك بالنظم . وجمعت دراسته مباحث البلاغة والنحو، وجادل منكري الإعجاز القرآني ، والقائلين بالصرْفة ، والمنادين بإمكان المعارضة . وانطلق من النص القرآني لإثبات الإعجاز ، مركـّزاً على دور النحو في تحديد المعاني فقال:« واعلمْ أنْ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله،وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنه » (4) وهو في كلِّ ذلك يتعرّض إلى ظواهر بلاغية نحوية،كالحذف، والتقديم والتأخير والتضمين، وكلّ ما يقتضيه السياق ، ويتطلبه المقام ، وذلك أيضا عامل على التقدير مُهيِّء لأسبابه.

فإذا كانت قضيّة الإعجاز عاملا هامّاً في الدِّراسات القرآنية ، فإنّ للقراءات القرآنية دوراً بارزاً أيضاً فيما أتاحته من أوجه وتخريجات ما كان لها أن تظهر لولا هذا الأداء.

---

(1)- النكت- 80.
(2)- الحجر/ 94.
(3)- الرماني- النكت- 87
(4)- دلائل الإعجاز- 55.

فقد نزل القرآن بأفصح لغات العرب، على سبعة أحرف ، كما نقل عنه ﷺ : «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكلّ منها ظهر وبطن ، ولكلّ حرف حدّ ، ولكلّ حدّ مطلع »(1) وفسّر العلماء الأحرف باللغات كإبدال لفظ بآخر كالحوت بالسمك ، وكالعهن المنفوش بالصوف المنفوش، وهي قراءة ابن مسعود . والثاني إبدال صوت بصوت كالتابوت بالتابوه. والثالث تقديم صوت وتأخير آخر (أفلَم ييْأس) و(أفلَمْ يأيس) . والرابع زيادة حرف أو نقصه نحو (ما ليه وسلطانيه) والحذف (فلا تك في مرية) . والخامس اختلاف حركات البناء نحو (فلا تحسبنّ) بفتح السين وكسرها . والسادس الإعراب نحو (ما هذا بشراً) على لغة قريش (وما هذا بشرٌ) على لغة تميم وقرأ بها ابن مسعود(2). والسابع التقديم. أمّا اللغات التي نزل بها القرآن الكريم فلغة قريش، ولغة سعد بن بكر الذين استرضع الرسول ﷺ وجشم ونصر ، وثقيف، ثمّ خزاعة فهذيل.

هذه اللغات المتعدِّدة أتاحت أوجها من القراءات ،كانت حتى في عهد الرسول ﷺ وصحّت القراءة بها وهذا تيسير لقوم أميِّين (3) . ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه حين سمع هشام بن الحكم يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة. فأخذه إلى الرسول ﷺ وسأله ، فلمّا سمع الرسول ﷺ قراءة هشام أقرّها وقال:« هكذا نزلت» ولمّا سمع عمر أقرّه على قراءته ، وقال: (هكذا نزلت)ثمّ أنهى حديثه ﷺ بقوله: « إنّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسّر منها»(4)

تنقل لنا الرِّوايات أنه اشتهر من الصحابة القرّاء الذين كانوا أئمّة ،وأخذ عنهم كثير من الصحابة والتابعين : عثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب ، وأبيّ، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري(5). واشتهر من القرّاء اللغوي أبو عمرو بن العلاء (154هـ) وعبد الله بن عامر (118هـ) وعاصم بن بهدلة(128هـ) وعبد الله بن كثير (120هـ) وحمزة بن حبيب الزيّات العجلي (156هـ) ونافع بن نصيح (169هـ) وعلي بن حمزة الكسائي (189هـ).

---

(1)- مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- 67.
(2)-المرجع السابق- الصفحة نفسها.
(3)-المرجع نفسه- 67.
(4)-الرافعي- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية-49.
(5)-المرجع السابق- 51.

وهذا التعدّد في القراءات أتاح أوجها لتخريج الآيات ، واستنباط الأحكام ، ومن ثمّ احتيج إلى التأويل وتصريف السياق وجهة خاصّة بغية الوصول إلى مدلول الآيات ،فكان لزاماً الاستعانة بالتقدير لتحديد الأوجه المختلفة . من هنا ،كانت القراءات باعثاً على التقدير ، والتوسّل به . وهذا يقودنا إلى دور التفسير والمفسِّرين في توظيف بعض الظواهر اللغوية ممّا عمل على استغلالها ، والاستعانة بها في فهم النص القرآني.

لم يحظ كتاب منزّل بالاعتناء والاحتفاء والقراءة، والعمل على فهمه ، وإدراك ما فيه مثلما حظي به القرآن الكريم،في طريقة كتابته ، وزخرفة مصاحفه . ناهيك عن محاولة فهمه ، ومعرفة مضمونه. من هنا راح المفسِّرون يتلمّسون طرائق شتّى، ويتوسّلون بوسائل متنوِّعة في تفسيرهم، واختلفوا باختلاف مذاهبهم وثقافاتهم . وتبعاً لذلك وُجدتْ أنواع من التفاسير ، منها ما اعتمد فيها صاحبها الجانب البلاغي في البحث، كأبي عبيدة في مجازه،ومنها ما اعتُمد فيها الجانب البلاغي النحوي ،كما هو الشأن عند الرمّاني في نكته ، والزمخشري في كشافه. ومن المفسّرين من اعتمد على النحو لتخريج الأوجه المختلفة لِمَا يتطلبه سياق الآية باختلاف المفاهيم النحوية التي تُخرّج الآية وفقها. وعلى رأس هؤلاء أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ، والنحاس في إعراب القرآن.

ومعنى هذا أنّ اختلاف الإعراب يتيح أوجهاً من المعاني يستدلّ بها المفسِّرون فتكون تخريجاتهم وفقها, وهذا يعْضده ما نقله السيوطي في الإتقان عن دور تحديد وظيفة الكلمة في السياق لإعطاء وجه من الأوجه فقال:«...فإنّ الرجل يقرأ الآية فيعْيَ بوجهها، فيهْلِك فيها، وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلّها، ككونها مبتدأ أو خبراً ، أو فاعلا أو مفعولاً، أو في مبادئ الكلام ،أو في جواب ، إلى غير ذلك»(1) . والشواهد القرآنية عمّا ذهب إليه السيوطي كثيرة، وهي عوامل حاملة على التقدير،من ذلك علة نصب (كَلالَـة) في قوله تعالى : ﴿**وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً** ﴾(2) فالإعراب يتوقف على معرفة المقصود بها ، ووظيفتها في

---

(1)- جلال الدين السيوطي- الإتقان في علوم القرآن - دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط4- 1398هـ/1978م- 235.

(2)- النساء/ 12.

السياق. فإن كانت اسماً للميِّت فهي حال – يورث هو كلالة- وجملة (يورث) إمّا خبراً لـ(كان) أو صفة ، و(يُورَث ورثاً كلالة) وإذا كان للورثة ، فهو على تقدير مضاف، أي (ذا كلالة). أو كان للقرابة فهو مفعول لأجله، والتقدير (فإن وجد رجل يورث كلالة ، أي من أجل كونه موجوداً يكون الميراث(1). وفي قوله تعالى :﴿ **وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى** ﴾ (2) فقد أعرب بعضهم (ثمودا) مفعولا به وهذا حسب النحاة ممتنع(3) لأنّ (ما) حقها الصدارة ، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، بل هو معطوف على (عادا) أو على تقدير (وأهلك ثمودا) (4). إذن فاختلاف المفسِّرين في تحديد وظيفة الكلمات في التركيب كان حاملا على تخريج الآيات تخريجاً خاصّاً. كما كان للجانب الصوتي دورٌ في تخريج الآيات تخريجاً خاصّا أيضا لأنّ للجمال اللفظي وقعا خاصّا في التأليف . والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف . فكلما كان أعدل، كان أشدّ تلاؤماً. وعن الألفاظ وعلاقتها ببعضها ،وما ينجم عن ذلك من تقديرات لردِّ المعدول إلى الأصل. ومن هذا الجانب الصوتي:الإبدال بنوعيه، والفاصلة التي تعني حروفاً متشاكلة في المقاطع ،تكون في رؤوس الآي ،والغرض منها حسن الإفهام لأنها تخصّ تحديد المعاني ،والتفريق بينها. ولا نعني بأن المعنى تابع لها ، فهي عكس الأسجاع،فالألفاظ تحتاج إلى حسن الفاصلة ليظهر التعبير في أكمَل حلـّة . وكذا المعاني لتحديدها والفصل بينها . وفي هذا قال الرمّاني إنّ « فواصل القرآن كلها بلاغة تحكمه، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي تحتاج إليها في أحسن صورة يدلّ بها عليها، والفوائد في الفواصل دلالتها على المقاطع وتحسينها الكلام بالتشاكل ، وإبداؤها في الآي بالنظائر»(5).

وهذا نفي كليّ لوجود السجع في القرآن الكريم ، بل هو متفرِّد بنظمه ولفظه. قال الباقلاني الذي يعدّ أوّل من قال بنظام الفاصلة : « فلو كان القرآن سجعاً ،لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك الإعجاز، ولو جاز أن يُقال: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا : شعر

---

(1)- الإتقان في علوم القرآن- ج1- 235.
(2)النجم/51.
(3)- السيوطي- الإتقان- ج1- 235.
(4)- الإتقان- ج2- 235.
(4)- النكت في إعجاز القرآن – 97.

معجز، وكيف ؟ والسجع ممّا كانت كهانة العرب تألفه، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجّة من نفي الشعر لأن الكهانة تـُخالف النبوّات» (1)

ومن مظاهر تحديد المعاني، وإتاحة أوجه التقدير قوله تعالى: ﴿**طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾ [طه/1-2-3] فالفاصلة هنا على الحروف المتجانسة ، أتاحت فرصة لتقدير المفعول في الفعل(تخشى) فالمَخشي محذوف.وكذا في قوله تعالى:﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى**﴾ [الليل/5-6] فقد حذف المفعول به في (أعطى) و(اتـّقى) لأنّ الغاية هي حسن العطاء ، وعموم المُتـّقى لا خصوصه.

فإن كنت قد سقت أمثلة عن الإعجاز القرآني ، وكيف كان تناولـُه مَناطَ الدِّراسات القرآنية ،وما نجم عنها من دراسات مختلفة كالدِّراسات النحوية ،فإنها تجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ تلك الدِّراسات اِستـُعين فيها بمناهج محدّدة وظفت فيها عناصر متعدِّدة،كالأصل ،والقياس، واستصحاب الحال لردِّ العدول في السياقات المنزاحة إلى أصولها.

كما توسّلت الدّراسة بآليات تحليل البنى المرتدّة ، مستـغلـّة الحذف، والتضمين ،والتوهّم،وذلك من أجل تحديد الجانب المقدّر في التركيب عند تفسير القرآن الكريم.

---

(1)- الباقلاني- إعجاز القرآن – طبع دار المعارف- تحـ: السيِّد صقر- 30.

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل:

تحديد المصطلح، وأوّليات ظهوره.

المبحث الأوّل: ماهية التقدير، ودلالات جذره.

إذا عدنا إلى جذر (التقدير) نجد الفعل (قدّر) يدلّ على غائب حاضر، و موجود خفيّ،و على القوّة و الغلبة. فالقاف حرف شديد مجهور فيه قلقلة، ومن حروف الإطباق، وهو من المجموعة اللهوية وفيه إصمات. والدّال حرف شديد مجهور، أيضا فيه شدّة و قوّة،وهو من المجموعة النطعيّة منفتح مصمت. و الرّاء حرف تكراريّ بيني يدلّ على المَلكة وعلى شيوع الوصف(1) وهو من المجموعة الذلقيّة، و من حروف الاستيفال.

و المعنى الجامع الذي يطال ما ينضوي تحت هذا الجذر هو مبلغ الشيء ، و القدرة والاقتدار وإعطاء الأشياء قيما افتراضيّة هي في حكم التّقدير، وهو بهذا المعنى يدلّ على غائب حاضر وخفيّ و لكنه موجود افتراضا، كما يعني العظمة، و المقدار، و التضييق ويغلب عليه معنى الغيبيّة مع الوجود. فالقدرة قوّة كامنة قبل الظهور، و القدَر شيء غيبيّ وقدّر الشّيء: أعطاه قدرا و قيمة. والقدَرُ : تعلـُّق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصّة(2) فتعليق كلّ حال من أحوال الأعيان بزمان معيّن فيه حضور وغياب، و تعليق الحال سابق إظهاره في الزّمان والقدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحدا بعد واحد مطابقا للقضاء. و القضاء في الأزل والقدر فيما لا يزال(3).

و الفرق بين القضاء و القدر هو أنّ في القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، و القدر وجودها متفرّقة في الأعيان بعد حصول شرطها(4) . فهو غيبيّ حاضر أيضا فقبل أن تحصل الشّروط تكون في رحم الغيب.

ثمّ إنّ في القدر معنى غيبيّا ووجوديّا كما جاء في كتاب التعريفات« القدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحدا بعد واحد»(5).

---

(1) أسعد علي- تهذيب المقدمة اللغويّة للعلايلي- دار النعمان- بيروت -ط1 -1388هـ/ 1968 م - ص 63

(2)- الشريف الجرجاني-كتاب التعريفات-دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان-ط 1- 1403 هـ/ 1983م – 174

(3) المرجع السابق- 174

(4)- المرجع نفسه-

(5)- المرجع نفسه.

ومن هنا أميل إلى أنّ التقدير النّحوي منشؤه عَقـَدي غيبي ،على الأقل في المستوى الدلالي، حيث إنّ دلالة كلّ منهما(العقدي والنحوي) تجمعهما الغيبية الحضورية، أو العدمية الوجودية.

فما القدر إلا خروج الممكنات من العدم في أوقاتها ولعللها، وما التقدير النحوي إلا ردّ العدول إلى الأصول لغاية وعلة، ويدعم ظني هذا، المعنى الجامع المستنبط من تقاليب الجذر (قدر).

فقـدَرَ، يَقـدُرُ: قاس، وهيّأ، ووقَّت، ودنا، وضيَّق. ومعاني كلّ هذا غيب قبل تحقيق، وعدم، قبل وجود.

وتقاليب الجذر:(قَرَدَ)(1) يعني: تجمّع ، وتلبّد، و(قَرِدَ) الشَعر: تلبّد، و(التقريد): الخداع وهو غير ظاهر. ودَقرَ، الدَّقْر: الرّوضة الحسناء العميقة(2) ، والدقـْرارَة : النميمة، والمخالفة والدّاهية.

و دَرَق(3) ، الدِّرياق : الخمر،لأنها تذْرِقُ صاحبها، أي تـُغيِّبه، فهو موجود مُغيَّب. والتدْريق: التليين والدورق: الجرّة، أي تخفي ما بداخلها.

رَقـَدَ(4): يَرقـُد، الرّقد: النّوم ، كالرقاد والرّقود- والرُّقود خاصّ بالليل- ومنه الرَّاقد غائب عن الحضور برقوده، والرَّاقود : دنّ كبير. والمعنى المستفاد من الجذر حاضر في حكم الغائب.

و رَدَقَ(5)، الرَدَقُ: ما يخرج من بطن السَّخلة أو المُهر عند الولادة، كالعِقـْي للصبيِّ. وهذا دلالة عمّا كان خفيّا فظهر، أو ما هو في صورة الظاهر الخفيّ.

ومن التقاليب السّابقة للجذر (قدر) تبيَّن أنّ المعنى الكليّ الجامع هو: الموجود في صورة الغائب والحاضر في صورة المُتخفِّي، وهو كذلك القدر العقدي، ويُماثله التقدير النحوي. ويدعم ما رأيته بأنّ للتقدير النحوي علاقة بالتقدير العقدي.

« قدَر، القدَر، محرّكة، : القضاء، ومبلغ الشيء. ويُضمّ، كالمقدار، والطاقة، كالقدر فيها،جمع أقدار والتقدير: التروية، والتفكير في تسوية أمر. وتقدّر: تهيّأ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ ما عظموه حق

---

(1)- أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور-تهذيب لسان العرب-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان/ ط1-1993/1413-ج3- 342.

(2)- الفيروز أبادي-ترتيب القاموس المحيط- أحمد الزاوي-دار المعرفة-بيروت- لبنان- ط 1399هـ/ 1979م- ج2- 196 .

(3)- الفيروز أبادي- ترتيب القاموس المحيط- ج2- 172.

(4)-المرجع نفسه- 373.

(5)-المرجع نفسه- 327.

تعظيمه، وقدرت الثوب فانقدر: جاء على المقدار.»(1)

وممّا سبق يتبيّن أنّ التقدير يعني التروِّي، وتقليب الأمور على أوجهها المختلفة لمعرفة حقيقتها.

وجاء في لسان العرب:« التقدير أي القدر، وقدَرُ كلّ شيء مقداره، ومقياسه، وقدَر الشيءَ بالشيء يقدره قدرا، وقدره قاسه، وقادرت الرجل مقادرة إذا قايسته، وفعلت مثل فعله، وقدرت أمر كذا وكذا أي نويته،وعقدت عليه، ويقال: قدرت لأمر كذا،أقْدُر له،وأقدر قدرا،إذا نظرت فيه وتدبّرته وقايسته.»(2)

وانطلاقا ممّا جاء به ابن منظور، فإنّ التقدير يعني المقايسة، وعقد النية، والنظر في الأمر وتدبّره.

أمّا من حيث الاصطلاح، فإنّ النحاة الأوائل لم يعرِّفوه بلفظه لأنهم اهتمّوا بالمضامين، لا بالمصطلحات. فلم يتناوله سيبويه في كتابه بلفظه، إلا لمما، وأشار إليه بلفظ الأصل، وإن كان مفهوم الأصل لديه عامّا. والأصل غير التقدير كما هو معروف، إذ بالرجوع إلى الأصول يحدّد المقدّر.

ومن مواطن استعمال سيبويه لمصطلح التقدير قوله :« ولو سمّيت رجلا بأب ، قلتَ: أبٌ، وتقديره في الوصل : هذا آبٌ »(3)

أمّا الشريف الجرجاني فقد حدّه حدّا عامّا بل هو أقرب إلى التعريف الفلسفي منه إلى النحوي حيث قال:«هو تحديد كل مخلوق بحدِّه الذي يوجد،من حسن وقبح، ونفع وضرّ وغيرها.»(4)

فالتقدير إذن، ليس تركيبا ممارسا ، وإنّما تصوّر مفترض يلجأ إليه النحوي لردّ التراكيب إلى أصولها التي عدلت عنها. يقول الدكتور بلعلام (التقدير ليس سوى عملية ذهنية تجري في عقل النحاة يُردُّ بها الفرع إلى الأصل لتبيُّن نوع التغيير أو التحويل الذي جرى على الأصل في الاستعمال واكتشاف العلاقات التفريعية.)(5). فإذا كان التقدير لم يهتم به النحاة القدماء تعريفا، لأنّ السليقة كانت هي المتحكمة، والمعدول عنه يعرف بردِّ الأصول، فيقولون: والأصل فيه كذا أو أصله كذا ، وهذا ضمنيا، تقدير، إذ ما قيمة ردّ المعدول إلى الأصول إذا لم يكن المقدّر هو المقصود؟

وهذا الجذر كما ورد في القرآن الكريم ، في مختلف الآيات ، تضمّن المعاني المشار إليها وغيرها.

(1)- الفيروز أبادي - ترتيب القاموس المحيط -ج 4 –569 / 570

(2)- ابن منظور – لسان العرب – ج 5 –76 .

(3)- سيبويه – الكتاب – تحقيق : عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة- ط2- 1402هـ/1982- ج 3 –323.

(4)-الشريف الجرجاني- كتاب التعريفات- 174 .

(5)-الدكتور بلعلام مخلوف-ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه-رسالة دكتوراه-جامعة الجزائر/2002-2003،ص:15.

و قد رأيت أن أورد مواطن جذر(قدّر) وما تفرّع عنه، في مختلف السياقات القرآنية، مُجَدولة، لما توفره الجداول مُدوّنة من ضبط ووضوح، خاصّة إذا اعتبرنا اطراد تلك الألفاظ، وتعدّد دلالاتها مصدرا أو فعلا، وهذا يتطلب رصدها وضبط معانيها ، ثم تصنيفها.

و قد تكرّر الجذر(قدَرَ) بصياغاته المختلفة ستا وأربعين ومئة مرّة (حسب المعجم المفهرس) . وفيما يلي مواطن جذر (التقدير) ومعانيه، كما وردت في القرآن الكريم.مع الملاحظ بأنّ الآيات المشتركة في معنى واحد لا تدوّن كلها ، وإنما يقتصر على آية واحدة منها.

السورة	عدد مرّات ورود الجذر	معانيه
البقرة	ثماني مرّات	سبع مرّات : بمعنى القدرة، والثامن بمعنى الإمكان والطاقة، وهو قوله تعالى :(**عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**)[236] وقوله: (**عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[20-106-109-148 -259 -264 -284]
آل عمران	أربع مرّات	القدرة المطلقة لذات الله تعالى ، وهو قوله عزّ وجلّ:(**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[29] و(**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[165]
النِّساء	مرّتين	القدرة المطلقة(**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً**)[133]
المائدة	خمس مرّات	القدرة الأزلية لله سبحانه وتعالى(**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[120] ومنها آية بمعنى الإمكان والطاقة (**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ**)[34]
الأنعام	خمس مرّات	القدرة المطلقة لله(**فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) [17] والعظمة والجلال (**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**)[91]،ما عظموه حقّ تعظيمه(1)والحساب المحكم (**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**) [96]

(1)- محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- منشورات دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان-ط1- 2002/ 1424هـ- 382.

الأنفال	مرّة	القدرة المطلقة (**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[41]
التوبة	مرّة	القادر قدرة مطلقة(**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[39]
يونس	مرّتين	التصيير ضمن مراتب(1)(**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ**)[5] والاستطاعة(**وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا**)[24]
هود	مرّة	القدرة الإلهية المطلقة (**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[4]
الرّعد	ثلاث مرّات	الحدّ ، والمقدار، والتضييق(**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**)[8] و(**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**)[17] أي بمقدارها و(**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**)[26] أي يضيّق على من يشاء لحكمة(2).
إبراهيم	مرّة	(**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ**)[18] أي لا يجدون ثوابه.
الحجر	مرّتين	المقدار(3) (**وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**)[21] والقضاء والحكم(4) (**إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**)[60]

(1)- محمد حسن الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن – دار الرشيد – سوريا- 1978 –209 .
(2)- المرجع نفسه- 253.
(3)-محمد حسن الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن–264.
(4)- المرجع نفسه– 264 .

النحل	أربع مرّات	القدرة المطلقة (**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**)[70] وعدم الاستطاعة وعدم الخيرية (1)(**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ** } [75]
الإسراء	مرّتين	التضييق (**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**)[30] والقدرة المطلقة(**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**)[99]
الكهف	مرّة	القدرة والاقتدار(**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً**)[45]
طه	مرّة	(**ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى**) [40] أي وفق الوقت المقدّر لإرسالك (2)
الأنبياء	مرّة	التضييق (**فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**)[87] أي نضيّق عليه (3)
الحجّ	ثلاث مرّات	القدرة الأزلية لله (**وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[6] و (**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**)[74] أي ما عرفوا عظمته وجلاله إذ أشركوا به (4).
المؤمنون	مرّتين	المقدار(5)(**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**)[18] والقدرة (**وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ**)[95]
النور	مرّة	القدرة الإلهية الأزلية (**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[45]

(1)- محمد أمين شيخو- تأويل القرآن الكريم- جمع وتحقيق: عبد القادر يحيى الشهير بالديراني- دار نور البشير- دمشق- سوريا- د.ت-م3- 383.
(2)- محمد التونجي- المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن- 382.
(3)- المرجع السابق- 383.
(4)- أحمد الصاوي- حاشية على تفسير الجلالين- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- د.ت- المجلد الثالث- 110.
(5)- محمد الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن –330.

الفرقان	مرّتين	(**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً**)[2] أي هيّأه لما يصلح له(1) والقدرة ،(**وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً**)[54]
النمل	مرّة	حكمنا وكتبنا (**فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ**)[57]
القصص	مرّة	التضييق (**وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ**) [82] أي يضيِّق (2)
العنكبوت	مرّتين	التضييق (**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ**)[62] والقدرة الأزلية (**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[20]
الروم	ثلاث مرّات	قدرة الله المطلقة (**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[50] و(**وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**)[54] والتضييق(3)(**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**)[37]
السّجدة	مرّة	القدْر والطول الزمني(4)(**ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**) [5]
الأحزاب	مرّتين	القدرة المطلقة (**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً**)[27] والقضاء المحتوم (**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً**)[38]

(1)- محمد الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن- 344.
(2)- محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- 383.
(3)- أحمد الصاوي- حاشية العلامة أحمد الصاوي- م3- 249.
(4)- محمد حسن الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن –416.

سبأ	خمس مرّات	الإحكام (1)(**أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**)[11] والسّير على مراحل متقاربة(2)(**وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ**)[18]ومرّتين بمعنى التضييق(3) (**يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**)[36]
فاطر	مرّتين	القدرة المطلقة(**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[1]و(**إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً**)[44]
يس	ثلاث مرّات	آيتان بمعنى التدبير المحكم(4) (**ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**)[38] و(**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ**)[39] وآية بمعنى الاستطاعة (**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**)[81]
الزّمر	مرّتين	التضييق(**أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**)[52] والتعظيم(**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**)[67]أي وما عظموه وما عرفوه حق المعرفة.
فصّلت	ثلاث مرّات	قسّم وسنّ(5) (**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**)[10] والتدبير المحكم(6)(**ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**)[12] والقدرة المطلقة(**إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[39]

(1)- محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- 382.
(2)- (3) - محمد حسن الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن- 430-431-432-
(4)- المرجع نفسه- 443
(5)- محمود بن عمر الزمخشري- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- دار الكتاب العربي- بيروت-ط3- 1407هـ/1987- ج4- 188.
(6)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- ط1- 1402هـ/ 1982م- ج2- 350.

الشورى	خمس مرّات	القدرة الإلهية المطلقة بمعنى (قدير) ثلاث مرّات كما في قوله (**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[9] والتضييق(**يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**) [12] والتدبير المحكم(**وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ**)[27]
الزخرف	مرّتين	التدبير المحكم(**وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ**)[11] والقدرة الإلهية المطلقة(**فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ**)[42]
الأحقاف	مرّة	القدرة المطلقة﴿ **إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[33]
الفتح	مرّتين في آية	الاستطاعة والقدرة الإلهية ﴿ **وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً** ﴾[21]
القمر	أربع مرّات	التدبير المحكم(1) منها﴿ **فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**)[12] أي حكمنا به أزلا(2) والقدرة الإلهية(**فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ**)[42]
الواقعة	مرّة	القضاء والحكم(3) (**نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**)[60]
الحديد	مرتين	القدرة المطلقة لله (**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[2] وعدم الاستطاعة (**لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ**)[29]
الحشر	مرّة	القدرة المطلقة(**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[6]
الممتحنة	مرّة	القدرة الإلهية(**وَاللَّهُ قَدِيرٌ**)[7]

(1) محمد حسن الحمصي- 530
(2)- المرجع السابق- 531.
(3)- محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- 383.

التغابن	مرّة	القدرة المطلقة(**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[1]
الطلاق	ثلاث مرّات	(**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**)[3] أي أجلا لا يتعدّاه (1) والتضييق(2)(**وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ**) [7] والقدرة الإلهية المطلقة(**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) [12]
التحريم	مرّة	القوّة المطلقة(**إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[8]
الملك	مرّة	القوّة الإلهية المطلقة(**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[1]
القلم	مرّة	الاستطاعة(**وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ**)[25] أي ظانّين أنّهم قادرون على منع المساكين (3)
المعارج	مرّتين	التعداد والكمّ(**فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**)[4] والقوّة الإلهية(**إِنَّا لَقَادِرُونَ**)[40]
المزمّل	مرّة	(**وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)[20] أي الضبط المُحكم، والحساب بالتعديل والتسوية(4)
المدثر	ثلاث مرّات	(**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**)[18-19-20] في الوليد بن المغيرة أي هيّأ في نفسه قولا طعنا في القرآن(5)
القيامة	مرّتين	القدرة السّرمدية لذاته تعالى(**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**)[4] و(**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**)[40]

(1)- محمد حسن الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن- 560 .
(2)- محمد التونجي- شرح غريب مفردات القرآن الكريم- 383.
(3)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- ج3- 526.
(4)- الكشاف- ج4- 643.
(5)- محمد حسن الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن- 580.

الإنسان	مرّتين	القدْر والمقدار(**قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً**) [16] أي جعلوا شرابها على قدر الريّ، أي قدّروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب الريّ ، فكانت (1)
المرسلات	ثلاث مرّات	الزمن والحين(**إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ**)[22] أي إلى مقدار معيّن من الوقت قدّره المولى سبحانه(2) والتدبير المحكم(**فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**)[23]
عبس	مرّة	(**مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ**)[19] أي هيّأه لما يصلح له بعد أن قدّر خلقه (3)
الطارق	مرّة	(**إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ**)[8] أي القدرة المطلقة لله ليست خاصة بحالة أو زمن (4) .
الأعلى	مرّة	بمعنى فرض وكتب وأوجد كلّ شيء بقدرته(5) وهو قوله تعالى : (**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**)[3]
الفجر	مرّة	القسمة والتضييق(6) (**وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ**)[16]
البلد	مرّة	الاستطاعة(**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**)[5]
القدر	ثلاث مرات	العظمة والشرف(**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**)[1]

(1)-الكشاف –ج4- 671.
(2)/ (3)/(4)/(5) - المرجع السابق- 679- 703- 735- 749
(6)- محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- 383.

يتبيّن ممّا ورد في هذه الجداول أنّ المعاني المتفرِّعة من جذر(قدر) وما اشتق منه، والوارد في القرآن الكريم، تعني في معظمها القدرة الإلهية المطلقة ، والتضييق الذي هو ضدّ البسط ،والتهيئة وجعل الشيء أقساما ومنازل، والاقتدار والمقدرة، والشأن و العظمة والشرف، والقضاء والحكم ﴿**إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾(1) والتهيؤ النفسي﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ** ﴾ (2) والتقسيم وسنّ الأمور﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا** ﴾(3).

وهذه المعاني وغيرها، المستنبطة من الآيات المختلفة يلاحظ أنها في حكم الغائب قبل تجليتها للعيان، بل هي في حكم الحواضر الغائبة، والموجودة حكما، المعدومة حضورا.
وعليه، كان أصل التقدير النحوي افتراضَ صيغةٍ هي في الواقع غير ظاهرة ولا موجودة، بل تردّ بأحد أوجه العدول إلى الأصول، فالأصل فيها مُغيَّب لعلة وغرض.
ألا يمكن أن نزعم بعد هذا، أن هناك علاقة ما ، على مستوى معيّن بين التقدير النّحوي الذي يعني افتراض صيغة يردّ إليها المعدول، والتقدير العقَدي الذي يعني الغيبية والقدرة الإلهية اللامحدودة ؟
﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾(4)﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً**﴾(5) ﴿**وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**﴾(6)

و إنْ بدا أنّ النحاة القدماء لم يرد على ألسنتهم تعريفٌ للتقدير، فمن المنطقي أن يتبادر إلى الأذهان تساؤل عن أوّلية ظهور هذا المصطلح، ومَنْ استعمله؟ أهم النحاة أم غيرهم؟
بمعنى، أهو مصطلح نحوي بحت؟ أم انتقل إلى النحو من علوم أخرى؟ هذا ما سأحاول تبيانه في المبحث التالي.

---

(1)- الحجر/ 60.
(2)- المدثر/ 18.
(3)- فصلت/ 10.
(4)- الرّعد/ 8
(5)- الأحزاب/ 38.
(6)- فصلت/ 10.

المبحث الثاني:

أوّليات ظهور مصطلح التقدير:

المتتبّع لأوّليات ظهور مصطلح التقدير يجد أنّ كتب أصول النحو لم تحدّد تاريخ ظهوره، ولا أوّل من وظفه من النحاة باعتباره مصطلحا نحويا قائما بذاته، ولا تشير إلى أوّل من استعمله من غير النحاة. وهذا ما دفعني إلى البحث في كتب التفاسير لعلّي أجد فيها ضالتي،لأنّ العلاقة بين النحو والتفسير علاقة وطيدة. فكثيرا ما كان المفسِّرون يلجأون إلى النّحو، بَلْهَ الفقهاء، لتخريج المسائل الفقهية. علاوة على ذلك، فإنّ كثيرا من النحاة هم قرّاء لهم علم بالتفسير، كعمرو بن العلاء والكسائي ، وأبي الأسود الدّؤلي ، كما نجد حبر الأمّة عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما والذي كان ذا باع طويل في اللغة والنّحو، ممّا حدا ببعض الباحثين (1)إلى التساؤل عن عدم عدِّه من اللغويين والنّحاة،لأنّ النّحو نشأ وترعرع في كنف الدِّراسات القرآنية. بل ما من دراسات لغوية أو غيرها- عند المسلمين قديما – إلا وكانت بدافع فهم القرآن الكريم وبيان ما فيه من أوجه البيان ومواطن الإعجاز. يقول الإمام محمود شلتوت:«لا نكاد نعرف علما من العلوم التي اشتغل بها المسلمون في تاريخهم الطويل،إلا كان الباعث عليه هو خدمة القرآن الكريم من ناحية ذلك»(2)

فكان تفسير القرآن وتأويله، واستنباط أحكامه يتمّ أحيانا انطلاقا من لطائفه وتخريجاته النحوية كما هو الشأن في الآية الكريمة:﴿ **وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾ (3) حيث خرِّجت بالنصب، على الغسل، والجرِّ على المسح. قال الزجّاج :« الجرّ على الجوار وأجازه أبوالبقاء»(4). وقال الزمخشري :« ...قلت الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تُغسَل بصبِّ الماء عليها فكانت مظنّة للإسراف المذموم، المَنهي عنه، فعُطفت على الثالث الممسوح ، لا لتُمسَح ، ولكن ليُنبّه على وجوب الاقتصاد في صبِّ الماء عليها »(5)

---

(1)- آدم أحمد آدم محمود – الحذف والتقدير بين النحاة العرب، التحوليين والتوليديين– رسالة دكتوراه – إشراف: أحمد عبد العظيم - جامعة القاهرة- 1416هـ/ 1996م- 32.
(2)- محمود شلتوت- تفسير القرآن الكريم-ج 1- 63 .
(3)- المائدة/ 6.
(4)- آدم أحمد آدم محمود– الحذف والتقدير بين النحاة العرب - ج3- 34.
(5)-الزمخشري-الكشاف –ج 1 –610

فالمؤكّد أنّ للمفسِّرين علاقة وطيدة بالنحو، إذ لا يتناول التفسير إلا من كان ضليعا باللغة،عالماً بالنحو، بمعناه العام، أي العلم بخصائص التركيب العربي. وفي هذا الشأن نجد شيخ المفسِّرين عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما الذي عدّه بعض الباحثين عالما باللغة والنحو، كما أشرت سابقا. وهو صاحب أوّل تفسير-فيما رُوي- قد استعمل مصطلح التقدير في تفسيره . وبهذا أحسب أنّه أوّل من استعمله فيما أعلم. وهذا يؤدِّي بي إلى أن أزعم أيضا أنّ مصطلح التقدير، أوّل ما ظهر، كان لدى المفسِّرين في هذا الوقت المبكـّر. ولا نعلم من وظفه قبل عبد الله بن عبّاس بهذه الصفة.

لقد جاء في البحر المحيط أنّ ابن عبّاس، وقتادة، استعملا لفظ (التقدير) في موضع حديثهما عن المعطوف، في قوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ** ﴾(1)

جاء في البحر المحيط:«...وقال ابن عبّاس وقتادة والسدِّي في الكلام حذف تقديره : ولو أنزلنا ملكا فكذّبوه لـَقضي الأمر بعذابهم، ولم يؤخّروا حسب ما سلف في كلِّ أمّة »(2)

وجاء في البحر المحيط أيضا أنّ ابن عبّاس رضي الله عنهما قال عند تفسير الآية الكريمة:

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرائيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً** ﴾(3) « كلامٌ محذوف وتقديره : فسأل موسى فرعونَ بني إسرائيل أي طلبهم لينجيهم من العذاب »(4)

ومن ذلك حذف الحال، كما في قوله تعالى:﴿ **إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ** ﴾(5). جاء في البحر المحيط: « وقال ابن عباس : في الكلام محذوف تقديره : فأصابتكم مصيبة الموت، وقد استشهدتموها على الإبقاء »(6). يتّضح ممّا جاء في البحر المحيط أنّ مصطلح

---

(1)- الأنعام/ 8.
(2)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- 1992/1412- ج 4 -78.
(3)- الإسراء/ 101.
(4)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج4- 85.
(5)- المائدة / 106
(6)- البحر المحيط- ج4- 43.

التقدير تعزى بداية استعماله إلى ابن عبّاس وقتادة، على الأقلّ في هذا الوقت المتقدِّم. وإذا عرفنا أنّ ابن عبّاس توفي سنة 68 هـ ، وقتادة سنة 118 هـ، وإنّ ابن عبّاس، نسب إليه أوّل تفسير ممنهج باق من الصحابة رضوان الله عليهم . كما يُروى أنّ مصطلح التقدير ليس من ابتكار النحاة وإنّما انتقل إليهم من غيرهم. ومعنى هذا أن ابن عبّاس كان عالما باللغة ، كما كان فقيها ، وهذا ما أكّده ابن جني حين تحدّث عنه في تفسيره لظنّ بمعنى علم ، قال ابن جني في المحتسب: «...ينبغي أن يحسن الظن بابن عبّاس فيقال إنه أعلم بلغة القوم من كثير من علمائهم، ولم يكن ليخفى عليه أن ظننت قد تكون بمعنى علمت » (1)

كما جاء في البحر المحيط:« وقال قتادة هو على التقديم والتأخير، وتقديره : أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان ، لقد لبثتم، وعلى هذا تكون في ، بمعنى الباء ، أي العلم بكتاب الله »(2) والتقدير السابق الذكر يخص الآية الكريمة﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ**﴾(3) وهذا يجرّنا إلى الحديث عن التقدير لدى المفسِّرين. وقبل ذلك، لابدّ من الوقفة التالية مع دلالة التفسير، و علاقته بالتقدير، ثم الفرق بينه وبين التأويل ، وعلاقة هذا الأخير بالتقدير قبل أن أنتقل إلى التقدير لدى المفسِّرين :

- **علاقة التقدير بالتفسير:**

القرآن كتاب الله الخالد آخر الكتب السموية نزولا،وأصدقها أحكاما ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (4) فكان منهاجا ربّانيا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ارتضاه الله دستورا للمسلمين يستضيئون بضيائه ويحكمون بهديه، ويقتبسون من تعاليمه الرشيدة، ونُظمه الحكيمة، ما يجعلهم في أوج العزة والسعادة ، ويؤهلهم لقيادة ركب الإنسانية ، ويقودون الأمم إلى مدارج الكرامة

---

(1)- أبو الفتح عثمان بن جني- المحتسب في وجوه شواذ القراءات الإيضاح عنها – دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان - ط1- 1419هـ/ 1998م-ج2- 342.
(2)- البحر المحيط- ج7- 180.
(3)- الروم/ 56.
(4)- الحجر/ 9.

والسلام، مصداقا لقوله تعالى:﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾(1) . ومن الطبَعي أنّ العمل بما جاء به القرآن الكريم من أحكام وتعاليم وأسرار كونية لا تنقضي على مرّ الدهور،لا يمكن الإفادة منها ولا ممّا جاء فيه من هدي ونظم إلا بفهمه، وإدراك مكنوناته والوقوف على ما حوى من نصح وإرشاد وهذا لا يتأتى إلا عن طريق كشف ما تدلّ عليه الآيات الكريمة الباهرة، وما تزخر به من معان سامية ، وهذا ميدانه علم التفسير﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾(2).

- **معنى التفسير:**

التفسير في اللغة هو الإيضاح والتبيين، والفَسْر البيان. فَسَرَ الشيء يَفْسِرُه بالكسر، ويفْسُره بالضمّ فسرا وفسره أبانه، والتفسير مثله الفسر، كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المُشكل(3) قال تعالى :﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً** ﴾(4)

وعرَّفه الزركشي بأنه« علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيِّه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف ، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ » (5).

كما عرّفه أبو حيّان بأنه « ...علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تـُحمل عليها حالة التركيب » (6)

---

(1)- آل عمران/ 110
(2)- ص/ 29.
(3) - أبو الفضل أحمد بن منظور-تهذيب لسان العرب - 317.
(4)- الفرقان/ الآية: 33.
(5)- الزركشي- البرهان في علوم القرآن – دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط2- ج1- 13.
(6)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج1- 14/13.

• أقسام التفسير:

يقسّم التفسير حسب الاصطلاح إلى قسمين ، إلى التفسير بالمأثور ، وهو الذي يسمّى التفسير بالرِّواية، و التفسير بالرأي ، ويُسمّى التفسير بالدِّراية (1) .

1-التفسير بالرّواية : وهو الذي يُسمّى التفسير بالنقل، أو التفسير بالمأثور، وهو ما جاء في القرآن أو السنة، أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى . ومن أمثلة ما جاء تفسيره بالقرآن الكريم نفسه قوله تعالى:﴿ **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ** ﴾(2) ، فقد جاء تفسير هذا في قوله: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾(3) وكذلك قوله:﴿ **وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ** ﴾(4) جاء في تفسير الطارق:﴿ **النَّجْمُ الثَّاقِبُ**﴾(5)، وكذلك قوله:﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ** ﴾(6)،جاء في تفسير الليلة المباركة أنها ليلة القدر (7): ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾(8).

ومن أمثلة ما جاء تفسيره بالسنّة المُطهّرة،أنه ﷺ فسّر الظلم بالشرك(9) في قوله سبحانه : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾(10) وأيّد تفسيره هذا بقوله تعالى:﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾(11). وفسّر ﷺ الوسطى في قول الله تعالى:﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى** ﴾(12) بأنّها صلاة العصر. وفي هذا قال صلى الله عليه وسلم ، في يوم

---

(1)- بشيرة علي فرج العشيبي- أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي- منشورات جامعة قار يونس- بن غازي- ط1- 1999م- 107.
(2)- المائدة/ 1.
(3)- المائدة/ 3.
(4)- الطارق/ 1.
(5)- الطارق/ 3.
(6)-الدخان/ 3.
(7)-الزمخشري- الكشاف- ج4- 269.
(8)-القدر/1.
(9)-الصابوني- صفوة التفاسير- م1- 403.
(10)- الأنعام/ 82.
(11)- لقمان/ 13.
(12)- البقرة/ 238.

الخندق: «ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس» (1). وتفسيره ﷺ للفظة الزِّيادة في قوله تعالى:﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** ﴾(2) بأنها النظر إلى وجه الله الكريم. كما فسَّر القوة بالرَّمي، في قوله تعالى:﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** ﴾(3)، فقال ﷺ « ألا إنّ القوة الرَّمي،ألا إنّ القوة الرمي» (4)

وفي تفسير(أخبارها) في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾(5) قالﷺ: « أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: « الله ورسوله أعلم.» قال:« أن تشهد على كلِّ عبد أو أَمَة بما عمل على ظهرها. تقول عملت يوم كذا، كذا وكذا»(6)

2- التفسير بالدراية : و هو « عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن » (7) وتفسير الصحابة تفسيرٌ معتمد، لأنّ الصحابة رضوان الله تعالى عنهم اجتمعوا بالرسول ﷺ و سمعوا منه ونهلوا من معينه الصافي (8) و عرفوا أسباب النزول، وعاشوا الوحي و التنزيل، ممّا جعلهم يدركون أسرار القرآن و حكمه. قال الحاكم : إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل له حكم المرفوع (9) ولكنّ العلماء ينبّهون على وجوب التثبت في هذا النوع من التفسير من صحّة الرّواية، تحرزا من

---

(1)- موسوعة الحديث- شرح الباري- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- الحديث رقم: 570.
(2) يونس/ 26
(3)-الأنفال/ 60.
(4)- موسوعة الحديث- سنن الترمذي: كتاب الجهاد – الحديث رقم 5078.
(5)- الزلزلة/4.
(6)-الكشاف- ج4- 784. والحديث أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبّان والحاكم من رواية ابن أيوب عن يحي عن أبي سليمان المنقري عن أبي هريرة.
(7)-الذهبي محمد حسين- التفسير والمفسّرون- دار الكتب الحديثة- القاهرة- ط1- 1381هـ/1991- ج1- 255.
(8)- بشيرة علي فرج العشيبي- أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي-ص 107.
(9) - محمد علي الصابوني- التبيان في علوم القرآن - مكتبة رحاب- الجزائر- ط 3- 1407هـ/ 1986م-ص 67/66/65.

زنادقة اليهود و الفرس ، و ما دسّوا من روايات مكذوبة مغرضة.
و من أشهر المفسّرين من الصحابة الخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود ، و عبد الله بن عباس وأبيّ بن كعب ، و زيد بن ثابت ، و أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم جميعا.
وكان أشهر الصحابة تفسيرا عبد الله بن عباس الذي دعا له الرسول ﷺ بقوله:« اللهم فقّهه في الدّين وعلّمه التأويل»(1) و هو الذي يسمّى ترجمان القرآن.

وأمّا التفسير بالرأي لغير الصحابة ، فكان محلّ خلاف ،بل جدال بين العلماء . وانقسموا حياله فريقين، فريق رافض متخوّف من نتيجة الخوض في كلام الله ، متحرّج ممّا قد يحيد فيه أصحابه عن الصواب ، وما ينجم عن ذلك من أحكام قد لا تكون دقيقة ولا مقصودة من الآيات الكريمة.
والرافضون استندوا إلى بعض أحاديثه ﷺ ممّا رُوي عنه أنه قال: « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » (2) . هذا سند الرافضين للتفسير بالرأي، ويدعمون اتجاههم – بالإضافة إلى ما سبق ذكره- بما رُوي عن أبي بكر ﷺ حينما سُئل عن قوله تعالى: ﴿ **وَفَاكِهَةً وَأَبّاً**﴾ (3) أنه قال:
« أيّ أرض تقلّني وأيّ سماء تظلّني إذا قلت في القرآن ما لا أعلم ؟!»(4) وهذا لشدّة إيمانه.
هذا وغيره حجج من الرافضين للتفسير بالرأي. بينما نجد أنصار هذا الاتّجاه، المدافعين عنه الذين لا يرون حرجا إذا ما توفرت في المفسّر شروط مضبوطة، كالعلم بأسرار اللغة العربية، وخصائص أساليبها، ومعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والإلمام بآراء الصحابة فيما يُراد تفسيره بلهَ أحاديثه ﷺ وتبيانه للناس لما جاء من القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا**

---

(1)- بشيرة علي فرج العشيبي- أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي-ص 110.
(2)- ابن تيمية تقي الدّين أحمد بن عبد الحليم – مقدّمة في أصول التفسير- تحـ: عدنان زرزور – دار القرآن الكريم- الكويت- ط 1291هـ/ 1971م- ص106/105.
(3)- عبس/ 31.
(4)- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- جامع البيان عن تأويل القرآن – تحـ: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر- دار المعارف بمصر- د.ت- ج1- 78.

تَكْتُمُونَهُ ﴾(1) ولقوله تعالى أيضا: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (2) . كما استدلّوا بآيات أخرى منها قوله تعالى:﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (3) فلفظة (يستنبطون) خرّجها العلماء على أنها وراء السماع (4) بمعنى أن المستنبط ليس بالضرورة أن يستند إلى مأثور بل يمكن أن يعوّل على الرأي .

ومهما يكن الأمر، فإن التفسير بالرأي معمول به، ولكنْ من فئة العلماء الذين لا يُقدح في علمهم ووَرعهم ، وإيمانهم بما سبق من تفاسير السلف .

علاقة التقدير بالتأويل :

التأويل: أوّل تأويلا و تأوّله دبّره، و قدره و فسره. و قيل أصله من المآل ، و هو العاقبة والمصير، و قيل مشتق من الإيالة و هي السياسة، فكأنّ المُؤوّل للكلام يسوسه و يضعه موضعه وتقول العرب : قد ألنا ، و آيل علينا، أي سسنا و سيس علينا ، أي ساسنا غيرنا(5) .

و في القاموس المحيط :« أوّل، آل إليه أوْلا و مآلا، رجع ، وعنه ارتدّ... و أوّل الكلام تأويلا وتأوّله: دبّره و قدّره، و فسّره، و التأويل عبارة الرؤيا» (6). ومنه قوله تعالى﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾(7) .

و قال الشريف الجرجاني :« التأويل في الأصل الترجيع، و في الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر، إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا الكتاب و السنة ، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾(8) إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا ، و إن أراد إخراج

---

(1)- آل عمران/ 187.
(2)-المائدة/ 67.
(3)- النساء/ 83.
(4)- بشيرة علي فرج العشيبي- أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي- 110.
(5)-عبد الفتاح الحموز- التأويل النحوي في القرآن الكريم- رسالة دكتوراه- جامعة القاهرة-رقم 2044 -7
(6)- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- ترتيب أحمد الزاوي- ط 1- ج 1- 197
(7)- آل عمران/ 7.
(8)-الأنعام/ 95.

المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل كان تأويلا» (1). و ممّا سبق يتبين أنّ التأويل معناه الترجيع و السياسة و التدبير، و التقدير، و التفسير. هذا عند من لا يرى فرقا بين التفسير و التأويل. ففي الاصطلاح: التأويل عند المتقدِّمين بمعنى التفسير، فيُقال تفسير القرآن ويُقال تأويل القرآن ، بمعنى واحد. قال ابن جرير الطبري في تفسيره « القول في تأويل قوله تعالى ...»(2). إلا أن الشريف الجرجاني ، كما اتضح لنا في مقولة سابقة، يفرق بينهما، إذ التفسير يكون مرحلة أولى لإعطاء المعاني الظاهرة من سياق الكلام،ثم يأتي التأويل إذ لا يتوقف عند ذلك بل يتجاوزه إلى ما وراء المعاني الظاهرة. ففي الآية الكريمة التي استُشهِدَ بها فتفسيرها: إخراج الطير ذي الروح والحركة و كل خصائص الحياة، من بيضة لا حركة فيها و لا روح . أمّا تأويلا: فمن قدرته تعالى إخراج المؤمن من الكافر، و الصالح من الطالح، كما هو الشأن بالنسبة إلى عظماء الصحابة الكرام الذين كان آباؤهم كفارا أو مشركين، كخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل،و أبي عبيدة عامر بن الجراح. و المصطلح، خاص كما يبدو بالمفسرين، ثم انتقل إلى النحاة كما يقول عبد الفتاح الحموز: « و إني لأذهب في هذا المنحى إلى أن الكلمة انتقلت من المفسرين و كتبهم إلى النحويين وكتبهم ولست أذهب إلى أن الكلمة اكتسبت معنى جديدا في مؤلفات النحويين ، عن معناها في التفسير، لأن كثيرا من تأويلات النحويين تدور في فلك المعنى أو أحد المذاهب» (3)

فالمعروف أنّ كثيرا من التأويلات تدور حول الأصل النحوي لتعزيزه ، و المحافظة عليه ، ومن تلك الشواهد التي تخدمه، رفع(مجلف) في قول الشاعر :

و عض زمان يا بن مروان لم يدَعْ　　　من المال إلا مُسحتا أو مُجلّفُ

فالقاعدة توجب نصب (مُجلّف) غير أنّ الفرزدق ردّ على عبد الله بن إسحاق الحضرمي الذي سأله عن نصب(مُجلف)على العطف بقوله :« بما يسوؤك و ينوؤك ،علينا أن نقول وعليكم أن تتأوّلوا» (4) و قول الفرزدق يكشف لنا حقيقة تتمثل في تأويلات النحويين وتخريجاتهم من أجل

(1)- الشريف الجرجاني- التعريفات- ط1 - 51/50.
(2) - محمد علي الصابوني-التبيان في علوم القرآن- 62
(3)- عبد الفتاح الحموز- التأويل النحوي في القرآن الكريم- 07
(4)- البغدادي- خزانة الأدب-ج2- 347 .

إعطاء مسوغ للتركيب حتى يجدوا له بابا، يُفضي بهم إلى القاعدة النحوية و من ثم فلا بد للخارج عن المألوف (القاعدة العامة) من تأويل خاص .

والملاحظ أن عدم التأويل أفضل من التأويل إذا أمكنه حمل الشيء على ظاهره، و لم يحتج إلى العدول لردّه. جاء في البحر المحيط:« و القول الأول أحسن ، لأننا لا نصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيء على ظاهره ، لاسيما إذا لم يقم دليل على خلافه »(1) .

معنى هذا أنّ التأويل لا يُلجأ إليه إلا إذا وجد أن التركيب يقتضي تخريجا خاصا يعيده إلى الأصل حتى لا يبقى ظاهره مخلا بالقاعدة، و التأويل يُسوَّغ إذا كانت الجادة على شيء، ثم جاء شيء يخالف تلك الجادة فيتأوّل ، أمّا إذا كان لغة طائفة من العرب لا تتكلم إلا بها فلا تأويل ومن ثم كان مردودا تأويلُ أبي علي الفارسي في قولهم (ليس الطيبُ إلا المسكُ)على أن فيها ضمير الشأن،لأن أبا عمرو نقل أن ذلك لغة تميم (2).

معنى هذا أن التأويل يُلجأ إليه عند مخالفة القاعدة النحوية كما قال الحموز، واستدل على ذلك بالآية الكريمة:﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ (3).

يرى بعض الباحثين أنّ هذه الآية الكريمة خُولف فيها طرائق الإعراب في الظاهر، من جهة عطف ما ليس بمجزوم على المجزوم، ليُعدل عن الظاهر إلى تأويل يصحح المعنى المراد أي عُدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء، وكأنه قيل « ثمّ أنهم لا ينصرون »(4) .

فكما يقول المفسِّرون:« إنّ المراد–والله أعلم- بشارة المسلمين بخذلان عدوهم في الحال، وأبدا في الاستقبال، ولو عُطف الفعل على ما تقدّم(جُزم ثم لا يُنصروا)على قاعدة العربية الظاهرة لما أفاد سوى الإخبار بأنّ العدو لا ينتصر في الحال، وزمن المقاتلة، ولكن قد ينتصر فيما بعد، فقد قال النحاة إن الوجه في هذا الموضع أن يُقال هنا عطف الجملة على الجملة، فإن التقدير: ثم هم لا يُنصرون »(5).

---

(1)- محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي-البحر المحيط -ج1-308.
(2)- الحموز- التأويل النحوي في القرآن الكريم- 10/09
(3)- آل عمران/ 111.
(4)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 401.
(5)-الحموز- التأويل النحوي في القرآن الكريم- 10/09

وممّا جاء ظاهره موهما مخالفة القاعدة قوله تعالى:﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾ (1) فإن ظاهر الكلام على تحريم نفي الشرك، ولكنّ المعنى خلاف ذلك، فهنا يُلجأ إلى التأويل لإزالة الإشكال والمعنى أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيِّه ﷺ:(قل لهؤلاء تعالوا اتل ما حرّم ربّكم عليكم) فلما اجتمعوا إليه قال لهم(وصّاكم ربّكم ألا تشركوا به شيئا).

بينما يذهب بعضٌ إلى التفريق بين التفسير والتأويل، وذلك أنّ التفسير يُقصد به المعنى الظاهر من الآية الكريمة. وأمّا التأويل، فهو ترجيح بعض المعاني المختلفة من الآية الكريمة التي تحتمل عدّة تخريجات.

كما ورد التأويل بلفظ الحمل، وهذا نجده عند تعليق سيبويه وذلك حين يقول:« فليس في هذه الأسماء في هذا الموضع وجه، سوى أن تكون على حالها قبل أن تلحق(إلا) لأنها بعد (إلا) محمولة على ما يجرّ ويرفع، وينصب، كما كانت محمولة عليه قبل أن تلحق (إلا)(2) فاللفظ جاء بلفظ الحمل(محمولة). كما ورد التأويل بلفظ المحمل بدل الحمل، كقول أبي حيان الأندلسي : « وهذا مَحْمَل سهل والوجه الأوّل أعوص...» (3)

وورد التأويل عند أبي حيان الأندلسي بلفظه، وبلفظ التقدير أيضا قال:«...ولا حاجة إلى هذا التقدير إذ الجملة مستقلة في الإخبار بدونه»(4).

وقد استُعمل التأويل بلفظ الوجه عند بعض المفسِّرين، كالزَجَّاج حين قال:« فزعم أبو عثمان أنّ الآية تحمل وجهين غير ما قاله»(5) أي على تأويلين.

وورد (التأويل) بلفظ (التناول) عند ابن جني وذلك حين قال: « ولا تحتاج إلى إبعاد التناول واعتقاد ما ليس بظاهر » (6)

---

(1)- الأنعام/ 151.
(2)- سيبويه- الكتاب-ج 2- 310 .
(3)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج 7- 51.
(4)- البحر المحيط-ج4 - 190.
(5)- أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الزجاج- معاني القرآن وإعرابه- تح: إبراهيم الأبياري- دار الكتب الإسلامية- ط2- 1982- ج3- 34.
(6)- ابن جني – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها- ج2- 262.

والمعروف أنّ التأويل مظهر من مظاهر تجاوز الظاهر إلى الباطن بهدف إيجاد تخريج مقبول ومقنع لردّ ما يعتقد انزياحه، ويتوهم خروجه عن القاعدة، فيُردّ به إليها، ويحاول تصويب المعاني التي يدل ظاهرها على غير حقيقتها، ولذا كان للتأويل دوافع وأسباب حدّدها النحويون بالعوامل التالية: نظرية العامل، الأوجه الإعرابية، و تأويلات أصحاب المذاهب، و التي سنتعرّض لها في حينها.

- **بين الردّ والتأويل:**

هل التأويل هو الردّ إلى الأصل؟ ويكون في هذه الحال التأويل والردّ مترادفين . يبدو أنّ الذين توهّموا ترادف المصطلحين انطلقوا من المعنى اللغوي الجامع بينهما . فالتأويل جذره اللغوي آل يؤول، أي رجع وارتدّ ، و«أوّل الكلام ، تأويلا: دبّره ، وقدّره، وفسّره »(1)

أمّا ردّ ، فيعني : أرجع ، وصرف الشيء إلى ما كان عليه (2).

ومنه قوله تعالى: ﴿ **رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ**﴾(3) أي أرجعوا الخيل مرّة ثانية.

وقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً** ﴾ (4) أي رجع وآل.

هذا التقارب في الأصل اللغوي، جعل بعض الباحثين يعتبرون التأويل ردّا ، بل ومرادفا له كالدكتور تمّام حسّان ، مستدلا بالآية الكريمة :﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (5) . ويعلّق تمّام حسّان بقوله : « فالقرآن الكريم يجعل التأويل هو الردّ » (6) . ولكن المتمعّن في الآية الكريمة لا يرى ما ذهب إليه تمّام حسّان ، فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده المؤمنين، بأن يردّوا كلّ متنازع فيه إلى حكم الله ، وأن يعرضوه عمّا جاء به رسوله ﷺ ، سواء كان وحيا من الله، أم سنّة منه ﷺ، لأنه لا ينطق عن الهوى، ولأنه يقول: « من أطاعني فقد أطاع الله»(7)

(1)- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- ج 1- 179.
(2)- المرجع السابق- ج 2- 323.
(3)- ص/ 33.
(4)- يوسف/ 96.
(5)- النساء/ 59.
(6)- تمّام حسّان - الأصول- دار عالم الكتب- القاهرة- ط 1425هـ/ 2004م –136.
(7)- الزمخشري-الكشاف -ج 1- 524.

وفُسِّر التأويـل في هذا المقام، بمعنى المآل والعاقبة (1) لا كما ذهب إلـيه تمّام حسّـان ، إذ الـتأويل أوسع وأشمل من الردّ ، وإن شئنا قلنا هو تخريج للمواقف الطارئة على صورة من الصور، وهذا يدعمه ما جاء في قوله تعالى ، على لسان صاحبي السجن:﴿ **نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(2) أي بيان ماهيته وكيفيته على وجه من الأوجه (3) .

وقد يكون التأويل بدوره ردّا ، كما في تفسير الآية . أمّا الردّ فيدخل في التأويل، فعلاقته به علاقة الجزء بالكلّ ، فقد يعدل المتكلّم عن أصل الأصوات، فيغيّر بعض الصفات ، أو يحيد بها عن مخرجها خلال ممارسته الكلام، ولكنّ السامع ، حتى يفهم المقصود، يؤوّل بردِّ المعدول إلى الأصل فقولنا: (صام، و باع) فالألف في الفعلين السّابقين فرع، إذ الأصل فيهما: الواو والياء فيكون التأويل بالردّ إلى الأصل ، فنقول: (صوَم، وبيَع).لأن مصدرهما (الصوم والبيع).

وفي قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ﴾ (3) فـ (تسألـُنّ) ليس أصلا، وإنما هو عدول فالأصل : (لتسألونّ) فحذفت النون لتوالي الأمثال، فأصبح (لتسألونّ) فالتقى ساكنان الواو والنون المدغمة ، فوجب حذف الساكن السابق، درءا للثقل، فأصبح (لتسألـُنّ) . فالأصل لم نتوصّل إليه إلا بالتأويل الذي كانت وسيلته الردّ. وهنا كان الردّ إحدى وسائل التأويل المتنوّعة، كالحذف والتقديم، والتأخير، والتقدير.

- **التقدير لدى المفسّرين:**

يبدو أنّ المفسِّرين كانوا أكثر الفئات المعايشة للنص القرآني،المتأثرة بتخريجات آياته المتعاملة مع سياقاته المحاولة إدراك كيفية تراكيبه، وما يعتريها من عدول، تقديما وتأخيرا،حذفا وإثباتا، حقيقة ومجازا، ليتسنى لهم تحديد المعنى، وضبط المقصود. واختلفت طريقة المفسِّرين باختلاف ثقافاتهم (الوسيلة)والمنطلق والغاية.فمنهم من كان منطلقه بلاغيا كالزمخشري في(البرهان في علوم القرآن)

(1)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 524.
(2)- يوسف/ 36.
(3)- الكشاف- ج2- 470.
(4)-التكاثر/ 8.

ومنهم من كان يهدف إلى تحديد ما في لغة القرآن من أوجه مجازية، وظفت في التفسير، إذ جمعت مثل هذه الكتب بين التفسير وعلم اللغة والبلاغة، كما هو الشأن بالنسبة إلى كتاب(مجاز القرآن) لأبي عبيدة الذي بحث فيه معنى كلمة" قرآن"، ثم انتقل إلى النص القرآني وما يتضمنه من أساليب الكلام، مشيرا إلى أنّ نظم القرآن يشابه ما جاء في كلام العرب سالكا طريقا محددا، إذ إنه يبدأ بشرح الآية بآية أخرى، ثم يتبعها بحديث شريف في المعنى نفسه ثم يقدِّم بعد ذلك الشواهد الشعرية أو شواهد من كلام العرب الفصيح كالخطب والأمثال والأقوال المأثورة، وهو في ذلك يعمل على أن يؤكد صلة أسلوب القرآن بأساليب العرب، فيذكر ختام كل كلام أنّ « **العرب تفعل هذا**» (1).

وسأعود إلى شواهد من كتاب المؤلف عند التمثيل.

إذن، هذا عمّن قرن التفسير بالبلاغة وخاصّة المجاز منها.

ومن المفسِّرين الذين مزجوا النحو بالبلاغة في التفسير مستغلين الرأي في التخريجات " جار الله الزمخشري" ، بتفسيره (الكشاف).

ومنهم من كانـت غايته التفسير انطلاقا من أوجه النظام النحوي المتغيرة حسب السياقات والمقام ممّا يحيل إلى صور بلاغية يكتنّ المعنى في طياتها. وفي هذا نجد " أبا حيان الأندلسي" في (البحر المحيط) و" القرطبي" في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) وإن كان هذا الأخير مزج تفسيره بكثرة ما نقله من أخبار، وما رواه من قصص فيها لدى العلماء نظر(2).

ومن المفسِّرين المعاصرين "**سيد قطب**" في (ظلال القرآن) الذي أفاد من علوم العصر والاكتشافات الكونية، وجمع بين الأسلوبين، إذ أخذ عن السلف الحقائق المشهورة، والأحداث التاريخية الصحيحة ثم كان له رأي انطلاقا ممّا وصل إليه من علوم العصر التي تخدم التفسير.

وأما "**الصابوني**" فقد أفاد من التفاسير السابقة، لغة وبلاغة، وأعطى خلاصة ذلك في تفسيره (صفوة التفاسير).

والسيد" **محمد محمود حجازي**" الذي ركز على الجانب الدلالي مفيدا ممّن سبقوه، وذلك في تفسيره(التفسير الواضح).

---

(1)-أحمد جمال العمري-المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني- 41.
(2)-أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي-الجامع لأحكام القرآن-دار الكاتب العربي للطباعة والنشر-ط1387هـ/1967م- ج1- مقدمة الطبعة الثانية (د/ هـ).

أما " **الطاهر بن عاشور**"(ت 1939) فقد أفاد من الجانب النحوي و البلاغي كثيرا فكان تفسيره (التحرير والتنوير) شاملا، معتمدا تخريجات لها علاقة وثقى بالمواقف والأحوال في تحديد المعنى. كما نجد مجتهد العصر" **رشيد رضا**" الذي مزج في تفسيره بين العلم الحديث والرؤية الفقهية النيرة، ممّا جعل الشيخ" **محمد عبده** " يثني عليه ويجلّه على تفسيره (المنار) الذي لم يكتمل لموت صاحبه.

يضاف إلى هذا ما وصلنا من تفسير العلامة " **ابن باديس**" الذي أفاد صاحبه من علوم السلف وطعّمه بمنطق العصر، فجاء عاكسا لتنوّع ثقافة صاحبه وعمقها، وإن كان لم يصلنا من هذا التفسير إلا اليسير، نظرا للمدة التي استغرقها صاحبه فيه، و التي قدرت بثلاث وعشرين سنة.

الحقيقة أنّ موضوع التقدير الذي نحن بصدد بحثه، موضوع عام مشترك بين طوائف مختلفة،فإذا كان موضوعا نحويا بحتا، فإنه لا يقتصر على النحاة وحدهم،لأنّ هناك بعض المفسرين من أجروا التقدير في تفسيراتهم، وهم كثر، وذلك لتخريج معاني بعض الآيات، وقد درج على ألسنتهم في وقت مبكر مثلما هو الحال عند ابن عباس رضي الله عنهما والذي روي عنه أنه استعمل التقدير، وهو يفسر الآيات القرآنية، كما سبقت الإشارة إليه في بداية المبحث(1).

وحتى نلمّ بأهمّ آراء المفسرين النحاة في التقدير،أخذا أو رفضا، نورد نماذج ممّا جاء في تفسيراتهم في هذا الباب.

1- الفرّاء(ت 207 هـ) :

أخذ هذا النحوي المفسِّر بالتقدير في كتابه (معاني القرآن) وهو يتحدث عن السياق القرآني المستوعب للمعاني دونما فضول الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾(2). أي « قوله (**إذ قرّبا**) فيه حذف تقديره : اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت، على تقدير حذف المضاف» (3).

---

(1)- ينظر في صفحتي 11/10 من هذا البحث.
(2)- المائدة/ 27.
(3)- الفراء-معاني القرآن-تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار- الهيئة العامة للكتاب- ط 1980م ج1- ص305.

نجد الفراء، وهو يتحدث عن ابن آدم الذي توعد أخاه بالقتل، يقول: « لم يقل قال الذي لن يتقبل منه (لأقتلنك)لأن المعنى يدل على أنّ الذي لم يتقبل منه هو القاتل لحسده(لأقتلنك) » (1). ومثله في الكلام أن تقول« إذا اجتمع السفيه والحليم: حمدٌ، تنوي بالحمد الحليم »(2). فماذا يعني هذا؟
يعني أنّ الفراء عمل بالتقدير في تحديد المحذوف،سواء في الآية الكريمة أوفي المثال.

وفي قوله تعالى:﴿ **كتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ**﴾(3) قال: « لتنذر به مؤخر ومعناه: ﴿**أَلَمص كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ** ﴾»(4).

فقد أجرى الفراء في هذه الآية التقدير حتى أدّى به إلى التأويل،لأن العلاقة بين الفعل(أنزل) والفعل الثاني(لتنذر) هي علاقة السببية، ولا يفهم أحدهما دون العودة إلى الآخر.

وفي قوله تعالى:﴿ **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** ﴾(5) قال الفراء مقدرا« لكل كتاب أجل عنده» (6) فهنا قدّر الفراء الكلام تقديما وتأخيرا ، حتى وصل إلى ما أراد. ونجده في مواطن كثيرة يصدر في تخريجه عن تقدير في الآيات حتى يحدد المعنى المقصود.

وفي قوله تعالى:﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾(7).

قال الفراء: « وقوله (**نبتليه**) والمعنى- والله أعلم- جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه، فهذا مقدمة معناها التأخير»(8).

ومنه قوله تعالى:﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ** ﴾(9) فهو يتأوّل فيقدِّر، فيرى أنّ السياق يكون «وجاءت سكرة الحق بالموت، لأنّ الحق يأتي بها وتأتي به» (10) فالسكرة أضيفت إلى الحق

(1)- الفرّاء- معاني القرآن-- ج 1- 305.
(2)- المرجع السابق-305.
(3)- الأعراف/ 2.
(4)- الفراء – معاني القرآن- ج1-370.
(5)- الرعد/ 38.
(6)-الفراء- معاني القرآن- ج2- 65.
(7)-الإنسان/ 2.
(8)-الفراء-معاني القرآن- ج2- 214.
(9)- ق/ 19.
(10)-الفراء-معاني القرآن- ج3-78.

باعتبار أنّ هذه السكرة الحق، هي الموت بدليل قوله ﴿ **مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾.

ومن تقديرات الفرّاء التي راعى فيها الشكل والمعنى،كما في قوله تعالى:﴿ **فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾(1) فهو يؤوِّل الكلام حتى يخرِّج محلّ دعوى من الإعراب، فيقول: « الدعوى في موضع نصب لِكان، ومرفوع كان، قوله **(إلا أنْ قالوا)** فـ (أنْ) في موضع رفع، وهو الوجه في أكثر القرآن أن تكون (أنْ) إذا كان معها فعل أن تُجعل مرفوعة والفعل منصوبا»(2).

ومن تقديراته تجويزه تقديم الظرف على اسم (إنّ) في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾(3) قال الفرّاء« لو نصب ميقاتهم لكان صوابا» (4). ويكون التقدير: إن ميقاتهم يومُ الفصل.

وفيما حقه الصدارة نحو قوله تعالى:﴿ **يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا** ﴾(5). قدّر الفراء (ما نبغي) واستغلّ ذلك في التفسير فقال:« ما استفهام في موضع نصب، ويكون معناها جحدا كأنهم قالوا: لسنا نريد منك دراهم» (6). وقوله (في موضع نصب) أن يكون مفعولا به مقدّما والتقدير: (نبغي ما) وقدِّمت لأنها من ألفظ الصدارة.

إذن، فقد اعتبر الفراء(ما) استفهامية، ولكن مقدرة بالإنكار(الجحد) وهو أسلوب إنشائي إنكاري أي ماذا نبغي وأيّ شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟

وفي باب جواز تقدّم المفعول به على عامله، وذلك في باب الاشتغال، نحو قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ**

---

(1)-الأعراف/ 5.
(2)-الفراء-معاني القرآن- ج1- 372.
(3)- الدخان/ 40.
(4)- الفراء-معاني القرآن-ج2- 41.
(5)- يوسف/ 65.
(6)- الفراء-معاني القرآن-ج2- 49.

السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾(1) فقدّم الفرّاء هنا وأخّر وأخرج المعنى، فقال« معناه: ثم يسّره السبيلَ»(2) لأن الفعل مشغول بنصب الضمير(ه) في (يسّره) أي تقديم المفعول للاهتمام به كما في قوله تعالى :﴿ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾(3) فاعتبر الفرّاء هذا من قبيل تقديم الكلام وتأخيره، فقال: « تنصب(الله)بهذا الفعل الظاهر لأنه رد كلام» (4) فلو لم يُقدّر، ما أرجع الأصل (فاعبُدِ اللهَ) لكن لكون الله تعالى مقصورا عليه العبادة قدم المفعول. والعامل الفعل المؤخر (فاعبد) وهذا عند كلتا المدرستين. قال النحاس« ولا اختلاف في هذا عند البصريين والكوفيين »(5).

وفي نحو قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ** ﴾(6) قدّر الفراء تقديما وتأخيرا فجعل(ذلك) مفعولا به مقدّما، فقال:« موضع(ذلك) نصب لـ(جزيناهم) »(7) . ومنه قوله تعالى:﴿ **وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى**﴾(8) جعله الفراء من باب التقديم والتأخير، والتقدير« وأهوى المؤتفكة»(9).

وفي باب تقديم المفاعيل وتأخيرها، ترتيبا، كان للفراء تقدير أيضا، فالمعروف أنّ لهذا الترتيب صورا ثلاثا: وجوب المحافظة على الترتيب، وجواز التقديم والتأخير، و وجوب مخالفة الرتبة ونجد الفرّاء يراعي المعنى في إعراب القرآن، فقال في نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ** ﴾(10) فقال الفراء في إعراب الجنّ:« إن شئت جعلت الجنّ تفسيرا(11) للشركاء ، وإن شئت

---

(1)- عبس/ 20.
(2)- الفراء-معاني القرآن- ج3- 237.
(3)- الزمر/ 66.
(4)-الفراء-معاني القرآن- ج2- 424.
(5)- أبو جعفر أحمد النحاس- إعراب القرآن- تحـ: زهيد غازي زاهد- عالم الكتب والنهضة العربي- ط2- 1985- ج4- 213.
(6)- سبأ / 17.
(7)-الفراء- معاني القرآن-ج2- 359.
(8)-النجم/ 53.
(9)- الفراء-معاني القرآن- ج3- 103.
(10)- الأنعام/ 100.
(11)- يقصد به البدل في مصطلح الكوفيين.

جعلت نصبه على أنهم جعلوا الجنّ شركاء لله تبارك وتعالى»(1) ويقصد بالتفسير البدل على لسان المدرسة الكوفية.

وفي موضع آخر قدر الفراء الكلام كما في قوله تعالى:﴿ **وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ** ﴾(2) فأعربت(مُبارك) صفة لذكر، ولكنّ الفراء قدّر فأجاز إعرابَه حالاً أيضا« وهذا ذكر مباركاً أنزلناه والتقدير أنزلناه مباركا»(3) ومنه قوله تعالى :﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّماً** ﴾(4) فيرى الفراء أنّ في الآية تقديما وتأخيرا نجم عنه تقدير لردّ الأصل,لأن(قيّما) حال من الكتاب، والتقدير:« الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عوجا» (5) . وفي مجال ترتيب الجار والمجرور، نجد الفراء يقدر فيقدِّم ويؤخر لتحديد المعنى كما في قوله تعالى:﴿ **فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾(6). فقد أعاد الفرّاء التركيب جرياً وراء المعنى، فقدر فقال: « إنّ معناه(تقديره): فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، وهذا معناه . ولكنه أخّر، ومعناه التقديم-والله أعلم-لأنه إنما أراد: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة»(7).

ونجد الفرّاء في موضع آخر(الاعتراض) يقدّر حتى يصل إلى تحديد المعنى المكتن في الآية الكريمة،كما هو الشأن في قوله تعالى:﴿ **هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ** ﴾(8) قال:«رفعت الحميم والغساق بهذا مقدما ومؤخرا، والمعنى: هذا حميم وغساق فليذوقوه»(9) ويواصل الفراء: « وحميم

---

(1)- الفراء-معاني القرآن- ج1- 348.
(2)- الأنبياء/ 50.
(3)- الفراء-معاني القرآن-ج2- 206.
(4)- الكهف/ 1-2.
(5)- الفراء-معاني القرآن-ج2- 132.
(6)- التوبة/ 55.
(7)- الفراء-معاني القرآن- ج1- 442.
(8)- ص/ 57.
(9)- الفراء-معاني القرآن- ج2- 410.

رفع من جهتين، إحداهما على معنى: هذا حميم و غساق فليذوقوه)(1).

في باب التوكيد نجد الفراء يجري التقدير لتحديد المعنى بناءً على تحديد المؤكِّد والمؤكَّد في نحو قوله تعالى:﴿ **وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ** ﴾ (2) فقد جعل الفراء(كلهن) توكيدا فرفعه، ولم يجز أن يكون غير ذلك، فقال:« رفعٌ لا غير،لأنّ المعنى: وترضى كل واحدة، ولا يجوز أن تجعل (كلهن) نعتا للهاء في الإيتاء لأنه لا معنى له» (3) فالفراء لا يجيز في (كلـّهن) إلا الرفع لأنه توكيد للضمير(ن) في(يرضين) والتقدير: و يرضين كلهن والاعتراض فرق بين المؤكـّد والمؤكـَّد.

ومنه قوله تعالى:﴿ **إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا** ﴾(4) أجاز الفراء أن تكون(إذ) مكرّرة،أو بمعنى(لمّا) والتقدير:« إذ تسوّروا المحراب لمّا دخلوا، أو لمّا تسوروا المحراب إذ دخلوا. على أن تكون(لمّا) بعد إذْ في المعنى »(5).

نستنتج ممّا سبق عرضه أنّ الفراء، وهو من معربي القرآن ومفسِّريه قد أجرى التقدير في كثير من المواقف تخريجا لمعاني الآيات، وإعادة صوغ التراكيب التي مسها ما غيّر أصلـَها تقديما وتأخيرا حذفا واختصارا. ولا غرو في ذلك لأنّه انطلق من المعنى في إعراب القرآن، فإن حدث عدول في السياق فلغرض ما، والتقدير نتيجة لكل ما يقوم به بحثا عن تحديد المعنى نحو قوله تعالى:﴿ **قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً** ﴾(6) فالتقدير« كيف نكلـّم من هو كان في المهد صبيا»(7) فاعتبار كان زائدة، وصبيا حال،لأن التعجب وقع منهم، إذ كيف يكلـّمون من هو في المهد؟ وعادته وحالته أنه لا يتكلم!!

وفي قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ** ﴾(8) يبيِّن الفراء علة دخول الباء على المصدر(إلحاد)

---

(1)- الفراء-معاني القرآن- ج2- 410.
(2)- الأحزاب/ 51
(3)- الفراء-معاني القرآن- ج2- 346.
(4)- ص/ 21-22.
(5)- الفراء- معاني القرآن-ج2- 401.
(6)- مريم/ 29.
(7)- الفراء- معاني القرآن- ج2- 328.
(8)- الحج/ 25.

فيقول: « لأن تقدير(إلحاد) بأن يلحد، ودخول الباء في(أنْ) أسهل منه في إلحاد وما أشبهه ، لأنّ (أنْ) تضمر الخوافض معها كثيرا » (1) .

وكما في قوله تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾(2) فقد قدّر الفراء الكلام في الآية السابقة فيما يخص (ما) فقد جعلها زائدة، وقدّر المعنى دونها حيث قال: « والمعنى فبنقضهم» (3) أي اعتبار(ما) زائدة لا عمل لها، إلا أنّ لها قوة التوكيد.

والخلاصة أنّ الفراء يقول بالتقدير في القرآن، وقد أجراه في التفسير من خلال إعرابه الآيات القرآنية، ولكن تارة بلفظ التقدير، وطورا بلفظ المعنى.

2- أبو عبيدة (ت 210 هـ):

ومن اللغويين البلاغيين الذين اهتمّوا بدراسة القرآن ، على أساس بلاغي: أبو عبيدة ، في كتابه "مجاز القرآن" ، الذي بحث فيه الغريب والمجاز معا. وعدّه الباحثون أوّل كتاب بحث أسلوب القرآن، بمقابلته بأساليب العرب، واعتباره لا يخرج عنها(4).

ومن أهمّية هذا الكتاب أنّه من أوائل الدّراسات التي تتصل بالقرآن الكريم، لغة وأسلوبا، وتمزج بين التفسير والبلاغة. والذي يهمّنا ، وله علاقة بالبحث، ما ورد فيه من أمثلة تمس التقدير في القرآن الكريم لتبيين أنّ المفسِّرين اللغويين البلاغيين قد قالوا بالتقدير ، وأجروه في تفسيراتهم .

والملاحظ أنّ أبا عبيدة استعمل مفهوم التقدير بلفظ المجاز الذي ورد كثيرا في كتابه، فغالبا ما يرد التقدير بلفظة المجاز، فهو يبدأ بشرح الآية،ثمّ يتبعها بحديث شريف- إنْ أمكن- في المعنى نفسه ثمّ يقدّم الشواهد الشعرية ، أو شواهد من كلام العرب الفصيح، كالخطب والأمثال.

والمجاز عنده، ليس هو المجاز البلاغي بالضرورة، بل هو في مدلوله الأصلي، أي العدول عن استعمال اللفظ أو الألفاظ ، في معنى غير الأصل، أي الانتقال بالتعبير من وجه إلى آخر، وهو في ذلك يشير بقوله (ومجازه كذا) ، أي : تقديره كذا، أي الرجوع عن العدول يكون كذا.

---

(1)- الفرّاء- معاني القرآن- ج2- 223/222.
(2)- النساء/ 155
(3)- معاني القرآن-ج2- 189.
(4)- أحمد جمال العمري- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني - 40.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى** ﴾ (1) فاعتبر أبو عبيدة (الباء) في قوله (**بقادر**) زائدة للتوكيد ، فقال : « مجازها قادر» (2) فمجازها هنا، بمعنى **:** تقديرها.

ومن أمثلة ما جاء في قوله تعالى : (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) (3) حيث جعل سبب التقديم هنا الضمير المنفصل(4) والتقدير عنده : (نعبد إياك). ومنه قوله تعالى: (**قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ**) (5) فقال: «فتقديرها تشكرون قليلا »(6).

وفي باب ضمير الفصل ، نجد أبا عبيدة يسقط هذا الضمير ، ويقدّر الكلام دونه، كما في قوله تعالى:﴿ **تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً** ﴾ (7) فقدّر على هذا النحو (تجدوه عند الله خيرا)(8)

وفي باب الزيادة، نجده يعتبر الباء زائدة ، في مثل قوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾(9) فقال:« مجازه: اقرأ اسم ربك »(10) وفي قوله تعالى :﴿ **وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ** ﴾(11) قال أبو عبيدة : « مجازه : وما وجدنا لأكثرهم عهداً » (12)

وفي قوله تعالى : ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**﴾(13) ، قدّرها أبو عبيدة : «واجعل من

---

(1)- الأحقاف/ 33.
(2)- أبو عبيدة- مجاز القرآن- تحـ: محمد فؤاد سزكين- مطبعة السعادة- 1374هـ- ج 2- 213.
(3)- الفاتحة/ 5.
(4)- أبو عبيدة- مجاز القرآن- ج1 –24.
(5)- الملك/ 23.
(6)- مجاز القرآن- ج 2- 262.
(7)- المزمل/ 20.
(8)- مجاز القرآن- ج 2- 274.
(9)- العلق/ 1.
(10)- مجاز القرآن- **ج 2- 204.**
(11)- الأعراف/ 102.
(12)- مجاز القرآن- ج 1- 223.
(13)- إبراهيم/ 40.

ذريتي من يقيم الصلاة » (1) . وفي قوله تعالى : ﴿ **انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ** ﴾ (2)

فقد قدّر (كان) محذوفة، أي « فآمنوا يكن خيرا لكم »(3)

فمن الشواهد السابقة يتبيّن أنّ أبا عبيدة قد استعمل التقدير في تحديد المعنى في الآيات، وفي ردّ المحذوف، وفي ردّ العدول إلى الأصل، وغالبا ما كان يجري ذلك تحت لفظ المجاز. ولأنّ المجاز عنده هو العدول عن استعمال اللفظ أو الألفاظ، على المعنى الأوّلي إلى معنى آخر يمتّ إليه بصلة ما . وأنّ كلمة مجاز لديه ليست مجرّد مقابل لكلمة تفسير ، وإنما عدول في مقابل تقدير . كما ذهب في قوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ فعنده (أنّ العربَ تجعل المصادر صفاتٍ ، فمجاز البرّ هنا، مجاز الصفة لمن آمن بالله)(4) .

كما نجده يقدّر المحذوف في التركيب ، كما في قوله تعالى:﴿ **كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ** ﴾ (5) فقد قدّر المضمر بمظهر في (بلغت) بأنها (النفس) (6) . وفي تخريجه للآية الكريمة : ﴿**كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ**﴾ (7) على تقدير مبتدإ محذوف (هو كتابٌ ، وجملة أنزلناه على الاستئناف)(8)

---

(1)- مجاز القرآن – ج 1- 342.
(2)- النساء/ الآية 171.
(3)- مجاز القرآن- ج1- 143.
(4)- أحمد جمال العمري- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني - 43.
(5)- القيامة / 26.
(6)- مجاز القرآن – ج2- 278.
(7)- الأعراف/ 2.
(8)- مجاز القرآن- ج1- 210.

3-الأخفش الأوسط (213هـ):

ومن النحاة الذين اهتمّوا بتفسير القرآن الكريم من خلال تحديد مجمل معانيه: الأخفش الأوسط أبو الحسن سعد بن مسعدة، في كتابه (معاني القرآن) فنجده يقدِّر لتحديد المعنى ، تقديما وتأخيرا، حذفا وقلبا. ومن أمثلة المقدّر عنده ، ما جاء في قوله تعالى:﴿ **سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾(1) فقد لفت الأخفش الانتباه إلى أنّ الخبر قد يتقدّم على المبتدإ، كما في هذه الآية والتقدير في (سلام هي): « هي سلام»(2) أي ما هي إلاّ سَلام « وقدّم الخبر لإفادة كثرة السلام فيها، ولكثرة ما تسلم فيها الملائكة على المسلمين» (3).

وفي موضع آخر يتحدث الأخفش عن المصدر المؤوّل الذي قد يكون اسم كان أو خبراً لها، كما في مثل قوله تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا** ﴾(4). قال: « إنّ المصدر المؤوّل في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ..**﴾(5) لا يكون فيه إلا النصب لأنّ (أن يعلمه) هو الذي يكون آية،وقد يجوز الرفع وهو ضعيف»(6) فهو يرجِّح النصب، وإن كان الرفع فيه ضعيفا، وما توصّل إلى ذلك إلا بالتقدير.

ومن تقديراته ما جاء في إعرابه للقرآن، والإعراب معنى، وسمّاه (معاني القرآن) يعني هذا أنّ القصد تحديد المعنى من الآية انطلاقا من الإعراب، أي أنّ للإعراب دورا في تخريج المعاني المكتنة في طيّات الآيات. وبهذا يحمل على التقدير، وذلك برد العدول إلى الأصول، كما في قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾(7) فقد قدّر فيها الأخفش التقديم ، والتقدير« نعبد إيّاك»(8)

وقدّم ضمير النصب وجوبا للتخصيص،لأنّ الله وحده مخصوص بالعبادة دون غيره. وفي (إيّا)

(1)- القدر/ 5.
(2)- الأخفش- معاني القرآن- تحقيق فائز فارس الحمد-الكويت- ط1979-ج2- 542.
(3)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 781.
(4)- آل عمران/ 147.
(5)- الشعراء/ 197.
(6)-الأخفش-معاني القرآن- ج2- 427.
(7)- الفاتحة/ 4.
(8)- الأخفش – معاني القرآن- ج1- 16.

أقوال (1) . وفي باب جواز تقديم المفعول المطلق على عامله، جاء تقدير الأخفش لمضمون الآية الكريمة : ﴿ **كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِّي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(2) فقدّرها بقوله: «كذلك ننجِّي المؤمنين حقا علينا »(3) بتقدير عامل المفعول المطلق المحذوف (حق علينا حقا) .

وفي حديثه عن شبه الجملة (الجار والمجرور) الذي يكون للتخصيص، أو للقصر ، نجد الأخفش يراعي الرتبة ، ويقدِّر الكلام لتحديد المعنى ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (4) فقد رأى أنّ في الآية تقديرا نجم عن التقديم والتأخير ، والتقدير عنده : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم بالبيِّنات والزبر فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (5) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ** ﴾ (6) حيث اعتبر الأخفش الشرط على التقديم والتأخير مقدِّرا الكلام على هذا النحو: « وأمّا إذا السماء انشقت، فعلى معنى : يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربِّك كدحا فملاقيه إذا السماء انشقت، على التقديم والتأخير. » (7) . كما قدّر جواب الشرط مقدَّما في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ** ﴾ (8) والتقدير عنده : « إن ذكّرتم فمعكم طائركم»(9) وفي الفصل بين البدل والمبدل، أجرى الأخفش الكلام على التقدير في مثل قوله تعالى : ﴿**وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ** ﴾ (10) فقد قدّر أن يكون الكلام على هذا

---

(1)- قرئ (إيّا) بتخفيف الياء ، وبفتح الهمزة ،وبالتشديد ، وبقلب الهمزة هاء (هيّاك). ينظر الكشاف ج 4- 62.
(2)- يونس/ 103.
(3)- معاني القرآن- ج 1- 349.
(4)- النحل/ 43.
(5)- الأخفش- معاني القرآن – ج 1- 306.
(6)- الانشقاق/ الآية: 1.
(7)- الأخفش- معاني القرآن- ج 2- 534.
(8)- يس –19.
(9)- الأخفش- معاني القرآن- ج 2- 449.
(10)- الأنعام / 142.

النحو: « أنشأ حمولة وفرشا ثمانية أزواج » (1) فثمانية أزواج بدل تفصيل والأصل : أنشأ ثمانية أزواج حمولة (2). وفي باب الفصل بين المعطوف و المعطوف عليه قدّر الأخفش الكلام في مثل قوله تعالى :﴿ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾(3) فقد جعل هذا من التقديم والتأخير الذي له تأثير في المعنى، فقد قرئت (أرجلكم) بالنصب على (الوجوه) وفصل بينهما « وامسحوا برؤوسكم »(4) فمن قرأ بالنصب، يوجب غسل الرجلين،على عكس قراءة الجرّ التي توجب المسح (5). وفي باب العطف أيضا، قدّر الأخفش في الآية الكريمة :﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ... وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ** ﴾ (6) ففي نصب (جنات) قدّر الأخفش فعلا عاملا حيث قال: « فقد نصبت (جنات) عطفا على (خضرا) أي أخرجنا منه خضراً وجنات» (7).

ومنه قوله تعالى في المحرّم :﴿ **إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ** ﴾ (8). فقد قدّر في نصب (فسقا) الفعل (يكون) المحذوف المعطوف على (يكون) الأولى ، والتقدير عنده : « ألا تكون ميتة أو فسقا فإنه رجس» (9).

ونجده قد قدّر أيضا في الصفة والموصوف في نحو قوله تعالى:﴿**فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى** ﴾(10) قال في تخريجها على التقديم و التأخير :« أزواجا شتى من نبات، أو يكون النبات هو

---

(1)- معاني القرآن- ج 2- 289.
(2)- الأخفش- معاني القرآن- ج2- 289.
(3)- المائدة/ 6.
(4)- قراءة نافع ،وابن عامر، والكسائي، ورواها حفص عن عاصم. ينظر السبعة- 242.
(5) – الأخفش- معاني القرآن- ج 1- 277.
(6)- الأنعام/ 99.
(7)- الأخفش- معاني القرآن- ج 2- 282.
(8)- الأنعام/ 145.
(9)- الأخفش- معاني القرآن- ج 2- 407.
(10)- طه/ 53.

شتى، كل ذلك مستقيم» (1) . وهذان التقديران يجعلان المعنى مختلفا اختلافا بيِّنا، لأنه يحوِّل الصفة من (الأزواج) إلى (نبات) وأميل إلى الرأي الأوّل لأنه يتناسب مع مراعاة الفواصل المنتهية بالألف المقصورة ، حيث أخرت (شتى) تمشيا مع ذلك.

وفي باب حذف المبتدإ ، في جواب الاستفهام نجد الأخفش يستعين بالتقدير لتحديد المعنى كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** ﴾ (2) و قرئت (العفوُ) بالرّفع أيضا. وخرّج الأخفش الرفع بقوله:« الذي ينفقون العفوُ »(3). ومنه قوله تعالى:﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ** ﴾(4) فقد قدّر الأخفش مبتدأ محذوفا ، خبره (فك) والتقدير :« العقبة فك رقبة »(5)

ممّا سبق يتضح أنّ الأخفش ، في إعرابه القرآنَ ، كان مفسِّرا، لأنّ العنوان يوحي بذلك (معاني القرآن) ولم يقل(ألفاظه) . الأمر الثاني أنه ربط الإعراب بالمعنى ، وهذا في صميم التفسير يضاف إلى ذلك أنه وظف التقدير في دراسة معاني القرآن.

---

(1)- الأخفش- معاني القرآن- ج 2- 407.
(2)- البقرة/ 219.
(3)- الأخفش- معاني القرآن- ج 1- 185.
(4)- البلد/ 12-13.
(5)- الأخفش- معاني القرآن- ج 2- 538.

4- الزجّاج (ت 310 هـ) :

ومن المفسِّرين النحاة الذين قالوا بالتقدير، واستغلوه لاستخراج معان كثيرة من السياقات القرآنية التي جاءت على نسج معيّن ، سواء كان قد مسّها التأخير، أو الحذف، أو الإيجاز، نجد الزجّاج في كتابه (معاني القرآن وإعرابه) حيث له تخريجات وتأويلات بناها على التقدير. ومن أمثلة مقدِّراته ما قال به في الآية الكريمة: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾(1) إذ يرى أنّ في الآية تقديما وتأخيرا، والتقدير:«جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه » (2) لنبتليه بما أنعمنا عليه من نعمتي السمع والبصر اللتين هما منافذ الإنسان على العالم لننظر ما هو صانع.

وإن كان الزمخشري يرى هذا تعسفا لأنه تكلف في تخريج المعنى، فقال: « وهذا من التعسف»(3) وحسب ظني أن لا مانع أن يكون التقدير على ما جاء به الزجاج، إذ التكليف قُوًى خصّ بها الله الإنسان، فجعله مؤهلا لأن يكون مكلفا. والدليل على ذلك ما جاء بعده (**إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**).

وفي باب جواز تقديم خبر كان على اسمها، كان للزجاج رأي، نحو قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا** ﴾ (4) فقد أجاز الزجاج أن يكون المصدر المؤوّل في الآية الكريمة (**أن قالوا**) في محلّ نصب على أنه خبر (كان) والرفع على أنه اسمها، وإن فضّل أن يكون الاسم ما بعد (إلا) فقال: « إنّ الأكثر في الكلام أن يكون الاسم ما بعد (إلا) »(5) وفي تقدّم خبر ليس على اسمها، قال بالجواز في قوله تعالى:﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾(6) فقد خرّج (البرّ) على وجهين، فقال: «ولك في البرّ وجهان ، لك أن تقرأ : ليس البرَّ أن تولوا وليس البرُّ أن تولوا ، فمن نصب جعل (أن) مع صلتها الاسم فيكون المعنى : ليس توليتُكم وجوهَكم البرّ كلّه ومن رفع البرّ فالمعنى : ليس البرُّ كلُّه توليتَكم ... فيكون البرّ اسم ليس، ويكون (أن تولوا)

---

(1)- الإنسان/ 2.
(2)- الزجاج- معاني القرآن وإعرابه- ج 5- 257.
(3)- الزمخشري- الكشاف- ج 4- 666.
(4)- آل عمران/ 147.
(5)- الزجاج- معاني القرآن وإعرابه- ج 1- 477.
(6)- البقرة/ الآية: 177.

الخبر»(1). فها هو قد قدّر تأويل المصدر، وأجاز فيه الرفع على أنه اسم ليس، والنصب على أنه خبرها، وفي التقديم والتأخير تقدير. كما أجاز تقديم المعمول على عامله، في مثل قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(2) قال في إعراب (أيَّ) : « أيّ منصوبة بقوله (ينقلبون) لا بقوله (سيعلم) لأنّ (أيّا) وسائر الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها » (3) ويعني الزجاج بهذا، أنّ (أيّا) من ألفاظ الصدارة، والتقدير: ينقلبون أيّ منقلب، فتكون مفعولا مطلقا باعتبار (منقلب) مصدرا ميميا من غير الثلاثي ،كما ذهب إليه النحّاس (4) .

وفي باب (أيّ) الشرطية، قدّر الزجاج أيضا، واعتبرها من أسماء الصدارة التي يجب تقدّمها على عاملها، كما في قوله تعالى: ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾ (5) فقد جعل تركيب الآية من باب المقدّم والمؤخر إذ اعتبر (أيّ) مفعولا به مقدّما للفعل المؤخر(قضيت) والتقدير: « قضيت أيّما الأجلين » (6) ولكن (أيّ) تضمّنت معنى الشرط، فوجب تقديمها .

وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ (7) فـ (أيّهم) خبره (أشدّ) وهي على الحكاية، وقدّر الزجاج فعلا قبل (أيّ) لتصوّر الحكاية والتقدير عنده : «على معنى الذين يقال أيّهم هو أشدّ » (8) . وفي باب الاستفهام، نجد الزجاج يقدّر أيضا لتحديد المعنى في قوله تعالى :﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾(9) فـ « (ماذا) عنده اسم مبني على السكون في محلّ نصب مفعول به مقدّم للفعل (ينفقون)» (10) والتقدير: يسألونك ينفقون ماذا، لأنّ المعنى: يسألونك أيّ شيء ينفقون.

---

(1)- الزجاج- معاني القرآن وإعرابه- ج 1- 246.
(2)- الشعراء/ 227.
(3)- الزجاج – معاني القرآن وإعرابه- ج 4- 105.
(4)- النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد – إعراب القرآن- ج 2- 236.
(5)- القصص/ 28.
(6)- معاني القرآن وإعرابه- ج 4- 142.
(7)- مريم/ 69.
(8) – الزجاج- معاني القرآن وإعرابه – ج 3- 339.
(9)- البقرة/الآية: 215.
(10)- معاني القرآن وإعرابه- ج 1- 287 .

و منه قوله تعالى : ﴿ **أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾(1) يقول: « أي تدعون هذه الأصنام والحجارة التي عبدتموها من دون الله » (2) وهذا تقدير لتحديد المعنى، وإن كان منطلقه تحديد عامل المفعول.

وفي باب ترتيب المفاعيل، نجد الزجاج يتوخى المعنى من خلال التركيب ، فأسبقية مفعول على آخر له دلالة، كما في قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ** ﴾(3) فقد أعرب (شركاء) مفعولا به ثانيا مقدّما لـ (جعلوا) و(الجنّ) مفعولا به أوّلا مؤخرا(4)

وقال الزجاج :« إنّ نصب الجنّ من وجهين، أحدهما : أن يكون (الجنّ) مفعولا فيكون المعنى وجعلوا لله الجنّ شركاء ، ويكون الشركاء مفعولا به ثانيا، كما قال :﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً** ﴾ وجائز أن يكون بدلا من شركاء ، ومفسِّرا للشركاء » (5)

وفي قوله تعالى ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً**﴾(6) نجد الزجّاج قد جعل (كلما) منصوبة بـ (وجد) والتقدير : « وجد عندها رزقا كلما دخل عليها المحراب»(7)

فـ(كل) ظرف زمان مفعول فيه ، وعامله (وجد) مؤخر . وفي الآية الكريمة : ﴿ **فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾ (8) فإن كان الفراء يجعل (أربعين) منصوبة بالتحريم أو بـ (يتيهون) أي : « يتيهون أربعين سنة»(9) فإنّ الزجّاج يُخطِّئ الوجه الأوّل معتمدا التفسير ضالة، فيقول: « أمّا نصبه بمحرّمة ، فخطأ، لأنّ التفسير جاء بأنها محرّمة عليهم أبدا فنصب

---

(1)- الأنعام/ 40.
(2) - معاني القرآن وإعرابه- ج 1- 246.
(3)-الأنعام/ 100.
(4)- إعداد مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن- راجعه وقدّم له الدكتور فتحي الدابولي، وإبراهيم البناء- جامعة الأزهر- دار الصحابة للتراث- طنطا- ط 1425هـ/2005م- 631.
(5)- معاني القرآن وإعرابه- ج2- 305.
(6)- آل عمران / 37.
(7)- الزجاج- معاني القرآن وإعرابه- ج1 –403.
(8)- المائدة/ 26.
(9)- الفراء- معاني القرآن – ج 1- 305.

أربعين سنة بقوله يتيهون » (1) وهذا الذي أميل إليه لأنّ المدة للتيه لا للتحريم.

إذن ، فالتفسير هو الذي وجّه الزجاج وجهة خاصّة في تحديد العامل في الآية مخالفة لما ذهب إليه الفراء ، والتقدير عنده يتيهون في الأرض أربعين سنة.

وفي قوله تعالى : ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾(2) ففي إعراب (مطويات) آراء أهمّها: أنها خبر للسموات (السموات مطويات) وأجازوا أن تكون حالا أغنت عن الخبر ، وهذا الذي قدّره الزجاج وكذا الكسائي والفراء. وقد تكون حالا والخبر شبه جملة، ومتعلقه ، وهذا الذي استدلّ به الأخفش قراءة على جواز قولهم : (زيد قائما في الدار)على الحال، ولكن هذا أثار قضية تقدّم الحال على عاملها (الجار والمجرور).

يتبيّن ممّا سبق أنّ الزجاج – وإن كان نحويا- فإنه بإعرابه القرآن الكريم ، وتناول معانيه بالبحث جعله ضمن فئة المفسِّرين الذين وظفوا النحو لتخريج المعاني ، ويدلّ على ذلك إخضاعه التراكيب للمعنى بقصد التفسير، واستعان بالتقدير في كثير من المسائل، ممّا يبيِّن أنّ التقدير ظاهرة استغلت في التفسير.

---

(1)- الزجّاج –معاني القرآن وإعرابه- ج 2- 181.
(2)- الزمر/ 67.

4- النحاس (ت 338 هـ):

ومن معربي القرآن الكريم النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد، الذي تعرّض لمختلف سياقاته وأجرى التقدير لضبط المعاني ، وردّ العدول إلى الأصول، ممّا يؤكد سلوكَه سبيلَ المفسِّرين ومعربي القرآن في أخذه بالتقدير الذي يعتبر مسوّغا من مسوّغات ترتيب عناصر الكلام، ليكشف عمّا اعترى التركيب من تقديم، وتأخير ، وحذف. من ذلك ، ما ورد في قوله تعالى :﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾(1) إذ قدّر النحاس ، بقصد ترتيب أصول الكلم على النحو التالي : « وجاءت سكرة الحق بالموت » (2) على اعتبار أنّ الحق يأتي بالموت ، لأنها السكرة الأخيرة حق، والموت حق. وفي قوله تعالى، حكاية عن قارون: ﴿**مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ**﴾(3) فقد أجراه على تقدير استعارة مكنية باعتبار المفاتيح تـُميل العصبة من ثقلها ، رافضا تخريج ذلك على القلب ، فقال: « إنه لا يجوز أن يُحمَل كتاب الله على القلب والاضطرارات البعيدة» (4) . وإن كان النحاس قد ذهب هذا المذهب، فإنّ بعضَ مُعربي القرآن الكريم ، مَنْ أجرى الآية على القلب، كما هو الشأن لدى الأخفش ، حين قال: « وقوله (تنوء بالعصبة) إنما العصبة تنوء بها » (5).

ولكن الذي لا يُحبّذ ، ما يخالف الفصيح، ويبطل القاعدة، وهذا الذي رفضه ابن جني حين رأى أنّ التخريج على غير القلب أوفق معنى ، من الحمل عليه (6). وفي قوله تعالى : ﴿**لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**﴾(7) نجد النحاس قد خالف ما قاله في السابق ، فقلب وقدّر ، فجعل (لاهية) خبرا مقدّما للمبتدإ (قلوبهم) أي (قلوبهم لاهية) (8) وهذا مرتبط بالمعنى . ويجوز أن تكون(لاهية) حالا ، و(قلوب) فاعلا لاسم

(1)- ق / 19.
(2)- النحاس- إعراب القرآن - ج 4- 225.
(3)- القصص/ 76.
(4)- النحاس – إعراب القرآن – ج 3- 242.
(5)- الأخفش- معاني القرآن – ج 2- 434.
(6)- أبو عثمان بن جني- الخصائص- ج 2- 204/203.
(7)- الأنبياء/ 3.
(8)- النحاس- إعراب القرآن- ج 2- 62.

الفاعل (لاهية) . وإن كان الكوفيون لا يجيزون تقديم الخبر على المبتدإ ، بخلاف البصريين، الذين يجيزون ذلك(1) . وفي جواز تقديم خبر كان على اسمها فإنّ النحاس يذهب هذا المذهب، ويقدّر التقديم والتأخير، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرائيلَ ﴾ (2)

فقد جوّز أن يكون المصدر المنسبك من (أن) وما بعدها، اسم كان، كما يجوز أن يكون خبرها(3) . و شُبِّه هذا بخبر ليس. وما يقال في جواز تقديمه وتأخيره، فقد قدّر فيه النحاس التقديم، وأجازه كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾(4)

فأجاز أن يكون المصدر المؤوّل خبرا باعتبار (البرّ) اسمها، كما أجاز أن يكون المصدر هو اسمها والخبر مقدّما، والتقدير : « ليس البرُّ توليتكم وجوهكم ...» (5)

وفي باب جواز تقديم خبر (إنّ) على اسمها، إن كان شبه جملة، فقد جوّز ذلك النحاس ، مقدّرا التقديم والتأخير، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(6)

فقدّر النحاس الكلام « (ميقاتهم في يوم فصل) فجعل (ميقاتهم) اسم (إنّ) ، ونصب(يوم الفصل) على الظرف» (7)

وفي إعراب أسماء الاستفهام المقدّمة على عاملها، نجده يقدّم ويؤخر مقدِّرا ، حتى يجد ما يتماشى والمعنى الخاص بالآيات، كما في مثل قوله تعالى: ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ (8) فقد اختلف معربو القرآن في إعراب (أيّ) في الآية، والنحاس يقول: « نصبت (أيّ) بـ (ينكرون) لأن الاستفهام يعمل فيه ما بعده، ولو كان مع الفعل (هاء) كان اختيار الرّفع في (أيّ) ولو كان

(1)- كمال الدين أبو البركات، ابن الأنباري- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين:البصريين والكوفيين- تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد- دار الطلائع للنشر- القاهرة- د.ت- ج 1-72.
(2)- الشعراء/ 197.
(3)- النحاس- إعراب القرآن- ج 5- 104.
(4)- البقرة/ 177.
(5)- النحاس- إعراب القرآن – ج 1- 279.
(6)- الدخان/ 40 .
(7)- إعراب القرآن- ج 4- 133.
(8)- غافر/ 81.

الاستـفهام بالألف أو بـ(هل) وكان بعدها اسم، بعده فعل معه (هاء) لكان الاختيار الرّفع» (1)
إذن، هو يحدّد عامل نصب (أيّ) فيجعله الفعل المؤخر عنه (ينكرون) لأنها من أسماء الصدارة ومضمون رأيه أنّ (أيّا) كان محلها الرفع على الابتداء، ولو جاء بعد الفعل الذي يليها ضمير، يكون في محلّ نصب مفعولا به،لأن الفعل هنا، استوفى مفعوله، فيتحتم أن يكون (أيّ) مبتدأ ، والجملة الفعلية هي الخبر ، كما في قولنا (أيّ الرجلين صاحبتـه؟)
وفي قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً ﴾(2) فتعدّدت الآراء في إعراب (أيّهم) ولكن رأي النحاس أنها مفعول به للفعل (ننزع) والتقدير عنده : « ثم لننزعن من الذين تشايعوا أيـّهم » (3) أي من الذين تعاونوا ، فنظروا أيهم أشدّ على الرحمن عتيا. ولكن جاءت في التنزيل مرفوعة على أنها مبتدأ، و(أشدّ) خبر، والمفعول به جملة اسمية ، أي أيّهم هو أشدّ وهذا رأي يونس (4).
وفي باب تقديم المفعول به على عامله، نجد النحاس يقدّر ليردّ التركيب إلى الأصل، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾(5) حيث جعل (غير) مفعولا به مقدّما للفعل (تأمرونّي) والتقدير عنده :(أتأمرونّي أعبد غيرَ الله) قال « (غير) نصب بـ ((أعبد) » (6)
ومثله قوله تعالى: ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾(7) فـ (الذكرين) مفعول به ، عند النحاس للفعل (حرّم) « منصوب بـ (حرّم) » (8) وذلك من جواز تقديم المفعول به على عامله(9) .
وفي باب التنازع قدّر النحاس أيضا، ليردّ ما يجب تقديمه، إلى الأصل، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً ﴾(10) فجعل الجملة الفعلية في محلّ نصب سدّت

---

(1)- النحاس- إعراب القرآن- ج 4- 44.
(2)- مريم / 69
(3)- النحاس – إعراب القرآن – ج 3- 24/ 25.
(4)-مغني اللبيب- ج1- 82.
(5)- الزمر/ 64.
(6)- النحاس- إعراب القرآن – ج4- 269
(7)- الأنعام / 143.
(8)- إعراب القرآن- ج 2- 103.
(9)- جماعة من الأساتذة- إعراب القرآن - 658.

(10)- الجنّ/ 7.

مسدّ مفعولي (ظن) الثانية، وأجاز تنازعا، في إعمال (ظن) الأولى، فقال: « إنّ وما بعدها في موضع المفعولين، لـ(ظننتم) إن أعملته، وإن أعملت الأولى، نويت بها التقديم» (1).

والملاحظ أنّ إعمال الفعل الأوّل أو الثاني ، كلاهما كان منطلقه التقدير، سواء بلفظ التقدير،أو بلفظ المعنى والأصل.

ومن المقدّر الذي تناوله النحاس، العامل المؤخر، كما في قوله تعالى:﴿ **فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ** ﴾(2) قال:« فالعامل في (اليوم) تجزون»(3) والتقدير (تجزون عذاب الهون اليومَ) فالنحاس لا يجيز التقديم والتأخير إلا إذا كان المعنى على ترتيب الآية، أي عدم تناقض المعدول وسياق الآية، وهذا نلحظه في تخريجه للآية الكريمة:﴿**وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى** ﴾(4) فقد خرّج النحاس الآية على رأيين ، الأوّل : « والذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء ، والرأي الآخر: والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » (5). وقد دلل النحاس على هذا بتفسير ابن عباس فقال:« وهذا أولى بالصواب، إنما يقع التقديم والتأخير إذا لم يصح المعنى على غيره، ولاسيما وقد روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس (فجعله غثاء أحوى) يقول : هشيما متغيرا » (6) .

يظهر من هذا وغيره، أن النحاس قد أجرى التقدير في مختلف الأوجه، لتحديد المعاني ممّا جاء في الآيات القرآنية ، ولكن بشروط منها: عدم اللبس، وألا يتم تحديد المعنى إلا بالعدول عن الأصل تقديما وتأخيرا. وقد استعمل التقدير إمّا بلفظه، وإمّا بكلمة المعنى ، أو الأصل.

---

(1)- النحاس- إعراب القرآن – ج5- 48.
(2)- الأحقاف/ 20.
(3)- النحاس- إعراب القرآن – ج4- 167.
(4)- الأعلى/ 5/4.
(5)- النحاس- إعراب القرآن – ج5- 204/ 205.
(6)- المرجع نفسه.

6- ابن خالويه (ت 370هـ) :

ومن النحاة الذين تعرّضوا لمعاني القرآن تفسيرا ، من خلال إعرابهم : ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، بكتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن) وهو في ذلك يتعرّض لمختلف الأوجه الناجمة عن القراءات المختلفة، وما يتبع ذلك من تحديد للمعاني ، والتعرّض لما أشكل، مركزا على الجانب الإعرابي ، ولكن لا يخلو ذلك من تفسير ، ولا يتحرّج المؤلف من الجنوح إلى التقدير لردّ الأصل. وعن الطريقة المتبعة في كتابه المذكور، قال: « هذا كتاب ذكرت فيه إعراب ثلاثين سورة من المفصّل، بشرح أصول كل حرف (لغة) وتلخيص فروعه، وذكرت فيه غريب ما أشكل (منه) وتبيين مصادره، وتثنيته وجمعه، ليكون معونة على جميع ما يرد عليك من إعراب القرآن إن شاء الله » (1) . و من أمثلة ما أجرى فيه التقدير ما ورد في قوله تعالى:﴿ **قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا** ﴾(2) فقد قدّر شبه الجملة بعد (ممطرنا) فقال:« معناه ممطرٌ لنا » (3). وفي قوله : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾(4) حيث جعل شبه الجملة خبرا، كما أجاز التقديم والتأخير في هذا« فإن قدّمت أو أخرت فالإعراب والمعنى سواء» (5) هذا من حيث حقيقة عناصر التركيب إذ يبقى المبتدأ حسب رتبته ، لا من حيث الجانب البلاغي.

وفي قوله تعالى :﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾(6) فاعتبر (غير) نعتا لـ (الذين) والتقدير عنده «صراط الذين أنعمت عليهم غير اليهود، لأنك إذا قلت مررت برجل صادق غير كاذب فغير كاذب هو الصادق » (7) فها هو هنا أجرى التقدير بلفظه (والتقدير).

وفي سورة الطارق، في قوله تعالى : ﴿**والسماء والطارق** ﴾(8) نجده قد قدّر الباء الجارة التي للقسم في الواو، فقال: « وجرّ بواو القسم، وإنما جرّت الواو لأنها عوض من الباء والتقدير (أحلف

(1)- ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد – إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم – دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- د ت –3.
(2)- الأحقاف/ 24.
(3)- ابن خالويه- إعراب ثلاثين سورة –21.
(4)- الفاتحة/ 1.
(5)- ابن خالويه- إعراب ثلاثين سورة- 21.
(6)- الفاتحة/ 7.
(7) – ابن خالويه- إعراب ثلاثين سورة –32.
(8)- الطارق/ 1.

بالسماء) » (1) فهو هنا يجعل الواو عوض باء القسم ، وهذا الرأي عند من يعتبر الأصل في القسم الباء، وأنّ جملة القسم جملة فعلية (أحلف) لكن لا ضير في أن تكون الواو للقسم ، وهي وما بعدها في محلّ رفع متعلق بمحذوف ، خبر مقدّم ، والتقدير في هذه الحال قسمي ويميني، كما في قوله تعالى : (**وَالْعَصْرِ**) أي يمين وقسم ، كما قدّر (وربّ السماء)(2).

وفي قوله تعالى :﴿**مَا الطَّارِقُ**﴾(3) أعرب ابن خالويه (ما) تعجبية في معنى الاستفهام، وجعلها مبتدأ ، ثمّ قال : « والتقدير : وما أدراك يا محمد أيّ شيء الطارق » (4) . وفي قوله تعالى : ﴿**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾(5) فقد أعرب (كلّ) مبتدأ و(حافظ) خبرا، ثمّ قدّر فقال: والتقدير« إنّ كلّ نفس إلا عليها حافظ» (6). وأرى هنا ، حسب هذا التقدير، أنّ (حافظ) خبره شبه الجملة، لا لـ (كلّ) والجملة الاسمية خبر لـ(كلّ).

وفي قوله تعالى :﴿ **إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ**﴾(7) فقد جعل في الآية مقدّرا ، فقال: « اللام ، لام التوكيد، ويقال تحتها يمين مقدّرة، والمعنى إنه على رجعه والله لقادر»(8) . وفي قوله تعالى :﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**﴾(9) قدّر (هل) بـ (قد) فقال : « هل لفظة استفهام ، وهو بمعنى قد ، وكلّ ماضي القرآن من (هل أتاك) فهو بمعنى (قد أتاك) »(10) . كما قدّر الاستفهام بـ (هل) دلالة للأمر والحض، واستدلّ بقوله تعالى: (**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**) فقال : « معناه انتهوا » (11) وفي قوله

---

(1)- إعراب ثلاثين سورة من القرآن- 37.
(2)- المرجع نفسه- الصفحة نفسها.
(3)- الطارق/ 2.
(4)- إعراب ثلاثين سورة من القرآن- 41.
(5)- الطارق/ 4.
(6)- إعراب ثلاثين سورة من القرآن- 42.
(7)- الطارق/ 8.
(8)- إعراب ثلاثين سورة من القرآن- 49.
(9)- الغاشية/ 1.
(10)- إعراب ثلاثين سورة من القرآن –65.
(11)- المرجع نفسه -65.

تعالى :﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾(1) جعل (ما) وما بعدها مؤوّلا، فقال : « (ما) مع الفعل مصدر مؤوّل والتقدير : والسماء وبنائها، فقد أقسم الله بالسماء وبنائها » (2) .

وفي قوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾(3) اعتبر ناقة مفعولا به لفعل محذوف، على التحذير والإغراء معا، وقدّره بقوله : « أي احذروا ناقة الله ولا تقتلوها ، احفظوا ناقة الله »(4)

وفي قوله تعالى :﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (5) فأشار إلى أنّ قراءة النصب في (حمّالة) على الحال(6) فقال :« وإن شئت على الشتم والذمّ ، وتقديره: أشتم حمّالة الحطب، وأذمّ حمّالة الحطب»(7) . أمّا في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾(8) نجده يقدِّر فعلا قبل (هو) فيقول: «والتقدير : قل يا محمد ، قل هو الله أحد » (9) ولكن لا أرى علـّة لتكرار الفعل (قلْ) هنا ، الذي ذهب إليه ابن خالويه ، وخاصّة أنّ المقام لا يتطلـّب ذلك.

والخلاصة أنّ ابن خالويه عمل بالتقدير وخرّج وفـْقه معاني القرآن ، وإن كان قصدُه الإعراب ولكن ذلك لم يخل من التفسير ، فتارة يستعمل لفظ (التقدير) وطورا يستعمل (المعنى).

---

(1)-الشمس/ 5.
(2)- إعراب ثلاثين سورة من القرآن –98.
(3)- الشمس/ 13.
(4)- إعراب ثلاثين سورة من القرآن –104
(5)- المسد/ 4.
(6)- وهي قراءة عاصم.
(7)- إعراب ثلاثين سورة من القرآن –225.
(8)- الإخلاص/ 1.
(9)- إعراب ثلاثين سورة من القرآن –228.

استنتاج:

ويتبيّن ممّا سبق بحثه، أنّ التقدير لدى المفسّرين دعت إليه الحاجة لتخريج الآيات تخريجاً يقتضيه السياق، ويتطلّبه المقام، تقديماً وتأخيراً ، حذفا وذكراً، تضمينا وعدولا. وقد أتاح هذا مجالا واسعا لتخريج الأحكام، وفهم مقاصد الشريعة ، وتحديد الأوجه المختلفة التي أتاحتها أساليب النظم القرآني كالقصر لتخصيص الحكم وتقييده، وكتضمين لفظ معنى لفظ آخر، لتوسيع مجال الحكم، وإطلاقه. وكالتنازع والاشتغال، وعلاقة ذلك كله بما ينجم من انزياح أو عدول في التركيب تتولّد عنه معان جديدة يقتضيها المقام.

ويبدو من خلال النصوص المبحوثة أنّ المفسّرين كانوا من أوائل من وظفوا مصطلح "التقدير" فيما أعلم. وهذا أثبته أبو حيّان في محيطه ، وغيرُه، وإن لم يرد التقدير في المقباس الموجود حاليا، ولعلّ ذلك مردّه إلى أنه نسخة محرّفة عن الأصل.

واختلف التقدير تناولا عند المفسّرين باختلاف الآلية المُتوسّل بها. فمن كان منطلقه اللطائف البلاغية، عوّل على ما وراء النظم، من مجازات واستعارات، وهذا نجده عند أبي عبيدة في مجازه والفرّاء في معاني القرآن. ومن اعتمد النحو آلة، كانت غايته ما يعتري التركيب من عدول، كحذف العامل ، أو اشتغاله، أو تأخيره وتقديم معموله، والنظر فيما يترتّب على ذلك من معان يكون للتقدير دورٌ في تحديدها ، اعتمادا على القياس ، ومبدإ الأصل والفرع.

وهكذا يتكشّف أنّ العلاقة بين التقدير والتفسير وطيدة، بحيث يكون للتقدير دور في إعطاء أوجه متعدّدة للتفسير، كما أنّ تخريجات المعاني المتعدّدة تفضي إلى إمكانة وجود التقديرات ، وما مرّ بنا عبر الشواهد القرآنية المختلفة يثبت صحّة ذلك.

المبحث الثالث: التقدير لدى النحاة:

أخذ النحاة العرب الأوائل بالقياس انطلاقا من مبدإ الأصل والفرع، و ما خرج عن الأُصول يعتبرونه عدولا عن الأصل، أو لغة، إن ثبتت فصاحته، ولكن لا يُقاس عليه،مثل: اسم المفعول من (هان) فالأصل (مهيون) والمستعمل (مهين) وماضي (يذر): (وذر) ولكنه غير مستعمل لعلة . والذي يعنينا أنّ القياس كان باعثا هامّا على التّقدير، فإذا احتاج النّحاة إلى القياس بِردِّ العدول إلى الأُصول، كان التقدير. معنى هذا أنّ للقياس دورا في بروز ظاهرة التقدير.

فعلاقة القياس بالأُصل والفرع علاقة وطيدة حيث تنضوي تحت الأُصول أحكام تقتضيها طبيعة التّركيب لأجناس الكلمة الثلاثة من حيث البناء والإعراب، ثمّ العوامل ودورها. ولنا وقفة مع كلّ من القياس، ومبدأ الأصل والفرع في مجال الحديث عن الأسس التي يبنى عليها التقدير.

وإن كان موضوع البحث هو التقدير في القرآن الكريم، فإنّ تناول الأصل مفهوما ومضمونا ضروري لأنّ التقدير يرتكز عليه،إذ لا يردّ المعدول إلا بالرجوع إلى الأصول . فإذا قدّرنا كان الأصل هو المعوّل عليه، والمرجع في ردِّ عناصر التركيب إلى أصولها الأولى لتُدرك حدود العدول الذي دعت إليه ضرورة محوجة «لأن اللغة في نظرهم وضعها واضع حكيم وأنها محكومة بنظام معلل يدلّ على هذه الحكمة» (1) .

ولئن كان للنحاة الأوائل دور بارز في تأصيل قواعد النحو، واستنباط كلياته، فإنهم لم يولوا مصطلح الأصول عناية بحدٍّ. ومن ثمّ لم أعثر على تحديد مضبوط لهذا المصطلح لديهم وإن كان يدور على ألسنتهم، من ذلك قول سيبويه في باب (ما يكون في اللفظ من الأغراض):«...فما حُذف وأصله في الكلام غير ذلك » (2) فجاء التقدير بلفظة(الأصل).

يقول بعض الباحثين إنّ الجذر المعجمي(قدّر) لم يرد في الكتاب إلا نادرا، ووُظف بدلَه مصطلحُ الأصل، في حين استعمله المبرّد بكثرة في كتابه المقتضب بلغ تعداده ثلاثا وأربعين ومئة مرة(3) * .

ففي الجزء الأوّل وردت كلمة التقدير ثماني مرّات ، وفي الجزء الثاني إحدى وعشرين مرّة

---

(1)– بن لعلام مخلوف- رسالة دكتوراه: ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه- ص34.
(2)سيبويه- الكتاب-ج1- 25.
(3)- محمود سليمان ياقوت- قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين-دار المعارف-1980-6.
* لقد تأكد الباحث من صحة ذلك بموازنة الأجزاء الأربعة للمقتضب.

وفي الجزء الثالث وردت ستين مرة،وفي الجزء الرابع أربع وخمسين مرة. ويعني هذا أن مصطلح التقدير اطرد استعماله عند المبرّد وأخذ له مَعلما خاصا، ولم يعد مشتركا في الاستعمال مع الأصل الذي استخدمه سيبويه. بمعنى أن سيبويه أجرى التقدير بألفاظ أخرى لها الدلالة ذاتها التي هي للتقدير كالأصل مثلا، ولكنّ المبرّد قد ذكره، كما قلنا في أبواب مختلفة، من ذلك الإشارة إلى المصدر المضاف إلى الفاعل تقول (سرّني قيام أخيك) فقد أضفت القيام إلى الأخ وهو فاعل وتقديره« سرّني أن قام أخوك»(1).

وفي تخريج قول الشاعر الأقيشر الأسدي (2):

أفنى تلادي وما جمّعت من نشب قرع القواقيز أفواه الأباريق

قال : التقدير أن قرعت القواقيزُ أفواه الأباريق ، وتنصب (الأفواه) إن جعلت (القواقيز) فاعلا(3). وفي هذه الأبواب وغيرها وظف المبرِّد مصطلح التقدير ، وربطه بالحذف حين أشار إلى المبتدإ المحذوف في قولهم:(أريد أن تأتيني ثم تحسن إلي) فقدّر المحذوف حين قال: « أريد أن تأتيني ثم أنت تحسن إليّ» (4).

وفي باب الزيادة كونها من القضايا التقديرية أورد قولهم:« اِفعل هذا إمّا لا...أي، إن كنت لا تفعل غيره، فما زائدة ، والتقدير (إن لا تفعل غير هذا فافعل هذا)» (5).

كما وظف مصطلح التقدير للدلالة على إعادة ترتيب بعض الجمل، وعلى إعمال ما يشبه الفعل في غيره، كإعمال اسم التفضيل في التمييز، فقال:« اعلم أن التمييز يعمل فيه الفعلُ وما يشبهه في تقديره» (6). وكان يقصد بذلك مثل قوله تعالى:﴿ **أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً**﴾(7) أي أنّ اسم التفضيل عمل النصب في (مالا) و(نفرا). ووظف التقدير أيضا في حديثه عن الإضمار باعتبار

---

(1)- المبرّد- المقتضب- تحـ: محمد الخالق عضيمة- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث- ط2- 1415هـ/ 1994- ج1- 152.
(2)- خزانة الأدب- ج2- 282 / مغني اللبيب- ج2- 123.
(3)-المبرّد- المقتضب- ج1- 66.
(4)- المرجع السابق – ج2 –35
(5)- المرجع نفسه –151- 152.
(6)- المبرّد- المقتضب- ج3- 34
(7)- الكهف/ 34.

أنّ فيه ما يقدّر، كما في قوله تعالى :(**انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ**) (1)

« تقديره- والله أعلم- اِئتوا خيرا لكم »(2). ويمكن حصر أهمّ مجالات التقدير عند المبرّد في الأمور التالية: الأصل المقدّر لبعض التراكيب النّحوية،الاحتمالات الإعرابية للكلمة الواحدة، تقدير الحركة الإعرابية، الحذف، الزيادة، إعادة الترتيب، إعمال ما يشبه الفعل، حمل تركيب نحوي على آخر،التنازع، المحال وغير النّحوي، إنابة حرف عن آخر، الإضمار، الحمل على الوضع، الحمل على المعنى(3).

فالملاحظ أن مصطلح التـقدير راج على لسان المبرّد، ثم تناقله النحاة فيما بعد كما هو الشأن عند ابن جني وابن هشام والسيوطي والقرطبي المفسّر وأبي حيّان الأندلسي، وغيرهم ممّن أخذوا به وخرّجوا على مقتضاه أوضاعا إعرابية مختلفة.

كما أشرت سابقا إلى أنّ التقدير ليس من ابتداع النحاة بل هم وظفوه بعد أن تردّد على ألسنة المفسِّرين الأوائل، وعلى رأسهم عبد الله بن عباس وقتادة ومجاهد ومقاتل ، ولا ضير في ذلك لأنّ العديد من المصطلحات المتداولة شرْك بين طوائف شتى، وإن اختلفت مجالات اختصاصهم كمصطلح الأصول والفروع الذي نجده عند الفقهاء في مجال التركة والمواريث، وعند النحاة ولدى علماء الكلام، كما هو الشأن بالنسبة إلى مصطلح العلة الذي اهتم به الفقهاء، وعلماء الكلام والنحاة على السواء. ونجد علماء الكلام قد أولوا اهتماما بالمصطلحات و رَازُوها، كما اهتمّوا بالمفاهيم أيضا لأنّ شيوخهم درسوا كتب الفلسفة واشتغلوا بالمنطق، واستطاعوا أن يجعلوا الكلام اصطلاحا فنيّا يخدم اتجاههم في المحاجاة والمجادلة والمناظرة. ولنا أمثلة وشواهد عديدة عن تأثر النحاة بالمصطلحات الكلامية . من ذلك استعمالهم العلة والأصل والفرع، ومنه قول سيبويه:« واعلم أنّ الشيء يوصف بالشيء الذي هو هو، وهو من اسمه، وذلك كقولك(هذا زيد الطويل) ويكون هوهو وليس من اسمه، وذلك كقولك (هذا زيد ذاهبا)...ويوصف الشيء الذي ليس به، ولا من اسمه كقولك (هذا درهم وزنا) ولا يكون إلا نصبا»(4)أي منصوبا على التمييز .

---

(1)- النساء/ 171.
(2)- المبرد - المقتضب- ج3- 283
(3)-المبرّد- المقتضب- الأجزاء الأربعة.
(4)- سيبويه- الكتاب- ج 2- 121-

ويرى بعض الباحثين أنّ هذا نتيجة تأثر بعض النحاة بمصطلحات الفلاسفة ، والمناطقة وعلماء الاعتزال، الذين يرون أنّ الصفات غير الذات (1) ولكن بالرجوع إلى واقع سيبويه اللغوي تبيّن مبالغة هذا الرأي لأنه كان ينهل من معين العرب مشافهة،ولهذا كثيرا ما نجد قوله (هكذا تكلّمت العرب، أو نطقت...) .

وحتى في مصطلح الاستصحاب الذي أشيرَ إليه سابقا ، يبدو أنّ النحاة تأثروا بالفقهاء وأجروه في النحو، وهو يعني«كون الحكم الفلاني قد كان ولم يُظنّ عدمه، وكلّ ما كان كذلك فهو مظنون البقاء واختلف فيه فقيل حجّة في الشرع مطلقا، دفعا ورفعا، سواء عارضه ظاهر أم لم يعارضه » (2)

والاستصحاب هو « إبقاء ما كان،على ما كان عليه لانعدام المغير، وهو الحكم الذي يثبت في الزمان الثاني بناءً على الزمان الأول» (3)

إذن،لا غرابة أن نجد المصطلحات الفقهية والكلامية متداولة على ألسنة النحاة لأنّ العلوم تتكامل ويخدم بعضها بعضا، حتى وإن كان لكلّ منها منهاجه وغايته ،وهذا ما يثبته تكامل العلوم في العصر الحديث. فقد خدم عــِلما النفس والاجتماع اللغةَ والأدبَ، فكان علم الاجتماع الأدبي، وعلم النفس اللغوي . كما خدمت الرياضيات اللغة والأدب في إحصاء الظواهر اللغوية والأدبية. ولئن كان النحاة قد استعملوا مصطلح التقدير كالمبرد وابن جني وغيرهما إلا إنّ هناك فريقا منهم أنكر التقدير واعتبره ضرباً من التكلف والإعنات أثقل كاهل النحو كابن مضاء مثلا.

وفي المقابل نجد الدّرس النحوي قد أثر في كثير من الحقول العلمية كعلم أصول الفقه والتفسير. إذ أسهم النحو في حلّ بعض القضايا الفقهية، بتخريجها تخريجات لم تكن لها لولا التأويلات النّحوية بل أدّى ببعض العلماء إلى تأليف كتب تعتمد موضوعات النحو في تخريج المسائل الفقهية،من ذلك ما قام به الإمام جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم الأسنوي (704هـ/772هـ) الذي ألف كتابه (الكوكب الدرّي في كيفية تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية) . وقصد الأسنوي بعمله ذاك أمرين كما يقول الباحثون (4) : أحدهما كيفية تخريج الفقه على المسائل الأصولية، والأمر الثاني كيفية تخريجه على المسائل النحوية.

---

(1)- محمود سليمان ياقوت - قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين -26.
(2)- محمد الطيب الفاسي- مفتاح الوصول إلى علم الأصول- تقديم وتحقيق: إدريس الفاسي- دار البحوث للدّراسات الإسلامية وإحياء التراث – الإمارات- ط1- 1425هـ/2004- 319.
(3)- الشريف الجرجاني- كتاب التعريفات- 22.
(4)- محمود سليمان ياقوت- قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين –42

وهو في ذلك يركز على التقدير في المسائل النحوية فيما تؤول فيه العبارات، كما هو الشأن في تخريجه نوعية (ما) في العبارة(أعطيتك ما شئت) فاحتمال (ما) هنا الموصولية والمصدرية وانطلاقا من هذا عالج مسألة فقهية قاسها عليها كما هو الحال في العبارة التي يقول فيها زوج لزوجه «(أنت طالق ما شئت) فيحتمل أن يكون المراد المقدار الذي شئت،فيرجع فيه العدد الذي تشاؤه المرأة من الطلاق إليها، ويحتمل أن يريد مدة مشيئتك للطلاق، فتطلق عند مشيئتها للطلاق ولكن طلقة واحدة»(1) . ولست هنا بصدد تخريجات الأسنوي، وإنّما لأدلل على أنّ الفقهاء أخذوا عن النحاة كما أنّ هؤلاء الآخرين أفادوا من الدّراسات المتعددة خاصة على مستوى المصطلح .

وفي مجال العلل، نجد النحاة قد اعتلوا بعلل رأوها مناسبة لتخريجاتهم كعلة إعراب الأسماء، وبناء الأفعال وبعض الأسماء، إلى غير ذلك من العلل المختلفة. وهذا ابن جني يشير إلى الفرق بين العلل النحوية والفقهية ، فيقول :«اعلم أنّ علل النحويين، وأعني بذلك حُذاقهم المتقنين ،لا ألفافهم المستضعفين، أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين، وذلك أنهم يحيلون على الحسّ ويحتجون فيه في ثقل الحال وخفتها على النفس»(2)

ولكن، وإن كان للتقدير دور في التخريجات النحوية، لردّ العدول إلى الأصول، فإنّ تكلفه والاشتطاط فيه أظهر اختلافات كثيرة بين النحاة، حتى صارت المسألة النحوية الواحدة تخرّج تخريجات شتى تجعل بعضهم ينكرها لما فيها من إعنات، وهذا ما حدا بأبي علي الفارسي إلى استغراب ما جاء به علي بن عيسى الرّماني فقال:« إن كان النحو ما يقوله علي بن عيسى الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء» (3)

معنى هذا أن الإكثار من التقديرات أبعد النحو عن الغاية التي توخاها منه واضعوه، وصار صنوفا من الألغاز والمعمّيات، لتعدد التخريجات وغموضها. وبذلك فقد العامل النحوي دوره لأنّ الإكثار من تقديرات العامل، أدخل الغموض في الدّرس النحوي، لتعدد أوجه الإعراب وتخريجاتها، من ذلك (إذا) الظرفية الشرطية ، إن وقع بعدها اسم ، وبعده فعل واقع على ضميره ، فيختار فيه النصب

---

(1)- جمال الدين أبو محمد بن الحسن الأسنوي- الكوكب الدرّي- تحـ: عبد الرحمن أسعد السعدي- كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر- 1399هـ/ 1979م- 70.

(2)- الخصائص- ج 1 –48

(3)- ابن الأنباري- البيان في غريب القرآن- تحـ: طه عبد الحميد طه- اللجنة العامّة للتأليف والترجمة والنشر- القاهرة- 1390هـ/ 1970م- 234 .

من مثل قولهم (إذا زيدا تلقاه فأكرمه) و(حيث زيدا تجده فأعطه) فيعربون (زيدا) مفعولا به والتقدير(إذا تلقى زيدا تلقاه فأكرمه) و(حيث تجد زيدا تجده فأعطه). وكذا قولهم : (زيدا اضْربْ أخاه) يقدِّرون فيه (أهن زيداً اضرب أخاه). ومثل قولهم: (زيدا أُمررْ به) قُدّر فيه (جاوزْ زيدا أُمررْ به) لأنّه لا يتعدّى بنفسه . فهل العربي الأوّل قال هذا ثمّ تخلـّى عنه؟ لا أظنّ ذلك ،وإنما أعْزوه إلى تقدير النحاة فحسب لإيجاد مسوّغ لنصب زيد.

وفي مثل قوله تعالى : ﴿ **لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا** ﴾(1)

فجعل الواو للقسم في﴿ **وَالَّذِي فَطَرَنَا** ﴾ ودليل الجواب المحذوف جملة النفي السابقة. ويجب أن يقدّر:(والذي فطرنا لا نؤثرك) لأنّ القسم لا يجاب بلن إلا في الضرورة، كقول أبي طالب(2):

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسّد في التراب دفينا

وفي قوله تعالى: ﴿**وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ** ﴾(3) والتقدير:(فعدّتهن ثلاثة أشهر)

فإذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ، وكونه خبرا، كان الأولى بالحذف المبتدأ لأنّ الخبر محط الفائدة، كما في قوله تعالى:﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾(4) والتقدير: فصبري صبر جميل أو شأني، فهنا قدّر المبتدأ. ومثاله قوله تعالى:﴿ **طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ**﴾(5) وتقديره : طاعتكم طاعة معروفة، أي عرف أنـها بالقول دون الفعل، أو طاعة معروفة أمثل بكم من هذا الأيمان الكاذبة(6).

أمّا إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلا، والباقي فاعلا، فالثاني أوْلَى بالحذف،لأنّ الأوّل عيْنٌ للثاني، فالفعل عـيْن للفاعل، كما قال ابن هشام(7).

---

(1)- طه/ 72.
(2) جمال الدين بن هشام- مغني اللبيب- ج2 – 683
(3)- الطلاق/ 4.
(4)- يوسف/ 18.
(5)- النور/ 53.
(6)- مغني اللبيب- ج2- 683.
(7) المرجع السابق- ج2 – 684

ومثاله قوله تعالى على قراءة شعبة : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ ﴾(1) بفتح الباء وحذف نائب الفاعل. وكقراءة ابن كثير:﴿ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(2) بفتح الحاء أي يوحى إليك هو الله العزيز.

وكذلك قوله تعالى:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(3) فلا يقدّر ليقولن (الله خلقهم) بل خلقهم الله (4) بحذف الفعل الواقع جوابا عن سؤال.

أمّا إذا دار الأمر بين كون المحذوف أوّلا، أو ثانيا، فكونه ثانيا أولى، كما في حذف نون الوقاية مثل قوله تعالى: ﴿ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾(5) والتقدير: أتحاجونني، فحذفت النون الثانية، نون الوقاية، وفي تاء الماضي مع تاء المضارع نحو:﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ﴾(6) أي تتلظى.وفي قوله تعالى أيضا: ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾ (7) والتقدير تتمنّوْن الموت . و قد ترد سياقات كثيرة تتطلب تقديرا خاصّا ليستقيم المعنى إذ لا تتناسب هذه التقديرات وظاهر الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾(8) وقوله تعالى:﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾(9) أي أمره، لاستحالة الحقيقة(10).وقوله:﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾(11) فالمراد الوفاء بمقتضاه. ومنه أيضا:﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾(12) فالمقصود ليس الذات،لأنه لا يلام عليها، بدليل قوله ﷻ :

---

(1)- النور/ 36.
(2)- الشورى/ 3.
(3)- الزخرف/ 87.
(4) - مغني اللبيب- ج2- 885
(5)-الأنعام/ 80.
(6)- الليل/ 14.
(7)- آل عمران/ 143.
(8)- الفجر/ 22
(9)- النحل/ 26
(10)- المغني اللبيب - 688
(11)- النحل/ 91.
(12)-يوسف/ 32.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً ﴾(1) والتقدير: لمتـنني في حـبّه.

وقوله أيضا:﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾(2) أي : أرسل إلى أهل مدين، بدليل قوله : **(أَخَاهُمْ)**.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾(3) فقدّر النحويون كلمة الأهل بعد (من) و(أهلكنا) و(جاء). ولكنّ الزمخشري خالفهم في الأوّلين، لأن القرية تهلك. وفي قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾(4) أي عذابه بدليل قوله:﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ»(5).

وقد نتساءل عن مكان المقدّر حين إجراء التقدير، فإذا لزم التقدير كان القياس أن يُقدّر الشيء في مكانه الأصلي، بمعنى ألا يقدر في غير موضعه الذي حذف منه أو قُدِّم فيه أو أخِّر، وذلك لئلا يخالف الأصل. من ذلك وجوب تقدير المفسر في نحو قوله:(زيدا رأيته) مُقدّما عليه،أي(رأيت زيدا رأيته). وإن كان البلاغيون يرون تقديما لميزة الاختصاص(6).

غير أنّ ابن هشام لا يجوّز ذلك إلا إذا تعذر الأصل،أو عند اقتضاء أمر معنوي . ففي قوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾(7). ففي هذه الآية الكريمة لا يمكن تقدير فعل قبل ثمود على لغة من نصب، لأنّ (ما)لا يليها في مثل هذا المقام فعل.

ومن الأمور المعنوية التي تقتضي تعذر التقدير في الأصل متعلق باء البسملة الشريفة، فقد قدّره الزمخشري مُؤخّرا عنها لأن قريشا كانت تـُقـْسم باسم اللات و العزى أن تفعل كذا، حيث يؤخرون أفعالهم عن ذكر ما اتخذوه معبودا لهم، تفخيما لشأنه بالتقديم، فكان أولى بالموحد أن يعتقد ذلك في اسم الله تعالى.

---

(1)- يوسف/ 30.
(2)- هود/ 84.
(3)- الأعراف/ 4.
(4)-النحل/ 50
(5)- الإسراء/ 57.
(6)- ابن هشام -مغني اللبيب - 678.
(7)- فصلت/ 17.

وكما حثّ النحاة على اِتّباع الأصل في التقدير، وجعل المقدّر في موضعه في التركيب لئلا يختلّ المعنى، إلا إذا كان هناك أمر معنوي. فقد اشترطوا تعليل مقدار المقدّر،لأن الأصل غير التقدير، بمعنى أن تردّ العبارة إلى طبيعتها دون عدول، فإن اِضطرَّ إلى ذلك فلا ضير، ما لم يؤدِّ إلى مخالفة الأصل. واستدلّ ابن هشام بتقدير الأخفش مستصوباً إيّاه على تقدير باقي البصريين في قولهم: (ضربي زيدا قائما) حيث قدره الأخفش بقوله : (ضربي زيدا ضربُه قائما)(1). أما باقي البصريين فقد قدّروه بقولهم:(ضربي زيدا حاصل إذا كان قائما).

وعلة ذلك كما يرى ابن هشام، أنه قدر اثنين وقدروا خمسة، ولأنّ التقدير من اللفظ أولى(2).

وفي مثل قوله تعالى:﴿**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** ﴾(3) إذ التقدير: حبّ عبادة العجل، فضعّف هذا وفضّل حبّ العجل. وفي قوله تعالى: ﴿**وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ (4) فالأصل والتقدير (واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر) والأوْلَى أن يكون الأصل (واللائي لم يحضن كذلك)(5).

فإذا كان هذا عن التقدير، وعلاقته بالمقدّر للآيات الكريمة، فكيف ينبغي أن يكون؟ بمعنى: ما كيفيته؟ إذا كان التقدير هو ردّ العدول إلى الأصول، فإنّ الأوْلَى أن ينظر إلى ردِّ المحذوفات فإذا استدعى الكلام أسماء متضايفة، أو موصوفا وصفة مضافة، فيجب رد المحذوفات فيها باعتبار أولويات الأصل، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ** ﴾(6) فهنا يقدّر في(تدور أعينهم) كدوران عين الذي يغشى عليه.

وكما في قول الشاعر(7): إذا قامت تضوّع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل

(1)-ابن هشام- مغني اللبيب- ج 2- 682.
(2)- المرجع نفسه -680.
(3)- البقرة/ 93.
(4)- الطلاق/ 4.
(5)- مغني اللبيب- ج2- 681
(6)- الأحزاب/ 19.
(7)- امرؤ القيس – ديوان امرئ القيس لأبي الحجاج أعلم الشنتمري– اعتنى بتصحيحه الشيخ ابن أبي شنب- ط2- 1394هـ/1974م- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – 73

أي تضوّعا مثل تضوّع نسيم الصبا.

وكقوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً** ﴾(1) أي لا تجزي فيه، ثم حذفت فصارت لا تجزيه، ثم حذف الضمير منصوبا لا مخفوضا، هذا قول الأخفش، وعن سيبويه أنّهما حذفا دفعة(2).

هذا عن بيان كيفية التقدير، ولكن ما أسبابه؟ وما الدوافع التي تكون عاملا لإجرائه؟

- **دوافع التقدير عند النحاة:**

حين راح النحاة يضعون للغة قواعدها رأوا أنه لابد من استنباطها من أفواه الفصحاء، ومن النصوص التي تثبت فصاحتها حسب شروط الاحتجاج (زمان ومكان الفصاحة).

ولمّا كانت القبائل تختلف جغرافية ولهجات، كان من الصعب أن ينتظم هذا المزيج اللهجي نظام واحد موحد، دقيق مطرد، وإن كان قد حدث تقارب لهجي قبل الإسلام بفعل عوامل كثيرة اجتماعية و دينية ، كلقاءات أسواق العرب، ومواسم الحج كسوق عكاظ ، ورحلة الشتاء والصيف إلى الشام واليمن ،حيث تكون البيوع والمقايضة. كما كان للحروب و المنافرات دور في تقريب اللهجات المختلفة، ولا غرو في ذلك، فالقبائل العربية ظلت متناحرة متقاتلة حتى جاء الإسلام . وما حرب داحس والغبراء، وحرب البسوس إلا دليل على ما نزعم .

في هذا الجوِّ المشحون ظهرت لهجة قريش كأقوى اللهجات وأفصحها بسبب ما كان لقريش من زعامة دينية، ومكانة سياسية واقتصادية.

ولمّا جاء الإسلام ونزل القرآن بلغة قريش،تعززت مكانتها بين باقي اللهجات،إلا أن الفروق الخاصّة - أصواتا و تراكيب- لم تزُل كلها، وبقيت آثارها إلى عصر التقعيد النحوي، ومن ثم أصبحت فيما بعد ظواهر نحوية إذ لكلِّ قبيلة لهجتها، ومظهرها الصوتي .

وقد تجلّى اختلاف اللهجات في ظواهر كثيرة كالحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والتفخيم والترقيق، والتضعيف والتسهيل. ولمّا انبرى النحاة يستنبطون قواعدهم ألّفوا مثل هذه الظواهر والاختلافات. وحتى يُهيِّئوا لها ما ينتظمها في قاعدة كلية متأصِّلة ترْجع الأمور إلى أصولها لتأخذ

---

(1)- البقرة/ 48.

(2)- ابن هشام – مغني اللبيب-ج2- 682

حكما واحدا، فما استطاعوا لمّ شتات ذلك، فاكتفوا بالشائع الغالب من المستعمل ،بالارتكاز على أفصح القبائل، قبائل وسط الجزيرة . وبعد أن صاغوا أحكامهم العامّة،اعتبروا المخالف لها عدولا،أو لغة، وهو ما لا يصحّ القياس عليه عندهم . ومن هنا نشأ الاختلاف والتباين بين النحاة فأحيانا يعمل بالسماع مع مخالفته القاعدة (القياس) كاستعمال الفعل (استحوذ) دون إعلال، وكما هو الشأن في وصفهم بالمصدر في مثل قولهم:(هذا رجل عدل) على رأي من اعتبر(عدل) مصدرا لا صفة مشبهة. فالكوفيون يؤوّلونه بالمشتق أي العادل، أمّا البصريون فيقدِّرون مضافا محذوفا وهو النعت والتقدير عندهم (هذا رجلُ عدل) . فالاختلاف في التخريج للعودة إلى القاعدة العامّة يؤدِّي إلى التقدير. يضاف إلى هذا سعيهم الدؤوب لمراعاة نظرية العامل التي من أسسها المؤدِّية إلى التقدير:

- الإعراب، أي أثر العامل ظاهرا أو مقدّرا.
- لا يجمع عاملان على معمول واحد (إلا في باب التنازع)
- عدم تقديم معمول العامل الضعيف على عامله.
- لا يعطف معمول عاملين .

ومن أسباب التقدير أيضا خطؤهم في رواية النصوص، كما هو الشأن في البيت التالي:

ليَبكِ يزيدَ ضارعٌ لخصومةٍ   ومُختبط ممّا تطيع الطوائحُ (1)

فقد رووه لِيُبْكَ ببنائه للمجهول ،كان فيه معنى (ليبك يزيدَ) فاضطرّ هذا إلى تقدير فعل رافع (ضارع) والتقدير: ليبكِ يزيدَ يبْكيه ضارع .

ومن أسباب التقدير أيضا الضرورة الشعرية التي تدفع بالشاعر إلى الخروج عن القاعدة، ولكنّ النحاة يتأوّلون أو يقدّرون ، بقصد الوصول إلى الأصل، كتقدير بعضهم في قول الشاعر(2):

صددتِ فأطوعت الصدودَ وقلما   وصالٌ على طول الصدود يدوم

فهناك من قال ببطلان عمل (قلّ) لدخول (ما، الكافة عليه) واعتبروا (وصال) مبتدأ ًمؤخراً وخبره شبه جملة متعلق بمحذوف، وتقديره (وقلما هناك أولك وصال يدوم) وهناك من اعتبر (قل) و(ما) زائدة، و(وصال) فاعل.

إذن، من أسباب التقدير إخضاع اللهجات للأقيسة النحوية، ونظرية العامل، والخطأ والضرائر الشعرية، والتحريف في الرِّواية.

---

(1)- الحارث بن نُهيك ، كما نُسب إلى الحارث بن ضرار. من شواهد الكتاب- ج1- 288.
(2)- المرار الفقعسي، وقد استشهد به ابن منظور في مادّة (ط و ل) – من شواهد الكتاب- ج1- 31.

1- إخضاع اللهجات للأقيسة النحوية:

فالمعروف أن أشهر القبائل التي أخِذ عنها اللسان العربي: قيس، وتميم،وأسد، بله قريشا فهؤلاء أخذ عنهم أكثر ما أخذ، وعوّل عليهم في الغريب، والإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين(1). ولم يؤخذ عن سكان الحواضر لانتشار اللحن بينهم .

واعتمد النحاة في أقيستهم على أشهر القبائل، و حاولوا تطبيقها على جميع اللهجات العربية، فإنْ جاء في بعض تلك اللهجات ما يخالف أقيستهم ، لجأوا إلى التأويل، و التقدير، لإخضاع المخالف للقاعدة، و إرجاعه إلى الأصل، فإن تأبّى ذلك جعلوه لغة ، أو ضعّفوه أو اعتبروه شاذا. و من أمثلة ذلك قول عبد الملك بن نوفل المدني: « سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء أخبرني عمّا وَضعْتَ ممّا سمّيته عربيّا،أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا. فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حجّة ؟ فقال : أعمل على الأكثر،و أسمّي ما خالفني لغات» (2)

معنى هذا أنّ النحاة العرب في وضع قواعدهم لم يتعقّبوا كلّ شاردة و واردة، و إنّما حاولوا جهدهم فصاغوا قواعد عامّة، و أصولاً تعتبر مرجعا، و حجّة يُقاس عليها ، فما خرج عنها و ثبتت فصاحته فهو عندهم لغة و لا ضير في ذلك ، لأنّ للهجاتِ العرب ميزاتٍ تنفرد بها وخصيصات تختلف فيها و القاعدة للعام الشّامل .

و من أمثلة التّقدير النّاجم عن محاولة إخضاع اللّهجات للأصول قياسا،ما جاء في الأحرف المشبّهة بالفعل، النّاصبة للاسم الرّافعة للخبر قياسا، لكن في بعض لهجات العرب تنصب المعمولين معا أو ترفعهما (3) . و في هذه الحالة المخالِفة يلجأ النحاة إلى التّقدير تمشيا والقاعدة المعمول بها. و ذلك في مثل قولهم : إنّ زيدا غائباً، أو إنّ زيدٌ غائبٌ، فيقدّرون في الأولى الخبر محذوفا وتقديره: إنّ زيدًا تلقاه غائبًا، و يقدّرون في الثانية مبتدأً محذوفا تقديره: إنّـه زيدٌ غائبٌ.

---

(1)-جلال الدين السيوطي- الاقتراح في علم أصول النحو- قراءة وتعليق: محمود سليمان ياقوت- دار المعرفة- 102.

(2)- الزبيدي – طبقات النحويين واللغويين – تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف-مصر- ط1392هـ/ 1973م- 34 .

(3)- جمال الدّين ابن هشام- مغني اللبيب- ج1- 35

و الملاحظ أن الكوفيين قد جوّزوا نصب معمولي إنّ و أخواتها . و قد وردت في الشّعر ، كما في قول عمر بن أبي ربيعة :

إذا اسودّ جنح الليل فلتأتِ ولتكن خطاك خفافاً، إنّ حرّاسنا أُسْدَا

فقد نصبت إنّ المعمولين، و ذهب النّحاة في تخريجه مذهبين :

الأوّل : (أسْدا) حال جامدة مؤوّلة بمشتقّ (أقوياء و شجعان) كما في قولنا : (كرّ الجنديّ أسدا) و الخبر محذوف تقديره : تلقاهم أُسدا (1)

الثاني : أنّ(أسدا) خبر لكان محذوفة هي واسمها ، و التّقدير : إنّ حرّاسنا كانوا أسدا.

وحسب ظنّي ألا داعي لمثل هذا التقدير ما دام الشاهد يؤكد أن هذا لغة تدعمها شواهد أخرى، كقول ابن نخيلة في وصف فرس : كأنّ أذنيه إذا تشوّفا قادمةً ، أو قلما محرّفا

لكنّ النّحاة خرّجوا هذا على أنّ الخبر محذوف تقديره : (تحكيان قادمة) أي تشبهانهما.

و في(ليت)، نجد قول العجّاج :

قد طرقت ليلى بليلٍ هاجعا يا ليت أيّام الصّبا رواجعا

بنصب معمولي ليت معا ، و للنّحاة تخريجات في هذا، منها مذهب سيبويه أنّ (رواجعا) منصوب على الحال ، و الخبر محذوف، و التقدير: يا ليت لنا أيّام الصّبا رواجعا. قال سيبويه« و كأنّه قال : يا ليت أيّام الصّبا أقبلت رواجعا»(2) . و التّقدير عند الكسائي تكون رواجعا(3)

و من أمثلة الاختلاف اللهجي المؤدّي إلى التّقدير ، تخريج النّحاة لخبر ليس المنتقض بإلاّ في قولهم: (ليس الطّيبُ إلاّ المسكُ) برفع المسك . فالحجازيّون ينصبون ما بعد إلاّ ، على أنّه خبر ليس . والتّميميون يرفعونه . قال عمرو بن العلاء:« ليس في الأرض حجازيّ إلاّ و هو ينصب ولا في الأرض تميميّ إلاّ و هو يرفع»(4).

و قد أراد أبو علي الفارسي إخضاع لهجة تميم للقاعدة النّحويّة فقدّر اسم ليس ضمير شأن والجملة في محلّ نصب خبرها. هذا عن دور إخضاع اللهجات العربية للأقيسة النحوية في التقدير.

---

(1)- أبو القاسم الزجّاجي- مجالس العلماء – تحـ: عبد السلام هارون – وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت- ط 1962م-132 / ينظر: الخزانة- ج4- 290/ مغني اللبيب- ج1- 316.
(2)- سيبويه- الكتاب -ج 2- 143.
(3)- ابن هشام- مغني اللبيب – ج1- 316
(4)- عائد كريم الحريزي- الحذف والتقدير في الدِّراسة النحوية- رسالة ماجستير- القاهرة- 29.

2- وضع القواعد قبل الإحاطة بكلّ كلام العرب:

يرى كثير من الباحثين أنّ واضعي قواعد اللغة لم يلمّوا بكلّ كلام العرب و أوجه استعمالاته، ممّا لم يصلهم، أو لم يتصلوا بأصحابه من الفصحاء الخلص القاطنين في مضارب البداوة المنعزلة ممّا جعلهم يغفلون بعض الفصيح، و لكن حين يعنّ لهم في بعض المواطن الكلاميّة، ويجدونه في بعض النّصوص يعتبرونه خارجا عن قواعدهم و يعدّونه لغة أو شاذا، فيجرون فيه تقديراتهم ليكون ضمن أصول قواعدهم، من ذلك قيود الخبر ، حيث قال النّحاة بأنّ الجملة تقع خبرا لأفعال المقاربة و اشترطوا أن تكون خبريّة لا إنشائيّة في كلّ موضع يؤدّي بها إلى الإخبار عن المبتدإ، بيد أنّهم وجدوا ما يخرق هذه القاعدة، حيث يأتي خبر (كاد) وأخواتها مفردا فاعتبروه خروجا عن القاعدة واضطرّهم ذلك إلى أن يقدّروا، كما في قول الشّاعر(1) :

أكثرت في العذل ملحّا دائما لا تكثرنْ، إنّي عسيت صائما

فاعتبروا ذلك لغة خاصّة و لا يقاس عليه.

أمّا الأزهري فاعتبره شاذا« و شذّ مجيئه مفردا عن الجملة ، بعد كاد و عسى و أوشك»(2)

قالت ملكة تدمر: (عسى الغوير أبؤسا) فقد خرّجه الكوفيون على أنّ (أبؤسا) خبر لـ(يكون المحذوف) و التقدير :« أن يكون أبؤسا» (3)

و من ذلك أيضا الإخبار بجملة النّداء ، فقد منع ذلك الجمهور. ذكره السّيوطي في (الهمع) حيث قال :« قال شيخنا العلاّمة الكافيجي: ولا يسوّغ الإخبار بجملة ندائيّة نحو: زيد يا أخاه.و قد منع ابن الأنباري و ابن السّراج و بعض الكوفيين الإخبار بالجملة الطلبيّة ، و حجّتهم في ذلك أنّ هذه الجملة لا تحتمل الصّدق و الكذب ، و الخبر حقّه ذلك» (4)

---

(1)- الرجز مجهول القائل، وينسب لرؤبة، وهو في: ابن عقيل-ج 1-ص 131- وفي: الخزانة- ج 4-81- وفي: المغني- ج1- 164.

(2) - الأزهري خالد بن عبد الله : شرح التصريح على التوضيح. مصر- ط 3. 1344هـ/1925 - 204

(3)- جمال الدّين ابن هشام : مغني اللبيب- ج 1- 164.

(4)- جلال الدّين السّيوطي : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم – دار البحوث العلمية-ط1- 1394هـ / 1975 م- ج 1 - 96

و قد وردت بعض الشّواهد عن ورود الخبر طلبيّا ، مثل قولهم : أمّا زيدٌ فاضربه ، فرفع زيد على الابتداء و خبره الجملة الطلبيّة . و من منع الإخبار بالجملة الطلبيّة ، قدّر في مثل قولهم : زيدٌ اِضربه ، و عمرو لا تضربه ، و زيدٌ هل جاء ؟ فالأخبار مقدّرة في الأمثلة الثلاثة والتّقدير : زيدٌ أقول اضربه، و كذا في المثالين الباقيين .

و منه أيضا عطف الجملة الاسميّة على الفعليّة ، فقد جوّزها بعضهم ، قال ابن هشام :« فيه ثلاثة أقوال : الجواز مطلقا ، و المنع مطلقا ، و الثّالث يجوز في الواو فقط على رأي أبي علي الفارسي نقله عنه أبو الفتح في سرّ صناعة الإعراب» (1) و عليه تخريج قول ميسونة زوجة معاوية:

و لـبْسَ عـباءة و تقرَّ عيني أحبُّ إليّ من لبس الشّـفوف

و حتى يجوز عطف الجملة على الاسم، قدّروا واوا عاطفة، و التقدير: و للبس عباءة و أن تقرّ عيني لتكون بمعنى أو قرار عيني. و هو المشهور عند سيبويه، و كذلك المبرّد و ابن السرّاج و كان لمنع العطف على معمولي عاملين أثر في التقدير، و ذلك إن جاء ما ظاهره العطف على معمولي عاملين كقول أبي دؤاد الإيادي(2) :

أكلَّ امرئ تحسبين امرأ و نارٍ توقـّدُ بالليل نارا ؟!

فمَنْ منع العطف قدّر في الثاني (و كلّ نار) و مثل قول الشّاعر :

و لم أر مثلَ الخير يتركه الفتى و لا الشرِّ يأتيه أمرً و هو مطيعُ

و التّقدير في (لا الشرّ) و لا مثـْل الشرّ (3) .

3- أثر منع عطف الخبر على الإنشاء أو العكس، في التّقدير

إذا جاء في الكلام ما فيه عطف الخبر على الإنشاء أو العكس ، فللنّحاة فيه تخريجات، كتضمين الخبر معنى الطلب ، أو الطلب معنى الخبر (4)

فمن الأوّل قوله تعالى:﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ** ﴾(5)

---

(1) – مغني اللبيب- ج2- 646

(2) – من شواهد سيبويه-ج1- 66.

(3) – المرجع السابق- 39.

(4)- السكاكي- مفتاح العلوم – المطبعة الأدبية بمصر- 1317هـ- 124

(5)- البقرة/ 83.

قال السكّاكي فيها :« إذ لا يخفى أنّ قوله:لا تعبدون مضمّن معنى **لا تعبدوا** »(1) و من الثاني قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ** ﴾(2)

فالكلام عند بعضهم مشتمل على تضمين الطلب معنى الخبر، و ذلك أن قوله تعالى:(**وَأَلْقِ عَصَاكَ**) معطوف على قوله : (أن بورك) و المعنى:« فلمّا أن جاءها قيل : بورك»(3)

فإذا كانوا يضمّنون أحيانا ، فأحيانا أخرى يقدّرون فعلا محذوفا بدل أن يضمّن الفعل المذكور معنى فعل آخر. ففي قوله تعالى:﴿ **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾(4) و قوله تعالى أيضا :﴿ **نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(5) فقد قدّروا الفعل : (قُلْ) محذوفا وبعطف : (بشّر عليه) وهو رأي الكسائي (6)

ممّا سبق يتبيّن أنّ عطف الجملة الإنشائيّة على الخبريّة ، أو العكس وردت فيه آراء مختلفة: المنع المطلق ، و الجواز المطلق ، و الجواز المقيّد ، و ينجم عن ذلك إمّا تضمين الخبر معنى الطلب، أو العكس، و إمّا تقدير فعل مكان فعل آخر ليصحّ العطف عليه. و إنّي لأميل إلى الرّأي المجوّز لأنّ له شواهد من النّصوص المختلفة، شعريّة و قرآنيّة. ثم إنّ مقامات الحديث تختلف فتختلف تبعا لذلك الأساليب، و قد ذكر السّيوطي ذلك نقلا عن ابن فارس قوله :« و من سنن العرب أن تخاطب الشّاهد ، ثمّ تحوّل الخطاب إلى الغائب ، أو تخاطب الغائب، ثمّ تحوّله إلى الشّاهد، و هذا ما يسمّى بالالتفات، أي أن تخاطب المخاطب، ثمّ تُرجع الخطاب إلى غيره، نحو قوله ﷻ:﴿ **فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ** ﴾ (7) الخطاب للنبيّ ﷺ ثمّ قال للكفّار:﴿ **فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ** ﴾(8) يدلّ

---

(1)- السكاكي- مفتاح العلوم-113.
(2)- النمل/ 8-9-10.
(3)- السكّاكي- مفتاح العلوم - 113
(4)- البقرة/ 24-25.
(5)- الصّف/ 13.
(6)- الحمّوز- التأويل النحوي في القرآن الكريم – 42
(7)- هود/ 14.
(8)- هود/ 14.

على ذلك قوله تعالى:﴿ **فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾(1) . أو أن يبدأ بشيء ثمّ يخبر عن غيره، نحو قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**﴾(2)فخبّر عن الأزواج ، و ترك (الذين) (3)

و من أبواب العطف الذي وقع فيه خلاف، و كان سبباً في وجود التقدير، العطف على الضّمير المجرور. فقد ذهب الكوفيّون، و يونس، والأخفش من البصريين، و ابن هشام من المتأخّرين إلى جواز العطف على المخفوض بخافض مثل قولهم:(مررت بكَ و زيدٍ) وبالإضافة إلى ذلك قوله تعالى : (**قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ و إِلَهَ آبَائِكَ**) (4) و ذهب البصريّون إلى عدم جوازه(5).

أمّا الكوفيّون الذين جوّزوا فاستدلـّوا بالقرآن الكريم، والشّعر العربي كما في قوله تعالى : ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ** ﴾(6) و هذا على قراءة حمزة، و قوله تعالى أيضا: ﴿**لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ** ﴾(7) وإن كان قد خرّجها بعضهم على أنّ (المقيمين) منصوب بالمدح والتقدير(أمدح المقيمين الصلاة) (8) . و اِستدلّ ابن هشام على جواز العطف هنا بقراءة ابن عبّاس والحسن وغيرهما (9) ولكن وإن جوّز ابن هشام ذلك اِشترط عدم الإكثار من العطف على الضمير المخفوض،فقال:« ولا يُكثر العطف على الضمير المخفوض إلا بإعادة الخافض، حرفا كان أو اسما، نحو ﴿ **فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ...**﴾(10) و﴿ **قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وإِلَهَ آبَائِكَ**﴾(11) »(12)

---

(1)- هود / 14.
(2)-البقرة/ 234.
(3)- جلال الدين السيوطي- المزهر في علوم العربية – القاهرة – 1378هـ/1908- 324.
(4)- البقرة/ 133 .
(5)-جمال الدين بن هشام - أوضح المسالك- إلى ألفية ابن مالك دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط2 2003/ 1424هـ- ج1-485/484.
(6)- النساء/ 1. (7)- النساء/ 162.
(8)-الزمخشري- الكشاف- ج1- 590.
(9)-جمال الدِّين بن هشام - أوضح المسالك -ج1- 484/ 485.
(10)- فصلت/ 11.
(11)-البقرة/ 133.
(12)- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- ج1- 485/484.

4- الحكاية وأثرها في التقدير:

في باب الحكاية، نجد المتكلِّم في حاجة إلى تقدير الكلام حتى يتوصّل إلى المعنى المقصود ، إذ المستفهم عنه قد يكون مرفوعا ، كما يكون منصوبا ، وحتى تحدّد العوامل ، والمَحلّ يضطرّ في ذلك إلى التقدير . ومثاله : إذا استفهم بـ(من) عن الأعلام ، و الكنُـى ، كما قال ابن جنيّ : «فإن شئت رفعت الظاهر ، وإن شئت حكيت الإعراب إذا قيل: رأيت زيدا ، قلت: من زيدٌ؟ وإن شئت قلت: من زيدا؟ » (1)

ففي المثال الأوّل (من زيدٌ؟) تعرب (من) اسم استفهام مبني على السكون في محلّ رفع مبتدأ و(زيد) خبر، أمّا إذا نصبنا (زيدا) فهو مفعول به والتقدير (من زيدا رأيت؟) ، وهنا كان للحكاية دورٌ في التقدير.

ومنه (مررت بزيد) فإذا استفهم ، جاز أن يقال: (من زيدٌ؟) بالرفع، كما جاز (من زيدٍ؟) بالجرّ على الحكاية، والتقدير :(من بزيدٍ مررت؟) وهذا على مذهب الحجازيين الذين يجيزون الحكاية.

أمّا مذهب التميميين، فالرفع عندهم، وهو الأقيس، حسب رأي سيبويه الذي قال : « اعلم أنّ أهل الحجاز يقولون – إذا قال الرجل (رأيت زيدا)- من زيدا؟ وإذا قال (مررت بزيدٍ) قالوا (من زيدٍ) ...وأمّا بنو تميم فيرفعون على كلّ حال ، وهو أقيس القولين » (2)

ومنه قولهم (لقيت أبا محمد) فإن شئت قلت (من أبا محمد؟) على الحكاية، والتقدير (من أبا محمد رأيت؟) فـ (من) مبتدأ، و(أبا) مفعول به للفعل (رأيت) والجملة الفعلية خبر.

ويذهب ابن جني إلى جواز الحكاية في الأعلام ، وعدم جوازها في غيرها، استفهاما، وفي ذلك يقول:« ولمّا غيّرت الأعلام في ذواتها ، جاز أن تغيّر في إعرابها، فمن هنا جاز في الحكاية (من زيدا ؟) و(من زيدٌ؟) ولم يَجُزْ في الرجل والغلام ، ونحوهما ممّا ليس بعلَم » (3)

ولكن نجد ابن الخبّاز يتوسّع في الحكاية، ويجيزها في غير الأعلام لأغراض بلاغية كالتعظيم والاحتقار، فيقول: « وتقول في الأسماء المستفهم بها ممّا ليس بظرف: (من أنت ضاربٌ؟) و(مَن

(1)- أبو الفتح عثمان بن جني- اللمع في العربية – تحـ: الدكتور حسنين محمد محمد شرف- ط 1- 1398هـ/ 1978م- جامعة القاهرة- 322.

(2)- سيبويه- الكتاب- ج2- 413.

(3)- ابن جني- المنصف- دار الكتاب بالقاهرة- ط 1373هـ- ج1- 143.

أنت ضاربا؟) فإذا رفعت كان (من) مفعولا، كأنك قلت (أيّ رجل أنت ضاربٌ؟) وإذا نصبت كان حالا، و(من) مبتدأ ، وهو استفهام، إمّا إعظاما ، أو احتقارا. وتقول (كيف قومك ذاهبون، وذاهبين؟) إن رفعت كان خبرا، وإن نصبت ، كان حالا والسؤال مع الرفع على مرار الذهاب، والسؤال مع النصب، عن عدد القوم » (1)

لكن، ما علة تجويز ابن جني الحكاية في الأعلام والكُنى، بخلاف غيرها ممّا ليس كذلك؟ فالعلة عنده ترجع إلى كثرة دورانها في الكلام ، وتردّدها على الألسن (2) .

وحتى العلم الموصوف ، تجوز حكايته في هذا الباب ، ذلك ما نقله سيبويه عن يونس بن حبيب حيث قال: « وسألت يونس عن: (رأيت زيدَ بن عمرو) فقال: أقول (من زيدَ بن عمرو) لأنه بمنزلة اسم واحد »(3)

نستنتج ممّا سبق أنّ للإجراء على الحكاية دوراً في إظهار التقدير ، وأن الذين يقدّرون حكاية الحجازيون ، أمّا التميميون ، فيرفعون على الأصل ، وعدم البناء على الحكاية، وهو الأقيس عند سيبويه، وهذا – حسب ظني- تمشيا والظاهر ، وتركا للتقدير.

5- علاقة السياق والمقام بالتقدير.

ولقد اهتم النحاة و معربو القرآن بالربط بين تقدير الفعل و المعنى، و السّياقين اللغوي والمقامي للتركيب، لأن في أحيان كثيرة نجد المقام يستدعي تقديماً أو تأخيراً ، حذفا أو إضمارا، فيُرْجَع عند التفسير إلى ردّ العدول إلى الأصول تمشيا و المعنى الأصلي المقصود ، و لكن لذلك شروط. و قد ظهر هذا عند النحاة الأوائل كسيبويه الذي منع حذف الفعل ما لم يدل عليه دليل من المعنى. والموقف الكلامي ، حيث يقول : « فأمّا الفعل الذي لا يحسن إضماره، فإنّه أن تنتهي إلى رجل لم يكن في ذكر ضَرْب، و لم يخطر بباله فتقول: زيدا، فلابدّ أن تقول له : اضربْ زيدا، و تقول له: قد ضربت زيدا ، أو يكون موضعا بقبح ، أن يعرّى من الفعل، نحو: إن قد، و ما أشبه ذلك» (4)

---

(1)- ابن الخبّاز، أحمد بن الحسين- الفريدة في شرح القصيدة- تحـ وتعليق: عبد الرحمن سليمان العثيمين- مكتبة الخانجي – القاهرة- 1990- 197.

(2)- ابن جني- سرّ صناعة الإعراب دار الكتب- القاهرة- 1370هـ- ج 1- 237.

(3)- سيبويه- الكتاب- ج 2- 414.

(4)-المرجع السابق-ج1- 296.

يتبيّن ممّا سبق أن الموقف و السياق، يتطلبان أن يكون الفعل مرتبطا بقرينة تكون دالة عليه عند حذفه، و مثاله قول سيبويه أيضا :«...أو رأيت رجلا يقول : اضرب شرّ الناس، فقلت زيدا .أو رأيت رجلا يحدث حديثا فقطعه، فقلت: حديثك . استغنيت عن الفعل بعمله أنّه مستخبر»(1)

هنا كان علم المخاطب بالموقف قد أغنى عن ذكر الفعل الذي حُذِفَ لكثرة الاستعمال وتحاشيا للتكرار. و لكن ما علاقة هذا بالتفسير و التقدير ؟

إذا عدنا إلى القرآن الكريم، و جدنا كثيرا من الآيات فيها تقديم أو تأخير أو حذوف، وفق السياقات التي جاءت فيها، و المقامات التي صيغت فيها، سواء كانت إيجازا أو إطنابا ، و هنا ربط مفسّرو القرآن الكريم الذين اعتمدوا الإعراب في التفسير بين تقدير المحذوفات و المعنى، في آيات كثيرة كحذف الفعل و بقاء معموله، كما هو الشأن في باب الاختصاص و المدح في مثل قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾(2) قال الزجاج :« إن أهل منصوب على المدح ، و أن ذلك على وجهين ،على معنى : أعني أهل البيت، وعلى النداء على معنى: يا أهل البيت»(3) .

أمّا الزمخشري، فقد قرأ﴿ **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى**﴾(4) و قال : وقرئ (والجار ذا القربى) نصبا على الاختصاص(5)

و قال في قوله تعالى :﴿**رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾(6) و(أهل البيت) نصب على النداء أو على الاختصاص، لأنّ أهل البيت مدح لهم ، إذ المراد« أهل بيت خليل الرحمن» (7).

و في قوله تعالى :﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ... الصَّابِرِينَ** » (8) و في قوله تعالى :﴿ **لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ**

---

(1)-الكتاب-ج1- 307 .
(2)- الأحزاب/ 33.
(3)- الزجاج- معاني القرآن وإعرابه- ج4- 226.
(4)- النساء/ 36.
(5)- الزمخشري- الكشاف- ج 1 - 509
(6)- هود/ 73.
(7)- الكشاف- ج 2- 411 .
(8)- البقرة/ 177.

﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾ (1).

قال الفراء في نصب الصابرين :« و إنما نصبت لأنها من صفة اسم واحد ، فكأنه ذهب به إلى المدح ، و العرب تعترض من صفات الواحد، إذا تطاولت بالمدح أو الذم ، فيرفعون إذا كان الاسم رفعا ، و ينصبون بغرض المدح ، فكأنهم ينوون إخراج المنصوب بمدح مجرّد غير متبّع لأوّل كلام» (2)

كما نجد في باب التحذير، تقدير فعل ، و كذا في باب الإغراء، و يكون الاسم المنصوب فيها بفعل محذوف مقدّر، قدّره سيبويه بـ « احذر أو لا تقترب، والزم في الإغراء»(3)

فقد اهتم مفسِّرو القرآن الذين اعتمدوا الإعراب وسيلة للوصول إلى المعنى كابن خالويه وأبي حيان الأندلسي، و الألوسي، و القرطبي، و الفراء، و النحاس، بالتقدير أيّما اهتمام.

فقدّر الفراء فعلا في المنصوب على التحذير(تقديره احذر في النصب) حين قال معلقا على نصب (ناقة) في قوله تعالى :﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾(4)« و نصبت الناقة على التحذير، حذرهم إياها ، وكل تحذير فهو نصب، و لو رفع على ضمير :هذه ناقة الله،فإن العرب قد ترفعه ، و فيه معنى التحذير، ألا ترى أن العرب تقول : هذا العدو، هذا العدو . و هذا تحذير» (5) .

أمّا ابن خالويه فقد جعلها منصوبة على الإغراء و التحذير بحسب الفعل المقدّر، فهو يقدِّر«في الإغراء احفظوا أو الزموا، و في التحذير احذروا» (6) و من أمثلة ما نصب على الإغراء لفظة (الصلاة) في قوله تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾(7) على مذهب من نصب فقد جعل الفراء النصب بفعل مضمر على الحث لخصوصيتها (8).

---

(1)- النساء/ 162.
(2)- الفراء- معاني القرآن- ج 1- 108
(3)-سيبويه-الكتاب-ط2 - ج 1- 273.
(4)- الشمس/ 13.
(5)- الفراء- معاني القرآن- ج 3 - 269/268.
(6)- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم- 104. (7)- البقرة/ 238.
(8)- الفراء- معاني القرآن- ج 1- 156.

و من أمثلة ما جاء في التفسير مبنيا على التقديرات في باب حذف الفعل مع القسم، و ذلك إذا فهم المعنى . و من أمثلة الذين خرّجوا تفسير الآيات بناء على ذلك التقدير ابن خالويه أيضا، و ذلك في تفسير قوله تعالى :﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾(1) و التقدير: أحلف بالسماء، ثم أسقطوا أحلف اختصارا(2) و ذلك لوضوح المعنى، و قدر الفعل لدلالة الحال عليه ، و كذا حذف الفعل في جواب الاستفهام في مثل قوله تعالى :﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً ﴾ (3)

و قوله تعالى أيضا:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾(4) فنصب(خيرا) بتقدير الفعل (قالوا خيرا) و رفع (أساطير) بتقدير المبتدإ :(هي أساطير الأوّلين) (5) .

كما قدّروا الفعل في الأمر و النهي ليستقيم المعنى ، و نجد في هذا الباب شواهد كثيرة منها ما جاء به سيبويه قوله تعالى :﴿انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ ﴾(6) و خرّج نصب (خيرا) على أنه مفعول به لفعل محذوف، تقديره (ائتوا خيرا لكم) . قال سيبويه: « و إنما نصَبْتَ خيرا لك وأوسع لك لأنك حين قلت : انته ، فأنت تريد أن تخرجه من أمر و تدخله في آخر، فنصبته لأنك قد عرفت أنك إذا قلت له: انته، أنت تحمله على أمر آخر، فلذلك انتصب و حذفوا لكثرة الاستعمال» (7)

ها نحن نرى دور التقدير في تبيان المعاني الخفية المقصودة من التفسير، فإذا قدّر فعل أو فاعل أبان عن اللطائف القرآنية ، و النكت العجيبة التي زخرت بها الآيات الكريمة، فأحيانا يكون الحذف أوجب من الذكر، و الإيجاز أصلح من الإطناب، و المفسر يلجأ إلى التقدير لردِّ ما حذف. فتتولد معان غير جليّة للعيان في حالة عدم ردّ المقدّر، من ذلك حذف فعل القول في القرآن الكريم طلبا للاختصار، ونظرا لوضوح الدلالة على المحذوفات. و الذي يتحكم في هذا الحذف هو المعنى، كما يتحكم فيه السياقان: اللغوي (التركيبي) و المقامي ، ففعل القول يحذف عند أبي عبيدة (8) لعلم

---

(1)- الطارق/ 1.
(2)- ابن خالويه- إعراب ثلاثين سورة- 37 .
(3)- النحل/ 30.
(4)- النحل/ 24.
(5)- معاني القرآن- ج 3 - 196
(6)- النساء/ 171.
(7)- سيبويه- الكتاب -ج 1 – 283/282.
(8)- أبو عبيدة معمر بن المثنى- مجاز القرآن-تحـ: محمد فؤاد سزكين- مكتبة الخانجي- 1955/ 1962- ج 1 - 57

المستمع بتمامه كما في قوله تعالى :﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار**﴾(1) فالفعل المحذوف الذي يفسِّره السياق ولا يحتاج إلى ذكره فالمقام هو الذي يسوغ الحذف، و سياق الخطاب يتطلب فعل القول، فإن كان استفهاما كان أكثر ورودا و تداولا، بخلاف طبيعة الخبر الذي يتطلب السرد و الوصف، و لكن أين تكمن علاقة التفسير بتقدير فعل القول المحذوف؟

إن حذف فعل القول (العامل) يبقى أثره، إمّا مفردا، و إمّا جملة، هي معمولة لفعل القول المحذوف فيلتقي التفسير و التقدير في هذا الأثر الذي له دلالة، فيكون التفسير بناء على ماهية المقدّر و مقداره و نجد مثاله في قوله تعالى ﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ** ﴾(2)

والتقدير في الآية الكريمة : (يقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا) و لكن كان حذف فعل القول اختصارا لدلالة الحال عليه، و هذا ديدن العرب في حذف ما لعِلم السامع بتمامه.

و منه قوله تعالى :﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾(3) و التقدير « فيقال أكفرتم»(4) فلولا تقدير فعل القول المحذوف لتعذر وضوح المعنى لوجود الالتفات من ضمير الغيبة (وجوههم) إلى المخاطب (أكفرتم) الذي عرف به أن مَنْ شَمله الضمير الغائب السابق (اسودت وجوههم) هم الكفار. وفي قوله تعالى:﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا**﴾(5) و المعنى المقصود: « يقولان ربنا تقبل منا» (6) (وهما إبراهيم وإسماعيل) لأنّ السياق يدل على ذلك. و كذلك قوله تعالى :﴿**فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ** ﴾(7) فالتقدير(قال إنّ هؤلاء قوم مجرمون). فالجملة (إنّ هؤلاء)...في محل نصب مفعول به لفعل القول المحذوف.

---

(1)- آل عمران/ 191.
(2)- آل عمران/ 191.
(3)- آل عمران/ 106.
(4)-الفراء- معاني القرآن -ج 1 - 119.
(5)- البقرة/ 127.
(6)- الفراء- معاني القرآن- ج 1 -127
(7)- الدخان/ 22.

و قد تتحكم في التقديرات اعتباراتُ الموقف ، التي روعيت في التفسير من خلال مراعاة السياق الذي ورد فيه المقدر، و الذي يوجه المعنى وجهة خاصة ، و هذا هو الذي حمل الأخفش على أن يقول في تفسير قوله تعالى :﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(1)

«...و الله أعلم قل يا محمد سبحانه الذي أسرى، و قل إنه هو السميع البصير، وتكون جملة إنه هو السميع البصير، في محل نصب جملة مقول القول للفعل المحذوف (قل) »(2).

هذا عن دور اعتبار الموقف في التفسير انطلاقا من تقدير فعل القول، و هناك عامل آخر يدخل في توجيه التفسير انطلاقا من التقدير أيضا ، و هو مقام العقيدة الذي يتطلب تقديرا، فيكون التفسير والفقه كما هو الشأن في قوله تعالى تصويراً لموقف سيّدنا إبراهيم عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي** ﴾(3) . يقول الزجّاج:« و جائز أن يكون على إضمار القول، كأنه قال: فلمّا جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال: أتقولون هذا ربِّي ؟ أي تقولون هذا ربِّي» (4) فالذي حمل الزجاج على هذا التخريج، مقام العقيدة، إذ نزه إبراهيم عليه السلام عن عبادة الكواكب، لأنّه نبي حتى قبل أن يبعث، أي باعتبار ما سيكون، إذ لا يليق مثل ذلك بمقامه ، و إنما القول نسب إلى قومه، و ذلك بدَهي بالنسبة إليهم فاعتبار مقام العقيدة كان له دور في التفسير، و فق التقدير المفترض. و قد يستدل المفسرون بالسياق اللغوي في تخريجاتهم، كما هو الشأن في إثبات وجود محذوف ينطلقون منه في تحديد المعنى كما هو الأمر عند الفراء الذي استدلّ على مكانة حذف فعل القول في مقام حاليٍّ، اعتمادا على حذفه في مقام مماثل ، كما في قوله تعالى :﴿**و إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(5)

---

(1)-الإسراء/ 1.
(2)- الأخفش- معاني القرآن- ج 2- 293
(3)- الأنعام/ 76.
(4)- الزجاج- معاني القرآن وإعرابه- تحـ:عبد الجليل عبده شلبي- ط بيروت-1972-ج2- 293.
(5)- البقرة/ 126.

فاستدلّ بقراءة ابن مسعود التي تفترض وجود فعل قول في الآية الكريمة، أي يقولون ربنا تقبل منا(1) و لئن كانت قراءة ابن مسعود قد جاء فيها فعل القول مقدّرا ، ثم بنى عليه التفسير فإن هناك آيات أخرى ، حذف منها فعل القول، و أخذ بالسياق في التفسير، كما هو الشأن في قوله تعالى : ﴿**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ** ﴾(2) فقراءة ابن مسعود بحذف فعل القول (تقاسموا بالله) و قوله سبحانه :

﴿**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ** ﴾(3) ففي قراءة ابن مسعود أيضا:« (إنّي أحببْت، بغير قال) وكلٌ صواب»(4).

و في تقدير معنى القول ، نجد كثيرا من المفسِّرين يخرجون معاني الآيات وفقه، و من ذلك ما ذهب إليه الأخفش، مستدلا بالسياق اللغوي على تقدير المحذوف من باب (معنى القول) في مثل قوله تعالى :﴿**إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ**﴾(5) فقد خرّج الأخفش الآية بقوله :« يريد: يقولون أخرجوا أنفسكم)- و الله أعلم- و كان في قوله: (**بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ**) دليل على ذلك لأنه قد أخبر أنهم يريدون منه شيئا(6)

و من أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى :﴿**وَ أَوْصَى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾(7) فقد قدّر الأخفش فعلَ قولٍ محذوفا قبل (ويعقوب) والتقدير:« و قال يعقوب يا بني، لأنه حين قال: و وصّى، فقد أخبر (ضمنيا) أنه قال لهم شيئا فأجرى الأخير على معنى الأول » (8) و الفعل الذي ينزل منزلة فعل القول يأخذ أحكامه في كسر همزة (إن) و فتحها في الجملة التي قبلها كما هو الشأن في الآية الكريمة السابقة (فأوصى ... إن الله) فمثل الفعل أوصى، و وصّى، فعل الأمر أيضا الذي يأخذ حكم فعل القول أمراً في مثل قوله

(1)- الفراء- معاني القرآن- ج 1- 78
(2)- النمل/ 49.
(3)- ص/ 32.
(4)- الفرّاء- معاني القرآن- ج 2 - 405
(5)- الأنعام/ 93.
(6)-الأخفش- معاني القرآن-ج 1- 282.
(7)- البقرة/ الآية: 132.
(8)-الأخفش- معاني القرآن -ج 1- 149.

تعالى :﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(1). قال الأخفش :

« أي وقيل لي (ولا تكوننّ) وصارت (أمرت) بدلا من ذلك، لأنه حين قال (أمرت) قد أخبر أنه قد قيل له» (2) فالفعل (أمِر) نُزّل منزلة (قال) وخُرِّج على غراره المعنى.

و من أمثلة هذا الفعل : الفعل (نادى) الذي يتطلب تنزيله منزلة الفعل قال، في مثل قوله تعالى: ﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى**﴾(3) قال الأخفش في تخريج هذه الآية :(كأنه قال نادته الملائكة فقالت إنّ الله يبشرك)(4).

وجوّز الزجاج فتح همزة (إنّ) وكسرها في قوله تعالى: (**أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ**)« فمَن فتح فالمعنى: نادته بأنّ الله يُبشرك، أي نادته بالبشارة، ومن كسر أراد: قالت الملائكة: (إنّ الله يُبشِّرك) و(إنّ) بعد القول أبدا مكسورة» (5).

فها نحن نجد لتقدير فعل القول وما حمل عليه دوراً في تفسير المعاني وتخريجها، فكان أثر التقدير في التفسير جليا، فإذا تقدّم الفعل (أوحى، وشهد، وأذن) تقدّر بعدها فعل القول، وخرّج وفق ذلك تفسير الآيات كما قال الأخفش:« فأوحيت إليك قم، معناه عنده: أوحيت إليك فقلت لك قم وهو دليل على أنه قول» (6).

وسبقت الإشارة إلى أنّ حذف فعل القول جائز إذا دلّ عليه دليل، وكذلك ما كان في معناه. وقد عرّف سيبويه مقام حذف القول بأسلوب الحكاية، كما هو الشأن في الأفعال:(قال، وشهد ووعد، وأرسل وخافَت، ودعا، وأذن) لأنّ مادة القول تعني الإشارة والإماءة ، وتضمّ تحتها ما كان في معناها(7)

وقد يُذكر فعل القول وما كان في معناه، وقد يحذف. وقد يكون الكلام للمخاطب أو ضمير الغيبة، من أجل الالتفات وتجنبا للتكرار، فيستدعي ذلك حذف الفعل أو تقديره، ويترتب على ذلك أيضا تفسيرٌ

---

(1)-الأنعام/ الآية: 14.
(2)- الأخفش- معاني القرآن- ج 1- 270
(3)- آل عمران / 39.
(4)-الأخفش- معاني القرآن- ج1- 202.
(5) - الزجاج- معاني القرآن وإعرابه- ج1- 405
(6)- الأخفش- معاني القرآن- ج1- 102
(7)- الفرّاء-معاني القرآن- ج2- 41.

خاص، وفقا للفعل المحذوف لإعطاء الجملة محلا، بناءً على ما سبقها من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾(1)

فهنا قُدِّر فعل قول قبل: سلام ، أي يقولون سلام عليكم(2) فتحوّل الضمير من الغيبة(عليهم) إلى الخطاب(عليكم) مع أن الشخص واحد وهو الملائكة . وفي قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(3) فقد خرّجها أبو عبيدة على حذف فعل القول(تتلقاهم الملائكة) يقولون(هذا يومكم) فيكون في محلِّ نصب مفعولا به (4)

فالالتفات من الأساليب البلاغية الرائعة التي تجعل الذهن ينتقل من مقام إلى آخر، ويجدِّد نشاط السامع ليتابع الأساليب المتنوعة في النص وهذا نجده كثيرا في القرآن الكريم كما نجد فيه حذف فعل القول فيكون الكلام متداخلا، ولكنه منظوم، ممّا يستوجب لفت الانتباه إلى تدبّره والتفكير فيه لإدراك مقاصده. والشواهد على ذلك متنوعة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾(5) ومنه قوله تعالى:﴿ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴾ (6) وفي هذا قال الفراء:« وقوله هذا فوج مقتحم معكم ثم قال لا مرحبا بهم، الكلام متصل كأنه قول واحد وإنما قوله : (لا مرحبا بهم) من قول أهل النار. وهو كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾(7) وهذا في اتصاله كقوله:﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾(8) وفي (الأعراف 110) بحذف لفظ (بسحره) فاتصل قول فرعون بقول أصحابه»(9)

(1)-الرعد/ 23/ 24.
(2)- الفراء- معاني القرآن- ج2- 62
(3)-الأنبياء/ 103.
(4)- أبو عبيدة- مجاز القرآن- ج2- 43
(5)-غافر/ 16.
(6)- ص/ 59.
(7)- الأعراف/ 38.
(8)- الشعراء/ 35.
(9)- الفراء- معاني القرآن- ج2- 411

يتّضح ممّا سبق أن العلاقة بين التقدير والتفسير وطيدة،فالتفسير يحتاج إلى التقدير لتخريج المعاني المتعدّدة المكتنّة وراء البُنى، كما أنه عندما يُجرى وفق تخريجات مُعيّنة يكون داعياً إلى التقدير وباعثا له.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

الأسس التي يبنى عليها التقدير.

المبحث الأوّل: الأصل:

تردّدت عدّة مصطلحات في أصول النحو، مثل أصل الوضع، وأصل القاعدة، والأصل المهجور والعدول عن الأصل، والردّ إلى الأصل. فما الأصل؟

لغة: « أسفل الشّيء، كاليأصول،ج أصول، وآصُل. وأصُل كـ (كرُم) صار ذا أصل، أو ثبُت ورسخ أصله ، كتأصّل. والأصيل من له أصل، والثابت الرأي» (1).

جاء في الدرِّ الثمين للشيخ محمد بن أحمد المالكي أنّ الأصل « ما بُني عليه غيرُه ، كأصل الجدار أي أساسه ، وأصل الشجرة ، أي طرفها الثابت في الأرض، والفرع ما يُبنى على غيره، كفروع الشجرة لأصلها ، وفروع الفقه لأصوله » (2)

ممّا سبق يتّضح أنّ الأصل أسفل الشّيء، والثابت، والرّاسخ.

وقد جاء في كتاب (أساس البلاغة) للزّمخشري :« قعد في أصل الجبل، وأصل الحائط ، وفلان لا أصل له ولا فصل،أي لا نسب له ولا لسان، وأصّلت الشّيء تأصيلا، وأنه لأصيل الرأي، وأصيل العقل وقد أصُل أصالة. وسمعت أعراب الطائف يقولون لفلان أصيلة، أي أرض تليدة يعيش فيها»(3). ويُلاحظ أنّ لفظة الأصل في التّعريفات السّابقة تدلّ على أساس الشّيء، وأوّله ،وأصله وما به وجوده.

و **في الاصطلاح:** أطلق مصطلح الأصول، أوّل مرّة على ما يراد به العقيدة، وتسمّى أصول الدين وتقابلها الفروع، ويراد بها كل ما يتعلق بالأحكام العملية ، فتقول: أصول الفقه، ويقابلها الفروع

---

(1)- الفيروز أبادي – القاموس المحيط- ج 1- 155/154.
(2)- محمد بن أحمد المالكي- الدرّ الثمين والمورد المعين- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي بمصر- ج1- ط 1373هـ/ 1954م- 70.
(3)- أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري – أساس البلاغة – دار المعرفة للباعة والنشر - بيروت – 1979- ص6.

الفقهية التي تستند على منهاج الأصول ، ويحدّه ابن الأنباري بقوله: « أصول النحو هي أدلة النحو التي تفرّعت عنها فروعه ، وفصوله، كما أنّ معنى أصول الفقه، هي أدلة الفقه، أين تفرعت عنها جملته » (1) .

فالمعروف أنّ النحوي يبدأ بجمع المادة (المدونة) التي تسمّى المسموع، أي ما نقله مشافهة عن العرب الفصحاء ، حسب شروط زمان ومكان الفصاحة، ثمّ يخضعها للدّراسة ، والمعاينة والمقارنة والاستقراء، بعد التصنيف، ثمّ يصل إلى مرحلة استنباط القاعدة بناء على مطرد النظائر فيها. أمّا ما خرج عن ذلك، فعدّ شاذا، أو لغة إذ ثبتت فصاحته. ثمّ بعد هذا، يخلص إلى بناء هيكل مجرّد يمثل التصوّر العقلي لبُنى اللغة، أو النموذج الذي يتخذ منوالا يُقاس عليه، وأصلا تردّ إليه كل بُنى اللغة التي هي من النظائر. فإن اعترى ذلك ما يخرجه عن الأصل قيل: عدل عنه إلى غيره، ولا يكون ذلك إلا لغاية وعلة، سواء كان ذلك على مستوى الأصوات، أو الألفاظ. وفي هذا يقول الدكتور تمام حسان: «وحين رأى النحاة أن الحرف الواحد تتعدّد صوره بحسب موقعه ، بما جاوره من الحروف كان عليهم أن يجرّدوا أصلا لهذه الصور، وأن يجعلوا الصور المختلفة عدولا عن هذا الأصل بحسب مبادئ معينة للتغيير والتأثير، كأثر الإدغام، والإخفاء، والإقلاب ، إلخ »(2) والأمثلة والشواهد كثيرة ، متعدّدة في هذا المجال فمنه أن الفعل الماضي، المعتلّ العين واوياً كان أو يائيا يعلّ ، فالأصل (قوَمَ وسير) تعلّ عينهما لانفتاحها ، وانفتاح ما قبلها فيصبحان (قام، سار) طلباً للخفّة وكراهية تجاور ثلاث حركات، مع وجود معتلّ.
والأصل في صوت النون، مثلا ، أن يكون لثويا، خيشوميا، مجهورا، أغنّ . فيعدل ، أحيانا عن مخرجه إلى الشفتين، وذلك ، بقلبه (ميما) إذا جاور (باء) وكان ساكنا، كما في(عنبر) فتنطق (عمبر) و(ينبع) تنطق(يمْبع). وفي قوله تعالى:﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ تقلب (إذِ مْبعث أشقاها).

---

(1)- ابن الأنباري - لمع الأدلة في أصول النحو- تحـ: سعيد الأفغاني- مطبعة الجامعة السورية – 1377هـ/ 1957م- مطلع الفصل الأول.
(2)- تمام حسان- الأصول- عالم الكتب-107.

وقد تنطق مفخّمة في اللهاة ، كما في (ينقل) (1) فهذا خروج عن الأصل. والأصل في المبتدإ الرفع لأنه المسند إليه، المحكوم عليه. ولكن، قد يحدث فيه عدول عن الأصل ، فيجرّ لفظا ، كما في قولنا: (رُبَّ ضارّةٍ نافعةٌ) وكذلك الشأن بالنسبة إلى الفاعل، إذ الرفع فيه أصل، ولكن، قد يعدل عن ذلك إلى الجرّ ، لفظا ، كما في قولنا (ما غابَ من أحدٍ) وهذا للتأكيد.

والأصل في الجملة الاسمية أن يتقدّم المسند إليه (المبتدأ) ويتأخر الخبر لأنه حكم . ولكن، قد يعدل عن هذا إلى غيره لأغراض ، كما في قوله تعالى: **(لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)** (2) حيث قدّم الخبر للتخصيص والتعظيم (فالأمر له وحده ، من قبل الغلب ، ومن بعده). ومنه أيضا أن الأصل الإظهار، فإذا أضمر أحد ركني الجملة ، كان عدولا عن الأصل، كما في قوله تعالى: **(وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)** (3) فشِبْه الجملة متعلق بمحذوف، خبر مقدّم، والمبتدأ محذوف تقديره (يمين أو قسم) . والأصل اتباع الرتبة، فإن عُدل عنها، احتيج إلى التقدير لردّ العدول كما في قوله تعالى: **(فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى)**(4) والأصل (فأوجس موسى خيفة في نفسه) فأخر الفاعل مراعاة للفواصل. والأصل الإفادة، فإن عدل عن التركيب احتيج إلى قرائن لتحديد الفائدة كما في قوله تعالى: **(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ)** أي (أكلها) فالقرينة عقلية، فالميتة بحدّ ذاتها ، لا تحريم فيها ولا حلّ . فأصل الوضع يقصد به «الأصل المجرّد لوضع اللفظ المفيد أو التركيب الصحيح» (5) . معنى هذا أن أصل الوضع أصل أوّلي مجرّد، صِيغَ أو اتـُّفق عليه ، أو اِستـُعمل أصلا. وأصل وضع التركيب بحثه النحاة كونه جملة، وجرِّد ، والجملة أصلا تتكوّن من ركنين أساسيين، المسند والمسند إليه.

---

(1)- تمام حسان- الأصول- 110.
(2)- الروم/ 4.
(3)- العصر/ 1.
(4)- طه / 67.
(5)- حسن خميس الملخ- نظرية الأصل والفرع في النحو العربي- دار الشروق للنشر والتوزيع- 2001- ص 108.

واللفظ يشمل الاسم ، وهو « ما دلّ على معنى في نفسه، غير مقترن بزمن. والفعل وهو اللفظ الدال على معنى مستقلّ بذاته، مقترن بزمن محصّل (أصل الوضع) أمّا الحروف فهي مجهولة الأصول لذا بُنيت » (1)

إذن، هناك أصل الوضع، وأصل القاعدة. فأمّا أصل القاعدة فيقصد بها « تلك القاعدة السابقة على القيود، والتعريفات، كقاعدة رفع الفاعل، ونائب الفاعل والمبتدإ، وتقدّم الفعل على الفاعل، وتقدّم الموصول على صلته، وافتقار الحرف إلى مدخوله وهلمّ جرّا»(2). فأصل الوضع، غير أصل القاعدة، لأن الأصل سابق للقاعدة. فأصل القاعدة ما يبنيه النحاة من مفاهيم انطلاقا من أسس محدّدة فمثلا: الأصل في الكلام الإفادة، أي أمن اللبس ، والأصل في المبتدإ أن يكون معرفة، والخبر أن يكون نكرة، والأصل في رتبة الشرط أن تكون قبل الجزاء. وأورد تمّام حسان مثالا يبيّن من خلاله ماهية أصول القواعد فقال: «فإذا عرّف النحاة الفاعل بأنه الاسم المرفوع الذي يتقدّمه فعل مبني للمعلوم، ودلّ على من فعل الفعل. فإنّ هذا التعريف يشتمل على عدد من أصول القواعد وعرضها كالتالي:

1- الفاعل اسم 2- الفاعل مرفوع 3- الفاعل ، يتقدّمه فعل (أوشبهه).

4- الفاعل ، مع الفعل المبني للمعلوم 5- الفاعل ما دلّ على من قام بالفعل» (3)

فكلّ جزء ، أو عنصر، قاعدة جزئية ، ومعنى هذا أن أصل القاعدة هو ذلك الأصل العامّ الذي ينتظم خلاله نظام اللغة(نحوها) دون الرجوع إلى التعريفات الخاصة بالأحوال ، و الكيفيات التي تعتري القاعدة، كقاعدة رفع الفاعل، وجرّ الاسم، فهذا مطلق قاعدة ، أو هذا أصل لها. بيد أنّ جرّ الفاعل لفظا، عدول عن القاعدة ، ونصب الاسم المجرور على نزع الخافض ، عدول أيضا.

ولكن، ما فائدة تحديد مثل هذه المفاهيم في بحث التقدير؟

---

(1)- تمام حسان- الأصول- 123.

(2)- الدينوري الحسين بن موسى – ثمار الصناعة في العربية- تحـ: حنا جميل حداد- ط1- منشورات وزارة الثقافة- عمّان- 1974- 636.

(3)- تمام حسان- الأصول- 124.

الحقيقة أن التقدير محاولة ردّ العدول إلى الأصل، لما خُرج عن القاعدة. ولا يحدّد العدول ، ونوعه إلا بمعرفة الأصل، ومدى خضوعه للقياس عليه، أو التجانف عنه إلى غيره، لضرورة، أو لعلة.فمعنى هذا، أن ليس كلّ أصل يقاس عليه. فمثلا، الأصل في صياغة اسم المفعول من الثلاثي أن يكون على وزن (مفعول) . ولكن، هذا الأصل ليس صالحا لكلّ الأفعال، إذ نجد من الأفعال ما يعدل فيها عن الأصل، كما هو الشأن في الأفعال المعتلة العين، تجنّبا للثقل ، وطلبا للخفة. ويمكن تبيان ذلك بالمشجر التالي:

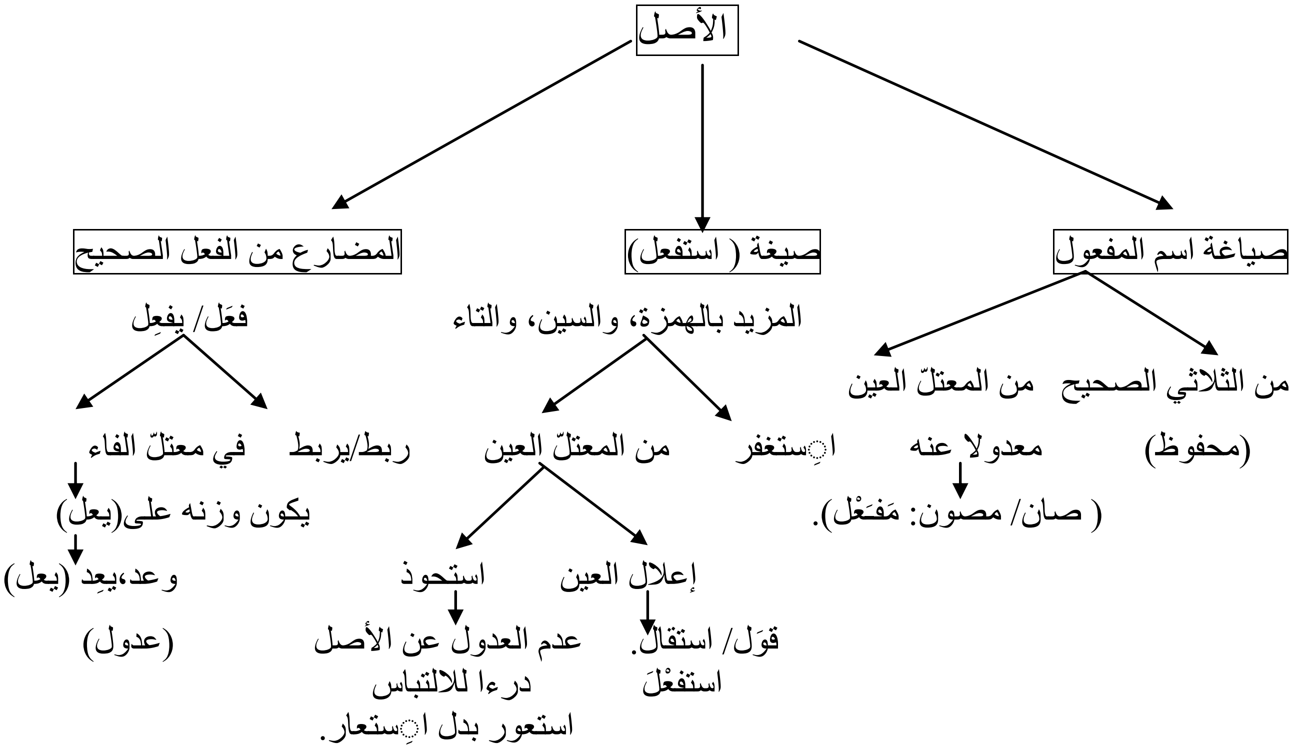

معنى هذا ، أنّ الأصول ليست دوما مجالا للقياس، فقد يُعْدَل عنها لضرورة وأغراض، كتجنب الثقل، وطلب الخفة، ومراعاة المجانسة ، نحو(موسِر) بدل(مُيْسر) و(ميزان) بدل (مِوْزان) و(ميعاد) بدل(مِوْعاد) و(أقتت) بدل(وُقِتت) .

وفكرة الأصول والفروع هي عماد القياس وأساسه ، لما يستتبعه من تعليل . فإذا كان التقدير له علاقة بالقياس، فإنّ القياس مردّه ومنشأه مبدأ الأصلية، وما يتفرّع عنها، فإنّ الأصل يعرّف

بكونه « المعنى الأوّل الذي تؤول إليه كلّ صورة» (1). وقد حدّ ه الشّريف الجرجاني بقوله :«هو ما يُبتنى عليه غيره، والأُصول جمع أصل وهو في اللغة عبارة عمّا يُفتقَر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره...»(2).

ومن هنا يكون الأصل ما يُبنى عليه غيرُه، ولا يُبنى هو على غيره. فمثلا الأصل في الأسماء الإعراب لتمكنها من الاسميّة، ولأنّها تدلّ بذاتها على مسمّياتها،وأمّا الأفعال فلا تكون إلا مسندة ، إذ هي تدلّ على حدث وزمن في أقصى ما تدلّ عليه، وشابهت الحروف، فلذا كانت مبنية. أمّا علة إعراب المضارع، فلشبْهه الأسماء، عند بعضهم (مشابهة اسم الفاعل في الحركات والسكنات والدّلالة الزمنية) ومشابهة الأسماء لكونه ينصب ويجزم في مقابل جرِّها . أمّا الحروف، فمبنيّة لإبهامها وغموضها وحاجتها إلى غيرها. فيكون الإعراب أصلا في الأسماء، والبناء فرع عنه. وهناك ما يخرج عن الأصل فيبنى، ولكن لمّا قاسوا هذه الأسماء الخارجة عن الأصل الإعرابي وجدوا لها شبها بالحرف فجعلوا ذلك علة لبنائها، فذهبوا إلى أنّ البناء فيها فرع، كبناء الأسماء الموصولة لشبهها الافتقاري بالحروف.

وأصول النحو، قواعده الأساسية، ومبادئه التي تنبني عليها فروعه ، ونقل الزجاجي في كتاب (الإيضاح) آراء للخليل وتلميذه سيبويه في هذا المجال أي الأصل « قال الخليل وسيبويه وجميع البصريين: المستحق من الكلام للإعراب الأسماء،والمستحق للبناء الأفعال والحروف وهذا هو الأصل»(3).

قال ابن الأنباري في نزهة الألباء، نقله السيوطي في الاقتراح : «علوم اللغة ثمانية اللغة والنحو،والتصريف والعروض والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب، وأنسابهم ، وألحقنا بالعلوم الثمانية: علمين وضعناهما ،علم الجدل في النحو، وعلم أصول النحو ، فيعرف به القياس وتركيبه وأقسامه ، من قياس العلة، وقياس الشبه، قياس الطرد، إلى غير ذلك على حدِّ أصول الفقه»(4). وقال في موضع آخر: « أصول النحو أدلة النحو التي نُزعت منها فروعه وفصوله، كما أن أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوّعت عنها جملته وتفصيله» (5)

---

(1)- منى إلياس- القياس في النحو- 32.
(2)- الشريف الجرجاني-كتاب التعريفات- ص28
(3)- أبو القاسم الزجاجي- الإيضاح في علل النحو- تحـ: مازن المبارك- دار النفائس- بيروت- ط5- 1986- 87.
(4)- جلال الدين السيوطي- الاقتراح في علم أصول النحو- ص8- ينظر: نزهة الألباء- 86.
(5) – الاقتراح- ص18- ينظر: لمع الأدلة لابن الأنباري- 81.

و إن كان النّحاة الأوائل هيّأوا لظهور الأصول، ونظّروا لكلياتها، فإنّ الخليل بكتابه العين أصّل للغة والنّحو. وفي هذا يقول السّيوطي فيما نقله عن الإمام الفخر الرّازي :« إنّ أصل الكتب المصنّعة في اللغة كتاب العين»(1).

لقد تحدثت عن الأصل والفرع، وعلاقة ذلك بالقياس، إذ هذا الأخير يعوّل فيه على الأصل. فالقياس أساسه الأصول، فإذا أريد ردّ العدول احتيج إلى العودة إلى الأصول ليقاس عليها.

قال ابن الأنباري :« ...لأن الفروع أبدا تنحطّ عن درجة الأصول» (2) . كما يطلق الأصل على القاعدة المستنبطة من استقراء كلام العرب التي يؤول إليها الحكم ، كالرفع للعمد (الفاعلية) والنصب للفضلات، والجزم أصل في المضارع من الأفعال، والجرّ للأسماء.

وما يؤكد فكرة الأصول والفروع، اختلاف العرب في اللغة . فقد نجد في لهجات العرب شيئا واحدا يتجاذبه أصلان، فتجريه قبيلة على أصل، بينما قبيلة أخرى تجريه على أصل مغاير، مثلما هو الشأن في (ما) و(إن) النافيتين. فالأصل فيما يعمل من الحروف ما كان مختصّا، إمّا بالأسماء، وإمّا بالأفعال. أمّا المشترك، فلا عمل له. هذا هو الأصل. بيد أنّ الحرفيْن السابقين (ما، وإن) مشتركان ويعملان (عمل ليس) والأصل ألاّ يعملا لعدم اختصاصهما. لكن، لما كانا بمعنى(ليس) وفي أصولهم أن يعطوا الشيء حكم ما في معناه ، ألحق أهل الحجاز بناء (ما) على هذا الأصل بـ(ليس) في العمل، وألحق أهل العالية (إن) بها أيضا(3).

وارتباط الأصل ، عند النحاة ، بالقياس والعلة وثيق، فاستقراؤهم كلامَ العرب جعلهم يخرجون بنتيجة ، مفادها أن أنواع الكلم لا تخرج عن ثلاثة: الاسم، والفعل، والحرف(4). وأن هذه الأقسام منها ما ينفرد بميزة خاصة ، كالبناء في الأحرف، وهو أصل في الأفعال، إلا في المضارع المتصل بنون النسوة، ونون التوكيد ، فهو فرع. والإعراب في الأسماء ، أصل فيها ، إلا في بعضها وذلك كله لعلّة . وقاسوا بناء بعض الأسماء ، فوجدوه شبيها بالحروف كالشبه الوضعي ، كما في

(1)- جلال الدين السيوطي – المزهر في علوم اللغة– ج1 –76 .
(2)- ابن الأنباري- الإنصاف- ج 1- 59.
(3)- منى إلياس- القياس النحوي- 43.
(4)- زاد بعض البصريين مصطلح (الخالفة) ، ويقصد بها اسم الفعل ، لأنه لا يقبل شيئا من خواص الأقسام الثلاثة.

الضمائر (ت، هو، ك، ه) والشبه الافتقاري ، كما في الأسماء الموصولة، لافتقارها إلى الصلة . كما وجدوا امتناع بعض الأسماء من التنوين لشبهها بالأفعال ، أو لعلل أخرى، كالعلمية، والتأنيث والعجمى، وغيرها.

فأصل الوضع هو تجريد قام به النحاة ليصلوا بوساطته إلى الاقتصاد في الجهد والوقت، لا لتجنب الخوض في أوابد اللغة، وإنما ليسمح بإعطاء قاعدة عامة مشتركة يلجأ إليها حين الحاجة لمقارنة ما يعنّ من ظواهر اقتضاها الاستعمال.

والعدول عن الأصل ، إمّا يكون مطردا ، أو غير مطرد، وحينها يسمّى شاذا. وإن كان فصيحا،اعتبر لغة، ولكن يحفظ ولا يقاس عليه. ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: (**وَطُورِ سِينِينَ**)(1) أي طور سينا، وقوله :(**سَلَامٌ عَلَى ءَالِ يَاسِينَ**)(2) أي إلياس، وهذا ليس مطردا وقولهم : (مصوون) (3) ولكن المستعمل(مَصُون) . أمّا المطرد ، فيخضع لقاعدة محدّدة كالإعلال والإبدال،نحو قلب الواو والياء همزة ، بعد تطرّفهما، ووقوعهما بعد ألف مثل: (كساو، ورداي) فتقلبان (كساء، ورداء) . و كقلب الواو ياء ، إذا كانت ساكنة وكُسِر ما قبلها، مثل(موْزان موقات) تقلبان(ميزان، ميقات). وكحذف همزة المضارع، واسم الفاعل، من الفعل المزيد بالهمزة نحو(أكرم، يؤكرم، مؤكرم) ولكن المستعمل (يكرم مكرم) (4). وكحذف فاء المثال في المضارع إذا كان مكسور العين، نحو(وعد، يوعد، يعد عدة) فهذا عدول عن الأصل.

أمّا العدول عن الأصل في التركيب ، فيكون لغاية، وبشرط أمن اللبس، وفق قواعد خاصة كالتقديم والحذف، والتضمين. من ذلك ، قوله تعالى:(**فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ**) (5) وهنا تقديم ما حقّه التأخير وهذا لإفادة المكانية فيها، أي (في الجنة). ومن الحذف ، للاختصار (**أَبْصِرْ بِهِمْ وَأَسْمِعْ**) والتقدير

---

(1)- التين/ 2.
(2)- الصافات/ 130
(3)- تميم تجري اسم المفعول من الفعل المعتل العين ، على الأصل، فتقول : مبيوع ومصوون، من باع وصان.
(4)- حسان تمام- الأصول- 128/ 129.
(5)- الغاشية/ 12.

(بهم). ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(1) فعُدل عن الأصل إلى تقديم ماحقّه التأخير (المفعول به: إيّا) لمراعاة الفواصل . وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ (2) فالأصل تقديم المفعول به على شبه الجملة (جعلوا شركاء لله) لكن قدِّم شبه الجملة لأن الإنكار متوجِّه إلى (الجعل لله) لا إلى (مطلق الجعل)(3) . ومنه أيضا تقديم الخبر عدولا عن الأصل في مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ (4) فالأصل (إنّ مفازا للمتّقين) ولكن عُدل عنه إلى تقديم الخبر نظرا لخصوصية المجازين وعلوِّ شأن المتّقين الذين لهم مفاز منه (كواعب أتراب على البدلية)(5)

ومن أمثلة الأصل في التركيب والعدول عنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ (6) فالأصل« (رجلّ يكتم إيمانه من آل فرعون) ولكن لو تأخّر (من آل فرعون) لانعدم الفهم بأنه منهم »(7) أن يُخفي إيمانه خوفاً من آل فرعون.

يتبيّن ممّا سبق، أنّ الأصل هو ما يُبنى عليه غيره، وما يحتاج غيره إليه. والفرع ما يحتاج إلى غيره. وأنّ الأصل عماد القياس . وقد يُعدل عن الأصل لأغراض في اللفظ، كطلب الخفّة والتقريب الصّوتي، كما هو الشأن في الإعلال والإبدال. كما يُعدل عن الأصل لأغراض تبليغية كالتخصيص وأمن اللبس، والتعظيم، والتحقير، وغيره.

---

(1)- فصِّلت/ 37.
(2)-الأنعام/ 100.
(3)-الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج3- 236.
(4)-النبأ/ 31.
(5)- الصاوي- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - ج4- 283.
(6)- غافر/ 28.
(7)- مختار عطية- علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- مصر- د.ت- ص104.

المبحث الثاني: القياس.

لغة : « قاسه بغيره وعليه يقيسه قيسا وقِياسا، واقتاسه قدّره على مثاله فانقاس، والمقدار مقياس وقاسه قدّره، وقايست بين الأمرين: قدرت»(1)

وممّا سبق يتضح أن القياس تقدير الشيء على مثاله،لأن القيس هو المقدار. قال الشريف الجرجاني:« القياس في اللغة عبارة عن التقدير، يقال قست النعل بالنعل إذا قدرته و سوّيته، وهو عبارة عن ردّ الشيء إلى نظيره»(2). بينما يعتبره الدكتور بن لعلام بأنه طريقة مُثلى يتوسّل بها النحوي لاكتشاف أسرار الانسجام اللُّغوي واستنباط قوانينه في قوله:(فالقياس إذن ليس سوى طريقة ملائمة يستعملها النحوي لاكتشاف الانسجام الموجود في اللغة،واستنباط قواعده التي تجمع التّماثلات القائمة فيها،في كُلِّيات،وتُبين العلاقات التفريعية التي تربط في كثير من الأحيان بين استعمالات تبدو في الظاهر مختلفة)(3).

والعبارة الأخيرة هي التي تهمّنا (ردّ الشيء إلى نظيره) بمعنى انقياس الشيء على غيره لِيأخذ حكمه مادام مشاركاً له في الصفة، كقولنا: العالم متغير، وكل متغير حادث، فيكون العالم حادثا.

هذا عن القياس عامّة. لكن ما نحن بِصدده هو القياس النحوي إذ هو عملية فكرية يقوم بها المتكلم الذي ينتمي إلى جماعة لغوية يجري بمقتضاها على الاستعمال المطرد في هذه الجماعة « أي أنه عملية ذهنية يُلجأ إليها ليعرف مدى مطابقة ومماشاة الكلام على الأصل أم هو خروج عنه»(4)

قال ابن الأنباري في أصوله : « اِعلمْ أنّ القياس في وضع اللسان بمعنى التقدير، وهو مصدر قايسْتُ الشيئ بالشيء مقايَسة وقياسا ، ومنه المقياس أي المقدار ، وقيْسُ رمْح ، أي قدر رمح، وهو في عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل ،وقيل حمْل فرع على أصل بعلـّة، وإجراء حكم الأصل على الفرع »(5) وقوله (في عرف العلماء) يقصد به القياس اصطلاحا، أو ما تعارف

---

(1)-الفيروز أبادي- قاموس المحيط- ج3- 722/ 723.
(2)- الشريف الجرجاني- التعريفات- 181.
(3)-بن لعلام-ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه-29.
(4)- منى إلياس- القياس في النحو- ص9.
(5)- ابن الأنباري- لمع الأدلة-الفصل العاشر في القياس- 93.

عليه العلماء سواء النحاة منهم أو الفقهاء،لأنّ أصول اللغة محمولة على أصول الشريعة ، كما يقول بعضهم (1) . واعتبر ابن الأنباري القياس أساس النحو وأصلا لا يمكن تجاوزه ، ولا إنكاره كمافعل بعض فقهاء الظاهرية ونحاتها كابن مضاء القرطبي الذي أنكر القياس . قال ابن الأنباري:«اِعلمْ أن إنكار القياس في النحو لا يتحقّق لأن النحو كله قياسٌ ولهذا قيل في حدِّه : النحو علمٌ يالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو»(2)

ويقول في موضع آخر: « القياس حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، كرفع الفاعل ونصب المفعول، في كلّ مكان ، وإن لم يكن كل ذلك منقولا عنهم ، وإنما لمّا كان غير المنقول عنهم من ذلك في معنى المنقول، كان محمولا عليه » (3). ومعنى هذا أن القياس إلحاق ألفاظ بأخرى نقلت عن العرب حتى تندرج تحت صفتها، وتأخذ حكمها، وليس شرطا أن يكون جميع أحوال الكلم مطرداً اطراداً كليا في المقيس عليه، وإنما يكفي أن يكون المقيس ممّا كثر وشاع تداوله، على ألسنة العرب الخلص، وتوفرت فيه شروط الفصاحة، زمانا ومكانا.

قال ابن السرّاج :« واعلم أنه ربّما شذ الشيء عن بابه، فينبغي أن يُعلم أن القياس إذا اطرد في جميع الباب ، لم يُعْنَ بالحرف الذي يشذ عنه، فلا يطرد في نظائره ،وهذا يستعمل في كثير من العلوم»(4) وقال في موضع آخر:« فإنما القياس على الأكثر»(5) . وقوله (لم يُعْنَ بالحرف الذي شذ عنه) يقصد به أن للغة شواذّ، لا تعطل العمل بالقياس، إذا ما خرجت عن القاعدة، إذ المعوّل عليه الاطِّراد.وقد عرّفه أستاذنا الدكتور الحاج صالح تعريفا جمع فيه أسسه وأغراضه حين قال:« وما يسمّى بالقياس هو المعقول من هذا الوضع ، أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين بعض العناصر اللغوية، والعلاقات التي تربطها، ومن جهة أخرى ما يثبته من تناسب بين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي»(6).

---

(1)- السيوطي- الاقتراح في علم أصول النحو - 202.
(2)- لمع الأدلة – الفصل الحادي عشر في الردّ على من أنكر القياس- ص 95..
(3)- ابن الأنباري- الإغراب في جدل الإعراب – تحـ: سعيد الأفغاني-دار الفكر بيروت- ط2- 1971- 45/ 46.
(4)- ابن السرّاج- الأصول في النحو- مؤسسة الرِّسالة- بروت- لبنان- ط4- 1420هـ/1999و- ج 1- 56.
(5)- المرجع السابق- ج 3- 325.
(6)- الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح- مجلة اللسانيات –معهد العلوم اللسانية والصوتية- 74/1973م - مقال: مدخل إلى علم اللسان الحديث-عدد 4- ص38.

ويمكن أن يستنتج من قول الدكتور الحاج صالح أن القياس عملية عقلية يُلجَأ إليها لتحديد الانسجام و التناسب المكتنِّ بين عناصر التراكيب، ثمّ بيان العلاقات التي تربط هذه العناصر،أي استنباط القواعد والقوانين التي تتحكم في العناصر اللغوية المتناظرة والمنسجمة.

وقد أخذ النحاة العرب مبكرا بالقياس لتطـرّد لهم القوانين الكلية التي يلتجأ إليها في تحديد ماهية الأصل، ولردِّ الفروع إلى أُصولها المتَحكمة فيها، واستظهار القاعدة الجامعة.

والمعروف أنّ النحاة العرب استنبطوا قواعدهم بناء على الملاحظة واستقراء كلام العرب الفصحاء ليخرجوا بِقوانين عامّة صارت قياسا يتبع. ولم يكن النّحاة الأوائل ليكثروا من القواعد المجرّدة المفترضة أحيانا، بل كانت النصوص العربية وكلام الفصحاء الفيصل الذي يحتكم إليه لتَسوية كلّ منحرف، وتقويم كلّ معوجّ، ونجد هذا عند الخليل و سيبويه وغيرهما من النحاة الأوائل. وفي هذا الشأن نجد إنكار سيبويه اجتماع ضميرين متصِلين بالفعل، كما في قولهم أعطانيه، وأعطانيك قياسا لأنه « قبيح لا تتكلم به العرب»(1).

ومن أوائل النحاة الذين ينسب إليهم الأخذ بالقياس بل التوسّع فيه والنفوذ إلى عالمه،عبد الله بن إسحق الحضرمي(ت 117هـ)الذي قال عنه ابن سلام:« ابن إسحق كان أشدّ تجريدا للقياس.. وأوّل من بعج النّحو ومدَّ القياس والعلل»(2).

ولقد وردت نتف من الأخبار عن ابن إسحاق بأنه استغلّ القياس حتى على المستوى الصوتي . ذلك حين رأى بعض العرب تستبدل صوتا بآخر في لهجتها، فنبّه إلى أنّ تلك لغة خاصّة،ولا يمكن القياس عليها. وهذا ما نقله ابن سلام نفسه حين روى عن أبيه أنّه قال:« قلت ليونس:هل سمعت من ابن إسحاق شيئا؟ قال: قلت له: هل يقول أحد الصّويق؟ قال: نعم ،عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا؟عليك بباب من النَّحو يطرد وينقاس»(3).ويقصد بالصويق نوع من الطعام. وقول ابن سلام (أمدّ القياس) يدلّ على أن ابن إسحاق من الأوائل الذين تفطنوا إلى الظواهر اللغوية التي تنتظمها قوانين كلية تجمعها، وأن هذه القواعد ينقاس عليها، ويُرجع إليها، وأنّ المعوّل عليه في ذلك هي الأصول، وهذا ما عناه حين سئل عن (الصويق) فقال بصوابه ولكن جعلها لغة خاصة بقوم.

---

(1)- سيبويه- الكتاب -ج1 –383.

(2)- محمد بن سلام الجمحي- طبقات فحول الشعراء- تحـ: محمودمحمد شاكر- دار المعارف للطباعة والنشر- 1952م- 14.

(3)- المرجع السابق- 15.

وقوله :(عليك بباب من النّحو يطرد وينقاس) يعني أنّ هناك ظواهر لغوية تجمعها قوانين مشتركة وتجعلها مطردة انطلاقا من كلام العرب الفصحاء.

ولستُ بصدد الحديث عن ابن إسحاق الحضرمي، ولكن انطلقت من دوره في إثراء القياس لأدلل على أنّ القياس ظهر مبكرا عند النحاة، وأنّ له أصولاً يعتمدها، وأنّ كلام العرب ينتظم ضمن قوانين من الكليات يُلجَأ إليها إذا ما ثبت الانسجام والتماثل بين المقيس والمقيس عليه.

فإذا كان القياس بهذه الأهمّية عند النّحاة، وكان لعبد الله بن إسحاق باع في توسيعه، فإنّ الخليل بن أحمد (100هـ/175هـ) قد عدّه مُترجموه الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النّحو وتعليلها. وكما نقلت الدكتورة منى إلياس عن ابن جني أنّ الخليل « كاشف قناع القياس في علمه»(1)

وممّا تميّز به الخليل في مجال القياس أنّه كانت له القدرة العجيبة على التصوّر الشامل لما ينتظم الجزيئات من كليات جامعة، وقوانين تضمّ شتاتها.

وأمّا الذي شغله كثيرا، وأدّى به إلى الاعتناء بالقياس، والأخذ به، اهتمامه بمبدإ الأصل والفرع وما ينجم عنه من تحتم ردّ الفروع والجزئيات إلى أصولها.

وباب الأصل والفرع جعله يقسّم العلوم إلى أربعة، كما نقله عنه القفطي في (إنباه الرواة) حين قال:« العلوم أربعة، فعلمٌ له أصل وفرع، وعلم له أصل ولا فرع له، وعلم له فرع ولا أصل له وعلم لا أصل له ولا فرع، فأمّا الذي له أصل وفرع فالحساب... وأمّا الذي له أصل ولا فرع له فالنجوم، ليس لها حقيقة يبلغ تأثيرها في العالم،وأمّا الذي له فرع ولا أصل له فالطبّ، أهله منه على التجارب إلى يوم القيامة، والعلم الذي لا أصل له ولا فرع فالجدل»(2).

وممّا سبق يتبيّن أنّ الخليل أخذ بمبدإ الأصل والفرع حتى في مختلف العلوم، وحتى في العَروض فجعل الدوائر الشعرية كليات تنتظم فيها بحور، تشترك في تفعيلات خاصّة يتمّ تقليبها ولكلّ بحر أصل في دائرة معيّنة.

---

(1)- منى إلياس- القياس في النحو- 22.
(2)- القفطي- إنباه الرّواة على أنباه النحاة – تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم-دار الكتب المصرية- 1369هـ-ج1-346-347.

والذي يعنينا من هذا كله، أنّ النحاة العرب الأوائل أخذوا بالقياس انطلاقا من مبدإ الأصل والفرع وأنّ ما خرج عن الأُصول يعتبرونه عدولا ، ولكن لا يُقاس عليه كما أشرت إليه في بداية المبحث الثاني.

فعلاقة القياس بالأُصل والفرع علاقة وطيدة « فالأُصول والفروع هما عماد القياس»(1) حيث تنضوي تحت الأُصول أحكام تقتضيها طبيعة التّركيب لأجناس الكلمة الثلاثة من حيث البناء والإعراب، ثمّ العوامل ودورها. وهذا ما جعل الزجّاجي يعتبر الإعراب أصلا في الأسماء، وما هو غير مُعرَب فخارجٌ عن أصله(2)

ولنا عودة إلى القياس، ومبدأ الأصل والفرع في مجال الحديث عن الأسس التي يبنى عليها التقدير. وإن كان موضوع البحث هو التقدير في القرآن الكريم، فإنّ تناول الأصل مفهوما ومضمونا ضروري لأنّ التقدير يرتكز عليه،إذ لا يردّ المعدول إلا بالرجوع إلى الأصل . فإذا قدّرنا كان الأصل هو المعوّل عليه، والمرجع في ردِّ عناصر التركيب إلى أصولها الأولى لتُدرك حدود العدول، وإن شئنا حدود الانزياح .

ولئن كان للنحاة الأوائل دورٌ بارز في تأصيل قواعد النحو، واستنباط كلّيّاته، فإنهم لم يولوا مصطلح الأصول عناية بحدٍّ. ومن ثمّ لم أعثر على تحديد مضبوط لهذا المصطلح لديهم وإن كان يدور على ألسنتهم. من ذلك قول سيبويه في باب جمع ناقة:«... وقالوا أينق وأصله أنوُق» (3) .

مع الإشارة إلى أن مصطلح التقدير اطّرد استعماله عند المبرّد وأخذ له معلما خاصا- كما سبق ذكره- ولم يعد مشتركا في الاستعمال مع الأصل الذي استخدمه سيبويه. بمعنى أن سيبويه أجرى التقدير بألفاظ أخرى لها الدلالة ذاتها التي هي للتقدير كالأصل مثلا، ولكنّ المبرّد قد ذكره، كما قلنا في أبواب مختلفة. وللقياس علاقة وطيدة بمبدإ (الأصل والفرع) ، كما له شأن كبير في ظاهرة التقدير النحوي لأن النحو قياس يتبّع ، كما قال الكسائي(4).

---

(1)- منى إلياس- القياس في النحو- 32.
(2)- الزجّاجي – الإيضاح في علل النحو- 77.
(3)- سيبويه – الكتاب – ج4 –358 .
(4)- ياقوت الحموي- معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب- تحـ: إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- ط1- 1993- ج4- ص 1748/1747

ونظرا لكون الوقوف على كلّ مفردات اللغة ، ومشتقاتها مستحيلا، وحصر تراكيبها وأساليب الكلام فيها متعذرا، فكانت- والحالة هاته، الحاجة مسيسة إلى قواعد مستنبطة ، يمكن اتباعها، والسير على منهاجها، والاهتداء بها« ليقاس ما يسمع على ما سمع، ويأخذ حكمه» (1).

قال ابن جني في ما قيس على كلام العرب: « وقد نصّ أبو عثمان عليه فقال: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ،ألا ترى أنك لم تسمع ، أنت ولا غيرك، اسمَ كلِّ فاعل ، ولا مفعول وإنما سمعت البعض ، فقست عليه غيره ، فإذا سمعْت (قام زيد) أجزت (ظرُف بشر) و(كرُم خالد) ويؤكد هذا عندك، أنّ ما أُعْرِب من أجناس الأعجمية، قد أجْرَتْه العرب مجرى أصول كلامها »(2).

والمعروف أن القياس مرّ بمراحل ، فلم ينشأ كاملا ، شأنه شأن كل الظواهر اللغوية الأخرى، فقد بدأ بسيطا ، ثم تطوّر عبر الزمن، فكثير من الدارسين يرون أن عبد الله بن إسحاق الحضرمي من أوائل من مدّوا القياس وأجروا العلل ، بيد أن بعضهم يرى أنّ أبا عمرو بن العلاء ،هو أيضا عمل بالقياس ، وكانت حجته ما سمعه عن العرب الفصحاء، ولذا حين سئل عمّا وضعه ، وأسماه عربية أيدخل فيها كلام العرب كله؟ قال « لا، فقيل له : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهو حجة؟ قال: أعمل على الأكثر وأسمِّي ما خالفني فيه لغات » (3) فأبو عمرو بن العلاء نحا نحو ابن إسحاق في أخذه بالقياس ويرى أن ضبط اللغة يستلزم الوقوف عند حدّ السماع، والشائع من المستعمل وهذا الذي يُقاس عليه، فإذا ما وُجد شيء خرج عن هذا المطرد ، اعتبر لغة . ومن أقيسته ، قياسه (كم) على (ربّ) في العمل . يقول سيبويه: « واعلم أنّ (كم) في الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه (ربّ) لأن المعنى واحد، إلا أن (كم) اسم، و(ربّ) غير اسم ، بمنزلة (من) والدليل عليه أن العرب تقول : كم رجلٍ أفضل منك، تجعله خبرَ (كم) أخبرنا به يونس عن أبي عمرو» (4) .

والملاحظ أن أبا عمرو بن العلاء، كان شديد الولع بالفصيح من كلام العرب يقيس عليه،والدليل تشجيعُه تلميذه الأصمعيَ على جمع اللغة من أعراب البصرة، في سوق المربد ، ومن البوادي. هذا الانتصار للفصيح ، أكده ابن سلام حين قال : « أخبرني يونس أن أبا عمرو بن العلاء كان أشدّ

---

(1)- عبد الرحمن السيد- مدرسة البصرة النحوية، النشأة والتطور- دار المعارف بمصر- ط1- د.ت- 243.
(2)- ابن جني- الخصائص- ج 1- 357.
(3)- عبد الرحمن السيد- مدرسة البصرة النحوية- 244.
(4)- سيبويه – الكتاب – ج2- 161.

تسليما للعرب » (1). ورُوي عنه أنه كان يأخذ بالقياس ، على غرار نحاة طبقته ، ولكنه كان أقرب إلى الأخذ بما جاء عن العرب، دون تمحّل ولا تكلف في القياس تخريجا للظواهر التي تعنّ ، من ذلك ما نقله سيبويه عنه حين قال: «قال يونس : من صرف هندا، قال (هذه هندٌ بنت زيد) فنوّن (هندا) لأن ذا موضع لا يتغيّر فيه الساكن ، ولم تدركه علة ، وهكذا سمعنا من العرب ، وكان أبو عمرو يقول : هذا فلان بن فلان ، وحذف التنوين من (هند) قياسا على الثلاثي الساكن الوسط الموصوف بـ(بنت)» (2)

وممّا يظهر جهود أبي عمرو في القياس ، وجوه القراءة التي قرأ بها ، والتي منها عدم جواز حذف نون الرفع إذا اتصلت بنون الوقاية، في مثل قوله تعالى :(**أَتُحَاجُّونِّي**) (3) كما منع نيابة غير الفاعل عن المفعول، وهذا رأي جمهور البصريين ، أيضا. ولهذا لحّن من قرأ ببناء الفعل للمجهول في قوله تعالى: (**لِيَجْزِيَ قَوْماً**) (4) وهو القائل: « إني لأستحيي من الله أن أقرأ (**إِنّ هَـذَانِ لَسَاحِرَانِ**) (5) مع أنّ هذه القراءة قراءة أكثر أئمّة الأمصار » (6) .

ولسنا بصدد دراسة أعمال أبي عمرو ، وإنما عرضنا بعض أقيسته، حتى نبيّن أنه اعتمد في ذلك على ما هو مستنبط من كلام العرب ، مأخوذ من أعراب البوادي ، وما انتهى إليه من نصوص مختلفة ، بنى منها نظاما عاما يقاس عليه ، ولكنه لم يكن يكثر من التأويلات ، بل كان أقرب مأخذا ممّا هو جار في كلام العرب ، مطرد . ويدعم هذا الرأي إظهار تحرّجه من قراءة (**إِنّ هَـذَانِ**) لأنّ القياس نصبه ، وكذا رأيه في رفع لفظة (أطهَر) في قوله تعالى على لسان لوط:(**هَؤُلَاءِ بَنَاتِي**

---

(1)- ابن سلام- طبقة فحول الشعراء- 14.
(2)- سيبويه- الكتاب- ج 3- 501.
(3)- الأنعام/ 80.
(4)- الجاثية/ 14.
(5)- طه/ 63.
(6)- منى إلياس- القياس في النحو- 16.

هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) (1) حين قرأها عيسى بن عمر بالنصب فقال أبو عمرو « هؤلاء بناتي هن ماذا؟ فقال: عشرين رجلا ، فأنكرها أبو عمرو »(2). فاستنكاره النصب إنما هو مبني على اعتماده كلام العرب في القياس ، والابتعاد عن التأوّل .

ولأهمّية القياس في استنباط القواعد واطّراد القوانين التي تنتظم اللغة فقد أولاه النحاة مُتقدِّموهم ومتأخِّروهم، عناية كبيرة حتى اختصروا النحو في قولهم « إنما النحو قياسٌ يُتّبع» (3) . كما قالوا عن النحو :« أدلة النحو ثلاثة: السماع والإجماع والقياس» (4)

استنتاج:

يتبيّن ممّا سبق أنّ القياس عملية عقلية يُلتجأ إليها لتحديد الانسجام والتناسب المكتنّ بين عناصر التركيب. وهو حمل فرع على أصل، أو حكم غير المنقول على المنقول .

وقد أخذت به طوائف عدّة كالأصوليين الذين اعتمدوه في تخريج الأحكام، والفقهاء نصّوا على أنه مُحتاج إليه، وأنه شرط للوصول إلى مرتبة الاجتهاد (5) وأنه ركن ركين في النحو. فمنه –كما يذكر السيوطي- معظم أدلة النحو، والمعوّل عليه في غالب مسائله ،لأنّ النحو- كما عرّفوه- علمٌ بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب (6) . ومعنى هذا أنّ من أنكر القياس أنكر النحو.

وكان القياس عاملا أساسيا في تحديد مجال الاِنزياح،وردّ العدول إلى الأصول . وقد أخذ به النحاة على مختلف مذاهبهم . وتبدو أهمّيته القصوى في التقدير ،إذ إنه من ردِّ العدول إلى الأصول يكون التقدير. فلا يُردّ المعدول إلى أصله إلا بالتقدير . وكما يكون هذا في التركيب، يكون في اللفظة الواحدة ، كما هو الشأن في حذف ياء المنقوص النكرة المرفوع والمجرور قياساً ، كما في قوله

---

(1)- هود/ 78.
(2)- منى إلياس- القياس في النحو- 18.
(3)- هذا صدر بيت للكسائي ، وعجزه: اطلب النحو ودعْ عنك الطمع – ينظر : إنباه الرواة على أنباه النحاة- ج2- 276/ 269.
(4)- ابن جني- الخصائص- ج1- 189.
(5)- لمع الأدلة- 95.
(6)- الاقتراح- 70.

تعالى: (**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**)(1)والتقدير (قاضِي). وكـإعلال الفعل المعتلّ العين بالقلب إذا انفتح وأسكن ما قبله نحو: (استعان) من (استعون) ولكن قد لا يؤخذ بالقياس كما في (استحول)و(استعور) من الفعلين(حَول) و(عَورَ) درءًا لإلتباس المعنى ،بينما القياس (استعار) و(استحار) . وكصرف (سلاسل) لمناسبة (أغلالا) في الآية الكريمة ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا**﴾(2)والقياس (سلاسل) .

---

(1)- طه/72.
(2)-الإنسان/ 4.

المبحث الثالث: استصحاب الحال.

ونجد مصطلحا آخر قريبا من مصطلح الأصل، قد عني به النحاة، وأجراه بعضهم مجرى الأصل وإن كان لا يماثله، ألا وهو استصحاب الحال الذي يعني إبقاء اللفظ على ما يدل عليه ظاهره (1) أو الجري في الاستعمال على الأصل ما دام لم يقم دليل على تغيير اللفظ عن هذا الظاهر، أو العدول في الاستعمال عن هذا الأصل.

ومعنى هذا أنّ استصحاب الحال ليس هو الأصل، وإنّما أجري مجراه، ما لم يوجد دليل على تفسير اللفظ في الحكم . وهو مصطلح فقهيّ للحنفية كمايراه البعض(2) يريدون به أن الأصل في الأشياء الإباحة مالم يقم دليل على عدمها لقوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾(3) .

وقد جاء في (الاقتراح) :« هو إبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم وجود دليل النقل عن الأصل، قال وهو من الأدلة المعتبرة كاستصحاب حال الأصل في الأسماء، وهو الإعراب، حتى يوجد دليل البناء، وحال الأصل في الأفعال وهو البناء، حتى يوجد دليل الإعراب كقولهم : الأصل في البناء السكون إلا لموجب التحريك، والأصل في الحروف عدم الزيادة حتى يقوم دليل عليها»(4)

ومعنى هذا أنّ في الاستصحاب ينزّل اللفظ منزلة الأصل في الاستعمال ما لم يقم عليه دليل يبطله. جاء قول ابن الأنباري في المسألة (103): «هل تأتي ألفاظ الإشارة أسماء موصولة؟»(5) وأورد رأي الكوفيين المجيز لذلك حين قال:« ذهب الكوفيون إلى أنّ (هذا) وما أشبهه من أسماء الإشارة يكون بمعنى الذي نحو(هذا قال ذاك زيدٌ) أي الذي قال ذاك زيد.

أمّا الكوفيون فقد احتجّوا بأن قالوا: إنّما قلنا ذلك، لأنّه قد جاء ذلك في كتاب الله تعالى، وكلام العرب

---

(1)- جلال الدين السيوطي – المزهر في علوم العربية – ج 1- 76 .
(2)- محمود سليمان ياقوت- تعليق بهامش الاقتراح- 374.
(3)- البقرة/ 29.
(4)- السيوطي- الاقتراح في علم أصول النحو- 374.
(5)- ابن الأنباري- الإنصاف في مسائل الخلاف- ج2- 236.

قال الله تعالى:(**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ**)(1) والتقدير فيه : ثمّ أنتم الذين تقتلون أنفسكم.

فـ (أنتم) مبتدأ، وهؤلاء خبره، وتقتلون صلة.» (2) ونقل رأي البصريين وأتبعه برأيه في الاستصحاب فقال :« ...وهذا تمسّك بالأصل واستصحاب بالحال، وهو من جملة الأدلة المذكورة فمن ادّعى أمرا وراء ذلك، بقي مرتهنا بإقامة الدليل، ولا دليل لهم، يدل على ما ادعوه»(3).

يتبيّن من قول الأنباري أنّ استصحاب الحال غير الأصل، بل المعوّل عليه فيه، معرفة الأصل أوّلا ثمّ الاستدلال به في مواطن أخرى، ما لم يقم مانع لذلك، كقولنا: حقّ الأسماء الإعراب ونتعامل مع هذا الحكم إلى أن يقوم ما يخرجها منه، كالشبه الافتقاري في الأسماء الموصولة، والشبه الوضعي في الضمائر لأنّها مجهولة الأصول كالحروف، فالتاء المتحرِّكة كتاء التأنيث وضعا.

والملاحظ أنّنا نجد ابن الأنباري متناقضا في نظرته إلى استصحاب الحال ، فمرّة يعتبره من الأدلة الهامّة للاستدلال به على إعراب الأسماء وبناء الأفعال ، وتارة يعتبره من أضعف الأدلة . ولهذا -في نظره- لا يؤخذ به إلا فيما لا دليل له إلا الاستصحاب. يقول عن أهمّية الاستصحاب : « اِعلمْ أن استصحاب الحال من الأدلة المعتبرة ...» (4) . كما يقول في موضع آخر ، وهو في معرض الردِّ على الكوفيين القائلين برفع الضمير في (لولاكَ) ونحوه استصحاباً لأصل الاسم الظاهر الذي قام الضمير مقامه ،وهو الرفع:« استصحاب الحال من أضعف الأدلة، ولذا لا يجوز التمسّك به ما وُجد هناك دليل ...» (5) . فالاستصحاب قد أخذ به في الشرع ،كما سبق ذكره، فكيف يعدّه ابن الأنباري من الأدلة المعتبرة ، ومرّة يضعِّفه؟!

وحسب ظنّي أنّ سبب تضعيف ابن الأنباري للاستصحاب ليدحض به رأي الكوفيين المخالف لمذهبه ، نظرا لميله إلى البصريين.

(1)- البقرة/ 85.
(2)- ابن الأنباري- الإنصاف في مسائل الخلاف- 236
(3)- بن الأنباري-الأنصاف في مسائل الخلاف- ج2-238.
(4)- لمع الأدلة -141.
(5)- المرجع نفسه- 142.

إذن، فالاستصحاب يعني استصحاب حال اللفظ التي كان عليها في الأصل وإثباتها له، ما دام لم يقم دليل على تغيير اللفظ على ظاهر الأصل(1) ومن ثمّ يكون الاستصحاب غير الأصل إذ هو حالة تثبت للفظ على أنّه الأصل، وهو طريقة استدلال على أحكام الأصول في ذاتها (2)

وكما قال البصريون: « إنّ سيِّد وهيِّن على وزن فيْعِل، لأنّ هذا هو الظاهر من بنائه، بينما ذهب الكوفيون إلى أنّهما على وزن فَعْيِل لمخالفة الظاهر. وكقول الكوفيين عن (نعم وبئس) أنّهما اِسمان وكاعتبار البصريين لهما على أنّهما فعلان، والدليل على فعليتهما بناؤهما على الفتح، ولو كانا اِسمين لما كان بينهما وجه، إذ لا علة هنا توجب بناءهما»(3)

و الاستصحاب في اللغة « من الفعل استصحب (استفعل) من الجذر (صحب) والصاد والحاء والباء أصل واحد، يدل على مقارنة شيء، ومقاربته. ومن الباب(أصحب فلان) إذا انقاد، وكل شيء لاءم شيئا فقد استصحبه» (4).

« وصُحْبَة كتسمية صحابة، واِسْتَصْحَبَهُ دعاه إلى الصحبة ولازمه»(5)، ومنه قوله ﷺ:« أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديهم اهتديهم»(6)، وقوله تعالى على لسان سيِّدنا يوسف(**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ**)(7).

ويتبيّن مما سبق أن(صاحبي) تفيد الملازمة ، والانقياد، والملاءمة، كما يفيد الاستصحاب الدعوة إلى الصّحبة والمعاشرة كقولنا (استصحبت فلانا) أي جعلته صاحبا .

وبالإضافة إلى المعاني السابقة، فهناك معنيان آخران للفعل صحب في النحو، وتعني «المصاحبة وتكون في (الباء) و(على) و(الواو)»(8).وتعني المصاحبة هنا،ما يكون لمعنى الحرف كما في قوله

---

(1)- عبد الرحمن السّيد- مدرسة البصرة النحوية - 253
(2)- مخلوف بن لعلام- التقدير النحوي عند سيبويه رسالة دكتوراه- جامعة الجزائر- 2002 - 46
(3)- مدرسة البصرة النحوية –255
(4)-أحمد بن فارس-مقاييس اللغة العربية-تح عبد السلام هارون-دار الجيل-بيروت- لبنان- ط:1- 1413هـ/1991مـ -ج3- 335.
(5)-الفيروز أبادي-القاموس المحيط- ج3- 798.
(6)-ابن حجر العسقلاني(ت 852هـ)- فتح الباري لشرح صحيح البخاري- تحـ: محمد فؤاد عبد الباقيومحبّ الدين الخطيب- دار الريّان للتراث- ط1- 1987- رقم الحديث: 1743.
(7)-يوسف/ 41.
(8)- ابن هشام-مغني اللبيب- ج1- 109.

تعالى:(**اهْبِطْ بِسَلَامٍ**)(1) أي معه، وقوله تعالى :(**وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ**) (2).

والمعنى الثاني يدل على علاقة الألفاظ فيما بينها، كما هو الشأن بالنسبة إلى بعض الحروف تصحب أفعالا وأسماء بعينها، كقول ابن مالك عن إن الشرطية: « لأنها تصحب المضارع أكثر مما تصحب الماضي» (3).

أمّا الاستصحاب في الاصطلاح فلم يردْ - فيما أعلم- عند النحاة الأوَل، ولذا لم يولوه تعريفا، ولكن وجدت أن ابن جني قد تحدّث عنه بلفظ مغاير، والمضمون واحد. فقد جاء في الخصائص«باب على إقرار الألفاظ على أوضاعها الأوّل ما لم يدع داع» (4): « فإذا تنازع المحلَّ الواحدَ حُكمان كالأسود يطرأ عليه البياض، والساكن تطرأ عليه الحركة ، فالحكم للثاني منهما »(5) وقوله (الحكم للثاني) لا شكّ أنه يقصد الاستصحاب. لكنّ بعض الباحثين (6) يرى أنّ ابن جني لم يُول ِ اهتماماً للاستصحاب في الاستدلال بسبب ميله إلى المذهب البصري وإن كان بغدادياً.

فهذا هو الاستصحاب عينه ،. كما عرّفه الفقهاء، والنحاة من بعد،أي محافظة اللفظ على حالته الأولى ما لم يكن هناك مانع لوضع مغاير.

وقبل أن أتناول الاستصحاب عند النحاة ودوره في الاستدلال،ومن ثم تأصيل الدرس النحوي، أرى أنه من المفيد تناول المصطلح لدى فئة الفقهاء، لكونه مصطلحاً راج بينهم ودرج على ألسنتهم قبل أن يظهر عند النحاة -كما سنرى-لأنه لدى الفقهاء يعدّ مصدرا من مصادر الشرع.

والاستصحاب عند ابن سهل السرخسي الحنفي (ت490هـ) ركنٌ من أركان الاستدلال الداخل في الاحتجاج حيث قال«...ومن الاحتجاج بلا دليل، الاستدلال باصطحاب الحال، وذلك نحو ما يقول بعض أصحابنا في حكم الزكاة، في مال الصبي:« إن الأصل عدم الوجوب، فيستصحبه حتى يقوم

---

(1)-هود/ 48.
(2)-المائدة/ 61.
(3)-جلال الدين السيوطي-همع الهوامع- ج2- 134.
(4)-ابن جني-الخصائص-ج2- 437.
(5)- ابن جني – الخصائص- ج3- 64.
(6)-حسن خميس الملخ- نظرية الأصل والفرع في النحو العربي- 60.

دليل الوجوب» (1) فهنا نجد مفهوم الاستصحاب يعني إبقاء حال اللفظ (الحكم) كما كان عليه في الأصل، ما لم يظهر دليل مغير، مانع للحكم في الوضع الجديد.

وقد قسّم السرخسي الاستصحاب إلى أنواع أهمها:

1- استصحاب حكم الحال مع العلم يقينا بانعدام الدليل المغير (2).

2- استصحاب الحال لإثبات الحكم ابتداءً، وهو خطأ محض، وهو ضلال محض ممن يتعمّده لأن استصحاب الحال كاسمه، وهو التمسك بالحكم الذي كان ثابتا، إلى أن يقوم الدليل المزيل وفي إثبات الحكم ابتداءً،لا يوجد هذا المعنى، ولا عمل لاستصحاب الحال فيه صورة ولا معنى(3).

إذن، فالسرخسي يرى في الاستصحاب وجوب التمسك بالحكم الذي كان ثابتا إلى أن يقوم الدليل المزيل،ولا يجوز الأخذ بالاستصحاب بداية، قبل تأمل المغير المزيل،أي العذر القائم،بل لا يؤخذ بالاستصحاب إلا إذا انتفى المزيل.

أما أبو الحسن البصري المعتزلي(ت 436هـ) فيرى أن الاستصحاب هو الحكم الثابت لحالة ما ينقل إذا ما تغيرت الحالة ما لم يقم دليل مانع، فيقول: « اعلم أن استصحاب الحال هو أن يكون ثابتا في حالة من الحالات، ثم تتغير الحالة، فيستصحب الإنسان ذلك الحكم بعينه، مع الحالة المتغيرة ومن ادعى تغير الحكم، فعليه إقامة الدليل» (4).

ومن الذين عُنوا باستصحاب الحال أبو إسحاق الشيرازي(476هـ) حيث قسّمه نوعين:

استصحاب حال العقل، واستصحاب حال الإجماع، فقال: « فأما استصحاب حال العقل،فهو الرجوع إلى براءة الذمّة في الأصل وذلك طريق يفزع إليه المجتهد عند عدم أدلة الشرع، ولا ينتقل عنها إلا بدليل شرعي، ينقله عنه إن وجَدَ دليلا من أدلة الشرع انتقل عنه،سواء كان ذلك الدليل نطقا، أو مفهوما، أو نصّا ظاهرا،لأن هذه الحال إنما استصحبها لعدم دليل شرعي، فأيّ دليل ظهر من جهة

---

(1)-أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي-أصول السرخسي-حقق أصوله أبو الوفاء الأفغاني-عنيت بنشره لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد-مطابع دار الكتاب العربي1372هـ- ج2- 223.

(2)-المرجع السابق- ج2- 224.

(3)-المرجع نفسه.

(4)-أبو الحسن البصري-المعتمد في أصول الفقه-قدم له وضبطه الشيخ خليل الميس-دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان- ط1-1403هـ-1983مـ- ج2- 325.

الشرع، حرم عليه استصحاب الحال بعده» (1).

هذا عن استصحاب حال العقل الذي يؤخذ به ما لم يقم عليه دليل شرعيّ مانع.أما استصحاب حال الإجماع، فقد مُنع الأخذ به في موضع الخلاف ومثّل له باستصحاب الإجماع على صحة صلاة المتيمم قبل رؤيته الماء، أي أنّ صلاته جائزة بعد رؤيته الماء ووجود حائل استصحابا لحال جوازها تيمّما في حالة انعدام الماء-غير أنه لم يجوّزه في موضع الخلاف، قال« لا يجوز أن يستصحب حكم الإجماع في موضع الخلاف من غير علة تجمع بينهما»(2)

أمّا إمام الحرمين أبو المعالي عبد المالك بن عبد الله الجويني(478هـ) فيرى دوام الحكم لدوام دليله في الاستصحاب، فقال:« فإذا ثبت حكم متعلق بدليل، ولم يتبدل مورد الحكم، فليس هذا من واقع الاستصحاب، فإن الحكم معتضد بدليل، وهو مستدام، فدام الحكم بدوامه» (3).

والاستصحاب لدى أبي حامد الغزالي(505هـ) يعتبر الأصل الرابع من أصول الفقه المعتد بها بعد الكتاب والسنة والإجماع، وهنا تظهر ملاحظة خطيرة مفادها أنه قدم الاستصحاب على القياس وذلك نظرا لارتكاز الاستصحاب على العقل في الاستدلال، قال: « الأصل الرابع دليل العقل والاستصحاب»(4).

يلاحظ أن الغزالي قد قرن الاستصحاب بالعقل، ولا غرابة في ذلك لأن الاستدلال به عقلي محض تصور ذهني، نقلُ حالةِ أصلٍ إلى حالة أخرى مع الاحتفاظ بالحكم، أي بقاء ما سبق ثبوته، وعدم ما سبق عدمه، فقال: « دل العقل على براءة الذمة عن الواجبات،وانتفاء الأحكام معلوم، بدليل العقل قبل ورود السمع، ونحن على استصحاب ذلك قبل ورود السمع»(5).

ولا يكتفي الغزالي بتوضيح مكانة الاستصحاب في الاستدلال، وإنما يحدّد مفهومه حتى لا يلتبس بغيره، مما يستدل به « الاستصحاب عبارة عن تمسك بدليل عقلي أو شرعي، وليس راجعا إلى عدم

---

(1)-أبو إسحاق الشيرازي-اللمع في أصول الفقه-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان-ط:1- 1405هـ-1985مـ - 123.
(2)-الشيرازي-اللمع في أصول الفقه- 123.
(3)-أبو المعالي عبد المالك بن عبد الله الجويني-البرهان في أصول الفقه-حققه د.عبد العظيم الديب-دار الأنصار- القاهرة- ط2-1400هـ ج2- 1135.
(4)-أبوحامد الغزالي-المستصفى من علم الأصول- 217.
(5)-المرجع السابق- 222.

الدليل، بل إلى دليل، مع العلم بانتفاء المغير عند بذل الجهد في البحث والطلب»(1). وبعد هذا فالغزالي لا يعتبر الاستصحاب حجة إلا «إذا كان هناك دليل على ثبوته ودوامه بشرط عدم المغيِّر كما دلّ على البراءة العقلُ، وعلى الشـَّغل السمعي، وعلى المُلك الشرعي» (2). وقد قسّم الاستصحاب باعتبار المستصحب أربعة أنواع :

- استصحاب البراءة الأصلية: وهو استصحاب حكم العقل بنفي شَغل ذمة المكلف بتكليف ما قبل ورود السمع به(3).

- استصحاب العموم إلى أن يرد تخصيص، واستصحاب النص إلى أن يرد نسخ(4)

- استصحاب حكم دل الشرع على ثبوته ودوامه، كالمُلك عند جريان العقد المملـِّك،وكشغل الذمة عند جريان إتلاف أو التزام« فإن هذا ، وإن لم يكن حكما أصليا فهو حكم شرعي، دلّ الشرع على ثبوته ودوامه جميعا» (5)

أمّا الشريف الجرجاني فقد ربط مفهوم الاستصحاب بما ثبت له بالزمان الثاني، مقارنة له، بل مراعاة بما كان عليه في الزمان الأول. قال: « هو الحكم الذي يثبت في الزمان الثاني،بناءً على الزمان الأول» (6) .

وأمّا الإمام الأسنوي(772هـ) فقد عرّف الاستصحاب بتعريف مشابه لتعريف الجرجاني،حيث ربطه بالزمن، بناء على ثبوته في الزمن الأوّل فقال عنه:« عبارة عن الحكم بثبوت أمر في الزمان الثاني،بناء على ثبوته في الزمان الأوّل ، والسين فيه للطلب على القاعدة، ومعناه أنّ المَناظِر يطلب الآن صحّة ما مضى» (7).

ويضيف الأسنوي تفصيلا للاستصحاب والاستدلال به، وأنّ الأخذ بما يبقى في الزمان الثاني الذي كان في الزمان الأول ، تترتب عنه أمور منها : « ألا تتقرّر معجزة أصلا،لأنها أمر خارق للعادة

---

(1)- أبوحامد الغزالي-المستصفى من علم الأصول - 222.
(2)-المرجع السابق- 222.
(3)-المستصفى-ج1- 218.
(4)-المرجع نفسه-221.
(5)-الغزالي-المستصفى-ج1-221.
(6)-الشريف الجرجاني-كتاب التعريفات- 22.
(7)-جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي-نهاية السول-دار الكتب العلمية بيروت لبنان-ط:1- 1405هـ1984م ج3- 178.

متوقف على استمرارها، واستمرارُها متوقف على أنّ الأصل بقاء ما كان، على ما كان. ألاّ تثبت الأحكام الثابتة في عهد النبوة بالنسبة إلينا، أن يكون الشك في الطلاق كالشك في النكاح»(1).

أمّا البدخشي فقد بيّن صلة الاستصحاب بالاستدلال عند الشافعية فقال: « والشافعية تمسّكوا به في النفي الأصلي، مثل أن يقال فيما اختلف فيه كونه نِصَاباً: لم تكن الزكاة واجبة عليه، والأصل بقاؤه وفي الحكم الشرعي مثل قولهم في الخارج من غير السبيلين، إنه كان قبل الخروج مطهّراً، والأصل بقاؤه حتى يثبت مُعارض، والأصل عدمه» (2).

ويضيف البدخشي مبيِّنا نظرة الأحناف إلى الاستصحاب، حيث لا يأخذون به في الاستدلال فقال: «لا يثبت به حكم شرعي،وإن تمسكوا في النفي الأصلي، وهذا ما يقولونه حجة في الدفع لا في الإثبات، حتى إنّ حياة المفقود بالاستصحاب، يصلح حجة لبقاء ملكه،لا لإثبات الملك له في مال موروثه» (3).

نستنتج من مختلف الأقوال السابقة:أن الاستصحاب عند الفقهاء يقوم على إبقاء الأصل،أي ما كان للحكم في الزمان الأوّل، إذا لم يقم دليل مغيّر، ويعتبر أصلا من أصول الفقه كما هو الحال عند الغزالي، ويفيد به عند الشافعية،ولكن غير معول عليه عند الأحناف. والزمن في نظر الفقهاء يعتبر ضرورة في الأخذ بالاستصحاب، ولا غرابة في ذلك،لأنّ الأمور تتعلق بالشرع وما جاء به القرآن والسنة،والأحكام كونها خطاب الله تعالى لعباده المكلفين، تَلْزمُ أنّ ما ثبت في الزمن الأوّل وجب ثبوته والأخذ به في الزمن الثاني.

وللأخذ بالاستصحاب، لدى الفقهاء شرط ضروريّ يتمثّل في :

عدم وجود الدليل المغير، لما لذلك من تأثير في إصدار الأحكام التي تتعلق بعباده المكلّفين، وما يتطلب منهم فعله أو تركه، وفْقا للشرع . فإذا كان هذا مفهوم الاستصحاب- ولو باقتضاب-عند الفقهاء ودوره في إصدار الأحكام، فما مفهومه عند النحاة؟ وكيف نظروا إليه؟ وهل كان له دور في صياغة القاعدة النحوية؟ ذلك ما أعمل على تبيانه في العنصر المُوالي، بإذن الله.

---

(1)- جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي-نهاية السول -ج3- 178.
(2)-البدخشي-مناهج العقلاء-دار الكتب العلمية بيروت- لبنان- ط:1405هـ- 1984مـ-ج3- 176.
(3)-المرجع السابق-ج3- 176.

- **الاستصحاب عند النحاة، ودوره في التقدير:**

لقد سبقت الإشارة إلى أن ابن جني قد تحدث عن الاستصحاب بلفظ غير لفظه في (باب إقرار الألفاظ على أوضاعها الأوَل، ما لم يَدْعُ داعٍ إلى الترك والتحول) وقد مثل له بقوله: « من ذلك(أو) إنما أصل وصفها أن تكون لأحد الشيئين أنّى كانت، وكيف تصرّفت، فهي عندنا على ذلك،وإن كان بعضهم قد خفي عليه هذا من حالها في بعض الأحوال، حتى دعاه إلى أن نقلها عن أصل بابها وذلك أنّ الفراء قال:إنها قد تأتي بمعنى بل، وأنشد بيت ذي الرمّة:

بدتْ مثلَ قرنِ الشمس في رونق الضحى وصورتها,أو أنت في العين أملحُ

قال (الفراء) : بل أنت أملح» (1).

وفي باب تعليقه عن كلمة(نصف) في بيتِ النابغة القائل:

قالت ألا ليتما هذا الحمامَ ُ لنا إلى حماماتنا أو(نصفـُه) فَقدِ (2)

ذهب إلى اعتبار(أو) بمعنى الواو، قال:« ولعمري أنّ كذا معناه، وكيف لا يكون كذلك؟ ولا بدّ منه وقد كثرت فيه الرواية أيضا بالواو(ونصفه) ولكن يمكن معه أن يبقى الحرف على أصل وضعه،من كون الشك فيه وهو أن يكون تقديره« ليتما هذا الحمام لنا أو هو نصفـُه»(3).

فالذي يهمّنا في هذه الفقرة قوله (أن يبقى الحرف على أصل وضعه) بمعنى أن الحرف قد احتفظ بالأصل الذي كان له في الأول، حتى وهو في وضعٍ ثان،وهذا هو مفهوم الاستصحاب كما سبق ذكره.

وقد تأثـّر النحاة بالفقهاء في أخذهم بمصطلح الاستصحاب ، وهذا يدعمه ما أورده ابن الأنباري وغيره من شواهدَ بِناءً على الاستصحاب، كاستصحاب حال الأصل في الأسماء ، وهو الإعراب واستصحاب الأصل في الأفعال وهو البناء. فهذا تطبيق لما عمل به النحاة، ولدور الاستصحاب في الدرس النحوي. فالأسماء أعربت لتمكنها من الاسمية، ولم تـُشابه الحروف ولا الأفعال فتبنى، ولكن قد يعتري الاسم ما يجعله شبيهاً بالأفعال، أو بالحروف فيعدل عن أصله، إذ لا استصحاب، فيبنى كما هو الشأن بالنسبة إلى أسماء الأفعال، التي لها معنى فعلها، مثل (هيهات) بمعنى بعُد، و(حيّ)

(1)-أبو عثمان ابن جني-الخصائص-ج2- 457/458.
(2)-المرجع السابق-458.
(3)- الخصائص- ج2- 458.

بمعنى أقبلْ،(أفِّ) أتضجّر. أو يداخلها شبه الحروف ، فتبنى أيضا كـ (مَنْ) الشرطية، والاستفهامية والموصولة والضمائر(ت- ك- هـ) لشبهها الوضعي بالحرف، وكالأسماء الموصولة-الشبه الافتقاري- تفتقر إلى غيرها(الصلة) كما يفتقر الحرف إلى غيره.

وكذلك بالنسبة إلى الأفعال التي حكمها البناء، فهو الأصل فيها، ولكن نجد المضارع معرباً فلا يستصحب حال الأفعال (البناء) في هذه الحال، لأن الفعل اعتراه مُعْترٍ، والمتمثّل في مشابهته الأسماء لمجاراته لاسم الفاعل، في الحركات والسكنات، و الدلالة الزمنية (الحال أو الاستقبال) ومن هنا أعْرب وكذا قبوله الجوازم التي بمثابة حروف الجرّ.

أمّا السيوطي، فنراه قد تأثر بما قاله ابن الأنباري، ولم يضف جديدا إلى مفهوم الاستصحاب.

ومن المحدثين الذين عنوا بالاستصحاب محمد أبو زهرة، الذي ذهب إلى أن الاستصحاب «نوعان: استصحاب النفي الأصلي أو العدم الأصلي(براءة الذمّة من التكليف) مثلا: الصبي لا يحاسب ما لم يبلغ الرشد، والمجنون لا يحاسب ما دام فاقدا العقل. فعدم البلوغ والجنون براءة الذمة من التكليف واستصحاب حكم شرعي ثبتَ بالدليل، ولم يقم دليل على تغييره.كما هو الشأن في إرث الكلالة : الأخ يرث أخته ما لم يقم دليل تغيير لوجود وارثٍ ثانٍ »(1).

ومن المحدثين الذين اهتموا بالاستصحاب، الدكتور عبد الرحمن السيِّد في معرض حديثه عن أدلة البصريين ومصادرهم، حيث عرفه بقوله: « أما استصحاب الحال فهو إبقاء اللفظ على ما يدل عليه ظاهره، أو الجري في الاستعمال على ما هو الأصل، ما دام لم يقل دليل على تغيير اللفظ عن هذا الظاهر، أو العدول في الاستعمال عن هذا الأصل» (2).

أما الدكتور تمّام حسان، فهو يرى الاستصحاب صورة مجرّدة لكنها أصلية تُستبقَى في وضع ثان فقال: « ومعنى الاستصحابِ: البقاء على الصورة الأصلية المجرّدة من قبل النحاة، سواء كانت هذه الصورة صورة حرف، أو صورة كلمة، أو صورة جملة، وكلّ صورة من هذه الصور الأصلية المجردة، تسمّى أصل وضع» (3).

---

(1)-محمد أبو زهرة-الجريمة-دار الكتاب العربي-مصر- 218.
(2)-عبد الرحمن السيِّد - المدرسة البصرية- 253.
(3)-تمام حسان- الأصول (مرجع سابق)- 69.

يتبيّن من الأقوال السابقة، أن مفهوم الاستصحاب عند النحاة، تركّز على إبقاء حال اللفظ عمّا كان عليه في الأصل،ما لم يقم مانع، أوداع يصرفه عن حاله الأولى، وأنه قد يكون في الحرف كما يكون في الاسم والفعل، وأنه صورة مجرّدة تُستصحَب من حالة أصل، إلى حالة جديدة. واعْتُبِره دليلا من أدلة الاستدلال، ولكنه لا يرقى إلى درجة الأصل. واستدلّ به الكوفيون على أن (هذا) وأشباهه بمعنى (الذي) لأنه الأصل فيها. جاء في الإنصاف: « ذهب الكوفيون إلى أن(هذا) وما أشبهه من أسماء الإشارة يكون بمعنى (الذي) والأسماء الموصولة، نحو:هذا قال ذاك زيد. أي الذي قال ذاك زيد»(1).

ولكن مع الأخذ بالاستصحاب، اشترط النحاة لذلك شروطا لا بدّ منها:

1- وجود أصل للفظ ما،لأنه هو الذي سيستصحب، فمثلا صيغة (اسْتَفْعل) من الفعل الأجوف الواوي أواليائي (قام، بان) قبل وقوع الإعلال فتُستصحب في المزيد (استقام واستبان) .

2-اعتبار حالتين لهذا الأصل، حال الأصل: الإعلال، ثم الحال الثانية لتعميمها على الوضع الثاني.

3-انتقال ذهني أو لفظي من إحدى الحالتين إلى الأخرى،أي انتقال حالة الأصل إلى الحالة الثانية(اعتبار الأصل هو الإعلال في الفعل الأجوف الواوي واليائي، ثمّ نقله إلى مزيده).

4- إبقاء ما كان للأصل، أو مراعاة له عند هذا الانتقال(وهي صورة ذهنية مجرّدة): كلّ فعل أجوف أعِلّت عينه ماضيا مجرّدا ، تُعَلّ عينه مزيدا، مثل قوَل ، اسْقوَل، استقال.

5-انعدام موجب التغيير أو الإهمال، أي الدّاعي إلى إلغاء الاستصحاب ومثاله: الفعل الأجوف (نام) مزيده بالهمزة والسين والتاء(اِستنْوَمَ) ثم تنقل حركة المعتل إلى الساكن الصحيح قبلها لتصبح (اِستنوْم) (هذا استصحاب لقاعدة ثقل حركة المعتل) لتصبح (اِستنوْمَ) تعلّ الواو ألفاً لمجانسة الفتحة استصحابا، لتصبح (استنام). لكن قد يظهر داع مانع للاستصحاب فلا يؤخذ به، كما هو الحال بالنسبة للفعل استحوذ في قوله تعالى:﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ** ﴾ (2)فلا يقال (استحاذ) حتى لا يلتبس المعنى بـ(حاذ، يحوذ) بمعنى (حوّط). وهنا إبقاء اللفظ على أصله دون إعلال، إذ الأصل ترك الصيغة كما هي دون إعلال ،وكما هو الشأن فيما تُركت عينه دون إعلال لدفع الالتباس نحو عَورَ، وحَولَ، وحَورَ ، فلا يقال: (استعار، واستحال، واستحار) بل يبقى دون

---

(1)-ابن الأنباري-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين - ج2- 236.
(2)- المجادلة/19.

إعلال (استعور، وكذا استحول، واستحور). و«نحو الرّمي والغزو، وذلك أن الواو والياء في الغزو والرمي صحتا ولم تعلا،لأنه لا يوجد فيهما ما يوجب الإعلال، فبقيت صحيحة على الأصل»(1).

وممّا خالف القياس وجاء دون إعلال قولهم: (استنوق الجمل، وأغيلت المرأة على أصل الوضع).

ويبقى الحكم الأصلي لأحد أجناس الكلم في نوع من أنواعه - كالفعل مثلا- فالأصل في الماضي والأمر البناء، وهذا مذهب البصريين، والبناء يعتبر تمسّكا بالأصل.

أما إعراب المضارع فلمشابهته الاسم من أوجه، وكون الأصل في الاسم الإعراب فاستصحب هذا الأصل، وانسحب على المضارع مادام لا وجود لداع مانع. ولكن إن ظهر مانع للإعراب يبنى المضارع بالرجوع إلى أصل الفعل، كاتصاله بإحدى نوني التوكيد اتصالا مباشرا، باعتبارها تباشر الفعل لا الاسم.

ومن ذلك أن الأصل في الأسماء الإعراب، ولكن إذا ما ظهر مانع من الموانع ، صُرف الاسم عن الأصل. من ذلك في حالة مشابهة الاسم الحرفَ سواء أكان شبْها وضعيّاً، مثل الضمائر: التاء المتحرِّكة، والكاف،والهاء، في قولنا(لك- بنا- به) وكأسماء الاستفهام والشرط والجزم(مَنْ) أم كان شبها افتقاريا، أي افتقار الاسم إلى غيره ليتم معناه كالأسماء الموصولة. ففي هذه الحال يستصحب حال بناء الحروف للأسماء لمشابهتها إياها كما مرّ بنا،ولكن قد يعارض الاسم الشبه بالحروف ما يقتضي بناءه فيبقى معربا كما هو الحال في (أي) نظراً لمجيئها مضافة فزال إبهامها وشبهها بالحرف، ولذا قالوا: « لو عارض شِبْهَ الحرف ما يقتضي الإعراب استصحب»(2) أي استصحب الإعراب وأبقى على الحكم بإعرابها. ومن ذلك إبقاء اللفظ على نوعه الأصلي عند النظر في اندراجه تحت أحد أنواع جنسه ، وذلك كالاستدلال على اسمية كلمة مُختَلف في نوعها، تكون الاسمية هي الأصل فيها. ففي هذه الحال، يحكم باسميتها إبقاءً لها على نوعها الأصلي. وقد استغلّ هذا أبو البقاء العكبري وابن الأنباري للاستدلال على اسمية (كيف) ومن ذلك إبقاء اللفظ على صورته، أو معناه ، عند انتقاله من حالة إلى أخرى، بمعنى محافظته على ما كان عليه دون تغيير ومثاله فعلية (الآن) عند بعضهم، إذ الأصل عندهم (آن) أي حان يحين، ولما انتقل من الفعل إلى

(1)-تمام حسّان- الأصول- 99.
(2)- المرجع السابق.

الاسم ،تمّ إبقاء حكم أصل اللفظ عند انتقاله من حالة إلى أخرى. ومثال ذلك عدم تقدّم الفاعل على فعله عند البصريين، وجمهور النحاة(1) حتى لا يتحوّل إلى مبتدإ. واستصحب هذا الأصل في أسماء الأفعال، إذ لا يتقدم عليها فاعلوها، فهنا أبقي حكم أصل اللفظ.

وللاستصحاب حالات فيما يخص وجود النقل على الأصل، وعدم وجوده، وهي الاستصحاب مع وجود دليل عليه، أو عدم وجود ه . فالقاعدة: أن ما جاء على أصله، لا يحتاج إلى علة ودليل، قال الزجاجي: « كلّ فعل رأيته مبنياً، فهو عن أصله لا سؤال فيه» (2)

وقال ابن جني: « اعلم أن ما جاء على أصله فلا كلام فيه» (3). ونقل السيوطي عن أبي بكر محمد بن مالك النحوي قوله: « الشيء إذا جاء على أصله، ولم يمنعه مانع، فلا سؤال فيه، ولا يحتاج إلى تعليل» (4).

إذن، ممّا جاء على أصله، ولم يؤخذ به في الاستصحاب متعدِّد،أغلبه يخصّ الجانب الصرفي، ومع كونه أصلا ناقض القاعدة في عدم الأخذ به ، وفي احتياجه إلى تعليل،من ذلك قولهم: استحوذ وأغيلت المرأة. فعلّل ابن جني ذلك بقوله: « وقد ذكرت العلة في أن خرَجَ بعض المعتل على أصله وإنما جعل شبيها على باقي المعتل، واقتصارهم على تصحيح استحوذ، وأغيلت، دون الإعلال، ممّا يؤكد اهتمامهم بإخراج ضَرْبٍ من المعتلّ على أصله ، وأنه إنما جُعِل شبيهاً على الباقي، ومحافظة على إبانة الأصول المغيّرة، وفي هذا ضرْبٌ من الحكمة في هذه اللغة العربية» (5).

وفيما جاء على الأصل ولا يقاس عليه رغم أصليته لفظا(القصوى والدنيا) قال ابن يعيش: « وقد شذ القصوى،وكان القياس القصيا، كما قالوا الدنيا،ولا ينكر أن يشذ من هذا شيء، لأن أصله الصفة

---

(1)-جلال الدين السيوطي-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع- -ج2- 136- ينظر شرح السهيل لابن مالك-ج2- 220.
(2)-الزجاجي أبو القاسم- الإيضاح في علل النحو- ط1-1394هـ/1974- 77-
(3)-ابن جني-المنصف-ج2- 163.
(4)-السيوطي-الأشباه والنظائر-ج1-273. .
(5)ابن جني-المنصف-ج1- 277.

فجاز أن يخرُجَ بعضُ ذلك عن الأصل، فيكون مَنْبهةً على أن أصله الصفة» (1)

ومعنى هذا، أنهم أحيانا يعللون ما هو أصل لما شذ، تنبيها على عدم تأثير مقتضى الخروج على الأصل،لا تقليلا لمجيئه على الأصل نفسه.

بعد هذا يواجهنا سؤال هام، مفاده: هل يؤخذ بالاستصحاب في كل حال؟ وهل يعتدّ به دوما؟ فالنحاة اشترطوا وجود انعدام دليل العدول عن الأصل، حتى يصحّ الاستصحاب .

قال ابن الأنباري « واستصحاب الحال من أضعف الأدلة، ولهذا لا يجوز التمسك به ما وجد هناك دليل البناء من شبه الحرف،أو تضمن معناه ، وكذلك لا يجوز التمسك به في بناء الفعل مع وجود دليل الإعراب من مضارعته الاسم، وعلى هذا قياس ما جاء من هذا النحو» (2)

والخلاصة أنّ الاستصحاب -إن كان أحد عناصر الاستدلال- فهو بابٌ من أبواب التخريجات النحوية التي يلجأ إليها النحاة لإيجاد مسوّغ لحالة إعرابية وأوضاع تركيبية ، لو أخذت على الظاهر لبدا مخالفتها لكلام العرب ، وأنها خارجة على القوانين التي سنّها النحاة.

فكان الاستصحاب ينْقل الأصل إلى وضع ثانٍ اعتبُر كالأصل، فيتيح للنحاة مجالاً ليخرّجوا وفقه أوضاع الكلم ، كما هو الشأن بالنسبة إلى استصحاب حال الأفعال المتعدِّية وأسمائها، واستصحاب حال الأفعال المعتلّة المجرّدة في حالة الزيادة، فيكون الإعلال ، واستصحاب حال حروف المعاني كالجرّ والجزم، والعطف ، وكلّ ذلك كان باعثا على التقدير، لأنّ الاستصحاب أحد عناصر الاستدلال كما سبق ذكره، فإذا أردنا الرجوع إلى أصل الوضع قدّرنا . كالأصل في تقديم حروف العطف على الهمزة الاستفهامية ، ولكن الأصل في الاستفهام بها الصدارة، فاستصحب هذا في الآيات الكريمة الآتية:﴿ **أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾(3) وكذا﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا**﴾(4) و﴿**أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ**﴾ (5)

فقدِّمت هنا على حرف العطف استصحابا لأصالة تقدّمها مع غيرها في غير هذا الموضع.

(1)-ابن يعيش-شرح المفصل-طبعة عالم الكتب- مكتبة المتنبي- القاهرة- 1978- ج10- ص112.
(2)- ابن الأنباري- لمع الأدلة- 141.
(3)-البقرة/ 44-76-
(4)-الروم/ 9.
(5)- يونس/ 51.

المبحث الرابع : دور العامل في التقدير:

نظرية العامل: هذه النظرية التي على أساسها قام النحو العربي، إذ لابدّ من وجود عامل لكل معمول، حتى وإن حذف العامل بقي أثره. إذ تعتبر من القضايا النحوية الفعّالة في الدِّراسة اللغوية العربية، التي شغلت النحاة كثيرًا، وانبنى عليها الدرس النحوي.

ومصطلح العامل مصطلح نحوي بحت، كما يؤكد ذلك الباحثون« يعتبر العامل واحدا من المصطلحات النحوية الأصيلة التي ظهرت في المراحل الباكرة من الدرس النحوي عند العرب»(1).

وقد عرّفه الشريف الجرجاني بقوله:« ما أوجب كونَ آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب» (2)- أي ما يحدثه العامل من أثر في المعمول.

وعرّفه ابن الحاجب بقوله:« ما به يتقوّم المعنى لمقتضى الإعراب»(3).

والاهتمام بالعامل نجده عند النحاة الأُوَّل لما له من تأثير في تحديد أوجه الإعراب. وهذا سيبويه يتحدّث في بداية كتابه عن تأثير العامل في معموله:« وإنما ذكرت لك ثمانية مجار،لأفرِّق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه، ويُبنى ما يُبنى عليه بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث فيه ذلك من العوامل التي لكل عامل منها ضرْبٌ من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب» (4).

فها هو سيبويه يتحدّث عن العامل وما يحدثه في المعمول، وما ينجم عنه من ظواهر إعرابية-مجار- نصب- رفع- جرّ- جزم، وما يقابلها من فتح- وضمّ- وكسر- وبناء على السكون-فالعامل عنده الأساس في تغيير حركات الإعراب التي تعتري أواخر الكلم.

كما هو الأساس في الحذف(حذف آخر الفعل المعتل المجزوم- حذف نون الأفعال الخمسة).والمتأمِّل في الكتاب يلحظ أنه قائم على أساس نظرية العامل التي أنشأ أسسها أستاذه الخليل بن أحمد.

---

(1)- محمود سليمان الياقوت- التقدير النحوي- 51.
(2)- الشريف علي بن محمد الجرجاني- التعريفات- 145.
(3)- ابن الحاجب- شرح الكافية للاستراباذي- دار الكتب العلمية- د ت- ج1- 21.
(4)- سيبويه- الكتاب- ج1- 12.

وقسّمت العوامل إلى معنوية ولفظية، كما قسّموها حسب أجناسها إلى أفعال وحروف وأسماء. فالفعل هو العامل في الأصل، في رفع الفاعل ونصب المفعول، وينوب عنه شبْهه (اسم الفعل واسم الفاعل) ومصدره. والحروف عاملة في الأسماء جرّاً ونصبا، كما تعمل في المضارع جزما. أمّا الأسماء العاملة منها ما كان شبها للأفعال (كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبّهة واسم التفضيل) كما يمكن أن يكون الاسم العامل جامداً كالمصادر، وأسماء الأفعال، وصاحب الحال المميّز، كما جاء في قول سيبويه :« أنت الرّجل عِلماً- عمل الرجل في العلم، والعلم منتصب لأنه ليس من جنس الرجل، ولا هو الرجل نفسه، كما عَمِلَ عشرون في الدرهم حين قلت (عشرون درهما) لأن الدرهم ليس من اسم العشرين ولا هو هي»(1).

كما قُسِّم العامل إلى قياسي ، وهو« ما صحّ أن يقال فيه: كل ما كان كذا، فإنه يعمل كذا، كقولنا غلام زيد، لما رأيت أثر الأول في الثاني،وعُرِّفت عليه، قِسْت عليه ضرْب زيدٍ، وثوْب بَكر» (2) ويقصد هنا عملُ الاسم المُضافِ الجرَّ في المضاف إليه، فالإضافة جالبة للكسرة.

وسماعي، وهو ما صحّ أن يقال فيه: هذا يعمل كذا، وهذا يعمل كذا، وليس لك أن تتجاوز، كقولنا إنّ الباء تجرّ ولم تجزم، وغيرهما»(3) وكان يقصد بقوله الثاني العوامل المختصة، فالجوازم خاصة بالمضارع، والأحرف المشبّهة بالفعل، خاصّة بعمل النصب في الاسم ورفع الخبر،إلا ما جاء لغة في نصبها الاسم والخبر، وكالأفعال الناقصة المختصة برفع الاسم ونصب الخبر.

أما العامل المعنوي:« فهو الذي لا يكون للسان فيه حظ، وإنما هو معنى يُعرف بالقلب» (4) ومثال ذلك الابتداء الذي هو عامل معنوي للمبتدأ.

فالعامل إذن، ضروري لتحديد الوظيفة الإعرابية، ولولاه لتعذر في أحايين كثيرة مَعرفَةُ وظيفة الكلمة، فإذا قلنا: حيّ زيدٌ غلامَ عمرٍو، وأردنا الفاعلية أوجب رفع آخر(زيد) وفتح آخر (غلام).

ولكن هناك من يعوّل على الرتبة،غير أنّها محدودة المواضع، يتحجّج بها في مواطن ضيقه ليس إلا. وذلك إذ تساوى المبتدأ والخبر رتبة، تعريفا وتنكيرا كقولنا :(أخي صديقي) و(أكبر منك أكبر مني)

---

(1)- سيبويه- الكتاب- ج1-334.
(2)- الشريف الجرجاني- كتاب التعريفات- 146/145.
(3)- المرجع نفسه.
(4)-المرجع السابق- 146.

فالمعوّل عليه هنا الرتبة.

وكما هو الشأن بالنسبة إلى الفاعل والمفعول المقصوريْن إذا انتفت القرينة نحو(شكر موسى عيسى) و(حيَّت سلمى ليلى) كان الأوّل هو المبتدأ والثاني خبراً.

ونظرا لأهمّية دور العامل في تأسيس النحو العربي، فقد أولاه النحاة عناية خاصّة فمند أبي الأسود الدّؤلي الذي وضع الحركات نقاطاً، ولم يتأت له ذلك- حسب ظني- إلا مراعاة لنظرية العامل خاصة عند وجود اختلافات في القراءات. وهذا ما حدا بالزبيدي إلى أن يعتبره أوّلَ من أصّل النحو هو وجماعة النحاة الأوائل. قال:« أوّل من أصل النحو، وأعمل فِكره فيه، أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، فوضعوا للنحو أبوابا، وأصّلوا له أصولا، فذكروا عوامل الرفع، والنصب والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول، والتعجب والمضاف»(1). وقوله: « فذكروا عوامل الرفع والنصب والجزم» يشير إلى دور أبي الأسود وأضرابه في إرساء أسس العوامل التي انطلق منها النحاة الذين جاؤوا بعده.

يُضاف إلى جهود النحاة السالفي الذكر، ما قام به عبد الله بن إسحق الحضرمي في مجال القياس وتحقيق دعائم العلل. وإن كان ما وصلنا عنه من أخبار لا تشبع نهم الباحث لمعرفة كل ما قام به من أعمال في مجال الدراسة النحوية، بَيْد أن ما نقله عنه ابن سلام يبرز مكانة الرجل، ودوره في تقعيد النحو، وقد سبقت الإشارة إليه.

ولعلّ ما نقله الرّواة من قصته مع الفرزدق، وما خطأه فيه في بعض شعره، لدليل على أنه كان يولي العوامل اهتماما كبيرا، ذلك حين سأل الفرزدقَ عن علة رفعهِ كلمةَ (مجلـّف) في قوله:

وعَضّ زمان يا بْن مروان لم يدَعْ   من المال إلا مسحتا، أو مُجلـّفُ (2)

فردّ الفرزدق «على ما يسوؤك و ينوؤك »(3) وهجاه بالبيت التالي:

فلو كان عبدُ الله موْلىً هجوته   ولكنّ عبد الله مولىَ مواليـا.

---

(1)- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي- طبقات النحويين واللغويين- 2.
(2)- الفرزدق- ديوان الفرزدق- من شواهد الكتاب- ج3- 313.
(3)- محمد بن سلام الجمحي- طبقات فحول الشعراء - 14.

فما كاد عبد الله ابن إسحاق يسمع هذا البيت حتى قال له: أخطأت، إنما هو« موْلىَ موالٍ » (1) على الإضافة، مع حذف ياء المنقوص النكرة.وإن كان الإسفراييني يُجيز إثبات الياء باعتبار الاسم ممنوعا من الصرف، على وزن (ضوارب) (2)

ولكن إذا ذكِرَتْ العوامل ذكر الخليل بن أحمد، فهو الذي ثبّت أصول نظريتها، ومدّ فروعها وأحكمها إحكاما، بحيث أخذت صورتها تثبت على مر العصور(3) وأخذ بها النحاة فيما بعد ذلك ما نستشفه من كتاب تلميذه سيبويه الذي كثيرا ما نجده يشير إلى أنّ الخليل قال برفع كذا، أو نصبه أو جرِّه ، أو عن العامل و أنواعه، حروفا وأفعالا، وأنّ بعض الحروف تعمل عمل الأفعال لشبهها بها ممّا يؤكد بأنّ الخليل مؤسِّس نظرية العامل بحق. من ذلك ما قاله سيبويه وهو يتحدث عن عمل الأحرف المشبّهة بالفعل: « زعم الخليل أن هذه الحروف عملت عملين: الرفع والنصب، كما عملت كان الرّفع والنصب حين قلت (كان أخاك زيد) إلا أنه ليس لك أن تقول (كأنّ أخوك عبدَ الله) تريد: كأنّ عبدَ الله أخوك،لأنها لا تتصرّف تصرّف الأفعال، ولا يضمر فيها المرفوع» (4). كما نجد في مواطن كثيرة من الكتاب يذكر رأي الخليل في العوامل وأنواعها، وعملها وإهمالها، كما هو الشأن عند الحديث عن إهمال(إنّ وأخواتها) إذا دخلت عليها (ما) الكافة. قال:« فأمّا إنما لا تكون اسما وإنما هي فيما زعم الخليل، بمنزلة فعل مُلغى، مثل: أشهدُ لَزيدٌ خيرٌ منك، لأنها لا تعمل فيما بعدها ولا تكون إلا مبتدأة بمنزلة إذا، لا تعمل في شيء » (5).

والعوامل عند الخليل تعمل ظاهرة ومحذوفة، لفظية ومعنوية، وهذا ما يلاحظ من خلال ما أورده تلميذه سيبويه. كما تطرّق إلى المعمولات، وما يعتريها، بفضل العامل وما يصيبها من حذف، أو بقاء مع حذف عاملها. قال سيبويه: « روى الخليل أنّ ناسا يقولون (إنّ بك زيد مأخوذ) وقال: هذا على قوله (إنه بك زيد مأخوذ) وشبّهَهُ بما يجوز في الشعر نحو قول ابن صريم :

ويوم توافينا بوجه مقسّم　　كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارفِ السّلَم.

---

(1)- شوقي ضيف- المدارس النحوية- دار المعارف- ط4- د ت- 24.
(2)- تاج الدين الإسرافييني – لباب الإعراب- تح: بهاء الدين- دار الرّفاعي- الرياض- ط1- 1405هـ/ 1958- 215.
(3)- شوقي ضيف- المدارس النحوية- 34.
(3)- سيبويه- الكتاب- ج2- 131.
(4)- المرجع السابق-ج3-130.

فإنّ هذا على إضمار الهاء» (1) أي حذف ضمير الشأن(إنه).

يضاف إلى دور الخليل في صناعة نظرية العامل وما يتصل بها، كثرة تخريجاته لِمَا يصطدم بالقواعد، وما يتعارض وظاهرَ القاعدة النحوية، حيث يدلي بوجوه مختلفة من الإعراب ويبدي تعليلات تنمّ عن فكر ثاقب، وبصيرة نفـّاذة، حتى ليتراءى للقارئ أنّه ابتدع أصول النحو ابتداعاً وأنشأ فلسفته إنشاء، مؤسّسا على العقل والمنطق، فكان يكثر من الاحتمالات في وجوه الإعراب ويتوسّع في التخريج والتأويل حين تعترض طريقه أمورٌ معقـّدة « وهو في تضاعيف ذلك يحلل الكلام تحليلا يعينه على ما يريد من توجيه الإعراب، ومن التأويل والتفسير» (2).

وما قيل عن الخليل ينسحب على تلميذه سيبويه، وإن كان قد أفاد من آراء أستاذه وجهوده. وكثرة استشهاداته تدل على شدة تأثره به، فكلا الرجلين أولى العامل العناية الكبيرة، لِمَا له من شأن عظيم في إرساء دعائم الدرس النحوي، فلكلّ حدث حادث، ولكلّ معمول عامل، والعوامل أنواع،ولها مراتب، فالفعل أصل في العمل، يرفع الفاعل وينصب المفعول. وينوب عنه شبهه.

والحروف عاملة غير معمولة، وخاصّة (حروف الجرّ والجوازم) وعامّة(لا- ما) النافيتان تدخل على الأسماء والأفعال.

والأسماء معمولة، وأحيانا تكون عاملة (المشتقات) لشبهها بالأفعال وأحيانا عاملة فقط (اسم الفعل).

والمعمولات زمر، مرفوعات،ومنصوبات، ومجرورات. وهكذا يتبيّن أن لا فوضى في النحو، وأنّ للدرس النحوي أصولا تحكمه، وأسسا يقوم عليها. ولكلّ علة معلول وسبب وغاية.

ولست بصدد دراسة نظرية العامل، لذاتها، وإنما لأشير إلى أنّ النحاة الأوائل نظـّروا للدرس النحوي ولم يتركوه للأهواء والمصادفات، وحدّدوا الصلة بين العامل والمعمول، وبين البناء والإعراب، وبين الأثر الذي يحدثه العامل، ومعنى الإعراب، ثم يتناولون أصلية وفرعية الأسماء والأفعال، فإذا كان الإعراب أصلا في الأسماء،فإنّ العمل أصل في الأفعال، وإذا عملت أسماء فلعلـّة، أي مضارعاتها للأفعال، كأسماء الأفعال، مثلا. إنما أعملوا اِسم الفاعل لمّا ضارع الفعل وصار الفعل سببا له، ومشاركه في المعنى. كما أعربوا الفعل المضارع لمّا ضارع الاسم.

---

(1)- سيبويه- الكتاب- ج2- 134.
(2)- شوقي ضيف- المدارس النحوية- 45.

فكما أعربوا هذا،أعملوا ذاك. قال ابن السراج :« وقد بيّنا أن الفعل المضارع أعرب لمضارعته الاسم، إذ كان أصل الإعراب للأسماء، وأن اسم الفاعل أعمل بمضارعته الفعل، إذ كان أصل الإعمال للأفعال، وأصل الإعراب للأسماء» (1).

فإذا كان النحاة قد قالوا بالعوامل النحوية، وقسّموها إلى لفظية ومعنوية، وعدّوها أساس العمل النحوي، فإنّ هناك من بين النحاة مَنْ أنكرها، وقال ببطلانها، وإنها من اختلاق النحاة أنفسهم . ومن هؤلاء **ابن مضاء القرطبي**(ت592هـ)الذي ألف كتابه (الردّ على النحاة) حيث هاجم فيه العامل وما يترتب عليه من عمل وتقديرات، وبيّن في مؤلفه علة تأليف كتابه المشار إليه بقوله:« قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحو عنه، وأنبه على الخطإ فيه، فمن ذلك ادِّعاؤهم أنّ النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل، وأنّ الرفع منها يكون بعامل لفظي، وبعامل معنوي وعبّروا بذلك بعبارات توهِم في قولنا(ضرب زيد عمرا) أنّ الرفع الذي في (زيد) والنصب الذي في (عمرو) إنما أحدثه (ضَرَبَ) ألا ترى أن سيبويه- رحمه الله- قال في صدر كتابه : إنما ذكرت لك ثمانية مجار،لأفرِّق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لِمَا يحدثه فيه العامل،وليس شيء وهو يزول عنه، وبين ما يُبنى عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه، فظاهر ذلك أنّ العامل للإعراب وذلك بيّن الفساد»(2).

هذا النص- على طوله- يكشف لنا أنّ ابن مضاء حدّد لنا هدف تأليف كتابه والمتمثل-حسبه-في تصويب أخطاء النحاة، التي منها قولهم بأنّ الإعراب هو نتيجة العامل، لفظيا كان أو معنويا. فهذا-لديه- زعم باطل، واعتقاد فاسد، كان الدافعُ الذي حمل على الوقوع فيه التوهّمَ والانخداعَ بظاهر قول سيبويه أو خلافه، وأنّ العامل الحقيقي-عند ابن مضاء- هو المتكلم ذاته، فهو الذي ينوي الرّفع أو النصب ،حسب أغراض الكلام. ورأى ابن مضاء خلاف ما يراه سيبويه مستدلا برأي ابن جني في العمل حين قال : « ...وأمّا في الحقيقة، ومحصول الحديث فالعمل من الرّفع، والنصب، والجرّ

---

(1)- ابن السراج-الأصول في النحو- ج 1- 123

(2)- ابن مضاء القرطبي- الردّ على النحاة- تحقيق الدكتور شوقي ضيف- مطبعة دار المعارف-ط2-1982م-87-86

والجزم، إنما هو المتكلم نفسه لا لشيء غيره»(1). ويواصل ابن مضاء مدافعا عن رأيه معلقا على رأي ابن جني السابق فقال: « فأكّد المتكلم بنفسه ليرفع الاحتمال، ثم زاد تأكيدا بقوله لا لشيء غيره»(2). والمُلاحظ أنّ ابن جني لا ينكر وجود العوامل البتة، كما هو الشأن عند ابن مضاء، وكما توهم، وإنما يردّ أصلية العوامل إلى المتكلم ذاته،وهذا منطقي، فالمتكلم-انطلاقا من أغراض الكلام-هو الذي يحدث العبارة، ويؤلّف عناصر الكلام،ويحدّد نوع العبارة إخبارا أو إنشاء، ويركّب الجمل، اسمية أو فعلية حسب المقاصد. ولكنّ هذا المتكلم يغرف من نظام نحوي سابق، موجود قبل الحديث، ليس للفرد اختيار في رفضه، كما لم يكن له دور في إيجاده أصلا، هذا النظام الذي ليس للفرد إلا أن يمتح منه حسب الأغراض والمقاصد والمقام.

لكنّ ابن مضاء ينفي دور العامل، بل ينكر وجوده بتاتا، وينفي أن يكون اللفظ عاملا في غيره فقال:«...وأمّا القول بأنّ الألفاظ يحدث بعضها بعضا، فباطل عقلا وشرعا،لا يقول به أحد من العقلاء، لمعان يطول ذكرها, فيما المقصد إيجازه، منها: أنّ شروط الفاعل أن يكون موجودا حينما يفعل فعله، ولا يحدث الإعراب فيما يحدث فيه إلا بعد عدم العامل، فلا ينتصب زيد بعد (إنّ) في قولنا:(إن زيدا) إلا بعد عدم (إنّ) فإن قيل: بم يُردّ على من يعتقد أنّ معاني هذه الألفاظ هي العاملة؟ قيل: العامل عند القائلين به، إمّا يفعل بإرادة كالحيوان، و إمّا أن يفعل بالطبع كما تحرق النار، ويبرد الماء، ولا فاعل إلا الله تعالى، وأمّا العوامل النحوية فلم يقل بها عاقل،لا ألفاظها ولا معانيها،لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع لها» (3).لا شك أنّ ابن مضاء قد انطلق في أفكاره عن نظرية العامل ودورها في النحو العربي، من مذهبه الظاهريّ، إذ لا تأويل لديه، فهو عمل على هدم العامل، وناقض جمهور النحاة،واعتبر جماعتهم غير حجة، ورفضُه العاملَ أدّى به إلى رفضه القول بالتقدير، إذ لا تقدير ما دام أن لا عامل.

ولكنّ هروبه من العامل أوقعه فيما نادى ببطلانه، فقد استعمل بدل العامل مصطلح التعليق، ولا يقصد به تعليق عمل (ظن وأخواتها) لوجود مُعلّق، ولكن يقصد به العامل. قال في معرض حديثه

---

(1)-المرجع السابق- الصفحة نفسها.
(2)- يُلاحظ أن ابن مضاء قد حذف من نص ابن جني الأصلي وذلك لدعم رأيه في هدم العامل(النص موجود في الخصائص-ج1-ص109(باب في مقاييس العربية).
(3)-ابن مضاء-الردّ على النحاة- 87- 88.

عن الفاعلين والمفعولين:« فأنا في هذا الباب لا أخالف النحويين إلا في أن أقول:علّقتْ ولا أقول أعْملتْ ، والتعليق يستعمله النحويون في المجرورات، وأنا أستعمله في المجرورات والفاعلين والمفعولين»(1). والتعليق في المجرورات يقصد به جرّ الاسم متى دخل عليه أحد حروف الجرّ، أو الجرّ بالإضافة. وفي باب الفاعلين، والمفعولين، فبدل أن يقول:(رفع الفعلُ الفاعلَ ونصب المفعول) يقول(علّق الفعل الفاعل) فالمضمون نفسه، ولكنّ اللفظ مختلف.

هذا عن رأي ابن مضاء في العامل وما يتعلق به، والذي لم يجد له صدى في أوساط النحاة آنذاك خاصة وأنّ النحاة كانوا متأثرين برأي سيبويه، حتى في الأندلس نفسها موطن ابن مضاء، كالأعلم الشنتمري، صاحب كتاب (النكت في شرح كتاب سيبويه).

ومن المحدثين الذين دعوا إلى إلغاء نظرية العامل الأستاذ إبراهيم مصطفى، وذلك في معرض حديثه عن حركات الإعراب ودلالتها في كتابه (إحياء النحو) وعلة دعوته تلك تعود إلى كونه قد تبرّم ممّا في النحو من قواعد، وتخريجات أفضت به-حسب رأيه-إلى تعقيدات شتّتتْ الدرس النحوي، وصعّبت دراسته على الدارسين.

قال في معرض حديثه عن الحركات: « ...الحركة الأولى الضمّة، وهي علم الإسناد، ودليل أنّ الكلمة المرفوعة يراد بها أن يسند إليها، ويتحدث عنها، والثانية الكسرة، وهي علم الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها،سواء كان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة، كما في (كتاب محمد) ولا تخرج الضمة ولا الكسرة عن هذه الدلالة على ما أشرت إليه، إلا أن يكون ذلك في بناء أو في نوع من الإتباع. أمّا الفتحة، فليست علامة إعراب، ولا دلالة على شيء،بل هي الحركة الحقيقية المُستحبّة عند العرب، يُراد أن تنتهي بها الكلمة، فلمّا أمكن ذلك فهي بمثابة السكون»(2). فهو هنا يحدّد علامة الإسناد التي هي الضمّة، وعلامة الإضافة وهي الكسرة بينما يُخرج الفتحة من العلامة ويجعلها كالسكون، أي يوقَف عليها، لأن العرب تستحسنها لخفتها. فهو يتحدث عن علامات الإعراب الناتجة عن العوامل، ولكن لا يفصح بالعامل بل يجعل الضمة والكسرة علامة،ثم بعد هذا يتحوّل إلى الردِّ على القائلين بالتقدير تخريجا له حين يتعذر تحديد العامل، ويعتبر آراءهم وتخريجاتهم تمحلا واضطرارا، بل وتكلفا ليتماشى وزعمهم واطراد قواعدهم، وبأنهم «...اضطروا

---

(1)- ابن مضاء-الرد على النحاة - 107.
(2)-إبراهيم مصطفى-إحياء النحو-لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة-1937-ص 50.

في سبيل تسوية مذاهبهم، وطرد قواعدهم إلى التقدير، وأكثروا منه..يبحثون عن العامل في الجملة فلا يجدونه، فيمدّهم التقدير بما أرادوا» (1) ونراه يعطي شواهد يَدعَم بها رأيه فيما ذهب إليه من تقديرات النحاة القدماء عن العامل، وتسويغاً للقاعدة. ومن الأمثلة والشواهد التي أوردها قولهم: (زيدا رأيته يقولون: رأيت زيدا رأيته).

وفي الآية الكريمة:(**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ**) (2) فالتقدير (إن استجارك أحد من المشركين استجارك). وفي قوله تعالى: (**لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي**)(3) تقديره (قلْ: لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) وفي قوله تعالى:(**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**)(4) فالتقدير (وأمّا ثمود فهدينا فهديناهم).

ثمّ نراه يعلّق على تلك الشواهد وغيرها بقوله:« كلمات تُجتلَب لتصحّح الإعراب، ولتكملَ نظرية العامل، ويسمِّي النحاة هذا النوع من التقدير بالتقدير الصناعي، وهو ما يراد به تسوية صناعة الإعراب»(5).

ومن هذه التقديرات وأضرابها ينطلق الدكتور إبراهيم مصطفى ليهاجم القدماء ويطعن في تخريجاتهم التي يراها تكلفا، كتسويغ نظرية العامل، ولا وجود لها في الأصل النحوي. قال: «وأكثروا من أوجه الكلام، ومن احتماله لأنواع من الإعراب، يقدِّرون العامل رافعا فيرفعون ويقدِّرونه ناصبا فينصبون،لا يرون أنهم يتبعون ذلك اختلافا في المعنى ولا تبديل في المفهوم»(6). ولكن وإن كان إبراهيم مصطفى قد أثار قضيّة كثرة التخريجات النحوية، والتأويلات التي عقّدت النحو، وصعّبته على الدّارسين، خاصّة المبتدئين إلا أنّه – حسب ظنّي- لم يكنْ مُحقاً في كلِّ ما ذهب إليه، لأنّ التقديرات لم تكن وليدة متأخري النحاة، بل قال بها أوائلهم من المدرستين، وحتى المفسِّرون من أمثال الفرّاء والأخفش والمبرّد وابن خالويه.

---

(1)- إبراهيم مصطفى-إحياء النحو- 34/ 35.
(2)- التوبة/ 6.
(3)- الإسراء/ 100.
(4)- فصلت/ 17.
(5)-إبراهيم مصطفى- إحياء النحو- 35/34.
(6)- المرجع السابق- 36.

ومن الباحثين المحدثين أضراب إبراهيم مصطفى الذين أهملوا نظرية العامل، ومن ورائها هاجموا التقدير، الدكتور شوقي ضيف، وذلك في كتابه (تجديد النحو)الذي دعا من خلاله إلى حذف أبواب كثيرة في النحو، ودمج أبواب في أخرى بحجّة تسهيل الدرس النحوي، وتنسيق موضوعاته . وهو هنا يظهر تأثّره بدعوة ابن مضاء القرطبي جليا. قال معللا سبب إقدامه على ذلك: «...إعادة تنسيق أبواب النحو، بحيث يستغني عن طائفة منها، بردّ أمثلتها إلى الأبواب الباقية حتى لا يتشتت فكر الدارس في كثرة من الأبواب،توهن قواه العقلية، استضأت فيه بجوانب من آراء ابن مضاء في كتابه...وهو إلغاء الإعراب التقديري»(1)

ويحاول شوقي ضيف مرّة أخرى إعطاء مبرِّر لفكرته في حذف العديد من أبواب النحو فيقول: «فحذف زوائد كثيرة في أبواب النحو بغرض فيه، دون حاجة»(2). يظهر ممّا ساقه،أنه محاولة لتخفيف النحو مما أثقل كاهله مما لا لزوم لها- حسب رأي المؤلف- ولا يفيد إعرابه في تقويم الألسن.

وإن كانت دعوة شوقي ضيف إلى تجديد النحو عامّة شملت حذف أبواب يرى أنه لا جدوى من وجودها، وأنّ بتقليصها يسهل الدرس النحوي، فإنه من خلال ذلك هاجم الإعراب التقديري برمته «وقد رأيت ابن مضاء يهاجم نظرية العامل في النحو،وكل ما اتصل بها من كثرة التقدير للعوامل المحذوفة، وكثرة العلل والأقيسة، ممّا أحاله إلى ما يشبه شِباكا معقدة وكلما تخلصت دراسة من إحدى شباكه تعثـّر في أخرى، فضلا عن شباك التمارين الافتراضية»(3).

فقد أبدى الدكتور شوقي ضيف ما رآه مناسباً لتسهيل النحو، فاقترح حذوفا، ودمج أبواب في أخرى، والتخلي عن أبواب، إلى غير ذلك ممّا يُعدّ في نظره خدمة للنحو، ولكن لم يكتب لآرائه أن تتحقق. وهو نفسه يصرح بهذا :« ألـّفت بعد الثورة كتب النحو التعليمي،على ضوء صورة التـّيسير - التي أقرّها المجمع-غير أنه لم يكتب لها النجاح»(4).

وإن كان لابد من التعليق على جهود شوقي ضيف في تيسير النحو،فإنه كان محقا في تيسير محاولته تخفيفاً للتعقيدات النحوية، وكثرة التخريجات التي أثقلت كاهل الدرس النحوي، ولكن دعوته إلى

(1)- شوقي ضيف- تجديد النحو- دار المعارف- القاهرة- ط2- د ت- 43.
(2)- المرجع السابق- 5.
(3)-المرجع السابق- 3.
(4)- المرجع السابق- الصفحة نفسها.

حذف موضوعات نحوية وصرفية، والتخلي عن تقدير العوامل، هذا الذي جعل فكرته لا تروج ولا يكتب لها النجاح.

ومن النحاة المحدثين مَنْ وَقفَ موقفا وسطا فلم ينف نظرية العامل،ولم يذهب مذهب القدماء في العوامل، نجد الدكتور عباس حسن، فهو يرى أنّ العمل للمتكلم نفسه، وما العامل إلا نائب عنه ونسب إليه العمل،لأنه الدليل على الأثر في المعمول، ونلحظ أنّ رأيه هذا يقترب من رأي ابن مضاء القرطبي، ولكن في غير مهاجمة ولا تحامل، ولا دعوة إلى إلغاء العامل.

قال في موضع حديثه عن عمل العامل في الفاعل:«...أكرم محمود الضيف، فمحمود في هذه الجملة ينسب إليه شيء، وكذلك الضيف، يُنسب إلى محمود أنه فـعَلَ الكرمَ، فهو فاعل الكرم فبدلا من أن نقول يُنسَب إلى محمود أنه فعل شيئا هو الكرم، أو يُنسَب إلى محمود أنه فاعل الكرم، حذفنا هذه الكلمات الكثيرة واستغنينا برمز صغير اصطلح عليه النحاة، يرشد إليها ويدلّ عليها، ذلك الرمز هو الضمة التي هي في آخر كلمة محمود. وممّا تقدّم، نعلم أن تلك العوامل بنوعيها ليست مخلوقات حيّة تجري فيها الروحُ، فتعمل ما تريد، وتحس بما يقع عليها وتؤثر بنفسها..إنّ الذي يؤثر ويتأثر ويحدث حركات الإعراب هو المتكلم، وليست هي(العوامل) لكن النحاة نسبوا إليها العمل، وإنها المرشد إلى العوامل والرموز. » (1)

هذا النص،على طوله النسبي، يُلخّص لنا رأي عباس حسن في نظرية العامل. فالفاعل الصناعي ليس هو العامل الحقيقي، إذ الفعل ليس هو الرافع الحقيقي للفاعل، ولا الناصب للمفعول. وإنما لتقبل الفاعل رمز الفاعلية (الضمّة) والمفعول رمز المفعولية (الفتحة).

وخلاصة رأيه أنّ العامل الفعلي المتكلم، و العلامة تنوب عن العامل الحقيقي. وأرى أنّ عبّاس حسن قد اعتبر الأثر دلالة، والفاعلية والمفعولية نابت عن العامل ، وهذا حسب ظنّي لا يرقى إلى تحديد العامل ،فالعلامات أثرٌ ناتجة عنه، وليست إيّاه، لأنّ الأثر قد يتعدّى العلامة إلى الحذف، كما هو الشأن في المضارع المعتلّ الآخر المجزوم، نحو: لم يدْعُ ، ولم يجْر، ولم يسْعَ. وكذا الأفعال الخمسة مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾(2)

---

(1)- عباس حسن- النحو الوافي- دار المعارف- ط6- د ت- مصر- 26(الهامش).
(2)- الأنفال/ 46.

والواقع أنّ من هاجم نظرية العامل، ودعا إلى إلغاء التقدير، لم يأت بجديد على المستوى التطبيقي بل نجد كثيرا من هؤلاء ينزعون إلى مراعاة نظرية العامل وقوانينها، حين يتصدون للدرس النحوي على المستوى التطبيقي. وإنما كانت دعوةً إلى التجديد في مرحلة معينة، وهذه الدعوة في جوهرها إخلال بالنحو،لأن هذا الأخير نظام من العلاقات مؤسّس وفق نظرة جادّة، راعت أصول اللغة وفروعها. فهناك عامل ومعمول، وهناك صنوف من الحقول النحوية، وأبواب مرتبة للموضوعات في الدرس النحوي، المرفوعات، والمنصوبات، وللأفعال ووظائفها، والأسماء، وخاصّياتها والحروف وعملها. ولهذا قام من يدافع عن نظرية العامل ويصدّ هجمات القائلين بإلغائها، وألّفت في ذلك كتب صدّا لدعواتهم. ومن الباحثين من صوّر المسألة في حينها،على أنها حرب بين الجامعة والأزهر، مثلما جاء في كتاب(النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة) للشيخ محمد أحمد عرفة، يردّ فيه على الدكتور إبراهيم مصطفى حين قال: « إنّ تخليص النحو من هذه النظرية وسلطانها هو عندي خير كثير، وغاية تقصد، ومطلب يسعى إليه، ورشاد يسير بالنحو في طريقه الصحيحة بعدما انحرف عنها آمادا»(1). حينها ردّ عليه الشيخ محمد أحمد عرفة، وعلى أمثاله من دعاة إلغاء نظرية العامل، فقال:« تريثوا تريث المستبصر، وأعدوا العدة قبل الهجوم، ولا تستصغروا أمر مُعاصريكم، ولا تستهينوا بعلمهم، فإنّ الاستهانة بالمنازل، تدعو إلى قلة الاستعداد»(2).

وتمثل بقول الشاعر:

جاء شقيق عارضا رُمحَه　　　إنّ بني عمِّك فيهم رماح.

وإذا قلنا بأنّ العديد من الباحثين المحدثين هاجموا نظرية العامل التي كانت سببا لتعقيد النحو في نظرهم، فإنّ بعضا منهم من دافع عن العامل، واعتبره أهمّ مسألة في النحو، زيادة على محمد أحمد عرفة، نجد الأستاذ علي النجدي ناصف، والأستاذ عباس محمود العقاد.

فالعقاد ينظر إلى العامل على أنه أساس الإعراب والبناء وأنه« مسألة من أهمّ مسائل النحو في اللغة العربية، بل هي مسألته الكبرى، أو مسألته الأولى والأخيرة،لأنها ترتبط بأسباب الحركة على أواخر الكلمات، وتلك هي أسباب الإعراب والبناء، والنحو كله قائم على اختلاف الحركات على

---

(1)-إبراهيم مصطفى- إحياء النحو- 195/194.

(2)- محمد أحمد عرفة- النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة- ينظر محمد حماسة-قرينة العلامة الإعرابية- 181.

أواخر الكلمات بحسب اختلاف عواملها الظاهرة والمقدرة»(1).
فالعامل عند العقاد كما نرى أساس النحو،لأنه المحدِّد للحالات الإعرابية التي تكون نتيجة له. وقد يتبادر إلى الأذهان من الوهلة الأولى أنّ العقاد لا يلقي بالا إلى وسائل الترابط السياقي الأخرى في الجملة،أو القرائن كالرتبة والتضام والمطابقة والإسناد وغيرها، إلا أنّ نظرة فاحصة لما قاله العقاد تكشف أنه ركز على العامل لكونه تترتب عليه جملة من الأسس تحدّد طبيعة بنية النص العربي وتضبط دلالاته، وتبرز معانيه المراد تبليغها،وإلا أصبحت اللغة ضربا من الفوضى لا تحدّ، وجملة من التراكيب لا تستبين حقيقة مقصدها، فهو لا يقف عند الدفاع عن العامل وخطورته في الدراسة النحوية بل يتطرّق إلى الآراء المختلفة التي أثيرت حوله، بين منكر ومؤيد، ثم يحاول مقارنتها بقصد الوصول إلى الحقيقة،انطلاقا من التحليل والمقارنة والرجوع إلى النصوص العربية فقال: «والرأي الذي انتهينا إليه بعد مراجعة الأقوال المتعارضة في المسألة، أنّ الحكم الصواب فيها وسط بين الطرفين، كأكثر ما يكون الصواب بين الأطراف المتباعدة . فالمنكرون للعامل، ظاهرا ومقدّرا مخطئون، لأنّ الشواهد لا تحصى من الشعر المحفوظ في عصر الدعوة الإسلامية،على اتفاق حركة الإعراب مع اتفاق الموقع. وشواهد ذلك في قوافي القصائد، أظهر من الشواهد الأخرى، وليست قواعد الشعر بنت جيل محدود من نشأة اللغة العربية، وهذا فضلا على أن الشواهد المطردة من آيات القرآن الكريم، ومن الأحاديث النبوية على تعدّد رواياتها»(2).
يتبيّن من قول العقاد أنه لم يصدر حكمه جزافا، بل انطلاقا من دراسة لمختلف الآراء التي جاءت في نظرية العامل، إثباتاً ورفضاً، وأنّ دور العامل لا ينكر، إذ لا حركة إلا بعامل، تكون فيه الموافقة بينه وبين أثره. إنّ الشواهد التي تثبت ضرورة العامل وأثره كثيرة ، قرآنية وشعرية، ومن أحاديث الرسول ﷺ . لكن، وإن يذهب العقاد هذا المذهب نجده لا يبالغ، إذ يرفض التعميم الذي يضرّ بالدرس النحوي، ويؤدِّي إلى التأويل الخاطئ، إذ قيس عليه ما ليس سليما« ثمّ ضُبط معمول العامل في مواضعه المختلفة على هذا القياس...وإنما يتوسط الرأي الصواب بين هذين الطرفين، فلا جدال

---

(1)- عباس محمود العقاد- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب- دار المعارف- القاهرة- 1963- 29.
(2)- المرجع السابق- 150/149.

في دلالة العامل على معنى متصل بما تفيده الكلمة في موضعها»(1). كما أنه يرى العوامل حقيقة لا مِراء فيها، لها آثارها، ولكنّ الذي يراه صعبا تحديد مختلف العوامل المؤدِّية إلى كلّ الآثار في مختلف المواطن،بمعنى أن هناك آثارا يصعب تحديد عواملها. قال: « إنّ العوامل حقيقة لا تنفصل عن أثرها في حركات الإعراب، وهذه العوامل ارتبطت بآثارها منذ زمن سحيق، ولكننا لا نستطيع اليوم أن نفهم جميع الأسباب في جميع الحركات»(2).

أمّا الأستاذ علي النجدي، فقد دافع عن العامل وما يترتب عن إعماله، أو إهماله كالتقدير والتأويل،إذ يرى أنّ هذين الأخيرين كليهما ضرورة في العربية، وذلك لكثرة الإيجاز والحذف،لأنها لغة قوم يتميّزون بالإيحاء والرمز. قال:« إنّ أكثر ما يكون التأويل والتقدير في دراسة النص لاستنباط المسائل والأحكام، وتخريج الشواهد والأمثلة»(3).

وحسبه أنّ التقدير والتأويل لم يكن من ابتداع النحاة، بل هما موجودان في اللغة، وهما ضرورة أيضا استوجبتها مطاوعة اللغة، ومرونتها، وفي ذلك قال:« إنّ علماء اللغة لم يخلقوا التقدير والتأويل خلقا، ولا تكلفوا القول فيها ارتجالا، ولكنهم اعتمدوا فيها على مبادئ سليمة وأصول مقرّرة، فقاسوا النظير على النظير، واستدلوا بالحاضر على الغائب، ورأوا المحذوف في المذكور تهديهم رواية واسعة،وملاحظة بارعة، وتجربة طويلة، وحسّ لغوي غير مدخول»(4). هذا دفاع الأستاذ علي النجدي عن العامل، ومن ورائه التأويل والتقدير، كما أنصف النحاة القائلين بهما، إذ إنّ أية تخريجة أو تقدير، كان يصدر عن علّة ودراية، وغاية.

ثمّ إنّ الأستاذ علي النجدي لم يكتف بهذا فحسب، بل راح يوجِّه نقده إلى ابن مضاء الداعي إلى إلغاء العامل، وما يتبعه من التقدير، ورأى أنّ دعواه تلك لم تصدر عن رؤية لغوية صحيحة قائمة على التروِّي وإعمال الفكر، وإنما كان يصدر في كل ما قاله عن مذهبه الظاهري الذي لا يقبل التأويل. فقال: « وأمّا العامل الذي ينبو ابن مضاء على النحاة، ويحمله على القول، بأنّ في تقدير بعض أنواعه افتراء على الله، وانتحال كلام لم يقله سبحانه فالخطب فيه يسير» (5).

---

(1)- عباس محمود العقاد- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب -149.
(2)-المرجع نفسه.
(3)-علي النجدي- من قضايا اللغة والنحو- مكتبة النهضة- مصر-د ت- 83.
(4)- المرجع نفسه- 92.
(5)- علي النجدي- من قضايا اللغة والنحو - 105.

هذه آراء عن منكري العامل وما يترتب عنه من ردٍّ للتأويل والتقدير، وعن مؤيِّدي إجرائه والقائلين به، أوردْتُها،لا لأدرس العامل، ولا لأتناول نظريته مجرّدة، وإنما قصدت بها توضيح مكانة نظرية العامل وأهمِّيتها في الدرس النحوي، وأهمّ آراء النحاة قدماء ومحدثين، وما ينجرّ عن إلغائها من فوضى تمس النظام النحوي الذي بني على العامل والمعمول. ثمّ إنّ حذف العامل يترتب عنه تقدير تخريجا للموقف خاصّة في غياب القرينة.

ومن هنا تتضح علاقة نظرية العامل بالتقدير، ولهذا فالذين هاجموا نظرية العامل أدّى بهم الأمر إلى رفض وجود التقدير،لأنّ هذا الأخير يكون مسوّغا لتخريجات النحاة للعوامل، فإذا ضُرب العامل انتفى التقدير وهذا ينجرّ عنه هدم توابعه.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: آليات التقدير.

المبحث الأوّل : الحذف.

الحذف لغة الإسقاط، ومنه:حذف الشيء إسقاطه، وحذفَ رأسه بالشيء: ضربه، فقطع منه قطعة (1)

وجاء في القاموس المحيط:« حذفه، يحذفه: أسقطه، ومن شعره: أخذ، والسلامَ: خفّفه ولم يُطل القول به، والحُذافة : شيء من الطعام، وكهُمزة: المرأة القصيرة » (2) .

وجاء في لسان العرب: « حذف الشيء ، يحذفه : حذف قطعة من طرفه »(3)

يتبيّن ممّا سبق عرضه أنّ الحذف يعني (إسقاط شيء، أو قطعُ بعضه، أو أخذ بعض أجزائه) وهذا يتناسب والمعنى الاصطلاحي، إذ هو « يُطلق على ما يبقى له أثر في اللفظ »(5) بمعنى قد يُحذف العامل، ويبقى أثره الإعرابي قرينة دالة عليه، كقولنا : (حمداً وشكراً) فالعامل المحذوف تقديره (أحمد وأشكر). أو قولنا (الله الله) أي (احذر الله أو اتـّق الله).

ومعنى هذا أيضا، أنّ عمليّة الحذف مقصودة، أي لا يُحذف جزء من الكلام إلا لعلة وقرينة.

فالحذف إذن، ظاهرة لغوية تشترك فيها العديد من اللغات، وإن كانت تختلف مظاهره ، من لغة إلى أخرى، كثرة ووضوحا.

---

(1)- محمد بن أبي بكر الرازي- مختصر الصحاح- دار رضوان- حلب- سوريا- ط2005- 102.
(2)- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- ج1- 1989.
(3)- ابن منظور- لسان العرب- الدار المصرية العامّة للتأليف والأنباء والنشر- ج4- مادة (حسب)- فصل (الحاء)- حرف(الباء).
(4)- الزركشي- البرهان في علوم القرآن- دار المعرفة- بيروت- ط2محققة- ج3- 102.

وقد يمس الحذفُ الصوتَ لعلة ، كما في بعض المصادر ، مثل: (قتال) من (قاتل) فمصدره (قاتال)، فتحذف ألف المصدر المنقلبة ياء المجانسة للكسرة، والتقدير (قيتال). وكما يحدث في بعض الألفاظ نكرة منوّنة، مثل (قاض، داع) في حالتي الرفع والجرّ.

وقد يمسّ الحذف الكلمة برمّتها ، كما هو الشأن بالنسبة إلى لفظة (كلّ) في مثل قوله تعالى : (**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**) (1) فحذفت كلمة (العباد، أو المخلوقات) وعُوِّض عنها بالتنوين. وقد يمتدّ الحذف إلى الجملة كلها، مُعوّضاً عنها ، كما في قوله تعالى : (**وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**)(2) والتقدير(يوم إذ تزلزل الأرض زلزالها، وتخرج أثقالها، ويقول الإنسان ما لها؟ تحدث أخبارها) ومثل قوله تعالى :(**وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ**)(3) أي (حين إذ بلغت الروح الحلقوم). وفي القرآن منه كثيرٌ.

إذن، فالحذف يمس الصوت ، والكلمة والجملة، وحتى الحركة، وفي هذا يقول ابن جني: « وقد حذفت العرب الجملة ، والمفرد والحرف، والحركة وليس شيء من ذلك، إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته»(4) . ومعنى هذا ، أن الحذف، يطال كل عناصر التركيب ،ولكن هذا الحذف لا يكون عشوائيا، بل لعلة ، ودليل، وإلا أصبح ضربا من التعسّف. ومن أمثلة الحذف حذف الجملة في باب القسم، أشار إليه ابن جني ، حين قال: « فأمّا الجملة ، فنحو قولهم في القسم: والله لأفعلنّ وتالله لقد فعلت، وأصله: أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال من الجار والجواب دليلا على الجملة المحذوفة، وكذلك الأفعال في الأمر والنهي، والتحضيض نحو قولك: زيدا، إذا أردت: اضرب زيدا، أو نحو: إيّاك، إذا قدّرت: احفظ نفسك، ولا تضيّعها » (5).

---

(1)- البقرة/ 116- الروم/ 26.
(2)- الزلزلة/ 1.
(3)- الواقعة/ 84.
(4)- ابن جني- الخصائص- تحـ: محمد علي النجار - ج2- 360.
(5)- ابن جني- الخصائص- ج 2- 361.

كما أشار ابن جني إلى حذف الجملة، أشار إلى حذف الاسم، كحذف المبتدإ ، وحذف الخبر كما في قولهم: (هل لك في كذا؟ أي ، هل لك فيه حاجة؟) وكقوله تعالى: (**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ**) (1)والتقدير (ذلك بلاغٌ). وكقوله تعالى: (**طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ**) (2)أي هو طاعة. والقول بالحذف ينطلق من مبدإ الأصلية والفرعية في التفكير النحوي . فالأصل هو الذكر، والفرع هو الحذف، وله علاقة بالتقدير،فإذا حدث حذفٌ ، كان لعلة وكان ذلك مدعاة للتقدير لردّ المحذوف، أو لتحديد نوعه، أو لتعديل السياق.

يقول الزركشي: « الحذف خلاف الأصل ، وعليه يبنى فرعان، أحدهما: إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه، كان الحمل على عدمه أولى، لأن الأصل عدم التغيير . والثاني : إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته، كان الحمل على قلته أولى » (3).

ومن هنا، يكون الحذف من العوارض التي تصيب التركيب لغرض وعلة. وله دور في كشف الجوانب الدلالية في النص، لأنه عدول عن الأصل. ومن ثمّ ، يكون التقدير لردّ الكلام المعدول عنه إلى أصوله، فإذا حذفنا، خرجنا عن الأصل، لأن الأصل إيراد الكلام دون حذفه،وحسبما تقتضيه الصناعة النحوية. فإذا اقتضى الأمر حَذفنا لتأدية الأغراض المختلفة. وإذا أردنا معرفة الأصل قدّرنا. معنى هذا، أن التقدير هنا، نتيجة للحذف، وليس سابقا عليه، فلولا الحذف ما قدّرنا،إذ ليس هناك عدول ليُحتاجَ إلى التقدير.

هذا في مجال الحذف، وقد يكون التقدير في مجالات أخرى كالتضمين والتوهّم والقلب المكاني والاستصحاب. ولكن، إن جاز العمل بالحذف، تطلّبَ أن يكون له أسس وقواعد يستند إليها، ومبادئ عامّة تتبّع عند حذف جزء من أجزاء الكلام.

وانطلاقا من هذا، وجب القول بأن الأصل (الذِكر) فإن حذف شيء من الكلام، قدّر المحذوف لمعرفة نوعية المعدول عنه. والأصل الإظهار، فإذا أضمر أحد ركني الجملة،وجب تفسير علة الإضمار . والأصل الفائدة ، أو الإفادة ، فإن لم تتحقق ،أو كان إخلال بها، فلا حذف. وتتحقق الفائدة بالقرائن إذا أمن اللبس، فإن كان لبس ، فلا حذف. وللحذف شروط وضوابط- كما سبق – وهذه

---

(1)- محمد/ 21

(2)- الأحقاف/ 35.

(3)- الزركشي- البرهان في علوم القرآن- دار المعرفة – بيروت- لبنان- ط 2 محققة-ج 3- 104 .

تخصّ النحو،وهناك أسباب وأغراض تعود إلى أمور بلاغية، تقتضي مجيء الكلام على وجه دون آخر.

وثاني هذه الشروط، أن الحذف، عند النحاة مقصور على حالة افتراض سقوط أجزاء معيّنة من النصوص اللغوية المؤوّلة، ومن هذه العوامل الإغراء، والاختصاص. فإذا قلنا: (أخاك أخاك) قدّر العامل المحذوف (اِلزم).

ومن ضوابط الحذف: أوّلا، وجود دليل ، إمّا حالي ، نحو: (قالوا سلاما) أي (سلمنا سلاما) أومقالي نحو: (**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً**)(1) أي (أنزل خيرا) ونحو قوله تعالى: (**قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**) (2) أي (أنتم قوم منكرون). وإمّا أن يكون دليلا عقليا حيث تستحيل صحة الكلام عقلا،إلا بتقدير محذوف،نحو(**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ**)(3)أي (أكلها). وتارة، يدلّ العقل على التعيين، نحو قوله تعالى: (**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ**)(4). فالحذف هنا مدلول عليه بالعقل،لأن يوسف عليه السلام لا يصح أن يلام فيه فيتحتّم أن يقدّر محذوف يتماشى مع العقل،والتقدير(الذي لمتنني في حبِّه) لقوله تعالى:{ **قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً**)أو في مراودتها إيّاه لقوله : (**تُرَاوِدُ فَتَاهَا**) فالقرينة المعوّل عليها في هذا المقام عقلية.

والضابط الثاني ألا يكون المحذوف كالجزء من الكلمة، ومن ثمّ، لم يحذف الفاعل ولا نائبه،ولا اسم كان وأخواتها، إلا في (لات) التي من شروط عملها أن يكون معمولاها اسمي زمان، وأن يحذف أحدهما. وحَذفُ اسمها أكثر، نحو قوله تعالى: (**فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ**)(5) والتقدير (ولات الحين حين مناص).

والثالث: ألا يكون المحذوف مؤكَدا، لأن الحذف منافٍ للتأكيد، فهو اختصار، والتأكيد عكسه، إذ هو مبني على التطوال ، ومن ثمّ ردّ أبو علي الفارسي على الزجّاج، في قوله تعالى: (**إِنّ هَذَانِ**

---

(1)- النحل/ 30.
(2)- الذاريات/ 25.
(3)- المائدة/ 3.
(4)- يوسف/ 32.
(5)- ص/ 3.

لَسَاحِرَانِ) (1) قال : الحذف والتوكيد متنافيان، وأمّا حذف الشيء لدليل توكيده فلا تنافي بينهما لأنّ المحذوف لدليل كالثابت(2).

والرابع ألا يؤدِّي حذفه إلى اختصار المختصر، و من هنا لا يجوز حذف اسم الفعل لأنه هو ناب عن فعله.

والخامس ألا يكون هذا المحذوف عاملا ضعيفا. ومن هذا المنطلق ، لا يحذف الجار إلا في باب المنصوب على نزع الخافض ، كقولهم (عوجا الديار) أي (عوجا على الدِّيار). وإلا اختصاراً للفعل فإذا حذف عاد الفعل إلى عمله، كقولنا (نفسك) فيقدّر (اِلزمها أو صُنها).

لايحذف الناصب والجازم للفعل إلا في مواضع قويت فيها الدلالة، وكثر فيها استعمال تلك العوامل كحذف (أنْ) في المثل القائل (تسمعَ بالمعيدي خيرٌ من أن تراه). وكذا الجازم عند بعضهم في جواب الشرط ، مثل (اعملْ خيرا تجدْه)،والتقدير (إنّ تعملْ خيراً تجدْه) .

والسادس ألا يكون المحذوف عوضا عن شيء،لأن العوض لا يجوز حذفه لاختلال المعنى،لذا لم تحذف التاء من (إقامة، واستقامة) لأنها عوض عن الألف التي أصلها واو، إذ الأصل (استقوام) وكالتاء في (عدة، وعظة) لأنها عوض عن فاء الفعل(وعد، و وعظ) فهي بزنة (عِلف).

والسابع ألا يؤدِّي حذفه إلى تهيئة إعمال العامل الضعيف ، مع إمكان إعمال العامل القوي، ولذا مَنَع البصريون حذف المفعول الثاني ، من نحو(ضربني ، وضربته زيد) لئلا يتُسلط على زيد، ثمّ يقطع عنه رفعه بالفعل الأوّل (3). وكذا في مثل قوله: (زيد ضربته) لا يُحذف المفعول به (الضمير: ه) وإلا وجب أن تقول(زيدا ضربت) بنصب(زيد) على المفعولية.

فإذا حذفنا لغرض، وجب أن يقدّر الشيء في مكانه، أي أصل المحذوف، لئلا يخالف الأصل من وجهين: الحذف، ووضع الشيء في غير محله، حيث يقدّر المفسِّر في نحو(زيدا رأيته) مقدّما عليه. وجوّز البيانيون تقديره مؤخرا عنها لإفادة التخصيص نحو قوله تعالى: **(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ)**(4) إذ لا يلي (أمّا) فعل، وقد يكون (هديناهم) مفسراً لفعل محذوف سابق.

---

(1)- طه/ 63.
(2)- السيد الجميل- البلاغة المختارة من الإتقان ومعترك الأقران - 89.
(3)- ابن هشام – مغني اللبيب- ج 2- 675.
(4)- فصلت/ 17.

ولئن أشرنا إلى أهمّ ضوابط الحذف، ليجري عليه التقدير، فإن النحاة اشترطوا تقليل المقدّر ما أمكن(1) وذلك لتقلّ مخالفة الأصل ، أي عدم التقدير، ومن ثمّ ضعّف رأي الفارسي في قوله تعالى: **(وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ)** (2) حيث قدّر الفارسي في هذا (فعدّتهنّ ثلاثة أشهر). ولكن الأوْلـَى، حسب النحاة، أن يقدّراللفظ (كذلك) إذ لا يقدّر من المحذوفات إلا أشدّها موافقة للغرض، وأفصحها، لأن العرب لا يقدّرون إلا ما لو لفظوا به لكان أنسب وأحسن لذلك الكلام. وإذا دار بين كون المحذوف أوّلا أو ثانيا، فكونه ثانيا أولى(3) ومن ثمّ رُجّح أنّ المحذوف في نحو **(أتحاجّونـِّي في الله)**(4) نون الوقاية لا نون الرفع. وهناك من يرى ألا حذف هنا بل مجرّد إدغام.

وفي قوله تعالى: **(فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى)** (5) أن التاء المحذوفة هي التي للتأنيث، لا تاء المضارعة،ولأن نون الرفع لا عامل لحذفها ، وإن حذفت فهذا مخالف لما هو معمول به. وحذف تاء المضارعة يوقع السامع في لبس، حيث يختلط المضارع بالماضي .

يتبيّن ممّا سبق أنّ الحذف ظاهرة لغوية، ومعناه إسقاط شيء، وإبقاء أثره دالا عليه. دعت إليه الحاجة، كالاختصار، وحذف أوجه الكلام حسب الأغرض. وله شروط ، وضوابط يجب التقيّد بها حتى لا تختلّ المعاني باختلال البُنى.

---

(1)- السيد الجميل- البلاغة المختارة من الإتقان ومعترك الأقران - 93.
(2)- الطلاق/ 4.
(3)- البلاغة المختارة من الإتقان ومعترك الأقران - 94.
(4)- الأنعام/ 80.
(5)- الليل/ 14.

أنواع الحذف:

فإن تحدثت عن الحذف، ودواعيه، وأهمّ ضوابطه، فإنه ينبغي أن نتناول أنواع الحذف لنعلم الجوانب التي يكثر فيها، وعلاقة ذلك بالتقدير ، إذ تحديد نوع المحذوف يحتّم علينا تقديره.

ومن أنواعه:

- **الاقتطاع** : وهو ما يعرف بحذف بعض أحرف الكلمة، وهذا الذي أنكر ابن الأثير وروده في القرآن الكريم(1) وجعل بعضهم منه فواتح السور، وجعل كلَّ حرف من حروفها، من أسمائه تعالى. وادّعى بعضهم أن الباء في قوله تعالى: (**وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ**) (2) تعني أوّل كلمة (بعض).

ويدخل في هذا همزة (أنا) في قوله تعالى: (**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي**) (3) إذ الأصل عندهم (لكن أنا)، فحذفت الهمزة وأدغمت نون (لكن) في (نا) الضمير، فأصبح (لكنّا).

- **الاكتفاء** : ويعني أن يستدعي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيُكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختصّ غالبا بالارتباط العطفي . كقوله تعالى:(**وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ**)(4) فالمحذوف هنا المعطوف، وتقديره (والبرد) لأن السرابيل :« ما يلبس من ثياب ودروع»(5) فهي لا تقي الحر فقط، بل البرد وغيره . فهنا ، اكتفى بذكر الحرّ، لأن الوقاية من الحرّ أهمّ عندهم (6) وقلما يهمّهم البرد لكونه يسيراً محتملا، كما قيل إن ما يقي الحرّ يقي البرد، ، فعُدل عن ذكر البرد إلى الحرِّ، وأضيف أيضا- وحسب ظني- أنّ البيئة العربية بيئة صحراوية حارّة تحتاج إلى ما يصرف الحرّ ، ويردّ لفح الهاجرة، لذا كان ذكر الحرّ دون البرد. ومنه قوله تعالى: (**بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)(7) فقوله(**بِيَدِكَ الْخَيْرُ**) فيه حذف اكتفائي، والمقدّر

---

(1)- البلاغة المختارة من الإتقان ومعترك الأقران- 95.
(2)- المائدة/ 6.
(3)- الكهف/ 38.
(4)- النحل/ 81.
(5)- محمد حسن الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن - 278- 277.
(6)- الكشاف- ج 2- 625.
(7)- آل عمران/ 26

(والشرّ) ولكن عُدِل عن ذكره ، لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه الله إلى المؤمنين، وهو الذي أنكره الكفرة، فمعنى هذا القول(بيدك الخير توتيه أولياءك على رغم من أعدائك) (1) ولأن كل أفعاله تعالى، من خير وضرّ صادر عن حكمة. وكقوله تعالى: (**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) (2) فالسياق في الآية يتطلب ما يقابل (سكن) وهو (تحرّك)، أي (له ما سكن في الليل... وما تحرّك) وخصّ السكون بالذكر، دون الحركة ، لأنه أغلب الحالين على المخلوق ، من الحيوان والجماد، ولأن كل متحرّك مصيره إلى نقطة السكون. ومنه قوله تعالى: (**وَرَبُّ الْمَشَارِقِ**)(3) أي ما يقابله (المغارب) ولكن عدل عنه لأن المشرق أولى، فلا يكون مغرب إلا لمشرق. وجاءت المشارق جمعا لمراتب شروق الشمس كلّ يوم في مشرق، وقيل (المشارق الكواكب الأخرى) (4).

- **الاحتباك**: وهو من ألطف أنواع الحذف، كما يقول البلاغيون . وذكره الزركشي في البرهان ولكن بلفظ " الحذف المقابَلي". وجاء من الحبكة، أي نسج عناصر سياقية بحيث لا يصل السامع إلى تحديد ها إلا بعد تقليب وتأمّل. ومنه قوله تعالى: (**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً**) (5) والتقدير: مثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق(6) والذي يُنعق به ، أي البهائم. فحذف من الأوّل (الأنبياء) ومن الثاني(الذي ينعق به) لدلالة (الذين كفروا) عليه، وكأنه قيل (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق) أو (مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق) ، بمعنى (لا يستجيبون) أي أن الكفار كمثل البهائم، لا يسمعون من الدعاء إلا جرْس النغمة ودويّ الصوت (7).

ومنه قوله تعالى: (**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**) (8) أي خلاف ما كان

(1)- الكشاف- ج 1- 350.
(2)- الأنعام/ 13.
(3)- الصافات/ 5.
(4)- صفوة التفاسير- م 3- 29.
(5)- البقرة/ 171.
(6)- ينعق هنا بمعنى يصيح.
(7)- الكشاف- ج 1- 214.
(8)- النمل/ 12.

عليه من الأدمة ، من غير برص تضيئ كشعاع الشمس تغشي البصر(1).

- **الاختزال:** أي اختزال الكلام، ويكون المحذوف فيه ، إمّا اسما، أو فعلا ، أو حرفا. ومن أمثلة المحذوف الاسمي، حذف المضاف، وهذا كثير في القرآن الكريم، حتى قال عنه ابن جني أن فيه منه في القرآن الكريم زهاء ألف موضع (2). ومن أمثلته قوله تعالى: **(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ)** (3) فهنا حذف مضاف، والتقدير (وقت الحج أشهر معلومات) (4) لأن الحج لا يكون أشهرا، وله مقابل في كلامنا العادي، كقولنا(البرد ثلاثة أشهر) أي وقته. ومنه قوله تعالى: **(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)**(5) فهنا حذف مضاف والتقدير (برّ من آمن) أو يتأوّل البرّ بـ(ذي البرّ) (6) . إذن كلا التقديرين حذف.

ومنه قوله تعالى: **(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ)**(7) فالمقصود (نكاح أمّهاتهم) بحذف المضاف لأن (الأمّهات) ليس لهن ما يحرم على أبنائهن إلا نكاحهن. وفي قوله تعالى: **(وَفِي الرِّقَابِ)**(8) أي (في تحرير الرقاب). وفي قوله تعالى: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ)**(9) أي(نار جهنم حامية).

- **حذف الحرف:** كما يمَسُّ الحذفُ الكلمةَ ، يمس الحرف، نحو قوله تعالى: **(أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ)** (10) أي (بأنكم) لأن الفعل (وعد) يتعدّى

---

(1)-أحمد الصاوي- حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين- ج3- 52.
(2)- البلاغة المختارة من الإتقان ومعترك الأقران- 98.
(3)- البقرة/ 197.
(4)- الكشاف- ج 1- 242.
(5)- البقرة/ 177.
(6)- الكشاف- ج 1- 217.
(7)- النساء/ 23.
(8)- البقرة/ 177.
(9)- القارعة/ 11/10.
(10)- المؤمنون/ 35.

بذاته، وبالباء،وفي الآية نجد السياق يتطلب ذلك. ومنه قوله تعالى: **(وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ)** (1) تقول: عزم الأمر، وعزم عليه، إذا نوى مع الإصرار. وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدّة(2) لأن العزم في الفعل يتقدّمه، أي يتقدّم الفعل.

ومنه قوله تعالى: **(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)**(3) فالعزم سابق الأعمال، لذا نهى عنه فالمحذوف حرف(على) أي (ولا تعزموا على). ومنه قوله تعالى: **(أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ)** (4) فالمحذوف حرف (قد) أي (قد حصِرت صدورهم) والجملة في محلِّ نصب حال.

هذه أمثلة عن أنواع الحذف، وهناك حذف جملة، كما في القسم ، حيث تحذف جملة القسم في مثل قوله تعالى، على لسان سيدنا سليمان :**(لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً)** (5) فالمحذوف دلّ عليه الجواب (لأعذبنّه) اللام : الموطئة للقسم، والجملة (أعذبنّه) لا محلّ لها من الإعراب، تقديره (أقسم لأعذّبنّه).

ومن أمثلة الحذف الذي يطال جملا كثيرة، ولكن دون أن يشعر السامع بما حُذف نظرا للأسلوب القرآني الباهر، قوله تعالى على لسان ساقي الملك: **(أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا...)** (6) . ففي الآيتين حذف لجمل كثيرة، اختصارا وابتعادا عن فضول الكلام بحيث اقتصر على ما به يتمّ المعنى، وتحصل الفائدة، ولكن دون خلل، ولا فتور. فقوله (فأرسلون) يتطلب تحديد المرسل إليه، أي إلى يوسف. وتحديد مضمون الرسالة (لأستعبره الرؤيا) ثمّ ردّ الملك وحاشيته ، أي (ففعلوا) فأتاه ، فقال له: (يوسف ، أيها الصديق أفتنا) .

---

(1)- البقرة/ 235.
(2)- الزمخشري- الكشاف- ج 1- 237.
(3)- آل عمران/ 159.
(4)- النساء/ 90.
(5)- النمل/ 21.
(6)- يوسف/ 45/ 46.

فإذا كان الحذف يمس أنواع الكلم، من اسم وفعل وحرف، ويتعدّى ذلك إلى الجملة ذاتها، وله شروط وأغراض، فما علاقته بالتقدير؟

الواقع أن صلة الحذف بالتقدير ثابتة، بل يعتبر التقدير من نتائج الحذف، وإن كان الحذف ليس العامل الوحيد للتقدير،فهناك عوامل أخرى كالتوهم والتضمين،إذ بين الحذف والتقدير نقاط اِلتقاء (1) كما بينهما مواضع اختلاف، فهما يلتقيان في أن كليهما أسلوب من أساليب التأويل النحوي للنصوص اللغوية، لمخالفة القوانين والسنن الجاري العمل بها،أي أنهما مظهران من مظاهر العدول والخروج على الأصل، إذ الأصل الذكر وعدم التقدير. كما يتفقان في بعض صور الحذف حيث يتحتم فيها التقدير،دون أن يكتفى بإعادة سبك النص الموجود،أو بإعادة صياغة التركيب بالتقديم والتأخير،أو التبديل، كما هو الشأن في(ميزان) فالواو منقلبة ياءً، والتي هي أصلٌ فهنا تقدير ولاحذف، لأنها غير محذوفة، وكذلك (ميقات) فالياء منقلبة عن واو، فهنا أيضا لا حذف، وكذا المقدّر منقلب (مِوقات). ويختلفان في كون الحذف يُركـّزُ فيه على إسقاط العامل سواء بقي معموله على ما كان له من حكم إعرابي، أو تغيّر ليتسق ووضعية التركيب الجديد الذي آل إليها كقولنا (سمعا وطاعة). فالحذف هنا،على أساس العامل،أي(اِسمع سمعا وأطع طاعة)وكقولنا(حمدا وشكرا) أي (أحمد الله حمدا وأشكره شكرا) .

أمّا التقدير عند النحاة ، فيتناول محذوفات أخرى غير العامل، كحذف المعمول، وكذا حذف الجملة بأسرها. وكما أن التقدير- فضلا عن تناوله حالات الحذف المختلفة- فإنه أيضا، يشمل حالات أخرى لا حذف فيها، بل كل ما فيها من افتراض، إعادة للتراكيب وسبكها. ومثاله: قوله تعالى: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) (2) فالأصل (نعبد إياك) وقدّم المفعول به للتخصيص، فهو تعالى مخصوص بالعبادة دون غيره من العالمين. ففي هذه الآية نجد التقدير، ولا حذف، لأن الأمر يتطلب إعادة تشكيل التركيب تبعا للقوانين النحوية ، للوصول إلى الأصل.

وفي قوله تعالى: (**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**) (3) . ففي هذه الآية أيضا، لا حذف .

---

(1)- علي محمد أبو تمام – الحذف والتقدير في النحو العربي- رسالة ماجستير- إشراف : عبد السلام هارون- جامعة القاهرة- 1384هـ/ 1964م- 205

(2)- الفاتحة/ 4.

(3)- طه/ 67.

فمعرفة الأصل يتطلب إعادة صياغة التركيب فحسب، فقد تأخر الفاعل ، والتقدير (فأوجس موسى خيفة في نفسه) فقدّم المفعول للاهتمام به، ولإظهار مدى عظيم سحرهم. وقدّم الجار والمجرور لكشف الطبيعة والجبلة البشرية، وأنه لا يكاد يمكن الخلو منه (1) إلا بما مكنه الله ، وحصّنه به. ومنه قوله تعالى: (**أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ**) (2) دلالة على التعجّب من صفاته تعالى التي يتفرّد بها عن مخلوقاته. ففي الآية حذف تقديره (وأسمع به) هنا اِلتقى التقدير والحذف، لكن الحذف لا وجود له باللفظ، وإنما اِفتراضا لشبه الجملة(به). وإذا كان هناك اختلاف بين الحذف والتقدير، مثلما مرّ بنا فإنه يمكن أن توجد بينهما أرضية مشتركة ، كفيلة بأن تفسِّر تشكيل الظاهرة ، فتتحد أبعادها ككلّ متكامل وتظهر علاقة التكامل هاته ، كما في الآية الكريمة : ﴿ **وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ**) (3) فالتقدير(4) (فعدّتهن ثلاثة أشهر) فهنا المقدّر هو المحذوف. لكن، ما الذي يشكل ظاهرة الحذف والتقدير؟ أو بعبارة أخرى، ما الباعث على الحذف والتقدير في التركيب؟

فإذا كان التقدير تصوّراً ذهنيا افتراضيا، يحاول من خلاله، النحوي إزاحة العدول، والردّ إلى الأصول، والحذف إسقاط العامل، فإن الأطراف الثلاثة، أو العناصر الثلاثة: العامل والمعمول والحركة الإعرابية رغم أنها تبدو منفصلة في التفكير النحوي إلا أنها متكاملة بينها وشيجة ، لأن في أحيان عدّة، يكون العامل معمولا، كما في قوله تعالى: (**أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**)(5)

فـ (أيّا) منصوب بالفعل(تدعوا) (تدعوا أيّا) والفعل (تدعوا) مجزوم بـ(أيّا) فكلاهما: عامل ومعمول.

وحتى يعمل بالحذف، ينبغي توفر الدليل الذي ينقسم إلى دليل غير صناعي(حالي، أو مقالي) وصناعي خاص بقواعد النحو، وهو ما أطلق عليه صناعة النحو (6) غير أن شروط وجود الدليل

---

(1)- الكشاف- ج 2- 544.
(2)- الكهف/ 26.
(3)- الطلاق/ 4.
(4)- السيد الجميل- البلاغية القرآنية المختارة من الإتقان- 93.
(5)- الإسراء/ 110.
(6)- ابن هشام- مغني اللبيب- ج 2- 670.

عند ابن هشام مرتبط بالعُمد في الجملة، كالمبتدإ والخبر، والفعل أو الفاعل، أو الجملة بأسرها. أمّا الفضلات فلا يشترط فيها –عنده- دليل ، بيد أنه يشترط في حذفها ألاّ يكون منه ضرر معنوي، أو صناعي . بالإضافة إلى ما سبق ذكره في شروط الحذف أن لا يكون ما يُحذف كالجزء، إذ لا يُحذف الفاعل ولا نائبه ولا شبهه(1). ومع هذا، نجد سيبويه أكثر تركيزا ووضوحا فيما يخصّ الدليل الحالي في باب الحذف، اعتمادا على القرينة الحالية، والدليل الحالي، حيث قال: « هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمرا ويكون المبني عليه مظهرا، وذلك أنك إذا رأيت صورة شخص، فصارت آيةً لك على معرفة الشخص، فقلت:عبد الله وربي، كأنك قلت : ذاك عبد الله، أو إن هذا عبد الله. أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت ، فصار آية لك على معرفته، فقلت عبد الله ، أو مسست جسدا أو شممت ريحا، فقلت : زيد، أو ذقت طعاما فقلت : العسل. ولو حُدِثت عن شمائل رجل فصار آية لك على معرفته ، فقلت : عبدُ الله» (2) . فالمبتدآت في نص سيبويه محذوفة كلها ،وذلك لوجود قرينة حالية تدلّ عليها. وهذه القرائن قد تكون الرؤية، أو السمع(سمعت صوتا) أو اللمس، أو الشم، أو الذوق، أو المعنويات المجرّدة إذا ارتبطت بشخص، وعُرف بها،صارت قرينة لمعرفته ، وهذا ما قصده بقوله : «ولو حُدِّثتَ عن شمائل رجل ، فصار آية لك على معرفته» (3) كل هذه القرائن مفسرة لحذف المبتدآت، وأدلة عليها، كلٌّ من طريق مخصوص. وفي هذا المقام،أجدني أعجب من دِقّة إلمام سيبويه بما يمكن أن يكون قرينة مسوّغة لحذف المبتدإ دونما لبس، بل بتفطنه إلى أن تكون حواس الإنسان قرائن نحوية!!وهذا ما حدا باللساني (كارتر) إلى أن اعتبر سيبويه في مقام نبهاء اللغويين المعاصرين، نظرا لفهمه الدليل الحالي بهذا التوسع والدقة، في الحذف،وأن بعض اللسانيين المعاصرين ، أمثال(جون لوينز) (4) أحد أتباع (دي سوسير) الذي لم يستطع تحليل مثل تلك التغييرات في الإنجليزية والتي أطلق عليها سوسير(التغييرات اليومية) هذه التعابير صنفها (لوينز) على أنها جمل غير مكتملة كما عدّها (تعبيرات مصكوكة) غير قابلة للتحليل بمعنى لا يمكن اتخاذها حجة ولا قرينة، فهي أنصاف تعابير،وهذا يعود إلى كون (لوينز) توقف عند السطحي

---

(1)- مغني اللبيب –ج2- 792.
(2)- شبه الفاعل ما يعمل عمله ،كالصفة المشبّهة، واسم التفضيل.
(3)- سيبويه- الكتاب- ج 2- 130.
(4)- آدم أحمد أدم- الحذف والتقدير بين النحاة العرب- 59.

من الظاهرة، والشكل العام للسلوك، ولم يربطها بمدلولاتها . ولكن، عكس هذا، نجد سيبويه قد وقف عند الدليل الحالي (الحاسِّي)(1) وقْفة متأمل متذوق وجعله قرينة دالة، مثلها مثل بقية القرائن واعتبار سيبويه ذاك قرائن جعل (كارتر) يضع الدليل الحالي في درجة أهمّية الدليل المقالي(2) . ومعنى هذا أن سيبويه، قد بوّأ الدليل الحالي مكانة كبيرة لتسويغ الحذف، وقد سبق أن ذكرت أن ابن هشام قد اشترط الدليل في الحذف وخصه بالعمد فقط. لكن، يلاحظ أنه وقع في تناقض حيث نجده أحيانا يشترطه في الفضلات حين قال:«ولاشتراطِ الدليل فيما تقدّم ، امتنع حذف الموصوف، في نحو: رأيت رجلا أبيض، بخلاف نحو: رأيت رجلا كاتبا»(3). هنا منع حذف الموصوف في العبارة الأولى ، وأجازها في الثانية،مع أن في كلتيهما الموصوف فضلة.

والدليل-كما سبق- حالي أومقالي أوعقلي، كما في قوله تعالى: **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)** (4) فإنه يتعذرحقيقة، ويستحيل تكلم القرية لتـُسأل إلا معجزة. وهنا، حذف مضاف،والتقدير(واسأل أهل القرية).لكن بإحلال القرية مكان أهلها جعلها أكثر مبالغة بأمكنتها، وسُبُلها، ودروبها ، وغيره ممّا ارتفقوا به .

ومن الدليل الشرعي المسوّغ كما في قوله تعالى:**(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ)** (5)أي أكلها،لأن الذات لا تتصف بالتحريم،والحل شرعا،وإنما هما من صفات الأفعال الواقعة على الذات والمقصود أكلها. كما يضاف إلى ذلك دليل لفظي ، يتعلق بلفظ آخر محذوف، يدلّ عليه المذكور ويسوّغ حذفه كما في قوله تعالى: **(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)** (6) أي أمره وعذابه بدليل وروده في آية كريمة أخرى لفظا، وهو قوله تعالى:**(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ)**(7) فهنا، ذكر اللفظ المضاف الذي حذف في الآيـة السابقة (8).

---

(1)- يقصد به هنا، النسبة إلى الحواس ، لا إلى الحس.
(2)-آدم أحمد أدم – الحذف والتقدير بين النحاة العرب- 590، نقلا عن كارتر
(3)- ابن هشام – المغني ج2–669.
(4)- يوسف/ 82.
(5)- النحل/ 115.
(6)- الفجر/ 22. (7)- النحل/ 33.
(8)-الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج 3- 114.

وهذا يوافق رأي الزركشي في إعطاء الدلالة النصِّية قيمة، ومكانة، في القرآن الكريم . ونجد ذلك عنده في آيات كثيرة ، منها، قوله تعالى: **(لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ)**(2) فالمحذوف في قوله (بلاغ) كلمة (هذا) فحذفُ المبتدإ وارد بديل ظهوره في سورة إبراهيم،حيث قال تعالى: **(هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ)** (3) أي كفاية في التذكير والموعظة(4). فهنا ذكر المبتدأ ، وخبره (بلاغ).

نستخلص ممّا سبق أنّ الحذف ظاهرة طبيعية في الدّرس النحوي تمسّ عناصر الجمل،والأكثر العامل، وله دواع وأسباب كما له ضوابط وشروط ينبغي الالتزام بها كاشتراط عدم اللبس ، ووجود دليل من الأدلة حسب المقام والسياق ، وأن يُردَّ المحذوف إلى أصله أي موقع الحذف ، وألا يكون هذا المحذوف كالجزء منَ الكلمة ، ولا يؤدِّي حذفه إلى تهيئة العوامل الضعيفة بلَه ذلك ، فإن للحذف علاقة بالتقدير،ويُعدّ مسوّغاً له، وباعثا عليه ، فإذا حذفنا اضطررنا إلى ردِّ المحذوف إلى الأصل فكان التقدير . وأحيانا ينفرد التقدير بمقام لاحذف فيه، كما هو الشأن في إعلال الكلمات (ميزان، وميقات، وميعاد، وموقِن، واستقام، وغيرها) حيث لا حذف ولكن فيه تقدير . وأحيانا يكون حذف افتراضي،وفي هذه الحالة فلا إعادة إلى الأصل، كما في قوله تعالى: ﴿**أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ**﴾.

ويبقى الحذف وجها من وجوه الإيجاز في تأدية الكلام دون فضول، ولا زيادة ،على أنه عامل للتقدير ، ومٌسوّغ له ،وهو أيضا قد ينجم عن التوجيهات القرآنية التي سأتناولها في القسم البلاغي.

---

(1)- الأحقاف/ 35.
(2)- إبراهيم/ 52.
(3)- الزمخشري- الكشاف- ج2- 568.

المبحث الثاني: التضمين .

« ضمِنَ الشيءَ، وبه، كعلِم، ضَمانا وضَمنا، فهو ضامن، وضمّنْت الشيءَ، تضمينا جعلته في وعاء، فقد ضمنته إيّاه، والمضمّن كمُعظم، من ضمّنته بيتا، ومن البيت ما لا يتمّ معناه إلا بالذي يليه» (1).

قال الخليل بن أحمد: « التضمين والضمان واحد،كل شيء أحْرزَ فيه شيء ضُمِّنَه، وأنشد:

كأن لم يكن منها مقيلا ولم يعش بها ساكنا،أو ضمنته المقابر»(2)

قال الجوهري(ت398هـ):« ضمِنت الشيء ضَمانا كفلت به، فأنا ضامن وضَمين، وضمّنته الشيء تضمينا، فتضمنه عني، مثل غرَّمته، وكل شيء جعلته في وعاء، فقد ضمّنته إيّاه.

والمضمّن من الشعر ما ضمنته بيتا، والمضمن من البيت ما لا يتمّ معناه إلا بالذي يليه، وفهمت ما تضمنه كتابك، أي ما اشتمل عليه، وكان في ضمنه»(3).

ولقد جاء في لسان العرب لابن منظور(ت711هـ) قوله: « ضمن، الضمين: الكفيل، ضمن الشيء وبه، ضمانا: كفل به،وضمّنه إيّاه: كفله...وضمّنت الشيء، تضمينا، فتضمّنه عني مثل غرّمته» (4).

نستنتج ممّا سبق أنّ مادة ضمن تعني إدخال شيء في آخر،واشتماله عليه، وكفالته وتغريمه بتضمينه،واحتوائه « ومن ذلك مضمون الكتاب ما احتواه بين دفتيه، والمضامين في بطون الحوامل، وهو ما يلاقح به، فتَضمَّنُه البطون لتصبح حوامل، وسمّيت القرى والأمصار ضامنة وكأنّ أهلها قد ضمّنوا عمارتها وحفظها»(5).

التضمين اصطلاحا: هو« إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حُكْمَه، فإذا كان اللفظ فعلا تصرّفَ في اللزوم والتعدي، تصرُّفَ الفعل الذي أشرب معناه، فقد يكون الفعل لازما، فيتعدّى

---

(1)- الفيروز أبادي- القاموس المحيط-ج3- 39.
(2)- الخليل بن أحمد- كتاب العين- تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي- دار مكتبة الهلال-سلسلة المعالم والفهارس- ج 7- 51 (الهامش).
(3)-الجواهري- الصحاح- تحقبق أحمد عبد الغفور عطار- القاهرة- ط2- ج 6- 215.
(4)- ابن منظور- لسان العرب- دار صادر-بيروت- لبنان- ط3- 1414هـ/1999م- ج 13- 258/257.
(5)- المرجع السابق- الصفحة نفسها.

بالتضمين، أو يكون متعديا فيلزم، أو يستمر لازما، فيعدل به عن حرفه إلى حرف آخر»(1).

وقد أبان أبو البقاء الكفوي غرض التضمين حين قال: « فالكلمتان معقودتان معًا قصدًا وتبعا فتارة يجعل المذكور أصلا، والمحذوف حالا، كما قيل في قوله تعالى:(**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**) أي يعترفون به مؤمنين» (2).

قال ابن جني: « اعلمْ أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر،وكان أحدهما يتعدّى بحرف، والآخر بآخر، فإنّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موضع صاحبه، إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه»(3)

وقد أورد ابن جني أمثلة متنوِّعة عن التضمين، ولكن مع تحفّظه من تعميم بعض النحاة،وتغافلهم واشتطاطهم في الأخذ به في كلِّ المواضع لذا قال: « ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكنّا نقول : إنه يكون في معناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوِّغة له ، فأمّا في كلّ موضع وعلى كلّ حال فلا » (4). ومن الأمثلة والشواهد التي ساقها ابن جني أخذاً بالتضمين قول أبي كبير الهذلي:

ما إنْ يمَسُّ الأرضَ إلا مُنكبٌّ منه وحرفُ الساق طيَّ المِحمل.

فجاء المصدر (طيّ) من تضمين الفعل المحذوف معنى(طُوي) قال: « فهذا على فعل ليس من لفظ هذا الفعل الظاهر ،ألا ترى أنّ معناه: طُوي طيّ المِحمل؟ فحُمل المصدر على فعل دلّ أوّل الكلام عليه »(5) وممّا أورده قولـه تعالى: ﴿ **مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ** ﴾(6) فاعتبر (إلى) متضمِّنة معنى (مع)

---

(1)- صلاح الدين الزعبلاوي- مشاكل القول في النقد اللغوي- الشركة المتحدة للنشر والتوزيع- ط1- دمشق- سوريا-1984م - 191.
(2)- أبو البقاء الكفوي-الكليات- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق- ط 2-1982- ج 2- 26.
(3)- ابن جني- الخصائص - ج2- 308.
(4)- المرجع نفسه.
(5)- المرجع نفسه.
(6)- آل عمران/ 52.

فقال: (أي مع الله) لمّا كان معناه (من ينضاف في نصرتي إلى الله) فجاز لذلك أن تأتي هنا (إلى) (1) وقوله تعالى أيضا: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَّكَّى﴾(2) قال :« وأنت إنما تقول (هل لك في كذا؟) لكنه لمّا كان على هذا دعاء منه ﷺ صار تقديره (أدعوك وأرشدك إلى أن تزّكـّى)» (3)

يتّضح ممّا سبق أن ابن جني قال بالتضمين، وخرّج وفقه كثيراً من النصوص، ولكن في غير مبالغة ولا تعميم، وحسب الأحوال المسوّغة.

و التضمين في الشعر بناء معنى بيت على بيت ثان يتلوه. قال المرزوباني في ذلك: « والتضمين بيت يبنى على كلام، يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضيا له» (4) ومثاله:

كأنّ القلبَ ليلة قيل يُغدى   بليلى العامرية أو يُراحُ

قطاةٌ غرّها شرك فباتت   تجاذبه، وقد علق الجناحُ

فمعنى البيت الأول مرتبط ومبني على وجود البيت الثاني، فالمشبّه به في البيت الثاني(قطاة).

والتضمين في البلاغة يعني أن يضمن الشاعر كلامه شعرا من نظم غيره، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا، ومثاله ما ضمنه الحريري من مصراع العرجي،على لسان غلام عرضه أبو زيد للبيع :   على أني سأنشد عند بيعي   أضاعوني وأي فتى أضاعوا؟!(5)

وفائدة التضمين أن يكون للفظة معنى ثان زيادة على معناها الأصلي، كتضمينهم الفعل معنى فعل آخر، وكذا الحرف حيث يُشرب معنى حرف آخر، وكإجراء الفعل اللازم معنى الفعل المتعدي فيتعدّى اللازم بالتضمين، وهذا نوع من التوسّع في استعمال الألفاظ.

فإذا كان هذا- باختصار- مفهوم التضمين، فكيف يكون التضمين باعثا على التقدير؟ فتضمين فعل معنى فعل آخر، أو حرف معنى حرف آخر، يُكسِب المُضمَّن خاصية كانت للأصلي . ثم انتقلت إليه بالتضمين الذي هو في الحقيقة تنزيل اللفظ مكان أصل، فإذا حاولنا إرجاع المُضمَّنات إلى أصولها قدّرنا.

---

(1)- الخصائص- ج2- 310 .
(2)- النازعات/ 18.
(3)- الخصائص- ج2- 310.
(4)-أبوعبيد الله المرزوباني- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء-تحقيق محمد حسين شمس الدين-دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان- ط:1- 1415هـ-1998م-25.
(5)- والشطر الثاني من البيت: ليوم كريهة وسداد ثغر.

يقول ابن قيم الجوزية عن التضمين النحوي:« وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى آخر»(1). ونحاول إيراد شواهد من القرآن الكريم عن التضمين، وما ينجم عنه من تقديرات. قال تعالى:(**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**)(2).

فقد ضمِّن الفعل(يشرب) معنى يروي،أو معنى يتلذذ ليفيد الشرب،والالتذاذ جميعا(3).فالفعل يشرب يتطلب حرف الجرّ(من) يشرب منها، لا بها. لكن تقدير الفعل شرب : رَوِيَ وتلذذ به.

ومنه قوله تعالى:(**وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ**)(4).

فالفعل تعزموا تضمن الفعل(تنووا) لأننا نقول عزمت على الشيء، والتقدير أنّ الفعل عزم ضُمّن معنى الفعل نوى، وعقد،أي ولا تعقدوا عقدة النكاح حتى تنتهي العدة» (5). فالتضمين كان علة لنصب(عقدة) على المفعولية، ولولا التضمين لما تعدّى الفعل عزم،ومنه ما جاء في الآية الكريمة: (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**)(6). فالأمانات مفعول به، للفعل الصريح (تؤدوا) أهلها مجرور لفظا منصوب موضعاً على أنه مفعول به ثان لأدّى، والتقدير أن تؤدوا الأماناتِ أهلـَها. وقوله تعالى:(**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**)(7). فالفعل (رفث) يتطلب حرف الجر (بـ) رفث بها أو معها، لا إليها، لكن (رفث) هنا بمعنى الإفضاء(8) فتقول (أفضيت إلى) وهي من الألفاظ الحسنة لما فيها من كناية، وترفـّع عمّا لا يليق ذكره .

وقوله تعالى :(**أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**) (9) فقد ضمّن الفعل (يجحدون) معنى يكفرون والاستفهام للإنكار، ولبيان شناعة فعلهم.

---

(1)- ابن قيم الجوزية- بدائع الفوائد- دار الفكر- بيروت- لبنان- دت- ج:2- ص:21.
(2)- الإنسان-الآية:6.
(3)- برّاشد-التضمين في اللسان العربي- أطروحة دكتوراه – جامعة تلمسان- 2005/2004م- ص40.
(4)- البقرة/الآية:235.
(5)- صفوة التفاسير المجلد3- ص151.
(6)- النساء/ الآية: 58.
(7)- البقرة/الآية: 187.
(8)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 230.
(9)-النحل/ 71.

قال تعالى:(**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**)(1) فالفعل (قفّى) يتعدّى إلى مفعولين صريحين، وذلك لأن تأويله:إنما قفيناهم عيسى بن مريم، لذا قيل إنه مضمّن معنى(جئنا) والتقدير : وجئنا على آثارهم بعيسى بن مريم.

وقوله سبحانه:(**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**)(2)فقد ضُمِّن الفعل (سفه)معنى الفعل امتهنها واسْتخَفّ بها، أي لا يرغب عن دين إبراهيم، وملته الواضحة الغراء،إلا من استخف نفسه وامتهنها(3).

وقوله تعالى:(**وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)(4) فقد ضمن الفعل عزموا نووا،كما سبق ذكره، فكان المفعول به (الطلاق)لأن عزم لازم يتعدى بحرف الجر على، فقد حذف حرف الجرّ على:والتقدير(وإن عزموا على الطلاق) فلمّا حُذِف الخافض،انتصب الطلاق بالفعل المُضَمَّن التعدية.

وقوله تعالى:(**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**)(5) فالفعل (اكتال) ضُمِّن الفعل (أخذ) لذا عدِّي بحرف الجر (عن) اكتال منه لا عنه،والفعل (كالوهم) تعدّى إلى مفعولين، وحذف الثاني (كالوهم) حبّا أو ما يُكتال.

وقال تعالى:(**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ**)(6) فالفعل(أحسن) يتعدى بذاته وفي الآية تعدى بحرف الجر (بـ) لأنه تضمّن معنى الفعل(لطف) إذ ْ من معاني الإحسان اللطف، بدليل أنه في آخر الآية وصف الله تعالى ذاته ب(اللطيف الخبير).

قال تعالى:(**وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ**)(7) قال في تضمينه ابن هشام:(فلن يُحرَمُوه) أي: فلن يحرموا ثوابه، ولهذا عدِّي إلى اثنين، لا إلى واحد»(8) فالفعل (كفر) ضُمّن في الفعل (حُرم)

(1)-المائدة/:46.
(2)-البقرة/ 130.
(3)-الزمخشري- الكشاف- ج1- 189.
(4)-البقرة/ 227.
(5)-المطففين/ 1-3.
(6)- يوسف/ 100.
(7)- آل عمران/ 115.
(8)- ابن هشام-ج2- 637.

ومن ثم نصب مفعولين.

ومنه قوله:(**فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ**)(1)فقد ضُمِّن الفعل (استبقوا) معنى (ابتدروا)(2) أي لو شئنا لأعميناهم، فابتدروا طريقهم ذاهبين كعادتهم. كما قدّر ابن هشام حذف حرف الجرِّ (إلى) فاستبقوا إلى الخيرات(3) وذهب إلى أنّ الفعل (استبقوا) ضُمِّن الفعل (تبادروا). (4)

ويرى الرأي نفسه في قوله تعالى:(**سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى**)(5) بإسقاط حرف الجر (إلى) والتقدير : سنعيدها إلى سيرتها.

ومن الأفعال المُضمّنة ما ورد في قوله تعالى:(**وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**)(6) فالفعل (اقعدوا) ليس على حقيقته، بل تضمن معنى الفعل (أرصدوهم) كلّ مرصد،كما جُوِّز في هذا أن المحذوف حرف الجر(على) والتقدير: اقعدوا لهم على كلّ مرصد(7).

ومن الألفاظ المُضمّنة ما جاء في قوله تعالى:(**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**)(8) فقد ضمن الفعل(تشركوا) معنى الفعل (تعدلوا) إذ العدل تسوية، والإشراك تسوية في العبادة من المشركين لمن تجب له العبادة وحده، وهو الله رب العالمين، ودون غيره ، وهذا يؤيده قوله تعالى :

(**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**)(9).

---

(1)-يس/ 66.
(2)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 291.
(3)-ابن هشام-معنى اللبيب-ج1- 637.
(4)-ابن هشام-معنى اللبيب- ج1- 637.
(5)-طه/ 21.
(6)-التوبة/ 5.
(7)-ابن هشام-معنى اللبيب-ج1- 638.
(8)-النساء/ 36.
(9)-الشعراء/ 97-98

ومنه قوله تعالى حكاية عن أمِّ موسى:(**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ**)(1) فقد ضُمِّن الفعل(تبدي) معنى (تخبر،أو تعلم) لأن الفعل (أبدى) لا يتعدّى بحرف الجر (الباء) فلا يقال: أبدى به بل أبداه.

ومن التضمين الخاص بالمعجم نجد ألفاظا تتضمّن دلالات ألفاظ أخرى، حسب السياق والمقام، من ذلك لفظة (وكيل) التي قد تتضمّن معنى لفظة (حِرز) كما في قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً** ﴾(2) فلفظة (وكيل) هنا تضمّنت معنى حرز ومانع (3) . ومن هذا قوله تعالى:﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً**﴾(4) وقد تعني (ربّ) كما في قوله تعالى في شأن بني إسرائيل :﴿ **أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً**﴾(5) أي ربّا . كما تتضمّن معنى لفظة (مسيطر) كما في قوله تعالى:﴿ **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ** ﴾(6) بمعنى مسيطر(7).

أمّا لفظة (المحصنات) فتكون بمعنى (الحرائر) مطلقا كما في قوله تعالى:﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ**﴾(8) . ويرى الزمخشري أنها بفتح الصاد، وأنّهن ذوات الأزواج (9). وأذهب إلى ما ذهب إليه مقاتل أي الحرائر مطلقا لأن هذا يتأيّد بقوله: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ**

---

(1)-القصص/ 10.
(2)- النساء/ 109.
(3)- مقاتل بن سليمان البلخي– الأشباه والنظائر في القرآن الكريم –تح: عبد الله شحاتة- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة-د.ت- 142.
(4)-الإسراء/ 65.
(5)- الإسراء/ 2.
(6)-الأنعام/ 107.
(7)-الأشباه والنظائر- 142.
(8)- النساء/ 24.
(9)- الكشاف- ج1- 497

﴿الْمُحْصَنَاتِ ﴾(1) فسمّيت (محصنات) أي حرائر، إذ المقصود ليس المتزوّجات، ولو عملنا بقول الزمخشري، لكان محظورا. كما تتضمّن لفظة (المحصنات) أيضا معنى (العفائف المتنزهات عن كلّ شبهة) وهذا جاء في قوله تعالى:﴿ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ﴾(2) أي متعففات مترفعات عن الفواحش . وهذا يعضده قوله تعالى:﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾(3) يعني غير معلنين الزنا (4) .

وتعني اللفظة (المسلمات) كما في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾(5) أي أسلمن، وهنّ الولائد (الجواري) وهذا ما ذهب إليه مقاتل . بينما اعتبر الزمخشري الإحصان بالتزويج (6) .

أمّا لفظة (الأشهاد) التي تعني جمع (شاهد) فتتضمّن معنى الأنبياء(7) ومثاله قوله تعالى:﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾(8) أي نبيّ منهم شاهد عليهم بتبليغ الرسالة (9) . كما تتضمّن كلمة (الشهيد) معنى (الحافظ) الذي يكتب عمل ابن آدم حسناً كان أم سيئا ومثاله قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾(10) أي ملكه الحافظ الذي كتب عمله في الدنيا، وهو شاهد عليه (11) . وتكون كلمة (شهداء) بمعنى أمّة الرسول ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾(12) أي أمّة النبيّ ﷺ تشهد للرسل بأنهم بلّغوا الرسالة(13).وتضمَّن لفظة (الشهيد) معنى (الحاضر المعاين) كما في قوله تعالى:

---

(1)- النساء/ 25.
(2)- النساء/ 25.
(3)- المائدة/ الآية:5.
(4)- مقاتل- الأشباه والنظائر- 144.
(5)- النساء/ 25.
(6)- مقاتل - الأشباه والنظائر-144
(7)- الكشاف-ج1- 500.
(8)- النساء/ 41.
(9)- مقاتل- الأشباه والنظائر- 145.
(10)- ق/ 21.
(11)- مقاتل- الأشباه والنظائر- 145.
(12)- البقرة/ 143.
(13)- مقاتل- الأشباه والنظائر- 145.

﴿ **فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً** ﴾(1) يعني حاضراً.

أمّا لفظة (الحرج) التي تعني (التبرّم) فقد تُضمَّن معنى (الشك) كما في قوله تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً** ﴾(2) يعني شكا ممّا قضيت(3) كما يعني الحرج(الضيّق) نحو قوله تعالى:﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ**﴾(4) أي ضيق في أمر دينكم (5) .

ومنه لفظة (شِيَعٌ) التي تعني (فرق) ولكن قد تتضمَّن معنى (الجيش والقوم) كما في قوله تعالى:﴿**هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ**﴾(6) . كما تتضمّن معنى (أهل مكة خاصّة) كقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ** ﴾ (7) وقوله :﴿**كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ**﴾(8) يعني أهل مكة (9).

و تتضمّن معنى (الفشوّ والانتشار والذيوع) كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ**﴾(10) أي تنتشر في الذين آمنوا وتذيع (11) وكما يكون التضمين في المعجم يكون في الحروف أيضا كما سيأتي.

---

(1)-النساء/ 72.
(2)-النساء/ 65.
(3)- مقاتل- الأشباه والنظائر- 148.
(4)- المائدة/ 6.
(5)- الأشباه والنظائر- 148.
(6)-القصص/ 15.
(7)-القمر/ 51.
(8)-سبأ/ 54.
(9)- الأشباه والنظائر- 151.
(10)- النور/ 19.
(11)- الأشباه والنظائر- 152.

التضمين الناتج عن الحروف:

لقد سبقت الإشارة إلى أنه مثلما تُضمَّن الأفعال، تضمَّن الحروف أيضا، فيأخذ حرف حكم حرف،بما يثبت له من معنى وعمل، ويكون ذلك دافعا للتقدير.

ومادام البحث منصبا على التضمين الباعث على التقدير في القرآن الكريم، فإني سأعمد إلى إيراد شواهد من آيات مختلفة، كنماذج للتضمين خاصة بالحروف المُضمّنة.

قال تعالى- حكاية عن فرعون- :(**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**)(1) فحرف الجر (في) تضمّن معنى (على) (2) أي لأصلبنّكم على جذوع النخل(3).

وقوله تعالى:(**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**)(4)

فـ (مِنْ) في قوله (من جوع) تضمّن معنى(بعد)(5) لأن المعنى: أطعمهم بعد الجوع، وآمنهم بعد شدّة الخوف(6) لأنّ (أطعم) لا يتطلب (من) .

قال تعالى:(**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ**)(7) فقد خرّج السيد قطب (إلى أموالكم) فعل(ضمها)إلى أموالكم(8). ولكن قدرت (إلى) بـ(مع) لتضمّنها معناها، كما يجوز أن يكون الفعل(تأكلوا) مضمّنا الفعل(تضموا).

و تجيء (إلى) متضمّنة معنى (اللام) كما في قوله تعالى حكاية عن ملإ بلقيس:(**وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**)(9) أي الأمر لك(10).

---

(1)- طه/ 71.
(2)-أحمد الصاوي- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين- م3- 59.
(3)-محمد محمود حجازي-التفسير الواضح- دار الكتاب العربي-بيروت لبنان-ج2- 19/18.
(4) - قريش/ 3-4.
(5)- محمد الصابوني- صفوة التفاسير- المجلد 3- 606/ 607.
(6)-أبو عبيدة بن المثنى- مجاز القرآن –ج2- 24/23.
(7)- النساء/ 2.
(8)-السيد قطب- في ظلال القرآن – دار الشروق- بيروت- لبنان- ط 12- م 1- ج 4- 576.
(9)- النمل/ 33.
(10)- ابن هشام-مغني اللبيب- ج1- 79.

ومن معاني (إلى) المتضمنة (مع) ما جاء في قوله تعالى:(**قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ**)(1) أي من أنصاري مع الله. وبذلك قال الكوفيون وجماعة من البصريين(2) ومن هذا قولهم : «الذود إلى الذود إبل»(3).

وقد تأتي (إلى) مضمّنة معنى (في) ذلك قاله ابن هشام(4) كما في قوله تعالى:(**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)(5) أي في يوم القيامة.

وتضمّن (الباء) معنى (مع)(6) كما في قوله تعالى:(**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ**)(7) أي مع سلام ، ومن ذلك قوله تعالى:(**وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ**)(8).

كما تضمّن معنى (في) الظرفية، كما في قوله تعالى:(**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**)(9) أي في بدر. وقوله:(**نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ**)(10) أي في سحر.

وتضمّن (الباء) معنى عن(11) فتكون للمجاوزة، وقيل تختص بالسؤال، كما في قوله تعالى: (**فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً**)(12) أي عنه، بينما ذهب البصريون إلى أنّ الباء هنا للسببية(13).

---

(1)- آل عمران/ الآية: 52.
(2)- ابن هشام-مغني اللبيب- ج1- 78.
(3)- المرجع ، والصفحة السابقان: الذود:السّوق،وجمع من الجمال من ثلاثة إلى تسعة.
(4)- ابن هشام-مغني اللبيب- ج1- 79.
(5)-النساء/ الآية: 87.
(6)-المرجع السابق- 104.
(7)-هود/ 48.
(8)- المائدة/ 61.
(9)- آل عمران/ 123.
(10)- القمر/ 34.
(11)- مغني اللبيب- ج 1- 110.
(12)-الفرقان/ 59.
(13)- مغني اللبيب- ص110.

وتُضمّن (الباء) معنى(على) فتكون للاستعلاء(1) نحو قوله تعالى:(**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**)(2) أي على قنطار. من اليهود من إذا ائتمنته على قنطار(على المال). قيل نزلت في عبد الله بن سلام وفي فنحاص بن عازوراء اليهوديين(3).

وكذا في قوله تعالى: (**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ**)(4) فالباء هنا بمعنى(من) يشرب منها علاوة على أن الفعل (يشرب) قد ضمّن معنى (يروى).

وقد تُضمَّن (ثمّ) معنى (الفاء السببية) فينصب المضارع بعدها، عند الكوفيين، بعد فعل الشرط(5) كما في قوله تعالى بقراءة الحسن:(**وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**)(6) بنصب (يدركه). ومن أمثلة تضمين الحرف حتى معاني حروف أخرى، ما جاء في الآية الكريمة: (**سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**)(7) أي إلى مطلع الفجر(8).

ومن هذا قوله تعالى:(**حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**)(9) أي إلى (أن يرجع).

كما تأتي (حتى) مُضمَّنة معنى (كي) التعليلية(10) نحو قوله تعالى:(**وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**)(11) وقوله:(**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ**

---

(1)-ابن هشام- مغنى اللبيب-ج1- 109.
(2)- آل عمران/ 75.
(3)- الزمخشري- الكشاف-ج1- 374/ 375.
(4)- الإنسان/ 6.
(5)- ابن هشام-مغني اللبيب-ج1- 126.
(6)- النساء/ 100.
(7)- القدر/ 5.
(8)- ابن خالويه- إعراب ثلاثين سورة من القرآن- 143/142.
(9)-طه/ 91.
(10)- الكشاف- ج1- 258.
(11)- البقرة/ 217.

رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا) (1) فـ(حتى) في الآيتين السابقتين ضمّنت معنى (كي) التعليلية(2).

فاستماتة الكفار والمنافقين في قتال المسلمين،علته إضعاف المسلمين وردّهم إلى الكفر والضلال ونهيٌ لليهود وفي مقدّمتهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلول عن الإنفاق على المسلمين(على من عند رسول الله) علته الانفضاض عن النبي ﷺ وانهزام الدعوة الإسلامية .

وقد تُضمَّن(على) معنى (مع)(3) نحو قوله تعالى:(**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ**)(4) أي أتى المال وأنفقه في وجوه البر مع حبِّه والشحِّ به(5).

ومنه قوله أيضا:(**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ**)(6)أي: وإنّ ربّك لذو صفح عظيم للناس، لا يعجِّل لهم العقوبة، مع كفرهم، ومع ظلمهم أنفسهم بالذنوب (7)

كما تكون (على) بمعنى (في) فتضمّن الظرفية(8) نحو قوله تعالى:(**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا**)(9). ونحو قوله تعالى:(**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**)(10) أي في ملك سليمان أو في زمن سليمان، أي زمن ملكه(11).

وتضمّن (على) معنى(مِنْ) كما في قوله تعالى:(**إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**)(12) أي

---

(1)-المنافقون/ 7.
(2)- ابن هشام-مغني اللبيب-ج1-133.
(3)- المرجع السابق-152.
(4)- البقرة/ 177.
(5)- الكشاف- ج1- 218.
(6)- الرعد/ 6.
(7)- الكشاف- ج2- 514.
(8)- الزركشي-البرهان في علوم القرآن- ج:4- 284.
(9)- القصص/ 15.
(10)- البقرة/102.
(11)- الزركشي-البرهان في علوم القرآن-ج4-285.
(12)- المطففين/ 2.

منهم(1). ومنه قوله تعالى أيضا:(**كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً**)(2) أي كان الورود حتما مقضيا من ربّك(3).

و تضمّن (على) معنى (عند) كما في قوله تعالى-حكاية على لسان سيدنا موسى عليه السلام-:(**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**)(4) أي عندي(5).

كما تُضمّن (على) معنى (الباء) كما في قوله:(**حَقِيقٌ عَلَيّ أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**)(6) أي حقيق بي . وتضمّن (عن) معنى(على) كما في قوله تعالى: (**وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ**﴾(7)أي (على نفسه). وفي قوله تعالى:﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾(8)كما تفيد(عن) الاستعلاء، أي: فليحذر الذين يخالفون أمر رسول الله ﷺ ، لأنهم إذا خالفوا أمره بعدوا عنه وتجاوزوه (9) ولهذا دلت (عن) هنا على معنى (على).

وتضمّن (عن) معنى (اللام) التي تفيد التعليل، كما في قوله تعالى:(**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ**)(10) هذا بيان للسبب الذي حمل إبراهيم على الاستغفار لأبيه أي ما أقدم إبراهيم على الاستغفار(إلا عن موعدة وعدها إيّاه) فـ (عن) هنا بمعنى (من أجل) فكانت للتعليل(11). كما ترد (عن) مضمّنه معنى (بعد)(12) كما في قوله تعالى:(**قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ**

---

(1)- الزركشي-البرهان في علوم القرآن-ج4-285.
(2)-مريم/ 71.
(3)-البرهان في علوم القرآن- ج4- 285.
(4)-الشعراء/ 14.
(5)-الزركشي-البرهان في علوم القرآن- ج4- 287.
(6)- الأعراف/ 105.
(7)- محمد/ 38. (8)-النور/ 63.
(9)- الزركشي-البرهان في القرآن الكريم- ج4- 286.
(10)- التوبة/ 114.
(11)- ابن هشام مغني اللبيب- ج1- 158.
(12)- الزركشي-البرهان في علوم القرآن-ج4-287.

نَادِمِينَ)(1) أي بعد زمان قريب سيصبحون نادمين.

ونحو قوله تعالى:(**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**)(2) أي بعد مواضعه، بدليل أن في مكان آخر(من بعد مواضعه)(3). وقوله تعالى:(**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ**) (4) حال بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدّة والهول(5).

وتضمّن(عن) معنى(مِنْ)(6) نحو قوله تعالى:(**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**)(7) أي يقبل التوبة من عباده ومعنى (قَبِلْتُه عنه) عَزلْتُه عنه وأبَنْتُه عنه(8).

ومنه قوله تعالى:(**أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا**)(9) أي نتقبّل منهم، بدليل قوله عز وجل:(**فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ**)(10).

وتضمّن(عن) معنى(الباء)(11) نحو قوله تعالى:(**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**)(12) أي أن الرسولﷺ لا يتكلم بهوى نفسي، ورأي شخصي، كما قيل في (عن) أنها للحقيقة. ولكن الزركشي اعتبرها مُضمّنة معنى (الباء) فقال:«...لأنها إذا كانت بمعنى نَفَى عنه النطق في حال،كان متلبسا بالهوى، وهو صحيح، وإذا كانت على بابها، نفى عنه التعلق حال كونه مجاوزاً عن الهوى فيلزم أن يكون النطق حال كونه متلبّسا بالهوى، وهو فاسد»(13).

---

(1)- المؤمنون/ 40.
(2)- المائدة/ 13.
(3)- مغني اللبيب- ج1- 159.
(4)- الانشقاق/ 19.
(5)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 728.
(6)- الزركشي-البرهان في علوم القرآن-ج4- 287.
(7)- الشورى/ 25.
(8)- الكشاف- ج4- 222.
(9)- الأحقاف/ 16.
(10)-المائدة/ 27.
(11)- البرهان في علوم القرآن-ج4- 287.
(12)-النجم/ 3.
(13)- البرهان في علوم القرآن-ج4- 287

وتـُضمَّن الفاء التي تفيد الترتيب معنى(ثم) (1) التي تفيد التراخي، و منه قوله تعالى:(**وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى**)(2) أي أنبت ما ترعاه الدواب من الحشائش والأعشاب(فجعله غثاء أحوى) أي فصيّره بعد الخضرة أسود باليا(3) فالفاء بمعنى (ثم)لأن بين الإخراج والغثاء وسائط.

وتـُضمّن(في) معنى الظرف (عند)(4) نحو قوله تعالى:(**وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**)(5) أي عندنا، وبين ظهرانينا سنين عديدة.

وتكون للتعليل(6) مضمنة معنى حرف(اللام) نحو قوله تعالى على لسان امرأة العزيز:(**فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ**)(7) أي الفتى الكنعاني الذي لمتنني في محبته فانظرن ماذا لقيتن منه (8).

وتضمّن (في) معنى (على) فتفيد الاستعلاء، كما في قوله تعالى:(**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ**)(9) أي (على الفلك) بدليل قوله تعالى:(**فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ**)(10).

كما تضمّن(في) معنى(إلى)(11) نحو قوله تعالى:(**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**)(12) أي أرادوا إنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تـُمْنـَعون فيها من إظهار دينكم (13). ومنه قوله تعالى:(**فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ**)(14).

---

(1)- البرهان في علوم القرآن-ج4- 287
(2)- الأعلى/ 5-6.
(3)- محمد علي الصابوني-صفوة التفاسير- م3- 558.
(4)- البرهان في علوم القرآن-ج4- 302.
(5)-الشعراء/ 18.
(6)-البرهان في علوم القرآن-ج4- 302.
(7)- يوسف/ 32.
(8)- الصابوني- صفوة التفاسير- م 3 - 50.
(9)- يونس/ 22.
(10)- المؤمنون/ 28.
(11)- البرهان في علوم القرآن-ج4- 303.
(12)-النساء/97.
(13)- الكشاف- ج1- 555.
(14)-إبراهيم/9.

كما ترد(في) مضمّنة معنى الحرف (مِنْ)(1) نحو قوله تعالى: (**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً**)(2) أي من كلّ أمّة.

وقد تُضمّن معنى(بعد) نحو قوله تعالى:(**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**) (3) أي : بعد عامين.

كما تُضمّن (في) معنى (عن) كقوله تعالى:(**فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى**) (4) والأعمى مستعار ممّن لا يُدرك المُبصرات لفساد حاسته، لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة (5)

وعلق الزركشي على هذه الآية فقال:« قيل لمّا نزلت(**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**) لم يسمعوا ولم يصدقوا فنزل(**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى**) أي عن النعيم الذي قلناه ووصفناه في الدنيا، فهو في نعيم الآخرة أعمى إذ لم يصدق» (6).

ومن الحروف المضمّنات (الكاف) التي تأتي للتشبيه، فتضمن معنى لام التعليل(7) نحو قوله تعالى: (**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً**)(8) وعلق الأخفش:«أي لأجل إرسالي فيكم رسولا منكم فاذكروني»(9). وتتضمّن (في) معنى (مع) كما في قوله تعالى:﴿ **قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ** ﴾(10) أي (مع أمم) (11) .

---

(1)-الكشاف- ج4.
(2)- النحل/ 89.
(3)- لقمان/14.
(4)- الإسراء/72.
(5)- الكشاف- ج2- 683.
(6)- البرهان في علوم القرآن-ج4-ص304.
(7)- المرجع نفسه-ص314.
(8)- البقرة/ 151.
(9)- الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج4-310.
(10)- الأعراف/ 38.
(11)- مقاتل بن سليمان البلخي- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم- 187.

وقد تُضَمّن (في) معنى (لنا) (1) كما في قوله تعالى:﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾(2) فاعتبر مقاتل (في) هنا بمعنى (لنا) واستدلّ على ذلك بالآية الكريمة : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا** ﴾ (3) بيد أن الزمخشري خرّج (في الله) على أنّ معناها (في ذات الله ومن أجله) وعلل ذلك بقوله: « فلمّا كان الجهاد مختصّا بالله من حيث إنه مفعولٌ لوجهه ، ومن أجله ، صحّت إضافته إليه » (4) ورأي الزمخشري –حسب ما يبدو- ليس بعيداً عمّا ذهب إليه مقاتل،ولكن أراه الأحوط لأنّ كثيراً من الآيات تعضُدُه .

أمّا(اللام) فقد تضمّن معنى الحرف (إلى)(5) ومنه قوله تعالى:﴿**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً**)(6) أي إلى أجل(7) بدليل قوله تعالى: (**وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً**)(8) وقوله:(**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**)(9) وقوله: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا**)(10)

ويضمّن الحرف(لـ) معنى (على) نحو قوله تعالى: (**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ**)(11) أي يخرّون على الأذقان(12) ومنه قوله تعالى أيضا:(**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**)(13) أي

(1)- مقاتل بن سليمان البلخي- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم- 187.
(2)- الحج/ 78.
(3)-العنكبوت/ 69.
(4)- الزمخشري- الكشاف- ج3- 173.
(5)- البرهان في علوم القرآن-ج4-ص340.
(6)- الرعد/ 2.
(7)- الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج4- 340
(8)- إبراهيم/ 10.
(9)- الأنعام/ 28.
(10)-الأعراف/ 43.
(11)-الإسراء/ 109.
(12)- البرهان في علوم القرآن – ج4- 341.
(13)-الإسراء/ 7.

فعليها، لأن السيئة على الإنسان، لا له (1) بدليل قوله تعالى: (**فَعَلَيَّ إِجْرَامِي**)(2).

ويضمّن معنى(في)(3) نحو قوله تعالى: (**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**) (4) أي ونقيم الموازين المعادلة التي توزن بها الأعمال في يوم القيامة (5) . ومنه قوله تعالى:(**لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ**)(6) أي (لا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده، إذ جاء بها في وقتها بنفسه)(7). كما تكون (اللام) مُضَمّنة معنى (بعد)(8) نحو قوله تعالى: (**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**)(9) أي بعد ميلها وغروبها(10)ومعنى(عن)(11) نحو قوله تعالى:(**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ**) (12) أي عن الذين آمنوا.

وقد تضمّن (اللام) المفردة معنى (أنْ) المخففة الساكنة، نحو قوله تعالى:(**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ**)(13) أي أن يطفئوا،والمصدر المؤوّل من (أنْ) وما بعدها في محلِّ نصب مفعول به للفعل (يريدون).

كما تضمّن معنى(كي) (14) كما في قوله تعالى:(**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**)(15) أي لكي يقربونا.

---

(1)-الزركشي-البرهان في علوم القرآن- ج4- 341.
(2)-هود /35.
(3)- الزركشي-البرهان في علوم القرآن- ج4- 341.
(4)- الأنبياء/ 47.
(5)- الصابوني-صفوة التفاسير-ج1- 264.
(6)-الأعراف/ 187.
(7)-الزمخشري-الكشاف-ج2-134.
(8)- البرهان في علوم القرآن-ج4- 342.
(9)- الإسراء/ 78.
(10)- محمد أحمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- ص 175.
(11)- الزركشي-البرهان في علوم القرآن-ج4- ص342.
(12)-الأحقاف/ 11.
(13)-الصف/ 8.
(14)-البرهان في علوم القرآن- ج 4- ص 343.
(15)- الزمر/ 3.

ومثال لام (كي) و(كي) مضمرة معها(1) كما في قوله تعالى:(**لِيُنْذِرَ بَأْساً**)(2) وكذا في قوله (**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**)(3) وأيضا: (**لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ**)(4).

و قد تضمّن (لا) النافية معنى (لم)(5) ولذلك اختصت بالدخول على الماضي، نحو قوله تعالى:(**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى**)(6) أي لم يصدق ولم يصل.

وتُضمَّن (مِنْ) معنى الصلة (7) كما في قول الله تعالى : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾(8) لأننا نستطيع حذفها فلا يعتري الكلام لبسٌ ويصبح (قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم) ولكن المنهي عنه ليس غض البصر كله،كما ذهب إليه مقاتل، بل المحرَّم منه. ولهذا عدّها الزمخشري للتبعيض(9). كما تتضمّن معنى (الباء) كما في قوله تعالى:﴿**يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ**﴾(10) أي بأمره(11).

وتُضمَّن(من) معنى (عن) كقوله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ (12) أي عن

---

(1)- البرهان في علوم القرآن-ج4- ص345.
(2)-الكهف/ 2.
(3)-الفرقان/ 32.
(4)-يوسف/ 24.
(5)- الزركشي-البرهان في علوم القرآن- ج4- ص355.
(6)-القيامة/ 31.
(7)-مقاتل بن سليمان البلخي- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم-189.
(8)- النور/ 30.
(9)- الزمخشري- الكشاف- ج3- 229.
(10)- غافر/ 15.
(11)- مقاتل بن سليمان البلخي- الأشباه والنظائر- 189.
(12)- الزمر/ 22.

ذكر الله(1). كما تأتي متضمّنة معنى (في) كما في قوله تعالى:﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾(2) أي في الأرض، ومنه﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾(3) أي في يوم الجمعة (4).

(هل) حرف استفهام كما في قوله تعالى:﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾(5)ولكن تُضمَّن معنى (ما النافية) فتخرُجُ عن حقيقتها كما في قوله تعالى:﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾(6) أي ما ينظرون (7). ونظيره قوله تعالى:﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾(8). وقد ترد متضمّنة معنى (قد) فتفيد التوكيد والإثبات، كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾(9) فالمعنى قد أتى على الإنسان زمان كان فيه شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الأصلاب (10) . وقد تُضمَّنُ (هل) معنى (ألا) التي تفيد العرض والتحضيض كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾(11) بمعنى ألا أدلّك .

---

(1)- ابن هشام- مغني اللبيب- ج1- 356.
(2)- فاطر/ 40.
(3)- الجمعة / 9.
(4)- مغني اللبيب- ج1- 356.
(5)- الروم/ 28.
(6)- الأنعام/ 158.
(7)- مقاتل بن سليمان البلخي- الأشباه والنظائر- 150.
(8)- الزخرف/ الآية: 66.
(9)- الإنسان/ الآية: 1.
(10)-الكشاف- ج4- 665.
(11)- طه/ الآية: 120.

استنتاج:

وممّا سبق بحثه يتبيّن أن التضمين سواء كان في الأصوات، أم في المعجم فإنه بابٌ من أبواب التوسّع في الكلام، يتيح توليد معان ٍ إضافية يقتضيها السياق، ولا يدلّ عليها الأصل (صوتا أوكلمة). كما يكشف عن دقة النظام العجيب للغة ، بحيث تتكامل عناصرها ، وتتآلف مختلف سياقاتها وتتآنس أنساقها، فينزاح معنى لفظٍ إلى لفظ آخر فيعضده ، وتنساب دلالة صوت في أوصال صوت آخر فتسنده ، فيؤدِّي معناه في موقف يكون الكلام في حاجة مسيسة إليه .

وهذه الظاهرة اللغوية نجدها متنوِّعة في القرآن الكريم، وقد تكون لتخريج المعاني وتفسير الآيات لأن للحرف معانيَ مختلفة يحملها، بلْهَ المعنى الأصلي، وكذا اللفظ عامّة، فيُضمَّن معنى آخر يقتضيه السياق ويعوزُه المقام ، فقد يتطلب المقام فعلا متعدِّيا، والكلام جار بفعل لازم يتضمّن معنى متعدِّيا فيُحمل عليه، كما في قوله تعالى:﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ﴾ فالفعل(استبقوا) نصب (الخيرات) إمّا على نزع الخافض (إلى) وإمّا لتضمّنه معنى (بادروا). والحرف (في) قد يخرج عن الظرفية فيُفيد معنى حرف آخر مثل (على) كقوله تعالى :﴿ **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** ﴾ أي على جذوع النخل ، أو معنى (إلى) كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾ أي إليها. وكلّ هذا له علاقة بالتقدير، إذ إرجاع معاني الألفاظ إلى أصولها الأ ُوَل يقتضي تقديراً معيّنا. ومن هنا كان للتضمين دورٌ في التقدير إذ يُعدّ وجها من وجوه العدول يتطلب التقدير حين إرجاع المعدول عنه إلى الأصل .

المبحث الثالث: الحمل على المعنى.

ويُطلق عليه التوهّم الذي يعني لغة : « الوهم خطرات القلب ، والجمع أوهام، وتوهّم الشيء تخيّله وتمثّله ،كان ذلك في الوجود أم لم يكن...وتوهّمت الشيء، وتفرّسته، وتوسّمته وتبيّنته بمعنى واحد»(1). وفي هذا المعنى قول زهير(2):

وقفتُ بها من بعد عشرين حِجّة فلأياً عرفت الدار بعد توهّم

و يلاحظ أن أوائل النحاة لم يولوا هذا المصطلح بحدّ، لأن اهتمامهم كان منصبّا على الاستعمال وإن كان بعضهم قد أجراه في مواطن معيّنة، واعتبره آخرون غير غريب عن طبيعة الكلام العربي كالسيوطي الذي عدّه من سنن العرب فقال:« ومن سنن العرب التوهم والإيهام وهو أن يتوهم أحدهم شيئا ثم يجعل ذلك كالحقّ »(3) وقوله (كالحق) أي يجعله كالحقيقة والأصل، وإن كان غير ذلك ،لأنه راجع إلى تخيّل النحاة والصرفيين بقصد تفسير سياق تركيبي، أو ظاهرة صوتية، ليس لها ظاهرُ قاعدة، يجعل ذلك ينتظم ضمن صنف معيّن من أصناف القوانين النحوية، فيُلجأ حينها إلى المعنى المحمول لتحديد المدلول .

والملاحظ ،أن مصطلح التوهم ورد على ألسنة بعض النحاة بلفظ آخر كالحمل على المعنى تارة والحمل على اللفظ أخرى.

فقد جاء على لسان سيبويه حين قال(4) :« سألت الخليل-رحمه الله-عن قوله تعالى: ﴿ **فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ فقال الخليل:هذا كقول زهير(5):

بدا لي أني لست مُدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إن كان جائيا (6)

---

(1)- ابن منظور- لسان العرب- طبعة بولاق- ج16- باب الميم – فصل الواو- 130.
(2)- ديوان زهيربن أبي سلمى- صنعة أبي العبّاس أحمد بن يحي الشيباني ثعلب – الدار القومية للطباعة والنشر- مطبعة دار الكتب العربية – القاهرة- 1384هـ/ 1964م- ص7.
(3)- السيوطي- المزهر- تحـ: محمد أبو فضل إبراهيم وعلي البجاوي – ط الحلبي – 1361هـ ج1- 336.
(4)- سيبويه-الكتاب – ج3- ص 100.
(5)- زهير بن أبي سلمى- الديوان- ص287.
(6)- ورُويت : ولا سابقي شيءٌ بدون ياء .

فإنما جرّوا هذا،لأن الأوّل قد يدخله الباء، فجاؤوا بالثاني، وكأنهم قد أثبتوا في الأول الباء فكذلك هذا، لمّا كان الفعل الذي قبله قد يكون مجزوما، ولا فاء فيه، تكلموا بالثاني وكأنهم قد جزموا قبله وعلى هذا توهموا هذا»(1).

يتبيّن من قول سيبويه أنّ أستاذه الخليل من أوائل من أطلق مصطلح التوهم.وقول زهير(ولا سابقٍ) على توهم وجود الباء الزائدة الداخلة على خبر ليس(بمدركٍ) فعطف بالجر على التوهم، والتقدير توهما: (ولست بمدركٍ ولا سابقٍ).

فإذا كان الخليل قد استعمل لفظ التوهم ، فبأي مصطلح وظفه سيبويه؟

فرغم نقلِ سيبويه المصطلحَ ، عن أستاذه، فإنه وظف مضمونه بلفظ الغلط، وهو لا يعني إلا التوهم. ويتأكد ذلك من خلال استشهاداته التي منها حديثه عن عطف المُظهَر على المُضمَر في قوله:«واعلم أنّ أناسا من العرب يغلطون ، فيقولون إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيد ذاهبان ، وذلك أنّ معناه الابتداء، فيرى أنه قال لهم – كما قال- : ولا سابقا شيئا إذا كان جائيا»(2) فقوله (يغلطون) يقصد به (يتوهمون) والدليل على ذلك استدلاله بقول زهير الذي أجري فيه الاسم على الجرّ توهما(وإنك وزيد ذاهبان) والقياس: (إنك وزيدا)، بعطف (زيد) على محلّ الضمير (ك) وهو النصب، ولكن توهّموا – حسب رأيه- فعطفوا (زيدا) على محلّ (إن) واسمها الذي هو المبتدأ.

وعمّا ذهب إليه سيبويه قال ابن هشام: « ومُراده ما عبّر عنه غيره بالتوهم» (3).

وعلق على ذلك البغدادي (ت 1093هـ) في الخزانة، فقال: « ومراد سيبويه بالغلط التوهم لا حقيقة الغلط»(4) . ويؤكد شوقي ضيف أن سيبويه كان يعني بالغلط التوهم فقال: « كان يتخذ هذه المقاييس ممّا دار على ألسنة العرب كثيرا، وما خالفه ينحني عليه بكلمات تدلّ على مخالفة الذائع المشهور الذي استنبط منه القواعد، وينعته بالغلط، يريد أن يثبت عليهم التوهم فيه » (5).

---

(1)-سيبويه-الكتاب- ج3- 101.
(2)- المرجع السابق. 155.
(3)- ابن هشام- مغني اللبيب- ج 2- ص 551.
(4)- البغدادي- خزانة الأدب- ج 4- ص 325.
(5)- شوقي ضيف- المدارس النحوية- 52.

يتبيّن ممّا سبق ذكره، أن سيبويه قد استعمل التوهم، ولكن بلفظ الغلط، وممّا خرّجه سيبويه على التوهم، قوله تعالى: (**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً**)(1) « برفع (يرسلُ) فكأنه - والله أعلم- قال عز وجلّ : لا يكلم الله البشر إلا وحيا، أو يرسلُ رسولا ، أي في هذه الحال ، وهذا كلامه إيّاهم، كما تقول العرب : (تَحيتّتك الضربُ وعتابُك السيف) » (2) .

ومن أمثلة تخريجات سيبويه المسائل على التوهم وبلفظه،ما جاء في معالجته لمضمون النعت السببي حين قال : « تقول (مررت برجل أعورَ آباؤه) كأنك تكلمت به على حدّ (أعْوَرينَ) وإن لم تتكلم به ، كما توهموا في (هَلْكى ومَوْتى ومَرْضَى) أنه فُعل بهم، فجاءوا به على مثال (جرْحى وقتلى) ولا يقال (هُلِك ومُرِض ومُوِت) » (3) .

وحتى نحاة المدرسة الكوفية، قالوا بالتوهم، وعلى رأسهم شيخهم الكسائي(ت 189هـ) الذي كان يستغلّ التوهم في تخريج بعض المسائل النحوية المخالفة لظاهر القاعدة، ومن ميادين استعماله التوهم، تخريجه لـ(أشياء) على أنها جمع لـ(شيء) وعلة ذلك مشابهتها لـ(حمراء) الممنوعة من الصرف أيضا (4) توهّما لها على أنها على وزن (أبيات جمع بيت).

ومن النحاة البغداديين الذين قالوا بالتوهم، وخرّجوا وفقه المسائل النحوية، أبو علي الفارسي (ت 377هـ) وتلميذه ابن جني (ت 390هـ). أمّا أبو علي الفارسي فقد أجرى التوهم في كثير من المواطن، لتخريج بعض القراءات ، كقراءة قنبل ، لقوله تعالى: (**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**) (5) وذلك بعدم حذف الياء في (يتقي) الواقع موقع المجزوم، باعتباره فعل شرط بدليل جزم (يصبر) فهو يرى أن (مَنْ) اسم موصول، ولهذا أثبتت الياء، وأنها ضمّنت معنى (مَنْ) الشرطية، لذلك أدخلت الفاء في الخبر (فإن الله) وجزم (يصبر) على توهّم معنى

---

(1)- الشورى/ 51.
(2)- سيبويه- الكتاب- ج 3- 50.
(3)- المرجع السابق- ج2- 42.
(4)- مجلة كلية اللغة العربية- أم القرى- ص 81. ينظر الخصائص: ج 3- ص 279.
(5)- يوسف/ 90.

(من)(1) يقصد الجازمة.

ومصطلح " الحمل على المعنى" يقصد به الحمل على التوهم، وهذا الذي نجده عند ابن جني وخصّه بفصل أسماه (الحمل على المعنى) (2) وبيّن فضائله وفوائده، ودوره في استيعاب تخريجات المسائل النحوية، حيث قال: « اِعلمْ أن هذا الشرج غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح ، قد ورد به القرآن الكريم، وفصيح الكلام ، منثورا ومنظوما، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوّر معنى الواحد في الجماعة، وتصوّر الجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأوّل، أصلا كان ذلك اللفظ أو فرعا، وغير ذلك » (3) . وإذا تأمّلنا قول ابن جني تكشّف لنا أن للتوهم دورًا كبيرًا في تفسير بعض الظواهر النحوية التي تعوزها القاعدة، أو التي خرجت بالتوسّع عمّا هو مألوف. وممّا يدلّ على أهمّية التوهم، ما أشاد به ابن جني حين قال عنه: « بحر لا ينكش* ولا يفثج** ، ولا يؤبى***، ولا يُغَضْغَضُ» (4). ومن أمثلة ما أورده ابن جني في باب التوهم تخريجه لقوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي**﴾ (5) خرّج الإشارة إلى المؤنث بـ(هذا) باعتباره شيئا مرئيّا فقال: «فأشار إلى الشمس بـ(هذا) أي هذا الشخص، وهذا المرئي ونحوه» (6) كما خرّج تذكير (موعظة) في قوله:﴿ **فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ**﴾(7) على أنها (الوعظ) ولذا ذكّر الفعل (جاء) فقال: « لأن الموعظة والوعظ واحد » (8) وكذا لفظة (رحمة) التي

---

(1)- ينظر ابن هشام – مغني اللبيب- ج 2- ص 550.
(2)- ابن جني- الخصائص- ج 2- ص 411/ 435.
(3)- المرجع السابق- ص 411.
(4)- المرجع السابق- ص 435.
* لا ينكش: لا ينتهي- **لايفثج: لا يبلغ غوره- ***لا يؤبى: لا ينقطع .
(5)- الأنعام/الآية: 78.
(6)- الخصائص- ج2- 412.
(7)- البقرة / 275.
(8)- الخصائص- ج2- 412.

ذكرت في قوله:﴿ **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾(1) على أن الرحمة هنا المطر، وجوّز أن يكون التذكير هنا إنما هو لأجل وزن فعيل (قريب) (2) واستدلّ ببيت عروة بن حزام :

ليالِيَ لا عفراءَ منك بعيدةٌ فتسلِّي ، ولا عفراءُ منك قريبُ(3)

إذن، فابن جني قد عوّل على التوهم، في فك كثير من غموض بعض المسائل النحوية،ولكن بلفظ الحمل على المعنى، واعتبره بابا من التوسّع يغني اللغة، ومجالا لا يدرك غوره.

أمّا الزمخشري، فقد استغلّ التوهم في كثير من المسائل، واستعان به في تخريج بعض الوجوه حين تفسيره للقرآن الكريم ، ولكن ذلك كان بلفظ " الحمل على المعنى". من ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: (**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**)(4) في قراءة من يفتح الباء في (يعقوبَ) فيعلق: « كأنه قيل : ووهبنا له إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب»(5) واستدلّ بقول الشاعر:

مشائيمُ ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعبٍ إلا ببيْنٍ غرابُها

بجرّ (ناعب) بالعطف على التوهم، أي بتوهم دخول الباء على خبر ليس (ليس بمُصلحين).

وليس التوهم حكرا على النحاة الأوائل، بل حتى المتأخرين منهم قالوا به، لكن هناك من فضل استخدام الحمل على المعنى، وهذا تأدّباً مع القرآن الكريم، وتحرّجاً من استعماله بلفظه في مجال الحديث عن كلام الله تعالى. ومن هؤلاء ، ابن الأنباري في كتابه (الإنصاف) الذي يرى أن الحمل على المعنى « أكثر في كلامهم من أن يحصى» (6) ويرى أنه « اتساع يُقْتصَر فيه على السماع»(7)

ومن نحاة الكوفة الذين خرّجوا المسائل على التوهم الفرّاء الذي يعدّ حسب بعض الباحثين أوّل من استعمل مصطلح التأويل مكان التوهم والحمل على المعنى (8)

---

(1)- الأعراف/ 56.
(2)- الخصائص- ج2- 412.
(3)- المرجع نفسه.
(4)- هود/ 71.
(5)- الزمخشري- الكشاف- ج 2- ص 411.
(6)- ابن الأنباري- الإنصاف- ج 2- ص 777- المسألة: 111.
(7)- المرجع السابق- ج 2- ص 781.
(8)- عبد الله أحمد جاد الكريم-التوهم عند النحاة – مكتبة الآداب- ط1- 1422هـ/2001م- -ص37.

وممّا خرّجه الفراء على التوهم قوله تعالى:﴿**فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(1). ففي معرض حديثه عن جزم الفعل (أكُنْ) بعد نصب، فقال: « يقال كيف جُزم (أكنْ) وهي مردودة على فعل منصوب؟ فالجواب في ذلك أن ا(لفاء) لو لم تكن في (فأصدّقَ) كانت مجزومة فلمّا رُدّت (وأكنْ) رُدّتْ على تأويل الفعل لو لم تكن فيه الفاء، ومَنْ أثبت الواو على الفعل الظاهر فنصبه. وهي قراءة عبد الله (وأكونَ من الصّالحين) »(2) . إذن فالفرّاء عبّر عن التوهم بالتأويل وخرّج جزم (أكنْ) مع أنه معطوف (مردود) على منصوب، لكون دخول الفاء على الفعل السابق، هذه الفاء هي التي منعت الجزم لأن الفعل (أكن) تـُوُهِّم أنه في موقع جزم أي جواب لشرط . والملاحظ أن الفراء وظف التأويل وهو يقصد التوهم، غير أن التوهم غير التأويل، إذ يعني هذا الأخير صرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفية بتقدير وتدبّر، بينما التوهم تفسير تخيّلي يُلجأ إليه لتحقيق الانسجام بين ما قد يُظن من خطإ في إعراب بعض التراكيب الفصيحة، وليست كذلك .

ومن النحاة الذين أخذوا بالتوهم، وعالجوا به النصوص تخريجا، ابن يعيش الذي استغله في تخريج بعض المسائل الإعرابية في القرآن الكريم . كما في قوله تعالى: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**) (3) بكسر الميم في (الأرحامِ) فقد خرّجها بتوهم وجود (باء) قبل (الأرحام) فقال: « أن يكون - اعتقد- من كسر الميم من القرّاء- أنّ قبله (باء) ثانية،كما حذفت من نحو: بمن تمرّ أمرّ، وعلى من تنزل أنزل، ولم تقلْ أمرُّ به، ولا أنزل عليه، لأنها مثلها في موضع نصب، وقد حذف حرف الجر » (4) .

أمّا أبو حيان الأندلسي(ت 754هـ) فقد قال بالتوهم، وخرّج به مواقف كثيرة، خاصة في تفسيره (البحر المحيط). وقد أفاد ممّن سبقوه في هذا الباب . والمتصفح لتفسيره يكتشف كثيرا من التخريجات للآيات الكريمة، حملا على التوهم. ومن أمثلة ذلك تخريجه للآية الكريمة :

(1)- المنافقون / 10.
(2)- الفراء- معاني القرآن- ج3- 160.
(3)- النساء/ 1.
(4)- ابن يعيش- شرح المفصّل- ج 3- ص 78/ 79.

(**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً**)(1) فقد خرّجها على أوجه ثلاثة ، منها:« الحمل على التوهّم أن يكون إفراد الضمير حملا على التوهم المعهود مثله في لسان العرب، كأنّه نطق بـ(مَنْ) التي هي بمعنى (الذي) لفظاً ومعنىً، كما جزم بـ(الذي) مَنْ توهم أنه نطق بـ (مَنْ) الشرطية. وإذا كان التوهم وقع بين مختلفي الحد، وهو إجراء الموصول في الجزم مجرى اسم الشرط ، فبالأحرى أن يقع بين متفقي الحدّ ، وهما الموصولان (الذي) و(من) (2).

وعلى غرار أبي حيان الأندلسي نجد ابن هشام (ت 761هـ) قد أفرد حديثا خاصّا بالتوهّم ، وما يجب أن يراعى فيه من شروط ، فيقول: « ...والثالث العطف على التوهم نحو: ليس زيد قائما، ولا قاعدٍ ، بالخفض على توهم دخول الباء في الخبر، وشروط جوازه صحةُ دخول ذلك العامل المتوهم وشروط حُسْنه كثرةُ دخوله»(3) ولذلك حسّن قول زهير المذكور سابقا(4).

كما اعتمد النحاة التوهم في تحديد بعض العوامل ، أو تسويغ بعض الأوجه الإعرابية،ولكن مرّة بلفظ التوهم، وأخرى بعبارة الحمل على المعنى، وهذا عند المتحرِّجين من استعمال التوهم في حق القرآن الكريم، تأدّبا وتنزيها. إلا أن الحمل على المعنى قد يعني أمرًا آخر، وهو باب متفرّد في النحو إذ يعني تضمين معنى فعل فعلا آخر، أو معنى حرفٍ حرفا آخر، فيأخذ حكمه. ويكون الحمل على المعنى في هذه الحال غير التوهم، وقد سبق التعرّض إليه.

ولعلّ تعريف الدكتور عبد الله جاد الكريم أوضحُ وأشملُ لِمَا يعنيه مفهوم التوهّم، حين قال بأنه: «تفسير تخيّلي يضطرّ إليه النحاة والصرفيون وذلك عن طريق الاستعانة بالمعنى في محاولة للتوفيق وتحقيق الانسجام بين ما قد يظنّ من خطإ في إعراب بعض التراكيب العربية الفصيحة والتي لا ريب في صحتها، وبين القواعد النحوية والصرفية ومحاولة مجيئها على هذا النظم»(5)

---

(1)- البقرة/ 17.
(2)- البحر المحيط- ج 1- ص 78.
(3)- ابن هشام- مغني اللبيب- ج 2- ص 549.
(4)- يقصد به قول زهير المُستشهد به في صفحة 176 من هذا البحث، والذي عجزه: فلأياً عرفت الدّار بعد توهّم
(5)- عبد الله أحمد جاد الكريم- التوهم عند النحاة (مرجع سابق)- ص 30.

وعليه يكون التوهم تصوّرا ذهنيا يلجأ إليه النحاة- انطلاقا من المعنى- لتفسير ظاهرة نحوية أو صرفية ما كان لها أن تفسّر لولا اللجوء إلى التوهم.

لكن، ما علاقة التوهم بالتقدير؟ بمعنى هل يكون للتوهم دور في ظهور التقدير؟

فالتوهم من المصطلحات التي ترتبط بالتقدير ارتباطا وثيقا، إذ التوهم حامل على التقدير. فأحيانا يُتوهم حذف عامل وبقاء معموله، فيُرفع هذا المعمولُ ، أو ينصب أو يجرّ، على التوهّم، ولكن عند البحث عمّا به تستقيم القاعدة، يكون التقدير، وليس هذا مقتصرا على توهم الحذف، بل ينسحب على التوهم بالزيادة.

إذن، فكلٌّ مِن التوهم والتقدير عملية فكرية تقوم على الافتراض، وما ينبغي أن يكون، وما هو ممكن الوقوع، وكلاهما يسعى إلى تصحيح الحركة الإعرابية، و مسايرة القواعد النحوية، بيد أن التوهم حامل على التقدير ، والتقدير يأتي بعد حصول التوهم، وكأنه يسعى إلى ردّ السياقات إلى الأصول حذفا وزيادة، ويتجلّى ذلك في مواطن التقدير الكثيرة، والتي نورد أمثلة منها:

الجمل التي لها محلّ: حيث يقوم التقدير فيها بدور كبير لحلول المفرد محلها، أي تأويلها بمفرد كالواقعة خبرا، أو حالا، أو صفة، أو مضافا إليه. فهنا يكون للتقدير دور في تأويل الجمل بمفرد.

وكما هو الشأن بالنسبة إلى المجرور بحرف الجرّ الزائد، كما في قوله تعالى: (**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**) والتقدير: وما ربّك ظلاما.

وكون التوهم والتقدير من المعاني المفترضة التي تترتب عليها أحكام نحوية كتأويل المصدر الصريح، كما في الآية الكريمة: (**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**) والتقدير: وصيامكم خير لكم، فإنهما يلتقيان في سعيهما إلى تلمّس بعض أوجه الإعراب مجاراة للقاعدة، كما يلتقيان في كونهما وسيلة من وسائل التأويل التي يلجأ إليها النحاة لتفسير المخالفة التي قد تحدث بين القاعدة والنص، بين ما ينبغي أن يكون، وبين ما هو كائن .

ومن مجالات التقاء التوهم ، والإعراب التقديري الذي يعني ما يقابل اللفظي (الصريح) إذ لا تظهر الحركة الإعرابية آخر الكلمة في المقدّر، فتقدّر للتعذر، كما هو الشأن في المقصور،والثقل للمنقوص، واشتغال المحلّ ،كالمضاف إلى ياء المتكلم ، أو المجرور بحرف الجر الزائد، أو الشبيه بالزائد.

فهذه التقديرات كلها، افتراض غير لفظي، ولا واقعي. أفلا يعتبر هذا توهما لحركة غير موجودة على الأقلّ صوتا، ومتعذرة ظهورا، كما في المقصور؟ ومثل ذلك تصوّرنا لفتحة مقدّرة على آخر الاسم المقصور كما في قولنا: (ألقى موسى العصا) وتصوّرنا بناء الفعل المعتل الآخر بالألف (سعى، دعا). فهذا وما كان من قبيله، تقدير، ونوع من التوهّم أيضا، إذ لا وجود لعلامة الإعراب والبناء إلا توهما ، ومن خلال التقدير. والحمل على التوهم نوع من أنواع الاتساع الذي (يشمل كل مظاهر اللغة التي خرجت عن الأصل)(1) إذ الشيء يحمل على الشيء لمناسبة بينهما.

ويرى سيبويه أن الاتساع « باب استعمال الفعل في اللفظ ، لا في المعنى،لاتّساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار » (2). ولكن هذا الاتساع لا يجوز أن يكون غامضا، بمعنى أن يكون المخاطب مدركا للمعنى من هذا الاتساع فقالوا: « فمتى وُجدت الإفادة ، يمكن أن يوجد التسامح أو الترخص أو الاتساع اللغوي، أو التوهم النحوي»(3) . ومن أمثلة الاتساع قولهم (نهاره صائم وليله قائم) والأصل(صائم في النهار قائم في الليل) لأن نهاره مصوم فيه وليله مقوم فيه، وقوله تعالى: (**بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**)(4) فيكون المعنى من باب التوسع (مكر في الليل والنهار) (5).

هذا الباب يعتبر مرونة في اللفظ ، ومراعاة مقتضيات السياق في التركيب، والعلاقات النحوية(6) يقول جلال الدين السيوطي عن دور الاتساع :« الشيء قد يكون له أصل، ثم يتسع فيه ، أي يخرجه عن الأصل » (7).

هذا عن التوهم والاتساع، ولكن ما علاقة التوهم بالاختصار؟

---

(1)-عبد الله أحمد جاد الكريم- التوهم النحوي- ص 63.
(2)- سيبويه- الكتاب- ج 1- ص 211.
(3)- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل- المطبعة الأزهرية- ط 7- 1347هـ/ 1929م- ج 1- ص 97.
(4)- سبأ/ 33.
(5)- السيوطي- الأشباه والنظائر- ج 1- ص 14.
(6)-التوهم النحوي- ص 62.
(7)- الأشباه والنظائر- ج 1- ص 109.

جاء في لسان العرب : « الاختصار في الكلام أن تدع الفضول، وتستوجز الذي يأتي على المعنى وهو سنة من سنن العرب ، وخاصية من خصائصها»(1) .

يتبيّن أن الاختصار عبارة عن تأدية الكلام المقصود بأقلّ عبارة، أي إيراد معان واسعة بعبارة موجزة. وعلى هذا خرُّجت الآية الكريمة: (**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا**)(2) ففي الآية اختصار ليس فيه حذف، لأن عناصر التركيب لم يمسسها حذف.

فإذا كان للتوهم علاقة بالاختصار ، فما علاقته بالتأويل؟

أذكّر هنا بأن التأويل صرف الكلام عن ظاهره، إلى وجوه خفية لتقدير وتدبّر، وأن النحاة قد أوّلوا الكلام ، وصرفوه عن ظاهره، لكي يوافق قوانين النحو وأحكامه. ومن هنا، يكون التأويل محاولة إرجاع ظاهر النص الذي يبدو كأنه لم تتوفر فيه شروط الصحة نحويا، إلى ما يجعله مستساغا متماشيا والقاعدة النحوية. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾(3) . ذكر أبو حيان الأندلسي أن الاستثناء لا يصح حمله على ظاهره، لأن الله لا ينهاه عن أن يقول: (إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء) والتقدير: (إلا أن تقول إلا أن يشاء الله) ففي هذا التقدير حذف لـ (إلا) وما بعدها، من الفعل والحرف المصدري، فيكون قوله (إلا أن يشاء الله) معمولا للقول المحذوف.

أن يكون الاستثناء متعلقا بالنهي، إمّا على حذف مفعول(يشاء) أي (إلا أن يشاء الله أن تقولـه) وإمّا أن يكون المصدر المؤوّل في موضع الحال، على حذف ياء الملابسة، أي مُلتبسًا بمشيئة الله (4).

- توهم غير المعنى الظاهر من اللفظة، من ذلك قوله تعالى: (**إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنّاً**)(5)

---

(1)- ابن منظور- لسان العرب- ج4- مادة(خصر)- ص 240.
(2)- يوسف/ 82
(3)- الكهف/ 24/23.
(4)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج 6- ص 115.
(5)- الجاثية/ 32.

فقد ذكر الرضي أن التفريع يصح في جميع معمولات الفعل، وفي المبتدإ والخبر، إلا المفعول المطلق المؤكد، والمفعول معه. فلا يقال: (لا تمش وزيدا) وعطف النسق فلا يقال: (قام زيد إلا وعمرٌو). ومن هذا رأى النحاة أن في الكلام حذفَ نعتٍ لمصدر أي:(إن نظن إلا ظنا ضعيفا) فيصير المصدر مختصّا مؤكدا ، وهذا عند ابن هشام(1) . وهناك من يرى أن في الآية تقديما وتأخيرا والتقدير (إنْ نحن إلا نظن ظنا) (2).

- توهم إهمال أداة الشرط العاملة: من ذلك قراءة بعضهم للآية الكريمة: (**أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ**) (3) بكسر الجيم ، وهاء مضمومة ، على أن (أينما) مثل(إذا) غير جازمة هنا وحذفت الياء من قوله (لا يأت) تخفيفا، والجزم على توهم النطق بـ(أينما) المهملة عاملة وهي كما في قوله تعالى: (**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ**) بالياء في (يتقي) والجزم في (يصبرْ)(4).
- توهم سبك مصدر مؤوّل ، مضاف إلى اسم آخر باق على خفضه. من ذلك قراءة بعضهم من غير السبعة (**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى**)(5)وذلك بجرّ (الذكر). وأجاز أبو حيان أن يكون مجروراً على توهم سبك مصدر مؤوّل من (ما) وما بعدها، وإضافة المصدر إلى (الذكر) والتقدير(وخلْقِ الذكر والأنثى) . بينما أجاز الفرّاء جرَّه على إضمار حرف جرّ والتقدير (والذي خلق من الذكر والأنثى) فحذف الخافض، وبقي عمله (6).

---

(1)- ابن هشام – مغني اللبيب- ج 2- ص 388.
(2)- الرضي الاستراباذي- شرح الرضي على الكافية- ج 1- ص 235/ 236. ينظر: همع الهوامع- ج 2- ص 102.
(3)- النحل/ الآية: 76.
(4)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط – ج 5- ص 520.
(5)- الليل/ الآية: 3/1.
(6)- الفراء- معاني القرآن- ج 3- ص 270.

- توهّم اسم الشرط على أنه موصول، والعكس. من ذلك ، قراءة عكرمة الشاذة **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَاهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَاهُ)** (1) بإثبات الألف في (يراه) حملا على لغة من يجزم المضارع بحذف الحركة المقدرة على حرف العلة،وهي لغة حكاها الأخفش (2)وهناك من خرّج الآية على توهّم (مَنْ) موصولة غير جازمة. وحسب ظنّي أنّ هذا تمحّل ما دام عدم التوهّم أفضل، يؤيّده ظاهر الآية.

- وقد يكون توهم معنى الشرط بجملة على الاستفهام، وذلك نحو قوله تعالى : **(قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)**(3) . يرى بعض النحاة أن الاستفهام متوهم فيه الشرط، وهذا رأي الزمخشري (4) لأن قوله : (فلن يخلف الله عهده) متعلق بمحذوف جواب الشرط ، والتقدير (إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده).

- توهم الشرط من مضمون الكلام، في نحو قوله تعالى: ﴿**إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا ...دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ)** (5) ذهب بعض النحويين إلى أنّ قوله تعالى:﴿ **دَعَوُا اللَّهَ**﴾ جواب لما اشتمل عليه المعنى من الشرط. وذهب الطبري إلى هذا فتوهّم أداة الشرط والتقدير« ولما وطنوا دعوا » (6).

- عطف اسم مجرور بخافض، على آخر مجرور بخافض: من ذلك قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ**

---

(1)- الزلزلة/ 8/7

(2)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج8- ص 502.

(3)- البقرة/ 80.

(4)- الزمخشري- الكشاف- ج 1- ص 158.

(5)- يونس/ 22.

(6)- عبد الله أحمد جاد الكريم- التوهم عند النحاة- ص 84. ينظر : البحر المحيط- ج5-ص139.

الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَاقَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا) (1) ففي قوله(أو كالذي مرّ على قرية) أوجه متعدّدة منها:

- أن يكون من باب العطف على التوهم ، على قوله: (ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم) توهم جرّ (الذي حاج) بالخافض نفسه الذي جرّ به المعطوف، والتقدير(ألم تر كالذي حاجّ إبراهيم أو كالذي مرّ على قرية) وعلتهم في ذلك استحالة دخول الحرف (إلى) على (كـ) في قوله (كالذي) (2).

- عطف المنصوب على المجرور توهّما، في نحو قوله تعالى: (**فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفَ**)(3) بنصب (الخوف) عطفا على (لباس) وهو الظاهر، وأجاز قوم أن يكون معطوفا على موضع الجوع لأن التقدير (أن ألبسهم الجوع والخوف) على توهم المصدر (4).

- عطف المضارع المجزوم ،على آخر منصوب بلام التعليل، توهما للجزم في قراءة بعضهم نحو قوله تعالى: (**وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرْكَ وَآلِهَتَكَ**) (5) بجزم (ويذرْك) وهو محمول على العطف ، على توهم جزم (يفسدوا) في جواب الاستفهام، كقوله تعالى:(**فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**)(6). ذهب الزمخشري(7) وأبوحيان(8) إلى أنّ قوله (وأكنْ) معطوف على موضع (فأصدّق) لأن المعنى(إن أخرتني إلى أجل قريب فأصدّق وأكنْ من الصادقين) وهذا باب توهم الشرط عند ابن هشام (9) .

---

(1)- البقرة/ 258-259.
(2)- الزمخشري- الكشاف- ج 1- ص 206.
(3)- النحل/ 112.
(4)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج 5- ص 543.
(5)- الأعراف/ 127.
(6)- المنافقون/ 10.
(7)- الزمخشري- الكشاف- ج 4- ص281.
(8)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج 10- ص 275.
(9)- ابن هشام- مغني اللبيب- ج 2- ص 553.

- العطف على مصدر متوهم من معنى الكلام لتعطف عليه المصادر المؤوّلة من (أن) المضمرة من ذلك قوله تعالى: **(وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)** (1) فقوله (فتكونا) يجوز أن يكون منصوبا بفاء السببية لسبقها بنهي، كما يجوز أن يجزم عطفا على النهي.

والعطف عند البصريين يجعل الفاء عاطفة للمصدر المؤوّل، على مصدر آخر مُتوهَّم من الفعل السابق(2) والتقدير (ولا يُمكن قربٌ من هذه الشجرة فكوْنٌ من الظالمين) العلة على علة متوهمة من مشتق ، أو من مصدر متوهم. ومن ذلك قوله تعالى: **(وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)** (3) فقيل في قوله تعالى: { **وَلِأُحِلَّ لَكُمْ** } أقوال أهمّها:

- أن يكون معطوفا على (مصدقا) لأن المعنى عند من يدّعي ذلك (لأصدّق). وذكر أبو حيان « أن هذا من باب العطف على التوهم، والعطف على التوهم يوجب أن يكون المعنى متحدا في المعطوف والمعطوف عليه» (4).

كما ذهب أبو حيان إلى أنه يمكن أن يقال إنه معطوف على معنى (مصدقا) بسبب دلالته على العلة المحذوفة، وهذا باب من أبواب التوهم (5).

و قيل عُطف حسبما سبق على المعنى المستقى من (مصدقا) لأن إحلال ما حرِّم عليهم كان علته تصديقاً لما بين يديه من التوراة، وكأنه قال(لأصدق ولأحلّ) وهذا كله افتراضٌ أملاه التوهم.

- العطف على توهّم أحد الأوجه الجائزة، من ذلك قوله تعالى: **(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ... وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً)** (6) برفع (الخيل) وما تلاها على الاستئناف باعتبار

---

(1)- البقرة/35.
(2)- ابن يعيش – شرح المفصل- ج 7- ص 26/ ينظر: تفسير القرطبي- تحقيق الشيخ محمد بيومي- عبد الله المنشاوي- مكتبة جزيرة الورد- القاهرة- 2006- ج1- ص 240
(3)- آل عمران/ 50.
(4)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج 2- ص 469/468.
(5)- المرجع السابق.
(6)- النحل/6-8.

(الخيل) مبتدأ وخبره (لتركبوها) ويجوز أن يكون الخبر محذوفا . وحمل الفراء هذه القراءة على توهم أن الرفع في (والأنعام) يجوز، ولكن في هذا يجوز النصب على الاشتغال(1)أي أن الفعل مشغول عن (الخيل) بنصبه الضمير المتصل في (لتركبوها).

- العطف على موضع (إنّ) أو على محلها واسمها.

وهذه مسألة اختلف فيها النحاة، فمنهم من يمنع هذا العطف مطلقا، ومنهم من يقيّده بتمام الخبر، وهو مذهب الكسائي(2) . من ذلك قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)** (3) وفي إعراب (والصابئون) أوجه منها:

أن يكون(والصابئون) مبتدأ ، خبره محذوف، والنية فيه التأخير أي (إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله والصابئون كذلك، وهذا قول جمهور البصريين(4).

كما يجوز أن يكون معطوفا على محلّ اسم (إن) قبل دخولها عليه ، وهو قول يونس بن حبيب والفراء، فقولهم (معطوف على محلّ اسم " إن" قبل دخولها) مبني على التوهم إذ كيف يعطف شيء على شيء لم يكن موجودا (قبل دخولها عليه).

- العطف على موضع جملة الشرط والجزاء: وهذا متعدّد في القرآن الكريم، خاصة في بعض القراءات ، كقراءة ابن عامر، كما في قوله تعالى: **(وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ)** (5) برفع (يُكفّر) وفي هذا وجهان:

الأول: الرفع على الاستئناف لا محلّ له من الإعراب. والوجه الثاني: أن يكون معطوفا على موضع ما بعد الفاء لأنه لو وقع بعدها فعل مضارع لكان مرفوعا(6)

وموضع ما بعد الفاء(جملة اسمية مبتدأ وخبر) في محلّ جزم جواب الشرط، لكن (يكفر) معطوف على الموضع لا على المحلّ. ومن هذا في القرآن أنواع منه قوله تعالى: **(وَمَنْ عَادَ**

---

(1)- الفراء- معاني القرآن – ج 2- ص 57.
(2)- عبد الله أحمد جاد الكريم- التوهم عند النحاة – ص 916.
(3)- المائدة/ الآية: 69.
(4)- التوهم عند النحاة- 916.
(5)- البقرة/ الآية: 271.
(6)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج 2- ص 325.

فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ)(1). وفي مثل هذا يكون الاستئناف أقرب مأخذا، وأبعد عن التكلف والتمحل وهذا الذي أميل إليه. ومنه قوله تعالى أيضا: (**مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**) (2) برفع الفعل (يَذرُهم) عطفا على موضع قوله تعالى : (**فَلَا هَادِيَ لَهُ**) فمحله الجزم لأنه جواب الشرط، ولكن الجملة (مبتدأ وخبر) وكان موضعها الرفع.

يتبيّن ممّا سبق بحثه، أنّ التوهّم (الحمل على المعنى) تصوّر ذهني من ابتداع النحاة، اِلتجأوا إليه لتفسير ظواهر نحوية وصرفية قد يُظنّ بأنها خارجة عن سنن العرب لمخالفتها ظاهر القاعدة، وعجز الأقيسة على استيعابها، إن حُملت على الظاهر. وأنّ النحاة الأوائل عرفوا التوهّم وأجروه في تخريجاتهم إمّا بلفظه أو بلفظ التأويل كما هو الشأن عند الفرّاء، والحمل على المعنى عند ابن جني وهذا تأدّباً مع القرآن الكريم .

كما يتبيّن أنّ الحمل على المعنى كان وسيلة فعّالة أسعفت النحاة في تخريج بعض أنماط السياقات التي تجنح إلى مخالفة القاعدة ظاهراً، فترُدّ بالتوهم إلى الجادّة وذلك في أمور كثيرة، وفي مواضع مختلفة خاصّة في توجيه القراءات،كما هو الشأن في رفع الفعل(يرسل) في قوله تعالى:﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً** ﴾(3) فخرّج سيبويه هذا على الحمل على المعنى فقال: «وبلغنا أن أهل المدينة يرفعون هذه الآية...برفع (يرسلُ) فكأنه -والله أعلم- قال عز وجلّ (لا يكلم الله إلا وحيا أو يرسلُ رسولا)أي في هذه الحال»(4)بينما رفضه بعض

(1)- المائدة/ 95.
(2)- الأعراف/ 186.
(3)- الشورى/ الآية: 51.
(4)- الكتاب – ج3- 50.

النحاة كأحمد بن يوسف بحجّة« أن القرآن لا يُحمل على ما ليس بمقيس وهو الحمل على التوهّم»(1)

كما أسعف التوهم النحاة في الوصول إلى التفريق بين حروف المعاني وما شابهها ، وعلاقة ذلك بما ينجرّ عنه من توجيه في القراءات، كما في قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ**﴾(2) فجاز أن تكون (ما) كافة، فتكون حرفا،وفي هذه الحال يكون لفظ(الميتة) مفعولا به للفعل (حَرَّمَ) وهو مقصور عليه. فالتحريم خاصّ به. كما يجوز أن تكون (ما) موصولة اسم (إنّ) و(حرّم) صلتها و(الميتة) خبر (إنّ) (3) وتكون بالرّفع، وعرّفت للتخصيص.

---

(1)- أحمد بن يوسف السمين- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون – تحـ: أحمد خرّاط- دار العلم – دمشق- 1987م- ج2- 556.
(2)- البقرة/ 173.
(3)- الفراء- معاني القرآن - ج1- 101/100

الفَصل الرّابع

الفصل الرّابع:

مستويات التقدير في القرآن الكريم، ونماذج منه.

المبحث الأوّل: المستوى الصّوتي.

مفهوم الصّوت، وكيفية حدوثه.

قبل تناول المقدّر الصوتي، من خلال نماذج من القرآن الكريم، أرى أنه من المفيد إعطاء لمحة عن ماهية الصوت عند لسانيينا. فالصوت كما يحدّه العلامة ابن جني، مصدر صات الشيء، يصوت صوتا، فهو صائت، وصوّت، تصويتا، فهو مصوّت. ويقال: رجل صاتٍ،أي شديد الصوت، ولفلان صيت، إذا انتشر ذكره بين الناس (1).

وصات، وأصات، وصوّت، كله : ينادي. ويقال: صات ، يصوت، صوتا، فهو صائت، معناه صائح(2).

وجاء في المعجم الوسيط عن الصوت:« هو الأثر السمعي الذي تحدثه تموّجات ناشئة عن اهتزاز جسم ما»(3) .

والأصوات في اللغة، هي مادة الألفاظ وأساس الكلام المركب، والعمدة لتمكين الأداء وإعطائه رنينا إضافيا يزيد من وضوح التعبير وصدقه على فكرة المتكلم وتأثيره في السّامع(4).

وهذه الأصوات يتميّز بعضها عن بعض بميزات خاصّة.

فالصوت يحدُث نتيجة تموّجات ناشئة عن جسم ما. ونجد ابن سينا قد اهتمّ بالأصوات، وألف في ذلك رسالة سمّاها (أسباب حدوث الحروف) وبيّن فيها كيفية حدوث الصوت عامّة،والأصوات اللغوية خاصّة، وما هي صفة التمايز بين صوت وآخر.

يقول ابن سينا : « أظن أن الصوت سببه القريب، تموّج الهواء دفعة وبقوّة وسرعة ، من أيّ سبب كان والذي يشترط فيه من أمر القرع ، عساه أن لا يكون سببا كليّا للصوت، أنّ الصوت ، قد يحدث

(1)- أبوعثمان بن جني- سرّ صناعة الإعراب- تحـ: مصطفى السقا وآخرين- وزارة المعارف- دار إحياء التراث- مصطفى الباي الحلبي- ط4- 1374هـ/1954م- 12/11.

(2)- ابن منظور- لسان العرب- طبعة بولاق- 1300هـ-1307هـ- مادة:صات.

(3)- مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط- دار المعارف- ط3- 1392هـ/1972م- مادة:صات- 520.

(4)- يقصد به النبر والتنغيم.

أيضا عن مقابل القرع، وهو القلع» (1).

يتبيّن من مقولة ابن سينا ما يلي:

1- سبب حدوث الصوت تموّج الهواء بقوّة وبسرعة، من أي جسم كان.

2- علة المسموع، قرع وقلع. ويقصد بالقرع ارتطام شيء بآخر،أو تقريبه منه،بحيث يتماسان . وبالقلع، ردّة فعل الجسم كنزع سدّاد من فوهة قنينة مثلا. فالقلع مقابل القرع. والقرع أكثره إحداثا للصوت.

أمّا الحرف، فهو عند ابن سينا:« هيئة للصوت عارضة له، يتميّز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل، تمييزا في المسموع» (2) .

فالحرف إذن، شكل خاص للصوت(هيئة) له صفات تميّزه عن باقي الأصوات التي تماثله، من حدّة وثقل.

أمّا الحرف لغة، فيعني الطرف« فالحرف من كل شيء طرفه وشفيره وحدّه»(3)

وقوله تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ** ﴾ (4) أي على وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء لا الضراء، أو على شك، أو على غير طمأنينة (5)

والحرف معناه اللغة، ومنه نزل القرآن على سبعة أحرف أي سبع لغات من لغات العرب (6).

والحروف هي الشكل الهندسي للصوت، فيتحوّل الحرف بالحركة إلى أصوات ، فيمكن أن نكوّن من الشكل(جـ) عدة أصوات بالحركات(جَـ – جُـ- جِـ) . كما أن الصوت نفسه يمكن تلوينه بنغمات خاصة ، كما هو الشأن في النبر والتنغيم، فيعطي دلالات متعدّدة، فمثلا (جئتَ) لو نغّمت تنغيما خاصا لأعطت معنى مستغربا، متعجبا منه، مثل(جئت؟!) أقولها لمن لم يف بالعهد، ولم يلتزم بالموعد، وتأخر كثيرا.

---

(1)- ابن سينا- أسباب حدوث الحروف- مراجعة وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد-مكتبة الكليات الأزهرية-الصادقية- القاهرة – 1398هـ/1978م- 8.

(2)- ابن سينا – أسباب حدوث الحروف- 10.

(3)- الفيروز أبادي - القاموس المحيط- ج1- 622.

(4)- الحج/ 11.

(5)- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- ج1-626.

(6)- المرجع السابق- 623.

والحروف محدودة في كل لغة ، وأحيانا يستعمل الحرف بمعنى الصوت اللغوي. يقول ابن يعيش : «إنما هو صوت مقروع في مخرج معلوم» (1)

والمخرج الذي عناه ابن يعيش مكان إخراج الصوت« والمخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده» (2).

وقد جاء في المعجم الوسيط تعريف للمخرج مفاده أنه« نقطة من مجرى الهواء، يلتقي عندها عضوان من أعضاء النطق التقاء محكما مع بعض الأصوات ، وغير محكم مع أصوات أخرى»(3)

والمقصود بعبارة(غير محكم): غير متماس ٍ تماسا كليا، كما هو الشأن بالنسبة إلى الحروف المهموسة، التي لا يتضام فيها الوتران الصوتيان تضاما كليا، بل يترك بينهما فرجة يتسرب منها الهواء ، عند النطق بالحروف المهموسة، فيسمع لها همس وحفيف ، نحو: (حْـ هْـ سْـ شْ - خْ -)

فلكل لغة من اللغات نظام صوتي خاص، من حيث العدد والنوع والصفات. هذا النظام الذي يحكم أطر السلاسل الصوتية المتقلبة حسب الأوضاع، فيما يتعلق بتتابع المقاطع والتغيرات التي تعتريها لأغراض متعددة يتطلبها نظام الكلام ، كالحذف والإدغام والقلب، والإبدال بنوعيه (4)

وقد نبّه علماء اللغة كسيبويه وأستاذه الخليل منذ التقعيد النحوي، إلى هذه الظواهر الصوتية في إطار معالجتهم لضوابط بِنى الألفاظ العربية، ثم الألفاظ المعرّبة ، وما يعتريها لتلتحق بالأوزان العربية وتجد لها نظائر في لغتهم، وتنتظم ضمن سلاسل الألفاظ العربية في غير نفور. كما أن اللغويين والنحاة العرب كانوا من الوعي بمكان، حيث رازوا الألفاظ المعرّبة، ليعرفوا إذا ما كانت حروفها من حروفهم ولا نبوة فيها. وإلى هذا أشار سيبويه حين قال:« ...ربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن ، نحو: خرسان، وخرّم، والكُركم وربّما غيّروا الحرف الذي ليس من حروفهم، ولم يغيّروه عن بنائه في الفارسية، نحو : فِرند ويقّم، وآجر

---

(1)- ابن يعيش – شرح المفصل- مكتبة المتنبي- ج 10- 124.

(2)- المرجع السابق- الصفحة نفسها.

(3)- مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط – ج1- مادة: خرج- 233.

(4)- يقصد به إبدال مطلق حرف حرفا آخر، فإن كان الحرف صحيحا كان إبدالا، وإن كان حرف علة سمي إعلالا

وجربز» (1). وعن السلاسل الصوتية في أبنية الكلمات العربية، نستنبط من كلام السيوطي (2) الذي يحدّد ما تعرف به عجمة الاسم، أن هناك تتابعاتٍ لا توجد في العربية ، بل في غيرها من اللغات ، من ذلك :

1- إذا كان في أول الكلمة نون ثمّ راء ، نحو: نرجس. أو كان في آخر الكلمة زاي بعد دال نحو: مهندز.

2- إذا اجتمع في الكلمة الصاد والجيم نحو: الصولجان والجص، أو اجتمع فيها الجيم والقاف نحو: المنجنيق.

3-أن يكون خماسيا أو رباعيا عاريا من حروف الذلاقة (الباء، والراء، والفاء، واللام والميم والنون).

ولقد لوحظ أن العرب يستثقلون تتابعات صوتية معيّنة كاجتماع همزتين متحركتين في الكلمة،أو ما هو كالكلمة « فتدخل بينهما مدّة تكون حاجزا بينهما ، ومُبْعِداً لإحداهما عن الأخرى»(3)

وكذلك يستثقلون توالي أربع حركات في كلمة بها أربعة أصوات متحرِّكات (4) . كما يكرهون الجمع بين أربع متحرّكات فيما هو كالكلمة الواحدة (5) .

وعندهم أيضا، أن اجتماع الأمثال مكروه، ولذلك يفرّ منه إلى القلب، أو الحذف، أو الفصل (6) .

ممّا سبق، يتضح أن التغيير الصوتي يحدث لعلة، إمّا درءاً للاستثقال لتتابع الحركات، أو ليستقيم الوزن، بإلحاق كلمات معربة ، بما هو عربي، أو طلبا للخفة. ويكون هذا التغيير الذي أطلق عليه فندريس (7) " المخالفة الصوتية" يحدث نتيجة « تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض،عندما تتركب الأصوات في كلمات وجمل » (8).

---

(1)- سيبويه- الكتاب- ج 4- 304.
(2)- السيوطي- المزهر في علوم اللغة- ج1- ص 270.
(3) – ابن الجزري – النشر في القراءات العشر- تصحيح ومراجعة: علي محمد الصباغ- المكتبة التجارية الكبرى- القاهرة- د.ت- ج1- 353.
(4)- ابن يعيش- شرح المفصل- دار الطباعة المنيرية- القاهرة- د.ت- ج9- 136.
(5)- التهانوي محمد بن علي- كشاف اصطلاحات الفنون – تصحيح :مولاي محمد وآخرين-كلكتا- 1862- 120.
(6)- السيوطي- الأشباه والنظائر في النحو- حيدر آباد- الدكن- الهند- مطبعة دائرة المعرف العثمانية- 1359هـ/ 1361هـ- ج 1- 18.
(7)- فندريس.ج – اللغة- تعريب عبد المجيد الدواخلي- مكتبة الأنجلومصرية- القاهرة – 1950- 83.
(8)- أحمد عبد المجيد هريدي- ظاهرة المخالفة الصوتية، ودورها في نمو المعجم العربي- مكتبة الزهراء- القاهرة- 1989- 12/11.

وبعبارة أخرى، فإن الأصوات تتغيّر لأغراض في المقطع الذي هو « حرف مع حركة، أو حرفان ثانيهما ساكن، فـ(ضرب) مُركّب من ثلاثة مقاطع و(موسى) من مقطعين » (1) .

إذن، فالتغيير الصوتي يصيب المقطع، فقد يحذف هذا المقطع ، أو يُدْغَم فيه، أو يصيبه إبدال، أو يحجز بينه وبين مقطع آخر مماثل.

ومن أمثلة المخالفة المقطعية بالحذف، والذي يصيب عدد المقاطع ،فيحذف أحد المقطعين المماثلين كما في كلمة (تتذكـّرون)التي خولفت، ونطق بها بعض القرّاء (تذكـّرون) بحذف إحدى التاءين وكذلك في مثل قوله تعالى:﴿ **هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ** ﴾ (2) وقوله: ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ** ﴾(3) و﴿ **وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** ﴾ (4) . فقد ذكر ابن الجزري أن القرّاء اختلفوا في إسقاط إحدى الهمزتين، في مثل ذلك، وفي تحقيقها وتخفيفها. فقرأ أبو عمرو بن العلاء بإسقاط الهمزة الأولى منهما.

فـ (تتذكرون) مركـّبة من المقاطع التالية:

تَ: مقطع قصير مفتوح من النوع الأوّل (صامت) زائدا (حركة قصيرة)

ت: مقطع قصير مفتوح من النوع الأوّل (صامت) زائدا (حركة قصيرة)

ذكْ: (صامت) زائدا (حركة قصيرة) زائداً (مقطع طويل مغلق)

كـَ: مقطع قصير مفتوح من النوع الثاني(صامت) زائدا (حركة قصيرة)

رُو: مقطع طويل مفتوح من النوع الثاني (صامت) زائدا (حركة) زائدا (صامتا)

نَ: مقطع قصير مفتوح من النوع الأوّل.

رون: في حالة الوقف: مقطع مُغرق في الطول، مغلق من النوع الرابع : (صامت) زائدا (حركة طويلة) زائدا (صامتا)

و(تذكـّرون) لمّا ينطق بها (تـَذَكـّرون)يتغيّر فيها عدد المقاطع من خمسة أو ستة،إلى أربعة أو خمسة، بعد أن حذف منها صوت التاء ، والمصوّت الصغير المكونين للمقطع.

---

(1)- التهاوني محمد بن الأعلى – كشاف اصطلاحات الفنون - 1200.
(2)- البقرة/ 31.
(3)- النساء/ 22.
(4)- هود/ 71.

هذا عن الحذف الذي يصيب بعض المقاطع، أمّا العازل الحاجز بين المثلين لمدّ إطالة الحركة، حيث يتحوّل المقطع القصير إلى مقطع طويل، ومن قصير مفتوح، إلى طويل مفتوح. وفي هذا يقول سيبويه: «ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام ، وبين الهمزة ألفاً إذا التقتا، وذلك أنهم كرهوا اِلتقاء همزتين ففصلوا ، كما قالوا: اِخشينَانِّ ، ففصلوا بالألف كراهة التقاء هذه الحروف المضاعفة ، فقال ذو الرمّة : فيا ظبية الوعْسَاء بين جُلاجل وبين النقا آ أنت أم أمّ سالم؟

ومنهم من قال إن بني تميم هم الذين يدخلون بين الهمزة وألف الاستفهام ألفا، وأنهم لا يخفّفون الهمزة فيحققونها جميعا، ولا يدخلون بينها ألفا(1).

ويورد ابن الجزري أمثلة عن مدّ الحجز، مستدلا برأي أبي بكر بن مهران ، فيقول: « أمّا مدّ الحجز ففي مثل قوله تعالى: ﴿ **ءَأَنذَرْتَهُمْ** ﴾ (2) وقوله: ﴿**أَؤُنَبِّئُكُمْ** ﴾ (3) و﴿ **أَإِذَا** ﴾ (4)

و قال: إنما سمِّي مدّ الحجز،لأنه أدخل بين الهمزتين فتدخل بينهما مدّة، تكون حاجزة بينهما، ومبعدة لإحداهما عن الأخرى، قال ومقداره أَلِفٌ ثانية» (5)

فعبارة (أأنذرتكم) تتكوّن من المقاطع التالية:

أ: مقطع قصير مفتوح

أن: مقطع طويل مغلق.

ذرْ: مقطع طويل مغلق.

ت: مقطع قصير مفتوح.

كم: مقطع طويل مغلق.

وحين قراءتها: (آ أنذرتكم) تصبح حينها مكوّنة من خمسة مقاطع أيضا، والفارق هو أن المقطع الأوّل بالمدّ، أي إطالة الفتحة، فتحوّل من مقطع قَصير إلى مقطع طويل مفتوح(أاْ) .

وفي سياق القراءات القرآنية فقد « فصَلَ بين الهمزتين بألفٍ أبو عمرو وأبو جعفر وقالون»(6)

(1)- سيبويه- الكتاب- ج3- 551.
(2)- البقرة/ 6 - يس/ 10.
(3)- آل عمران/ 15.
(4)- الإسراء/ 98.
(5)- ابن الجزري- النشر في القراءات العشر- ج1- 353.
(6)- المرجع السابق- 353.

أمّا المخالفة المقطعية ، أو ما يسمّى (الصوت مقطعي) التي تتمّ في إطار ثلاثة مقاطع ، فإن المقطع الثالث المغيّر، قد يكون سابقا للمقطعين المثلين ، وقد يكون تاليا لهما. ففي الحالة الأولى يتمّ إدغام الصوتين المَثلين من المقطعين. أمّا في الحالة الثانية، فيتمّ إبدال صامت المقطع الثاني من المثلين بمماثلة صوتية بين تاء المقطع الثاني، والصوت الذي يليه، فيتحقق إدغام من نوع آخر، وهو إدغام الحرفين المتقاربين (أي تقاربهما مخرجا أو صفة، أو مخرجا وصفة) (1)

وقد تحدّث سيبويه عن الإدغام الخاص بالمثلين كالتاءين في مثل قوله تعالى: ﴿ تَتَذَكَّرُونَ﴾ فقال:

«... وأمّا قوله عز وجلّ ﴿ فَلَا تَتَنَاجَوْا ﴾ فإن شئت أسكنت الأول ، وإن شئت أخفيت، وكان بزنته متحركا، وزعموا أن أهل مكة لا يثبتون التاءين» (2)

ويورد ابن الجزري أمثلة عن إدغام التاء بعد مدّ ، فيقول: « وإذا وقع قبل التاء المشدّدة حرف مدّ ولين، أو واو ، نحو﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا ﴾ و﴿ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ أثبت في اللفظ ،لكون الشديد عارضا فلم يقتدَ به في حذفه، وزيد في تمكينه، ليتميّز بذلك الساكنان أحدهما على الآخر، ولا يلتقيا»(3)

وعن الإدغام الذي تحدّث عنه ابن الجزري ، نجد المقاطع تتغيّر حسب القراءة : فمثلا من قرأ ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا ﴾ بالإدغام (ولا تّيـَمّـُوا) : فالمقاطع خمسة أو ستة، وهي كالتالي:

لاتْ- تَ- يمْ- مَ- موا = خمسة مقاطع. وأصلها: لا- تْ- تَ- يَمْ- مَ- مُوا = ستة مقاطع.

إذن فالقراءة لها دور في تشكيل المقاطع،وتحديد نوعيتها ، خاصة في الإدغام والفك على مستوى الأصوات.

وبعد إيراد لمحة عن الأصوات وإدغام بعضها ، وما ينجم عن ذلك من توليد مقاطع جديدة،أو حذف لموجودة، أرى أنه من الأهمّية بمكان أن نورد شواهد من القرآن الكريم، ونوضح علاقة ذلك بالتقدير الصوتي المشار إليه سابقا.

---

(1)- أحمد عبد المجيد هريدي- حذف تاء تتفعل وتتفاعل في القرآن الكريم- مكتبة الخانجي – القاهرة- ط1- 1411هـ/ 1999م- 18.
(2)- سيبويه- الكتاب- ج4- 440.
(3)- ابن الجزري- النشر – ج1- 278.

لقد أشار بعض الباحثين (1) إلى أن عدد الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمات من بناء تتفعّل وتتفاعل، وتمّت فيها المخالفة ، بلغ خمسا وثلاثين آية، في إطار ثلاثين جذرا لغويا، كان نصيب بناء(تتفعّل) عشرين جذرا في اِثنتين وعشرين آية. وكان نصيب تتـفاعل عشرة جذور في اثنتي عشرة آية. ومن أمثلة ما جاء على بناء (تتفعّل) محذوف التاء قوله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾ (2) إذ الأصل (ولا تتـبرّجن) بخمسة مقاطع وقوله تعالى : ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً** ﴾ (3) فالأصل (ولا تتـجسّسوا) بخمسة مقاطع أيضا ولكن وردت بأربعة مقاطع فقط، بعد حذف المقطع الأوّل ... وفي (تجسّسوا) قوّة نهي للمؤمنين عن تجسّس بعضهم على بعض النهي المطلق لما في التجسّس من تحسّس عورات الناس، وكشف أسرارهم. وقوله تعالى بقراءة نافع : ﴿ **فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ**﴾(4) بخمسة مقاطع بدل ستة ، والتقدير: تتخطفه. فحذف المقطع الأوّل (التاء) فتقلصت الكلمة، وأصبح لها قوّة دلالية تبيِّن مآل الكافر، فهو في ضنك وضيق، كأنما يصعّد في السماء، أو تهوي به الريح في غور سحيق، أو تتناوشه الجوارح أي سوء المآل. وقرأ الآخرون بالتخفيف (فتخْطفُه) وفي كلٍّ ضياع وسوء مصير. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ** ﴾ (5) بتضعيف الياء، وحذف المقطع الأوّل (التاء) والتقدير على الأصل (تتخيّرون) وقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾(6) بقلب المقطع الأوّل (التاء) دالا وإدغامها في الدال، وفي هذا قوّة، ودعوة إلى تدبّر ما جاء في كتاب تعالى فالتضعيف للمبالغة والتكثير.

وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ** ﴾ (7) بحذف التاء الأولى ، وفي اللفظة

---

(1)- أحمد عبد المجيد هريدي- حذف تاء تتفعل وتتفاعل في القرآن الكريم- 26.
(2)-الأحزاب/ 33.
(3)- الحجرات/ 12.
(4)- الحج/ 31.
(5)- القلم/ 38.
(6)- ص/ 39.
(7)- التوبة/ 52.

ما فيها من الدلالة بعد الحذف،إذ يكشف شدّة الترقب والحرص على أن يصيب المسلمين أذى فيفرح به المشركون، فهناك فرق في الدلالة حين إثبات التاء وحين حذفها.

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾(1) وفي قراءة (تزّكّى) بحذف المقطع الأوّل (التاء) أمّا عن الهيئة الأولى ، فبإبدال التاء زايا وإدغامها في الزاي الثانية (فاء الفعل) وهي قراءة ابن كثير. وفي قوله: (تزّكّى) دلالة على المطاوعة، وتقبّل الهداية ، والتزكية والتطهّر.

وقوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴾ (2) وقوله (تَشقّق) بحذف المقطع الأوّل (التاء) وتضعيف القاف للدلالة على تعدّد التشقّق وتواليه، ومطاوعة الفعل، فيأمر الله السماء أن تتشقّق فتشقّق.

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ﴾ (3) فقرأ ابن أبي عامر بالتضعيف والباقون بالتخفيف(4) وفي هذا قوّة للتصدّع ،وسرعة المطاوعة لأمر الله.

وقوله تعالى:﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(5) قرأ عاصم وحده (وأن تصَدَّقوا) خفيفة الصاد(6) والأصل (تتصدّقوا) قلبت التاء صادا، وأدغمت في الصاد التي تليها. والغاية تلبية الدعوة إلى البذل والجود ، لما فيه من خير للمتصدِّق المتصدَّق عليه.

- **نماذج عن إدغام تاء تتفعل، وتتفاعل، وفكها.**

من الجذور التي وردت مدغمة ، الجذر(بَدَلَ) وذلك في آيتين. في الأولى، محذوف التاء،وذلك في قوله تعالى مخاطبا رسوله ﷺ:﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ (7)

فقوله (أن تبدّل) بحذف التاء، والأصل (أن تتبدّل) أي لا يحلّ لك أن تطلق واحدة منهن وتنكح

(1)- النازعات/ 18.
(2)- الفرقان/ 25.
(3)- ق/ 44.
(4)- ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى- كتاب السبعة في القراءات – تحقيق شوقي ضيف- دار المعارف – القاهرة- ط2- 1980م- 607.
(5)- البقرة/ 280.
(6)- ابن مجاهد - كتاب السبعة في القراءات -672
(7)- الأحزاب/ 52.

مكانها أخرى، وهذا بعد قوله :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ... ﴾(1) فـ (تبدّل) هنا، جاء بدون تاء، نفيا للحلّ والتبديل لأمّهات المؤمنين من بعد ما وصفنا لك وبيّنا من الأوصاف السابقة(2) .

كما جاء في آية أخرى بإثبات التاءين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾(3) أي لا تستبدلوا الحرام ، وهو مال اليتامى، بالحلال وهو مالكم (4) فهذا نهي تحريم لأن أكل مال اليتيم خبث وحوب، فنهى عن استبداله بما هو حلال (بالطيِّب). فالباء تدخل في تبدّل واستبدل،على المتروك، أي ما هو مُتخلىً عنه هو ما تدخل عليه الباء ، كما في قوله تعالى على لسان سيدنا موسى : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ (5) وكأنّ مداومة أكل مال اليتامى فيه إصرار على تبديل الخبيث و الحوب بالطيِّب ، فكانت صيغة (تتبدّلوا) تتفعلوا بتاءين. أمّا في الآية الأولى نفيُ كفٍّ من الوهلة الأولى للرسول الكريم ﷺ حتى لا يطلق واحدة من نسائه، ويستبدل غيرها بها.

ومن الجذر (فرق) كان الإدغام ، وحذفت التاء من (تتفعل) كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(6) فالأصل (تتفرّقوا) تتفعلوا، وتعني الصيغة تكلف الفرقة ولكن جاءت بتاء واحدة ، وكأنّ الابتعاد عن حبل الله دلالة على شدّة انطلاقهم إلى الفرقة، فأزيلت التاء للدلالة على تسارع الفرقة . ومنه قوله تعالى أيضا:﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾(7) فقد ورد الفعل دون حذف تاء تتفعّلوا ، فقد نهى عن التفرّق في أصول الأحكام،وتوحيد الله وطاعته بالإيمان بكتبه ورسله، وبالبعث والجزاء، لكن جاء بصيغة (تتفعّلوا) لِما في أوجه التفرّق من سبل وميادين.

---

(1)- الأحزاب/ 50.
(2)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 251.
(3)- النساء/ 2.
(4)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 465.
(5)- البقرة/ 61.
(6)- آل عمران/ 103.
(7)- الشورى/ 13.

فالتفرّق المُنهَى عنه الأصول ، التوحيد بالصلاة والصيام والزكاة والحج، وإقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته ،فهذا كله مشروعٌ دينا واحدا وملة واحدة(1).

ومنه الجذر (لقي) ومزيده (تلقّى/ تتلقّى) . جاء في موضعين بالتاءين وبحذفها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ (2) تلقّونه يرويه بعضكم عن بعض، ويأخذه بعضكم من بعض فتتلقّونه. وبحذف التاء، صار في الكلمة قصر،فأفادت معنى السرعة في التلقي وتعدّد المتلقين . قال مجاهد: « أي يرويه بعضكم عن بعض ،يقول هذا سمعته من فلان، وقال فلان كذا»(3) . ومنه قوله تعالى في الجذر نفسه: ﴿ **وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ (4) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة، يهنئونهم بالبشر والترحاب مسلّمين عليهم (5) قائلين(هذا يومكم الذي كنتم توعدون) فتتلقاهم (تتفعّل) فيها دلالة التوالي والاستمرار ، لشدّة الاحتفاء.

الجذر (منى) يمنى، وتمنّى: أراد(6) ومنه قوله تعالى مخاطبا المؤمنين: ﴿ **وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ** ﴾(7) وقيل خوطب بها من لم يشهدوا بدرا، وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله ﷺ (8). فتمنّون ، حذفت تاؤه للدلالة على شدّة تمنيهم وإلحاحهم عليه ﷺ(9) بالخروج إلى القتال من المدينة المنورة. وجاء في آية أخرى بتاءين في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ (10) ولا تتمنوّا، فقد نُهُوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على

---

(1)- الصاوي- حاشية الصاوي على الجلالين- ج4- 32. وتفسير القرطبي- 11.
(2)- النور/ 15.
(3)- الزمخشري- الكشاف- ج3- 219.
(4)- الأنبياء/ 103.
(5)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 57.
(6)- الفيروز أبادي- القاموس المحيط - ج4- 289.
(7)- آل عمران/ 143.
(8)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 467.
(9)- المرجع نفسه.
(10)- النساء/ 32.

بعض من الجاه والمال، لأن ذلك التفضيل قسمة من الله ، صادرة عن حكمة وتدبير وعلم (1) وكأن التحاسد فيه ديمومة واستمرار ، فكان الفعل المَنهي عنه (تتمنى) بتاءين، والمتمني دائما في طلب ما تمناه.

ومن الجذر (نزل) جاء على صيغة فعّل للتكثير، وتفعّل، وتتفعّل . فبإثبات التاء قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ**﴾(2) أي ملائكة الرحمة عند الموت بأن لا تخافوا ممّا تُقْدمون عليه من أحوال القيامة فصيغة (تتفعّل) هنا فيها معنى التوالي ولم تحذف التاء للدلالة على تنوّع التنزّل، وتعدّده ، إذ الملائكة تتنزل حين الاحتضار على المؤمنين بهذه البشارة، أن لا تخافوا ، والخوف غمّ يلحق لتوقّع المكروه (3) .

كما وردت الصيغة بدون تاء في قوله تعالى: ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** ﴾ (4)

تنزّل الملائكة جاء على صيغة (تفعّل) أي أن ملائكة الرحمة تنزل فوجا بعد فوج بكل ما فيه خير للطائعين (5) فالتنزل فيه التدرّج، والملائكة تنزّلت من عالمها إلى عالم الأرض وخاصة جبريل عليه السلام، فنور الفجر الذي تعرضه النصوص متناسق مع نور الوحي ونور الملائكة، وروح السلام يرفرف على الوجود،وعلى الأرواح السارية في هذا الوجود (سلام هي حتى مطلع الفجر)(6). فكل هذه البشائر وهي تغشى الكون في تؤدة ، فهي تنزّل . فالصيغة ناسبت المقام فحذفت إحدى التاءين.

الجذر(وفى) جاء مزيدا ، على وزن (يتفعّل) و(تفعّل) بحذف التاء الأولى ، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ** ﴾ (7) أي لو رأيت وشاهدت أيّها المخاطب والسامع حالة الكفّار حين تقبض ملائكة العذاب أرواحهم ! وجواب (لو) محذوف للتهويل أي لرأيت أمرا

(1)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 504.
(2)- فصلت/ 30.
(3)- الكشاف- ج4- 199.
(4)- القدر/ 4.
(5)- محمد حسن الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن –595.
(6)- سيد قطب- في ظلال القرآن- ج6- 3944.
(7)- الأنفال/ 50.

فظيعا (1) . والفعل (يتوفّى) جاء على وزن(يتفعّل) بالتاء ، وهذا الفعل قام مقام الفعل الثلاثي ومزيده بالتضعيف (وفّاه، وتوفّاه) وعلى وزن (تفعّل) بحذف التاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ**﴾(2) أي تتوفاهم حال كونهم ظالمي أنفسهم فالأصل (تتوفّى) فحذفت التاء الأولى ، فكانت لطيفة في الصيغة (تَوَفّاهم الملائكة)حيث أطلق الجمع على الواحد. فالملائكة جمع، يراد به ملك الموت، وذكر بصيغة الجمع تفخيما له وتعظيما لشأنه (3) .

الجذر (وَلِيَ) ورد مزيدا على وزن(تفعّل) وذلك في عشر آيات (4) وقد حذفت التاء في أربع آيات، ثلاث في تركيبي(فإن تَوَلّوْا) والرابعة في تركيب (وإن تولّوْهم) . وجاء التركيب (وإن تتولّوا) مرّتين بإثبات التاءين، ومرّة بحذف التاء الأولى. وجاء التركيب (لا تولّوا) مرّة واحدة بحذف التاء. ومنه قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ (5) . وقوله تعالى:﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾(6) أي إنْ تُعْرضوا عن طاعته، واتباع أوامره، يخلُف (7) مكانكم قوما آخرين، يكونون أطوع لله منكم ، ولا يكونون مثلكم في التولّي عن طاعته (8) . فكان الفعل على وزن (تتفعّل) بتاءين ، فالإعراض تولٍ ونكوص.

<u>صيغة (فعّل):</u> بتضعيف العين، أو إدغام المثلين وتفيد التكثير كطوّف، وقد يكون التكثير في المفعول مثل قوله تعالى:﴿ **وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ** ﴾(9) تدل على شدة إحكامها وكثرتها.

---

(1)-الكشاف- ج2- 229.
(2)-النساء/ 97.
(3)- الكشاف- ج2- 555.
(4)- أحمد عبد المجيد هريدي- حذف تاء تتفعل وتتفاعل- ط1- 43.
(5)- آل عمران/ 32.
(6)- محمد / 38.
(7)- الضمير في (يخلف) يعود إلى لفظ الجلالة الفاعل.
(8)- الصاوي- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين- ج4- 94.
(9)- يوسف/ 23.

كما تفيد التعدية (فرَّحه، وخرّج الحديث) والسلب (جرّبت البعير) أي أزلت جَرَبه و(قشّرت الفاكهة) أزلت قشرتها، والصيرورة (قَوّسَ الشيء، جعله بمثابة القوس انحناءً) ونسب المفعول إلى أصل الفعل نحو(كذبه وفَسّقه ،أي نسب إليه الكذب والفسق).

والتوجّه (شرّق وغرّب) واختصار الحكاية نحو (هلّل، وكبّر) وقبول الشيء (شفّعْت فلانا، قبلت شفاعته).

وبعد هذا نورد أمثلة من هذا الباب من القرآن الكريم، وباب المضعّف الآخر كـ (فعّال) و(فِعِّيل) و(فُعّول) إن وجد، ولتكن النماذج من الأحزاب الأربعة الأخيرة لقصار السور،وليس هناك من علة لأخذها نماذج إلا لكونها متنوعة الصيغ، متعدِّدة الفواصل.

قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ** ﴾(1) زيّنا، زَيّن ، فعّل، تفيد التكثير ، الله قد رصّع السماء بكواكب(2) عظيمة مضيئة فهي مصابيح، وهذه استعارة تصريحية لذكر المشبه به.

وقال أيضا :﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ** ﴾(3) تميّز أي تتميّز وتتقطع، تفعّل، بحذف التاء الأولى للدلالة على الانتقال من حال إلى أخرى، من شدّة حرِّها وغيظها الذي يكاد يظهر في ضرام وتأجج.

قال تعالى:﴿ **فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ (4) فَكذبنا، من الفعل كذّب، تفيد النسبة هنا أي نسبوا الكذب إلى النذير، ونفوا تنزيل الله لآياته(ما نَزّل) مبالغة في النفي، ولم يقولوا ما أنزل.

وقال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾(5) فالفعل كذّب حُذف مفعوله، لمطلق التكذيب وتنوّعه وكثرته بدليل (كيف كان نكير) أي مع الأمم السابقة قوم نوح وعاد وثمود، وأمثالهم، وهذا تسلية للرسول ﷺ وتهديد للكفار ومشركي قريش بدليل(فكيف كان نكير) أي عذابي وسخطي(6) والاستفهام للتهويل والتعظيم والتقريع ،لأن المُنتقَمَ منهم مازالت آثارهم بادية للعيان .

---

(1)-الملك/ 5.
(2)-محمد حسن الحمصي-تفسير وبيان مفردات القرآن- 563.
(3)-الملك/ 8.
(4)- الملك/ 9.
(5)-الملك/ 18.
(6)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 522.

وقال أيضا:﴿ وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾ (1) تدّعون من الفعل ادَّعَى، طلب وتمنّى،أصله دعا، ادتعى، افتعل، ثم قلبت تاء الافتعال دالا، وأدغمت الدالان لتصبح (اِدّعى).

افتعل تكلف الطلب، وهذا يتناسب والسياقَ العام للآية، أي وقالت لهم الملائكة- لما رأوا العذاب زلفة- هذا الذي كنتم به تدّعون، وتطلبون وتتمنون وتستعجلون(2) على سبيل الاستهزاء والتبكيت.

قال تعالى:﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾(3) صيغة فعّال حلاّف (كثير الحلف بالحق والباطل)لأن كثرة الحلف تستجرئ الحالف على الله، وتجعله يستسهل الأمور فيقع في المحظور، فهو فاجر حقير همّاز، كثير الغيبة، يأكل لحم الناس بالطعن والمشي بالنميمة، ينقل الكلام بينهم ليوقع العداوة والبغضاء أوساطهم (منّاع للخير) بخيل شديد البخل بالمال عن الحقوق(4).

وقال تعالى:﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾(5) تسبِّحون جاء الفعل بعد لولا ليفيد الحث والحض، أي نزِّهوه من كل نقيصة(6).

سبّح: فعّل، نزّهه كثيرا عمّا لا يليق بمقامه تعالى. قال عزّ وجلّ:﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾(7)هذه جملة مفعول به لـ (تدرسون) أي تدرسون هذا الكتاب أنّ لكم ما تشتهون وما تنتخلون(8) وتخيّرون أصلها تتخَيَّرون، بحذف التاء الأولى على وزن تفَعّل الذي فيه التكلف أي انتقاء واختيار شيء من متعدّد.

---

(1)-الملك/ 27.
(2)-الكشاف- ج4- 583.
(3)-القلم/ 10-12.
(4)-حاشية الصاوي- ج4- 233.
(5)-القلم/ 28.
(6)-محمد محمود حجازي-التفسير الواضح- ج2- 526.
(7)-القلم/ 38.
(8)-الكشاف- ج4- 592.

وقال أيضا:﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾(1) دعْني يا محمد ممّن يكذب بهذا القرآن لأكفيك شرّه، وأنتقم لك منه. فـ (كذ ّب) نقل ونسب الكذب والبطلان إلى ما جاء في القرآن.

وفي قوله:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾(2) كذّبت أي نسبت قوم ثمود وعاد الكذب لأمر يوم القيامة مع أنه حق قاطع(الحاقة) ثم ذكر ما حلّ بمن كذّب بالحاقة، تذكيرا لأهل مكة وتخويفا لهم من بسبب التكذيب (3).

وقال تعالى:﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً ﴾(4). سخّرها، فعّلها أي سلّطها عليهم فهي تحرق لشدّة بردها (5) وأفادت الصيرورة حيث صارت مسخّرة أي مسلّطة عليهم دون سواهم.

قال تعالى:﴿ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾(6) أي قلّما تتذكرون وتتعظون و(ما) زائدة مؤكّدة(7) فصيغة تتذكّرون حذفت منها التاء، فصارت تذكّرون، دلالة القوة، والمطاوعة للفعل (ذكّر فتذكّر). فهؤلاء المشركون قد ذكّرهم الله بأنّ القرآن ليس بكلام كاهن، وجاءهم بالحجة الدامغة فأبوْا التذكّر، فلم تكن منهم مطاوعة(ولا بقول كاهن قليلا ما تذكّرون) لعلمهم أنّ القرآن ليس كالشعر ، وأنّ الرسول ليس بكاهن، والباء زائدة للتوكيد(8).

قال تعالى:﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾(9) أي نزّه ربّك العظيم(10) من كل سوء ونقص. وصيغة(فعّل) هنا دالة على التكثير، سبَّح تسبيحا، لأنها متعلقة بالدعوة ،أي تنزيهه تعالى عمّا لا يليق بمقامه.

---

(1)-القلم/ 44.
(2)-الحاقة/ 4.
(3)-الزمخشري-الكشاف-ج4- 598.
(4)-الحاقة/ 7.
(5)-الزمخشري-الكشاف- ج4- 599.
(6)-الحاقة/ 42.
(7)-حاشية الصاوي- ج4- 244.
(8)- المرجع السابق.
(9)-الحاقة/52.
(10)-الصابوني-صفوة التفاسير- م 3- 439.

وقال تعالى:﴿ **يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ** ﴾(1) يبصّرونهم أي يورونهم ويعرّفونهم (يوم القيامة) حتى يرى الرجل أباه وأخاه وقريبه وعشيرته، فلا يسأله ولا يكلّمه بل يفرّ منه، ويودّ المرء لو يفتدي نفسه من هول ذلك اليوم بأحبِّ الناس إليه وأعزّهم عليه(2). فالفعل (بصّر) يفيد التعدية إلى اثنين، فبصّر متعدّ بذاته، وبصّره جعله يبصر. ولهذا فيُبصّرون أي يعرف بعضهم بعضا، فيتعارفون، ثم يفرّ بعضهم من بعض.

وقال أيضا:﴿ **نَزَّاعَةً لِلشَّوَى** ﴾(3) لَظى علم للنار، من اللّظى اللهب. نزّاعة، فعّالة للمبالغة فهي خبر بعد خبر . الشوى الأطراف،أو جمع شواة، وهي جلدة الرأس تنزعها نزعا فتبتّكها ثم تعاد(4) وخصها بالذكر لأنها أشد الجسم حساسة.

قال تعالى:﴿ **تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى** ﴾(5) تولّى ،كذّب وأعرض، من(تفعّل) فيه معنى التراجع والانخذال. وقال أيضا:﴿ **وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾(6) يُصدِّقون أي يؤمنون إيمانا جازما بيوم الحساب والجزاء. فصدّق، نسب إلى الشيء التصديق الذي لا شك فيه ولا ريب. وقال تعالى: ﴿**عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** ﴾(7) أي قادرين على إهلاكهم واستبدالهم بقوم أفضل منهم، ولسنا بعاجزين (8) فبدّل، فعّل، أفادت التغيير والانتقال من حال إلى أخرى.

قال تعالى:﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ** ﴾(9) اِتّقوهُ، اجعلوا بينكم وبين الله وقاية تجنبكم الوقوع في محارمه. اتّقوه، من وَقى، اِوْتقى، قلبت فاء الافتعال تاء،ثم أدغمت في تاء الافتعال لتصبح اتّقى، ويفيد هنا التجنّب.

---

(1)-المعارج/ 11.
(2)-محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج4- 535.
(3)-المعارج/ 16.
(4)-الزمخشري-الكشاف-ج4- 610.
(5)-المعارج/ 17.
(6)- المعارج/ 26.
(7)- المعارج/41.
(8)-الصاوي – حاشية الصاوي- ج4- 248.
(9)-نوح/ 3.

وقوله:﴿ **وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً** ﴾(1) يؤخـرّكم: أي يمدّ في أعماركم إلى وقت مقدّر. أخـّر: فعّل، أفاد هنا التعدية، لأن الذي يمدّ في أعمار الخلق إلى وقت معلوم، هو الله، ليمهلهم عذابه إلى انتهاء آجالهم، أي إلى وقت سمّاه الله وضربه أمداً ينتهون إليه (2).

-(**وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً**)(3) أصرّوا من صرّ(أصْـرَرَ،أفعَل) التي تفيد الصيرورة أي أن قوم نوح صاروا ذوي إصرار، معاندة ومكابرة من أصرّ الحمار على العانة، إذا صرّ أذنيه وأقبل عليها بكـدْمها وطردها. فقد استعير ذلك للإقبال على المعاصي والإكباب عليها (4).

(**وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً**) (5)اتبعوا رؤسَهم المقدّمين أصحاب الأموال والأولاد فارتسموا ما رسموا لهم (6) فخسروا سعادة الدارين لأنهم زادوهم طغيانا وكفرا.

فاتّبعوا: أصله اتـْتَبع من تبع، بإدغام فاء الافتعال في تائه، وأفاد الفعل هنا، المطاوعة، والاتخاذ. فأضلـّهم كبراؤهم فاتبعوهم، وجعلوهم مُحتذ ًى، وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الأوثان(7) . وقوله:(**وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً**) (8) أضلـّوا: الضمير فيه للرؤساء والكبراء، أي أن هؤلاء المضَلـّين ليسوا بأوّل من أضلوهم، وأن هؤلاء المضلين منهم كثرة (9). وأضَلّ ، أصلها أضْلـَلَ: جعله يضلّ، وأفادت التعدية والتغيير، أي جعلوهم ضالين.

وقوله تعالى:(**إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً**) (10) فالفعل (يُضلـّوا) مثل الفعل الذي جاء في الآية السابقة يفيد التعدية ، والتصيير، أي إن أبقيت منهم أحدا أضلـّوا عبادك عن طريق الهدى . فـ (يُضِلّ) جواب الشرط لـ(إن) وهذا باعتبار ما سيكون (11).

---

(1)- نوح/ 4.
(2)-الكشاف- ج2- 615.
(3)-نوح/ 7.
(4)-الزمخشري- الكشاف-ج4-616.
(5)- نوح/ 21.
(6)- حاشية الصاوي- ج4 -251.
(7)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 619.
(8)- نوح/ 24.
(9)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 619.
(10)- نوح/ 27.
(11)- التفسير الواضح – ج4 - 539.

<u>سورة الجنّ</u>: (**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً**) (1) أي ليس له زوجٌ ولا ولدٌ، فهو منزه عمّا لا يليق به، فقد نزّهَت الجنُّ اللهَ عن تشبيهه بخلقه (2) فـ (اتـّخذ) فعله الثلاثي تخِذ، صيغ منه افتعل، وأدغمت فاء الافتعال في تاء الافتعال، لتصير اتـّخذ، وتفيد هنا، الاتـّخاذ والجعل والتصيير (**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**)(3) هذا مجازٌ ، أي اصطفاه واختصـّه بكرامة تشبه كرامة الخليل لخليله(4) والفعل (تخِذ) غير (أخذ) لأنّ مزيد أخذ اِئتخذ (5) .

المزمّل: (**أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**)(6) رتـّل القرآن ترتيلا، أي،اِقرأه قراءة تثبّت وتؤدة، وتمهّل (7) . رتـّل ، فعّل، فيه دلالة المبالغة على الترتيل، بدليل مجيء المفعول المطلق المؤكد لفعله (رتـّل: ترتيلا) ليكون عونا على فهم القرآن ، وتدبّر آياته، وتأمّله.

وقوله تعالى: (**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**) (8) تبتـّل، أي انقطع إليه انقطاعا(9). وتبتـّل أفادت هنا الطلب، أي طلب الانقطاع إلى عبادة الله، والتوكل عليه وحده، ومصدر تبتـّل تبتـّلاً، وجاء على وزن (تبتيلا) لحقّ الفواصل(10).

و قوله تعالى: (**لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً**) (11) أي اعتمد عليه، جلّ وعلا، وفوّض أمورك إليه. واتخذ صيغة (افتعل) تفيد الجعل والتصيير، وقد سبق بحثها.

و (**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً**)(12) أي كيف لا تحذرون وتخافون عذاب يوم هائل مريع رهيب، يشيب منه الوليد من شدّة هوله؟(13) تتـّقون من الفعل(وقى) صيغ منه

(1)- الجن/ 3.
(2)- الكشاف- ج4- 623.
(3)- النساء/ 125.
(4)- الكشاف- ج1- 569.
(5)- القاموس المحيط- ج1- 361
(6)- المزمّل/ 4.
(7)- الصابوني- صفوة التفاسير- المجلد3- 465.
(8)- المزمّل/ 8.
(9)- محمد محمود حجازي-التفسير الواضح- ج2- 544.
(10)- الزمخشري- الكشاف-ج4- 639.
(11)- المزمّل/ 9.
(12)- المزمّل/ 17.
(13)- التفسير الواضح- ج2- 546.

اوْتقى،افتعل، ثمّ أدغمت فاء الافتعال في تاء الافتعال : اتّتقى، لتصبح الصيغة (اتـّقى بدل اِوْتقى) وتفيد هنا الطلب، أي طلب التقوى والنفور إليها ، وتجنـّب العذاب مع الكفر. والغرض التعجّب .

و قوله تعالى:(**وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)(1) يقدّر الليل والنهار،أي اعلم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات، ولا يأتي حسابها بالتعديل والتسوية، ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعتها إلا الله وحده (2) . فقدّر: على وزن (فعّل) تفيد المبالغة في دقة التقدير،والتعديل والتسوية، والضبط، والتبديل لأمور الليل والنهار.

<u>المدثر</u>: (**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**) (3) فكبّرْ: أي خُصَّه بالتمجيد والتقديس، وأفرِدْه بالعظمة والكبرياء،وقدّم المفعول به (ربّك) لتخصيصه ، كما أخر الفعل لمراعاة الفواصل. وقوله (كبِّر) من الفعل (كبّر) فعّل، الذي يفيد التكثير، والله أهل له. كما يفيد النسبة، نسبة التكبير لله وحده دون سواه. ولهذا، لمّا نزلت، روي أن رسول الله ﷺ قال:« الله أكبر» فكبّرت خديجة-رضي الله عنها- وفرحت ، وأيقنت أنه الوحي (4) . وقوله أيضا: (**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**) (5)أخـّر الفعل لمراعاة الفواصل، وصيغة (طهِّر) تفيد المبالغة أي طهِّرها من المستقذرات ، وقيل كني بالثياب عن النفس ممّا يُستقذر من الأفعال ويُستهجن من العادات (6)

وقوله تعالى: (**وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً**) (7) مهّدت، أي بسطت له الدنيا بسطا (8) فكان في قريش عزيزا منيعا، وسيدا مطاعا، والمعني هنا، الوليد بن المغيرة. وقوله(مهّدت) مهّد، فعّل للمبالغة والتكثير، ومنه قول الناس (أدام الله تأييدك وتمهيدك) يريدون زيادة الجاه والحشمة(9).

وكذا قوله تعالى:﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**﴾ (10) إنه (فكـّر) في

---

(1)- المزمّل/ 20.
(2)- الزمخشري- الكشاف-ج4- 643.
(3)- المدثر/ 3.
(4)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 645.
(5)- المدثر/ 4.
(6)- الكشاف- ج4- 645.
(7)- المدثر/ 14.
(8)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج 2- 548.
(9)-الزمخشري- الكشاف- ج4- 648.
(10)- المدثر/ 18-19-20.

شأن النبي ﷺ (1) و(قدّر) هيّأ الأمر في نفسه ، ودبّره ، و(قُتِلَ كيف قدّر) تعجّب من تقديره وإصابته فيه المحزّ، ورميه الغرض الذي كانت تنتحيه قريش (2) . فصيغة (فعّل) في الآيات جاءت دالة على شدّة الفعل وقوّته، بدليل مجيء الاستفهام التعجبي(فقتل كيف قدّر!!) « أي قتله الله ما أشجعه (أجرأه) وأخزاه الله ما أشعره!»وهذا تهكّما بهم ، وبإعجابهم بتقديره(3)

المدثر: قوله تعالى:﴿ **كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ (4) أي يُضِلُّ اللهُ عن الهداية والإيمان مَنْ أراد إضلاله، ويهدي من أراد هدايته ، ليس إجبارا ، أي يُضِلّ الكافرين ويهدي المؤمنين(5) . يضِلّ مِنْ أضلّ ، أضلل، أفعَل أفاد التعدية والتصيير، وقد سبق بحثه. وقوله: ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ** ﴾ (6) فالمراد السبق إلى الخير أوالتخلف عنه، وأفادت الصيغة التكلّف ، والمطاوعة في العمل(7) كقوله تعالى: ﴿**وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾ (8) أي لا نصدّق بيوم القيامة وصيغة (كذّب) فعّل، فيها مبالغة وشدّة الإنكار، وقد أخّر التكذيب لأنهم كانوا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين تهويلا للتكذيب (9) وهو أعظم ما اقترفوا واجترؤوا ﴿**قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾ (10) .

<u>سورة القيامة</u>: قوله تعالى : ﴿ **بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾ (11) البَنان: أطراف الأصابع والنص يؤكِّد أمرا عظيما هو أرقى من مجرّد جمعها، وهو تسوية البنان وتركيبه في موضعه ، كما كان. وهي كناية عن إعادة التكوين الإنساني بأدق ما فيه.

---

(1)- محمد محمود حجازي-التفسير الواضح – ج2- 549.
(2)- الزمخشري- الكشاف- ج 4- 649.
(3)- المرجع نفسه.
(4)- المدثر/ 31.
(5)- الكشاف- ج4- 652.
(6)- المدثر/ 37.
(7)- الزمخشري- الكشاف- ج 4- 654.
(8)- المدثر/ 46.
(9)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 655.
(10)- المدثر/ 42-46
(11)- القيامة/ 4.

وهذا جواب لمن شكّك في قدرة الله ، ويوم القيامة(1) ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾(2)

فالفعل (سوّى) فعّل يفيد المبالغة في الحدث بدقة التسوية فيه التي لا نقص فيها ولا أمْتَ.

وقوله تعالى: ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾(3) يُخبّر الإنسان في ذلك اليوم بجميع أعماله ، صغيرها وكبيرها، حقيرها وعظيمها، ما قدّمه في حياته بأوّل عمله وآخره لأنّ جوارحه تنطق بذلك (4) . فـ (ينبّأ) من (نبّأ) تفيد التعدية، وجاءت بالتضعيف لإفادة قوّة الإنباء ، وكثرة المنبّإ به (بما قدّم وأخر) قدّم وأخّر : فعّل للمبالغة والتكثير لتنوّع المقدّم والمؤخّر من سيئات وحسنات ومن سمعة طيِّبة ، أو قبيحة. وجاء الفعل بالبناء للمجهول لمعرفة المُنْبئ معرفةً لا مِراء فيها، وهو الله تعالى(5).

وقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (6) فالخطاب موجه إلى الرسول ﷺ بقراءة الوحي، ما دام جبريل صلوات الله عليه ، يقرأ ﴿ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ لتأخذه على عجلة لئلا يفلت منك (7).

فالفعل (حرّك) على وزن فعّل، للتعدية والتكثير، لأن الرسول ﷺ كان إذا لُقّن الوحي نازع جبريلَ القراءة مسارعة إلى الحفظ ،وخوفا من أن ينفلت منه .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ (8) كلا: ارتدعوا، فأنتم تحبون الدنيا وتتركون الآخرة(9) فـ (تحبّون) مِن (أحبّ) مضعّف أصله (أحْبَبَ، أفعل) فأفاد الصيرورة والنسبة ،أي تكالبتم على الدنيا ونُسِبْتم إليها، وتخليتم عمّا هو أفضل وأهمّ وأدوم، أي الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ (10) أي اِلتوت إحدى ساقي المحتضَر على الأخرى

---

(1)- سيّد قطب – في ظلال القرآن- دار الشروق- بيروت- ط 12-1406هـ/ 1986م- ج6- 3768.
(2)- القيامة/ 3.
(3)- القيامة/ 13.
(4)- الكشاف- ج4- 661.
(5)- هذا ما روي عن ابن عباس وابن مسعود بما قدم في أول عمره، وما أخر في آخره
(6)- القيامة / 16.
(7)- الزمخشري- الكشاف- ج 4- 661.
(8)- القيامة / 20.
(9)- الكشاف- ج4- 662.
(10)- القيامة/ 29.

من شدّة كرب الموت ، وسكراته فالفعل (اِلتفّ) أصله (اِلتفـَفَ) افتعل بقصد المطاوعة لخفـّته في الاِلتواء وموت رجليه فلا تحملانه(1).

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴾ (2) قيل لم يصدّق بالقرآن، ولم يصلّ للرحمن، والمقصود أبو جهل عند الجمهور، بدليل قوله تعالى:﴿ يَتَمَطَّى ﴾ (3) فإنها كانت مشيته ومشية قومه بني مخزوم، أي يتبختر، مشية فيها التكلف والإظهار للمُطيطاء والاِختيال (4) . وهناك من قال إنه الإنسان مطلقا(5).

فالفعل (صدّق) وكذلك (صلىّ) على وزن فعّل، يفيد التعدية والتكثير، والنسبة للفعل الأوّل، أي لم ينسب الصدق إلى ما جاء به القرآن، فلا صدّق بدليل الآية التي بعدها ﴿ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (6) كذّب على وزن فعّل، أي نسب الكذب إلى ما جاء به القرآن، والإسلام عامّة و(تولـّى) تفعّل، تكلـّف النكوص والإعراض عن الإيمان.

ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴾ (7) كانت لفظة (يَـتمطّى) على وزن (يتفعـّل) دالـة على التكلف، وإظهار التبختر والخيلاء .

وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾ (8) فخلق، قدّر بقدر محكوم، فسوّى(9) فعدلها وأحكم أمرها فحذف مفعول (خلق ، وسوّى) اختصارا لأطوار ومراحل تكوين الجنين ، دلالة على قدرة الله فالفعل (سوّى) فعّل ،أفاد التعدية والمبالغة في الحدث ، وهذا يناسب دقة صنيع الله في الخلق ليدلّ على التصوير الدقيق، والشعور بما وراء ألوهية قادرة مدبِّرة حكيمة(10).

---

(1)- حاشية الصاوي- ج4- 270.
(2)- القيامة/ 31.
(3)-القيامة/ 33.
(4)- محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- 44.
(5)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 664.
(6)- القيامة/ 32.
(7)- القيامة/ 33.
(8)- القيامة / 38.
(9)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج 2- ص 555.
(10)- سيد قطب- في ظلال القرآن- ج 6- ص 3774.

<u>سورة الإنسان</u> : قوله تعالى: ﴿ **عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾ (1) يفجرونها تفجيرا، أي يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم . فجّر،فعّل، أفادت الصيغة التكثير بدليل قوله ﴿**تَفْجِيراً** ﴾ مفعول مطلق، مؤكد لعامله، ومعناه سهلا لا يمتنع عليهم(2) ومنه قوله تعالى: ﴿**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً** ﴾ أي جعلنا كل الأرض عيونا على التمييز المحوّل عن المفعول به والتقدير فجّرنا عيون الأرض. ولكن بالصيغة التي وردت بها الآية أفادت المبالغة والتكثير بحيث صارت الأرض كلها عيونا.

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً** ﴾(3) أي أعطاهم بدل العبوس اِنشراحا ، وحوّل حزنهم نضرة في الوجوه، وسرورا في القلوب(4). فالفعل ((لقّى) على وزن(فعّل) جعلهم يتلقون نضرة أي ألقى عليهم حسنا من النضارة وفرحا (5) تكريما لهم . ودلّت الصيغة على الاستحقاق، أي هم أهل لما أنعم الله به عليهم جزاء صنيعهم ﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً** ﴾(6) وقوله تعالى: ﴿ **وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً** ﴾(7) أي سهّلت قطوفها (8) جمع قطف (العناقيد) لحظة القطف ومطلق ما يقطف، حتى صارت في متناول اليد، لا تمنع على قُطافها كيف شاؤوا (9) . فالفعل (ذلّل) فُعِّل، ذلّله فذلّل ، يفيد المطاوعة كحسّن فحُسِّن. وبني الفعل للمفعول للعلم المطلق بالفاعل وهو الله جلّ جلاله. ومنه قوله تعالى: ﴿**قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً** ﴾(10) أي مخلوقة من فضة، وهي مع بياض الفضة وحسنها ، في صفاء القوارير وشفيفها.

---

(1)- الإنسان/ 6.
(2)- حاشية الصاوي- ج4- 372.
(3)- الإنسان/ 11.
(4)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 670.
(5)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 557.
(6)- الإنسان/ 10.
(7)- الإنسان/ 14.
(8)- التفسير الواضح- ج 2- 557.
(9)- الزمخشري- الكشاف- ج 4- 671.
(10)- الإنسان/ 16.

وقدّروها صفة لقوارير، ومعنى تقديرهم لها، أنهم صوّرها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم ، فجاءت كما قدّروا (1).

فالفعل (قدّره) على وزن (فعّل) أفاد هنا النسبة ، أي نسبوا لهذه القوارير مقدارا معيّنا وشكلا خاصّا فجاءت كما أرادوا إنعاما عليهم من الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿ **عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً** ﴾ (2) سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها ، وسلسبيل معناها سهلة ليّنة على رأي ابن عبّاس وابن عرفة(3) . فالفعل (تسمّى) من (سمّى) (فعّل) الذي تفيد التعدية إلى اثنين كقوله تعالى على لسان امرأة عمران :﴿ **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ** ﴾ (4) . كما تفيد الصيغة النسبة(5) أي ننسب إليها اسما أي وسما وعلامة (تسمّى سلسبيلا) .

وقوله تعالى: ﴿ **وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ** ﴾ (6) حُلـّوا أي ألبسُوا حِلية أساور من فضة للزينة وعبّر بالماضي إشارة لتحقق وقوعه. والفعل (حلـّى) على وزن فعّل ، ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا ، ودلالته التمكين (7) أي أن الله تعالى مكـّن أصحاب الجنة من التحلية بأساور الفضة في هذه السورة وفي سورة (فاطر) ﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً** ﴾(8) .

<u>الكهف</u>:﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ** ﴾(9) فهم تارة يلبسون الذهب فقط وتارة يلبسون الفضة،وتارة يلبسون الذهب واللؤلؤ ، حسب ما يشتهون (10)

---

(1)- الكشاف- ج4- 671.
(2)- الإنسان/ 18.
(3)- محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم – 247/246.
(4)- آل عمران/ 36.
(5)- عبد العال سالم مكرم- تطبيقات نحوية وبلاغية- دار البحوث العلمية – الكويت- ط1- 1399هـ/ 1979م- ج4 - 495.
(6)- الإنسان/ 21.
(7)- تطبيقات نحوية وبلاغية- ج4- 495.
(8)- فاطر/ 33
(9)- الكهف/ 31.
(10)- الكشاف- ج4- 674/673.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً ﴾ (1) تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل أي نحن – الذات الإلهية- الذين أنزلنا إليك القرآن مفرّقا وفصّلناه، ولم ننزِّله جملة واحدة لتذكّرِهم بما فيه من الوعد والوعيد(2) فالفعل (نزّل) على وزن (فعّل) يفيد التعدية وكثرة المنزَّل، وتنوّع آيه، من وعد و وعيد، وترغيب وترهيب، حسب المواقع والأحداث. وتدلّ على حقيقة العون والمدد من الله سبحانه وتعالى وحده ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ ثم ضمير التعظيم في ﴿ نَزَّلْنَا ﴾(3) ثلاثة ضمائر للحق منزِّل الذكر ،وهذا دفع لأيِّ لبس.

وقوله تعالى:﴿ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ (4) أي تهجّد له هزيعا طويلا من الليل (5). فالفعل (سبّح) فعّل، تفيد هذه الصيغة هنا، الكثرة والنسبة.أي سبِّحه تسبيحا كثيرا، تهجّد له طويلا، ثم نسب إليه التسبيح وخصّه به دون غيره، وإن كان التسبيح يعني التنزيه والتعظيم والثناء ، والصلاة لما يكون فيها من تسبيح(6).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ (7) أي يؤثرونهاعلى الآخرة (8) كقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾(9) فالفعل (أحبّ) أصلها (أحبب) أفعل، أفاد التعدية والتصيير، أي صاروا ذوي حبّ للدنيا، وشغف بها، بحيث جعلهم هذا الحبّ يذرون الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾ (10) أي إن شئنا أهلكناهم ، فهم لا يعجزون الله بقوّتهم ، وهو قادر على أن يخلق أمثالهم (11) . فالفعل (بدّلَ) على وزن(فعّل) يفيد الصيرورة والتحويل، بدليل إيراد المفعول المطلق لتوكيد عامله بدّلنا تبديلا .

---

(1)- الإنسان/ 23.
(2)- حاشية الصاوي- ج4- 276.
(3)- سيد قطب- م 6- 3026/ 3785.
(4)- الإنسان/ 26.
(5)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 675.
(6)- محمد التونجي- تفسير غريب القرآن الكريم- 228/ 229.
(7)- الإنسان/ 27
(8)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 675.
(9)-الأعلى/ 16.
(10)- الإنسان/28.
(11)-سيد قطب- في ظلال القرآن- م 6- 3787.

وقولـه تعـالى: ﴿ **فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً** ﴾(1) اتـّخذ إلـى ربِّـه سبيلا أي : فليعتبـر بآيـات القرآن، وليستنرْ بنوره، ولـيْتبعْ طريقـا موصـلا إليـه. فالفعل (اتـّخذ) علـى وزن (افتعل) بإدغـام فـاء الافتعال في تائه. ودلالة الصيغة هنا، الاتـّخاذ والتوسّل، والاجتهاد لبلوغ الغاية(2).

وقوله تعالى:﴿ **وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾ (3) الظـالمين، مفعول به لفعل محذوف فسّره مـا بعده (أعـدّ) مزيـد بـالهمزة ، أعْدَدَ، أفعل، ودلّ هنـا علـى التعريض ، أي أن العـذاب أعِـدّ للظـالمين خاصّة، والدليل ، نصب الظـالمين بفعل محذوف ، فسّره (أعِدّ) أو علـى الاحتقار والتبكيت، إهانـة وإذلالا(4).

<u>**سورة(المرسلات)**</u> : منه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ** ﴾(5) أي (وقتـت) من الوقت ، ومعنى توقيت الرسل، تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم (6) . ﴿**لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ** ﴾ تعظيم لليوم ، وتعجّب من هولـه(7) فالفعل (أقـّت) و(أجّل) علـى وزن(فـعّل) مـن الأصـل (وقـت) و(أجّـل) أفاد الدخول في الزمن ، ووقـّته جعل له زمنا معينا ،وأجّل جعل له أجلا محـدودا لا يعدوه هو يوم الفصل.

وقوله تعالى: ﴿ **انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ** ﴾ (8) أي انطلقوا إلـى عذاب جهنم الـذي كنتم تكذبون به في دار الدنيا (9) وهذا تقريعـا وتوبيخـا. فالفعل (كـذب) علـى وزن(فعّل) أفـاد هنـا التكثير والنسبة أي نسب الكذب إلى ما جاء به الحق، محذرا إياهم عاقبة أمرهم (إلى ما كنتم به تكذبون).

وقوله تعالى : ﴿ **كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ** ﴾ (10) أي كـلوا كما تأكل الأنعام، وتمتعوا

---

(1)- الإنسان/ 29.

(2)- عبد العال سالم مكرم- تطبيقات نحوية وبلاغية- ج4- 497.

(3)- الإنسان/ 31.

(4)- صفوة التفاسير- م 3- 497.

(5)- المرسلات / 11-12.

(6)- الكشاف- ج4- 678.

(7)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 678

(8)- المرسلات / 29.

(9)-حاشية الصاوي – ج4- 279.

(10)- المرسلات/ 46

قليلا في الدنيا، فإنا نستدرجهم إلى يوم الدين (1) . وهذا على سبيل التهديد والوعيد. فالفعل (تمتّع) (تفعّل) أفاد معنى التكلف. فالكفار تكلفوا التمتع ، وكأن الدنيا هي كل حياتهم فكان تمتعهم أياما قلائل ، ثم البقاء في الهلاك أبدا، وعلل ذلك بكونهم مجرمين (2)

سورة النبأ: قوله تعالى: ﴿ **وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً** ﴾ (3) أي نُسفت الجبال واقتلعت من أماكنها حتى أصبح يُخيّل إلى الناظر أنها شيء كلا شيء لتفرّق أجزائها، وانبثاث جواهرها(4) . فالفعل (سُيِّر) مبني للمجهول ، ومعلومُه (سَيّر) على وزن(فعّل) دلّ على التحويل والتصيير حتى صارت الجبال هباء منثورا.

وقوله تعالى: ﴿ **وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً** ﴾ (5) أي انشقت من كل جانب حتى كأن فيها صدوعاً وفتوحاً كالأبواب، وقيل شقّقت لنزول الملائكة (6) وصيغة (فُعّل) من (فعّل) أفاد أيضا التصيير، فإذا هي أبواب . وجاءت على صيغة الماضي مع أنها للمستقبل (القيامة) لتأكيد تحققه ووقوعه يقينا. وقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً** ﴾(7) أي كانوا يكذبون آيات الله وينكرون حقيقتها الدالة على البعث والنشور تكذيبا شديدا. و(كِذّابا) تكذيبا لا وصفا له، وهذا فاشٍ في كلام فصحاء العرب (8)

وقوله تعالى: ﴿ **لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً** ﴾ (9) أي لا يتكلم أحد حتى الملائكة المقرّبون ، إلا من أذِنَ الله له بالكلام. وقبل هذا قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً** ﴾ يقف جبريل والملائكة – عليهم السلام- مصطفين. فإذا كان الروح والملائكة وهم أفضل الخلائق وأشرفهم، لا يملكون التكلم بين يديه، فما ظنك بمن عداهم؟! (10)

---

(1)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح-ج 2- 562.
(2)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 682.
(3)-النبأ/ 20.
(4)- الكشاف- ج4- 686.
(5)- النبأ/ 19
(6)- حاشية الصاوي- ج4- 692.
(7).النبأ/ 28.
(8)- الزمخشري-الكشاف- ج4- 689.
(9)- النبأ/ 38.
(10)- الكشاف- ج4- 691.

فالفعل (يتكلـّمون) جاء على وزن (يتفعّل) تفيد هنا الطلب ، أي يطلب الكلام ويريده ، ولكن الصيغة جاءت منفية (لا يتكلـّمون) لمنع تحقيق الطلب إلا بإذنه تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ والمأذون به محذوف ، وهو التكلم.

وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً ﴾ (1) أي من شاء أن يسلك إلى ربِّه مرجعا إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب (2) . فالفعل (اتخذ) على وزن(افتعل) بإدغام فاء الافتعال في تائها (اتْتخذ، اتّخذ) وتفيد الصيغة الاتخاذ والتوسّل ، وقد سبق بحثه.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾(3) أي يوم لا يرى المرء فيه إلا عملـَه، ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ،لم أخلق ، ولم أكلف (4) . فصيغة (قدّمت ، فعّلت) تدلّ على التكثير والمبالغة في التقديم، لأن في هذا اليوم لا يجد المرء إلا ما قدّمه من خير، وهو المحبّبُ المطلوب أو شرّ وهو ما يجعله يتمنى لو كان ترابا.

<u>سورة النازعات:</u> ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾(5) أي هل لك رغبة وميل إلى أن تتطهر(6)

فـ(تزكـّى) أصلها (تتـَزكـّى) على وزن (تتفعّل) وحذفت التاء الأولى تخفيفا، والصيغة (تتفعّل) تفيد المطاوعة والتدرّج . (زكـّاه، فتزكـّى) والتزكـّي يكون بالترفع عن سفاسف الأمور ،وكأنه صعود في مدارج الطهر.

وقوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴾(7) فالمقصود فرعون الذي كذّب ما جاء به موسعليه وعلى نبيِّنا السلام، وعصى أمر الله بعد ظهور المعجزة الباهرة. فالفعل (كذّب) على وزن (فعّل) دلّ على المبالغة في الفعل، إذ بعد رؤيته الآية الكبرى والمعجزة الدامغة، رأي العين (قلب العصا حيّة) أصرّ على التكذيب . وهنا حذف المفعول به لكلا الفعلين (كذ ّب) و(عصى) للعلم بهما : كذّب آيات الله

---

(1)- النبأ/ 39.
(2)- حاشية الصاوي- ج4- 284.
(3)- النبأ/ 40
(4)-الزمخشري- الكشاف- ج4- 692.
(5)- النازعات/ 18.
(6)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 498.
(7)- النازعات/ 21.

وعصى الله بعدما علم صحّة الأمر (1). والفعل كذّب سبق بحثه.

وقوله تعالى: ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾ (2) فسوّاها فعدّلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت، ولا فطور (3) . فالفعل (سوّى) على وزن(فعّل) أفاد التعدية والصيرورة أي جعلها مستوية ،لا عوج فيها، ولا أمت.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾(4) (برّزت الجحيم) ظهرت بارزه للعيان ،أي تظهر إظهارا بيّنا مكشوفا ،ليراها كل من له بصر، كناية عن الأمر المنكشف (5). (يوم يتذكّر) يعني إذا رأى أعماله مدوّنة في كتابه (تذكّرها) فالفعل (تذكّر) على وزن (تفعّل) أفاد هنا المطاوعة لأنه يُورى أعمالـه، أي يذكّره تعالى بها مكتوبة، فيتذكّرها. والفعل (بُرِّزت) على وزن(فُعِّل) من (فعّل) فأفاد تكثير صفة المفعول به ،فالله أظهر الجحيم فبُرِّزت أي كانت شديدة الظهور والبروز لكلِّ راء.

<u>سورة عبس</u>: قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ (6) أي قطب وجهه(7) . تولّى : أعرض فتولّى على وزن (تفعّل) . أفادت الصيغة معنى التحوّل وفي التحوّل إعراض وتولٍّ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ (8) يزكّى: أي يتطهّر بما يتلقّن من الشرائع من بعض أوضار الإثم . أو يذّكّر : أو يتّعظ فتنفعه ذكراك وموعظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات (9)

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾ (10) وفي قراءة ﴿تَصَّدَّى ﴾ أي تتعرّض بالإقبال عليه

(1)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 696.
(2)- النازعات/ 28.
(3)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 696.
(4)- النازعات/ 35- 36.
(5)- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تفسير القرآن- دار المعرفة- بيروت- ط2- ج30- 22.
(6)- عبس/ 1.
(7)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 569.
(8)- عبس/ 3/4.
(9)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 701.
(10)- عبس/ 6.

والمصادّاة (1) . والفعل (تصدّى) أصله (تتصدّى) بإدغام التاء في الصاد (2) ووزنه(تتفعّل) وصيغة (تفعّل) أفادت المطاوعة ،أي يدعوك داع إلى التصدِّي له، من الحرص والتهالك على إسلامه(3) فتتصدّى .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ﴾ (4) أي وليس عليك بأس أن لا يتزكّى بالإسلام إن عليك إلا البلاغ (5) . والفعل (يزّكّى) بإدغام التاء في الزاي ، والتقدير (يتزكّى) (يتفعّل) . وأفادت الصيغة هنا المطاوعة والحيولة. فتزكّى ،فاتباعُ دعوته ﷺ تزكٍّ وتطهّرٌ .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ (6) تلهّى ، أصلها تتلهّى، أي تتشغّل (7) وتتشاغل بالحديث مع غيره. فالفعل (تلهّى) حذفت تاؤه ، فالأصل (تتلهّى) على وزن (تتفعّل) من (تفعّل) أفاد هنا الطلب،طلب التشاغل بالتصدِّي لصناديد قريش طمعا في هدايتهم (8) وليس تلهياً عن ترفّع،حشاه ﷺ

وقوله تعالى: ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾(9) أي فهيّأه لما يصلح له، ويختصّ به(10). وقيل قدّره في بطن أمِّه أطوارا، وقدّر رزقَه ، وأجلَه وعملَه، أشقيّاً أو سعيدا(11).فالفعل (قدّر) جاء على وزن(فعّل) أفاد النسبة إلى القدر، وهو المقدار . وهذا يتناسب والتقدير المشار إليه أعلاه. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾(12) أي سهّل سبيله ، وهو يخرجه من بطن أمّه. وقيل طريق الحق(13) فالفعل (يسّر) على وزن(فعّل) فأفادت الصيغة التصيير، أي جعل السبيل سهلا ميسّرا . وقدِّم المفعول به قيل للاهتمام به، وقيل لمراعاة الفواصل لأن قبله (فقدّره) وبعده (أقبره).

---

(1)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 702. وإني لأعجب من استعمال الزمخشري لفظ (المصاداة) في حق الرسولﷺ

(2)- المرجع السابق (3)- المرجع نفسه.

(4)- عبس/ 7

(5)- الكشاف- ج4- 702.

(6)- عبس/ 10.

(7)- التفسير الواضح- ج2- 569. ينظر مفردات القرآن – محمد حسن الحمصي- 586.

(8)- يذكر المفسرون أن هؤلاء الصناديد عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة.

(9)- عبس /الآية: 19.

(10)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 703.

(11)- محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير – م 3- 520. ينظر مختصر تفسير ابن كثير – ج3- 600.

(12)- عبس/ 20.

(13)-ابن جرير الطبري- جامع البيان في تفسير القرآن- ج20- 35.

<u>سورة التكوير:</u> قوله تعالى: ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴾(1) لُفت مثل تكوير العمامة والمقصود اختفاؤها عن الأعين، وذهاب ضوئها(2). فالفعل (كُوِّر) على وزن (فعِّل) أفاد التعدية والمطاوعة فكوّرها الله فكوِّرت ، حُذف الفاعل للعلم به مطلقا، وبُني الفعل للمفعول.

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ** ﴾ (3) سيِّرت، أي على وجه الأرض وأبعدت، أو سيِّرت في الجوّ. والعشار ، جمع عُشَراء، عطّلت ، أي تركت مسيّبة مهملة. قيل عطّلها أهلها عن الحلب والصرح لانشغالهم بأنفسهم(4). فالفعلان (سُيِّر، وعُطِّل) ببنائهما للمجهول للعلم بالفاعل مطلقا، وهو الله تعالى أفادا المطاوعة ، فعطّل الله العشار وسيّر الجبال ، فتعطلت بإرادته، وخصّت النوق بالذكر لأنها كرائم أموال العرب كما يُقال.

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ** ﴾(5) سُجِّرت، أي تأجّجت لهيبا وصارت نيرانا تضطرم، والنفوس زوِّجت ، أي قرنت كلّ نفس بشكلها، وقيل قورنت الأرواحُ بالأجساد(6) . فالفعلان (سُجِّر) و(زوِّج) أفادا النسبة والمطاوعة ، فنسبا إلى التسجير والتزويج .

وقوله تعالى:﴿ **وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ** ﴾(7) سعِّرت : أوقدت إيقادا شديدا (8). والفعل (سعّر) أفاد المطاوعة والمبالغة، فسعّر الله الجحيم ، فسعِّرت، ثمّ كان التضعيف للتكثير والمبالغة.

<u>سورة الانفطار:</u> قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ** ﴾(9) فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما فصارت بحرا واحدا (10) . (فُجِّرت) من الفعل (فجّر) للمبالغة والتكثير، والمطاوعة، فجّرها الله ففجِّرت وذلك يوم القيامة ، ولكن جاءت على صيغة الماضي لتأكّد تحققها ويقين وقوعها.

---

(1)- التكوير/ 1.
(2)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج 2- 570.
(3)- التكوير/ 3-4.
(4)- الكشاف- ج4- 707.
(5)- التكوير/ 6-7.
(6)- الكشاف- ج4- 707.
(7)- التكوير/ 12.
(8)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 707.
(9)- الانفطار/ 3.
(10)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 708.

وقوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾(1) أي علمت كلّ نفس ما أسلفت، وما قدّمت من خير أو شرّ (2) . فالفعلان (قدّم) و(أخـّر) على وزن (فعّل) تفيد التكثير لأن المقدّم حسنات وسيِّئات كثير، وكذا المؤخر.

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (3) فسوّاك : خلقك كامل الأعضاء ، حسن الهيئة، أي سوّيا سالما، وفي أيّ صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة . وصنعك ومكـّنك(4) فالفعل (سوّى) و(ركـّب) تفيد صيغته التصيير والنسبة، فصوّرك سويا مركبا في هيئة تامّة التجانس والاتـّساق، وتلك قدرة الله ، ومشيئته اللتان لا تحدّان.

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ (5) كلا: أي ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله الذي يوجب الشكر والطاعة، بل أنتم تكذّبون بيوم الحساب والجزاء فلا تُصدِّقون ثوابا ولا عقابا (6) .

<u>سورة المطففين</u>: قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (7) أي هلاك ودمار لمن يكذّب بيوم القيامة، ويوم الحساب ، وما يكذّب به إلا متجاوز الحدّ في الكفر والضلال ، مبالغ في العصيان والطغيان. (كـلاّ) حرف ردع وزجر للمعتدي الأثيم عن قوله (ران عن قلوبهم) (8). فالفعل(كذّب)على وزن(فعّل) دلّ على المبالغة في الإنكار، ونسبة التكذيب إلى ما يتعلـّق بيوم الحساب.

﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(9) أي هل جُوزوا في الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء. قيل يُفتح للكفار باب الجنة ، فيقال لهم: أخرجوا إليها . فإذا وصلوا إليها

---

(1)- الانفطار/ 5.
(2)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 574.
(3)- الانفطار/ 7-8.
(4)- التفسير الواضح-ج2- 574.
(5)- الانفطار/ 9.
(6)- الكشاف- ج4- 716.
(7)- المطففين/ 11-12.
(8)- الكشاف- ج4- 721.
(9)- المطففين/ 36.

أغلق دونهم، يفعل ذلك مرارا بهم، فيضحك المؤمنون (1) فيكونون قد ثوّبوا أي جوّزوا على ما اقترفوا. فالفعل (ثوّب) بناؤه للمفعول للعلم المطلق بالفاعل، من(ثوّبه) أفاد التعدية، وقبول الشيء أي جعلهم على سبيل التبكيت يثابون، أي يجازون من جنس العمل . ودليله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ** ﴾ (2).

<u>سورة الانشقاق</u>: قوله تعالى: ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ** ﴾(3) أي تصدّعت لشدّة الأهوال يوم القيامة. فصيغة (انشقّ) انفعل، يفيد المطاوعة، فأمرها الله أن تنشقّ ، فانشقّت وانصاعت له تعالى.

وقوله تعالى:﴿ **وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ** ﴾ (4) لم يُبق باطنُها شيئاً ممّا دفن فيها (5) وتخلّت تفعّلت دلّت على التكلّف، كأنها تكلّفت إخراج ما في باطنها (6)

وقوله تعالى: ﴿ **وَيُصَلَّى سَعِيراً** ﴾(7) أي يدخل نارا مستعرة من شدّة لظاها يدخلها ويقاسي حرّها(8). يُصَلّى ببنائه للمفعول، صلّى، فعّل، تفيد التكثير والمبالغة . فـ (صَلاه) حرقه، أمّا (صلاّه) فتفيد شدّة الصلي والإحراق. وقوله تعالى: ﴿ **وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ** ﴾ (9) اِتّسق واجتمع وتكامل،وتمّ واستدار (10) والفعل (اتّسق) على وزن (افتعل) من وسق ، ثمّ قلبت فاء الافتعال تاءً وأدغمت في تاء الافتعال : اتْـتَسق ، ثمّ اتّسق . وأفادت الصيغة المبالغة في الصفة صفة القمر عند اِكتماله واستوائه ليلة تمامه.

وقوله تعالى:﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ** ﴾ (11) أي طبيعة هؤلاء الكفار التكذيب. وحذف

---

(1)- الكشاف- ج4- 724.
(2)-المطففين/ 29.
(3)- الانشقاق/ 1.
(4)- الانشقاق/ 4.
(5)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2-576.
(6)-الكشاف- ج4- 726.
(7)- الانشقاق/ 12.
(8)- محمد الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن- 590.
(9)- الانشقاق/ 18.
(10)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح – ج2- 578.
(11)- الانشقاق/ 22.

المفعول به لأن الغاية العموم . فالفعل (كذّب) على وزن(فعّل) وأفاد المبالغة في حدث التكذيب وقد بُ◌ُحث.

وقوله: ﴿ **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ (1) فبشِّرهم ، أي أعْلِمْهم أن جزاء ضلالهم وكفرهم عذاب مؤلم ، وجعله بمنزلة البشارة تهكّما وتبكيتا، وهذا إشارة إلى المذكورين (بما يحملون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد) (2) وصيغة يبشّر، من(فعّل) تفيد التعدية ونسبة المفعول إلى فعله ،إذ جعلهم يُبشَّرون بما لا يبشَّر به (العذاب) .

سورة الأعلى: ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى** ﴾ (3) من التسبيح ، أي التنزيه والتمجيد ، تنزيهه تعالى عمّا لا يليق بجلاله، إذ لا ربّ غيرُه (4). فسبّح على وزن (فعّل) دلـّت الصيغة على المبالغة والتكثير دعوة إلى تنزيهه وتمجيده، وذلك يليق بجلاله.

وقوله تعالى:﴿ **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى** ﴾(5) فسوّى أي جعله متساويا في الإحكام والإتقان (6) تسوية على إحكام واتِّساق. فصيغة (فعّل) أفادت المبالغة في التسوية والإتقان في خلقه. وحُذف المفعول لمراعاة الفواصل.

وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** ﴾ (7) قدّر لكلّ مخلوق ما يصلح له فهداه إليه، وعرّفه وجْهَ الانتفاع به (8) وجعل الأشياء مقدّرة على مقادير (9) وحذف المفعول به لعموم التقدير(مفعول قدّر ومفعول هدى).

وقوله تعالى: ﴿ **وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى**﴾ (10) نوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل . والفعل (نيسِّرك) من (يسّر) فعّل أي جعله يسيرا ، ووفقه إلى الخير(11)فأفادت الصيغة التصيير.

(1)- الانشقاق/ 24.
(2)- الكشاف- ج4- 728.
(3)- الأعلى/ 1.
(4)- أبو جعفر بن جرير الطبري- جامع البيان في تفسير القرآن- ج20- 90.
(5)- الأعلى/ 2.
(6)- التفسير الواضح- ج2- 582. ينظر: الكشاف- ج4- 243.
(7)- الأعلى/ 3.
(8)- الكشاف- ج4- 243-
(9)- التفسير الواضح- ج2- 582.
(10)- الأعلى/ 8.
(11)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 583.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (1) أي فذكّر يا محمد بهذا القرآن حيث تنفع الموعظة والتذكرة، وذلك بعد إلزام الحجّة لتكرير التذكير(2). والفعل (ذكـِّرْ) من (ذكـّرَ) فعّل، تفيد دلالة التكثير، والحضّ على تبليغ الرِّسالة(3).

وقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (4) أي سينتفع بهذه الذكرى والموعظة من يخاف الله تعالى . يذّكـّر ، أصلها: يتذكـّر، وأدغمت التاء في الذال .والصيغة (يتفعّل) تفيد المطاوعة والاستجابة للحدث ،ذُكـّر ، فتذكـّر.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾(5) أي يرفضها ويبتعد عن قبولها الكافر المبالغ في الشقاوة والفعل (تجنـّب) تفعّل ، أفاد التجنـّب والتحاشي بتجنـّبه الذكر والموعظة. وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة(6).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (7) أي قد فاز من تطهّر من الكفر، ومعاصي الله (8) فالفعل (تزكـّى) وزنه (تفعّل) قد أفاد المطاوعة،والتدرّج في الطاعة. فزكـّاه خوفه من الله فتزكـّى.

وقوله تعالى: ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (9) أي ذكر عظمة ربِّه وجلاله، فصلـّى خشوعا وامتثالا لأمره . وقيل بمعنى خشع وخضع(10) . فالفعل (صلـّى) على وزن (فعّل) للتعدية والتكثير، وحذف المفعول به لعموم الصلاة.

الغاشية: قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (11) أي عِظهم يا محمد، وخوِّفهم ، ولا يهمّنـّك أنهم لا ينظرون ولا يتفكـّرون ، إنما أنت لست عليهم بمتسلط، ولا أنت بجبّار (12) . فالفعل (ذكـّر) فعّل فيه التعدية والتكثير.

---

(1)- الأعلى/ 9.
(2)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 583.
(3)- التفسير الواضح- ج2- 583.
(4)- الأعلى/ 10. (5)- الأعلى/ 11.
(6)- الكشاف- ج4- 739. (7)- الأعلى/ 14.
(8)- أبو جعفر بن جرير الطبري- جامع البيان- ج20- 99.
(9)- الأعلى/ 15.
(10)- التفسير الواضح- ج2- 583.
(11)- الغاشية/ 21.
(12)- التفسير الواضح- ج20- 105.

وقوله تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ**﴾ (1) فيه اِستثناء منقطع، أي لست بمسؤول عنهم ولكن من تولـّى وكفر منهم، فإنّ لله الولاية والقهر، فهو يُعذِّبه (2) . فالفعل (تولـّى) أعرض، على وزن (تفعّل) دلّ على التجنّب والنكوص، وتجافي الاتـّعاظ والتذكير.

سورة الفجر: قوله تعالى: ﴿**فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ** ﴾ (3) أي أكرمه بالغنى، واليسار، وجعله منعّما في الدنيا بالبنين والجاه والسلطان. وقيل صيّره مكرّما يتمتـّع بالنعم (4) . فنعّم على وزن (فعّل) أفاد التكثير، من كثرة ما أنعم الله على عباده .

وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى**﴾ (5) أي يتذكـّر الإنسان عمله في ذلك اليوم الرهيب ، والموقف العصيب. وقيل ومن أين له منفعة الذكرى ؟ وهذا للتأييس(6) . فالفعل (يتذكـّر) كان على وزن(يتفعّل)أفاد التكلـّف أي يعمل كلّ جهده ليتذكـّر ما اِقترفه في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ **يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ** ﴾ (7) لحياتي هذه وهي حياة الآخرة، ويقول هذا نادما، وفي ذلك اليوم ليس أحدٌ أشدّ عذابا من تعذيب مَنْ عصاهُ(8) . و(قدّمت) على وزن (فعّلت) تدلّ على المبالغ والتكثير، وحُذف المفعول به لعموم المقدّم .

سورة الشمس: قوله تعالى: ﴿ **وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا**﴾(9) إذا كشفها وأظهرها وأتمّ وضوحها(10) والفعل (جلـّى) جاء على وزن (فعّل) أفاد التعدية والتكثير ، فتجلية الشمس عند اِنبساط النهار تكثيرٌ لسفورها واِنجلائها.

---

(1)- الغاشية/ 23.
(2)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 745.
(3)- الفجر/ 15.
(4)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح-ج2- 586.
(5)- الفجر/ 23.
(6)- الكشاف- ج4- 752.
(7)- الفجر/ 25/24.
(8)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 752. ينظر: صفوة التفاسير- م3- 559.
(9)- الشمس/ 3.
(10)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 589.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (1) أي أقسم بالنفس البشرية وبالذي أنشأها وأبدعها وجعلها مستعدّة لكمالها(2). ونكّرت (نفسٌ) للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله (علمتْ نفسٌ) (3) و(سوّاها) فعّلها، للتعدية والنسبة، إذ نسب إليها التسوية، وهي من الله تعالى إظهارا لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية.

وقوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (4) طهّرها من دنس المعاصي ونمّاها وخاب من سلك طريق الشرّ والمعصية. (دسّاها) من التدسية، النقص الإخفاء(5) . فالفعلان (زكّاها) و(دسّاها) جاءا على وزن (فعّل) فزكّى ،تزكية، ودسّى، تدْسية، أفادت الصيغة التعدية والتكثير في المفعول ، أي كثرة التزكية لمن أفلح ، وكثرة التدسية لمن خاب.

وقوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ (6) أي أنّ الطغيان كان سبب التكذيب (7) . فالفعل (كذّب) على وزن (فعّل) فيه التكثير ، ونسبة الكذب إلى ما جاء به نبيّ الله صالح .

وقوله تعالى: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ (8) أي سوّى عليهم الأرض (9) أو لم يفرّق بينهم في العذاب، وسوّى الله عليهم الأرض عاليها بسافلها ،فـ (فعّل) أفاد التكثير والمبالغة(10)

<u>سورة الليل</u> : ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ (11) تجلّى: ظهر وانكشف(12) فالفعل على وزن (تفعّل) أفاد المطاوعة ، فقد جلّى الله النهار ، فتجلّى .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (13) أعطى حقوق ماله ،واتّقى الله ولم يعصه، وصدّق بالملّة الحسنى، الإسلام، وبالمثوبة الحسنى، وهي الجنّة

---

(1)- الشمس/ 7
(2)- صفوة التفاسير -م3- 566.
(3)-الكشاف- ج4-759.
(4)- الشمس/ 9-10.
(5)- التفسير الواضح- ج2- 589.
(6)- الشمس/ 11.
(7)- سيِّد قطب- في ظلال القرآن- دار الشروق- م 6- 3919.
(8)- الشمس/ 14.
(9)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج 2- 589.
(10)- سيِّد قطب – في ظلال القرآن- م6- 3919. (11)- الليل/ 2.
(12)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 590. (13)- الليل/ 5-6-7.

فسيهيِّئه الله لها. من يسّر الفرس للركوب ، إذا أسرجها وألجمها(1) فالفعل (اِتّقى)على وزن (افتعل) أصله (أوتقى) بقلب فاء الافتعال تاء ، وإدغامها في تاء الافتعال (اِتّقى) افتعل ويفيد هنا التجنّب أي تجنّب المعاصي بخوفه من الله، وكما يفيد الطلب أي طلب رضا الله باتِّقائه. والفعل (صدّق) على وزن (فعّل) أفاد التكثير والمبالغة، أي التصديق بأن الجنّة حق، كما أن النار حقّ. الفعل(سنيسِّره) من الفعل(يسّر) على وزن (فعّل) أفاد التعدية والتصيير، أي أن الله تعالى سيجعله من أهل اليسر والنجاة.

وقوله تعالى:﴿ **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ (2) أي من بخل بإنفاق المال،واستغنى عن عبادة الله، كذّب بالجنّة ونعيمها، فسيُهيِّئه الله للخصلة المؤدِّية للعسر الذي لا ينتج إلا شرّا ، وقيل النار(3) . فالفعل(كذّب) على وزن(فعّل) أفاد التكثير والمبالغة ،وقد سبق بحثه. وكذا الفعل (فسنيسِّره) من(يسّر) فعّل، أفاد التعدية والتصيير.

وقوله تعالى:﴿ **وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى** ﴾ (4) أي لا ينفعه ماله إذا مات وهلك وهوى في قبره(5) فالفعل (تردّى) تفعّل، أفاد المطاوعة، أي ردّوهُ في القبر فتردّى فيه، إذ ليس له فرصة ولا إرادة للخيار والرفض .

وقوله تعالى: ﴿**فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى**﴾ (6) أي حذرتكم نارا تتوقد وتتوهّج ، وتتسعّر (7) فالفعل (تلظّى) أصله (تتلظّى) تتفعّل، تدلّ على الشدّة ، والمبالغة في التلظي والاستعار، وحُذفت تاؤها فأصبحت أكثر قوّة، ودلالة على ضِرام النار وضراوتها .

وقوله تعالى: ﴿**الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾ (8) أي كذّب الرسل ، وأعرض عمّا جاؤوا به. فالفعل (كذّب) على وزن (فعّل) أفاد التكثير والمبالغة، و(تولّى) (تفعّل) أفاد التكلّف ، دلالة على النكوص والارتداد عن الحق بعد ما تبيّن له.

---

(1)- الكشاف – ج4- 754.
(2)- الليل/ 8-9-10.
(3)- حاشية الصاوي- ج4- 224. ينظر :التفسير الواضح- ج2- 590.
(4)- الليل/ 11.
(5)- محمد محمود حجازي-التفسير الواضح -ج2- 950 .
(6)- الليل/ 14.
(7)- سيّد قطب- في ظلال القرآن- م6- 3923.
(8)- الليل/ 16.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (1) أي سيُبعَد عن النار التقيّ النقيّ المبالغ في اجتناب الشرك والمعاصي.والفعل (يُجنّب) ببنائه للمجهول ، للعلم بالمجنّب مطلقا . وجاء لفعل على وزن (فعّل) (جنّب) وأفاد التجنّب والتكلف في تحاشي ما من شأنه أن يوقع في النار(2) .

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (3) (يتزكّى) من الزكاة ، يريد أن يكون عند الله زاكيا لا يريد بها رياءً ولا سمعة(4) . فالفعل(يتزكّى) جاء على وزن (يتفعّل) أفاد المطاوعة والتكلف بحيث يعمل على تزكية نفسها وتطهيرها ببذل ما له في وجوه الخير.

سورة الضحى: قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (5) أي ما تركك ربّك ولا أبغضك(6) فالفعل (ودّع) على وزن (فعّل) أفاد المبالغة والنسبة إلى القطع ، أي ما قطعك قطع المودِّع(7)

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (8) أي حدّث الناس بفضل الله وإنعامه عليك ، وقيل حدِّث بالإنفاق (9) فالفعل (حدِّث) جاء على وزن (فعِّل) من (حدّث) أفاد التعدية والتكثير . وحذف مفعول (حدّث) لأن المقصود التحديث بالنعمة لا نوع المُحدَّث به.

سورة العلق: قوله تعالى: ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ (10) علّم الكتابة والخط بالقلم . ومنه قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (11) فالفعل (علّم) جاء على وزن(فعّل) أفاد التعدية إلى اِثنين، كما أفاد التكثير والمتعلِّم جاهلٌ بما يتعلّم (12) بدليل قوله تعالى :﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(13)

---

(1)- الليل/ 17.
(2)- صفوة التفاسير- م3- 570.
(3)-الليل/ 18.
(4)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 764.
(5)- الضحى/ 3.
(6)- ابن خالويه- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم- 17
(7)- الكشاف- ج4- 765.
(8)- الضحى/ 11.
(9)- محمد محمود حجازي- الفسير الواضح- ج2- 593.
(10)- العلق/ 4.
(11)- القلم/ 1.
(12)- حاشية الصاوي- ج4- 333.
(13)- العلق/ 10.

وقوله تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى** ﴾(1) أرأيت ذلك الشقيّ، أبا جهل، الذي كان ينهى عبدا، والمقصود رسول الله ﷺ(2) . والعبارة على سبيل التعجّب من شناعة جرمه. فالفعل (صلّى) على وزن (فعّل) أفاد التكثير والتعدية، وقد سبق بحثه.

وقوله تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾(3) أي كذّب بالقرآن وأعرض عن الدعوة. فالفعل (كذّب) جاء على وزن (فعّل) وأفاد التكثير والنسبة، فهو كثير التكذيب بما جاء به الإسلام بل نسب إلى ما جاء به الرسول ﷺ . أمّا (تولّى) فوزنه (تفعّل) دلّ على التكلف والصيرورة وقد سبق بحثه.

<u>سورة القدر</u>: قوله تعالى: ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ** ﴾ (4) أي تتنزّل الملائكة وجبريل في هذه الليلة إلى الأرض بأمر الله. فالفعل (تنزّل) أصله (تتنزّل) تتفعّل من أجل كلّ أمر قضاه الله لتلك السنة (5) . فالفعل (تنزّل) جاء على صيغة (تفعّل) التي تفيد المطاوعة، نزّلها الله فتنزّلت، والتدرّج في النزول، والتتابع.

<u>سورة البيِّنة</u>: قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾(6) أي ما اِختلف اليهود والنصارى في شأن النبيِّ ﷺ إلا من بعد ما جاءتهم الحُجج الواضحة، الدالة على صدق رسالته (7) . فالفعل (تفرّق) على وزن (تفعّل) أفاد التكلف والتكثير، فالنصارى واليهود ورغم علمهم به ﷺ لوجوده في كتبهم(8) فإنهم بالغوا في التكذيب برسالة الإسلام،واِزدادوا تفرّقا وتشعّبا لنكرانهم ومعاندتهم وحسدهم.

<u>الزلزلة</u>: قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ (9) أي تشهد على كلّ أحد بما عمل على ظهرها(10).

---

(1)- العلق/ 10/9.
(2)-حاشية الصاوي- ج4- 334.
(3)- العلق / 13.
(4)- القدر/ 4.
(5)- الكشاف- ج4- 781.
(6)- البيِّنة/ 4.
(7)- محمد التونجي- المعجم في تفسير غريب القرآن الكريم- 81.
(8)- الكشاف- ج4- 782.
(9)- الزلزلة/ 4.
(10)- الكشاف- ج4- 784.

فالفعل (تحدِّث) من (حدّث) فعّل دلّ على التكثير والتعدية، فما أكثر ما تحدّث به في ذلك اليوم العصيب!

سورة العاديات: قوله تعالى: ﴿**وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ**﴾ (1) أي أظهر ما في الصدور محصّلا مجموعا. ومعنى (حصّل) جُمع في الصحف، أو أظهر محصّلا مجموعا . فالفعل (حُصّل) من (حَصّل) فعّل، يفيد التكثير والمبالغة أي جمع كلّ الخير والشرّ، فما أكثر محصوله! وبُني للمجهول للعلم بالمُحصِّل مطلقا.

الهُمَزة: قوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ**﴾ (2) عَدّده ، جعله عُدّة لحوادث الدّهر، أو جمع المال وضبط عدده وأحصاه. فالفعل (عدّد) على وزن (فعّل) أفاد التكثير والمبالغة سواء كان من العدة وفيها جمع وكنز، أو من العدد لما في ذلك من التعداد مع التعدّد(3).

وقوله تعالى: ﴿**الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ**﴾ (4) يصل ألمها ووجعها إلى القلوب، فتحرقها.

قال القرطبي : « وخصّ الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه » (5) .فالفعل (تطّلع) من ((اِطّلع) فقلبت تاء الافتعال طاءً ، وأدغمت فيها فاء الافتعال : اِطتلع- اِططلع- اِطّلع، دلّ على الشدّة إذ هذه النار تتصاعد ،ويتأجّج لهيبها حتى تصل الأفئدة .

الماعون: قوله تعالى:﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ**﴾ (6) في الآية استفهام للتعجّب والتشويق، أي هل عرفت من يكذّب بالجزاء والحساب (7) . فالفعل (كذّب) فعّل، فيه التكثير وشدّة التكذيب وهوله إذ يوم الدِّين لا يمكن أن يكذّب به ، ثمّ نسب التكذيب إلى كلِّ ما جاء به الإسلام عن هذا اليوم العصيب.

الكوثر: قوله تعالى: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾(8) أي صلِّ لربِّك الذي أفاض ما أفاض عليك من

---

(1)- العاديات/ 10.
(2)- الهمزة/ 2.
(3)- الكشاف- ج4- 279.
(4)- الهمزة/ 7.
(5)- تفسير القرطبي- ج 10- 183.
(6)-الماعون/ 1.
(7)- محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم – 180.
(8)- الكوثر/ 2.

الخير الكثير (1) . وقيل المقصود بالصلاة ، صلاة الفجر بجمع، والنحر بمنى. وقيل صلاة العيد والتضحية(2) . فصلِّ من (صلّى) فعّل، للتعدية والتكثير، وقد سبق بحثه .

النصر: قوله تعالى:﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ** ﴾ (3) أي قدّسه ونزِّه عمّا لا يليق بجلاله وعظمته ، واحمده، واثْنِ عليه (4) . فالفعل (سبّح) جاء على وزن (فعّل) أفاد التكثير والمبالغة.

استنتاج:

يتبيّن من خلال ما ورد في مختلف السور المُتناولة أنّ الإدغام الذي وُظف في مختلف الصيغ، جاء لتأكيد وتقرير معان أرادها تعالى إمّا لإثبات قوّته السرمدية في خلقه، وبيان نفاذ أمره، وحصول مشيئته التي تجلّت في ظواهر كونية، وغرائب فلكية، ودقّة صنعة، وعدل مُطلق، وعلم أزليّ لا حدود له، مثل قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً**﴾(5) وقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ** ﴾(6) وإمّا لحثّ الإنسان على فعل الخيرات، وترك المُحرّمات، وتنقية النفس من أدناسها، والتعالي عمّا يتعارض وصلاحها، كما في قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾(7) وقوله :

﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾(8) .

وكذا بيان أحوال الناس ومآل الوجود بعد الحياة كقوله ﷻ:﴿ **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً**﴾(9)

وقوله تعالى: ﴿ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** ﴾(10) .

---

(1)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 606.
(2)- الكشاف- ج4- 707.
(3)- النصر/ 3.
(4)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 608
(5)- عبس/ 26.
(6)- الأعلى/ 14-15.
(7)- عبس/33.
(8)- الشمس/ 9-10.
(9)- الفجر/ 21.
(10)- المرسلات/ 15.

وأمّا نوع المُدغم الطاغي في السور المعروضة، فكان بإدغام المَثلين ، كـ (الصّاخة، والطامة ودكـّا دكـّا، وتزكـّى، والمزمّل). أمّا الصيغ التي ورد بها فتتلخـّص في صيغة (تفعـّل) التي تفيد التكلـّف والمطاوعة، والتدرّج، مثل (تولـّى، تنـزّل) وصيغة (فعـّل) التي تفيد المبالغة والتكثير والنسبة مثل (صلـّى،كذّب،سوّى) وصيغة (فـُعـّل) للبناء للمجهول لمعرفة الفاعل معرفة مُطلقة وهو الله الواجد، مثل(دُكـّت الأرض، كـُوّرت، سُجـّرت...) وبصيغة (انـْفـَعَل) التي تفيد المطاوعة (إذا السماء انشقت) وصيغة (تفـَعّـل) بإسقاط إحدى التاءين لتفيد التكثير، والمُبالغة أيضا، مثل (تـَميّز تزكـّى) بدل(تتميّز، تتزكـّى) .

وإذا جاء الإدغام في الأسماء ،كان على وزن (فاعل، وفعـّال) مثل(والطارق، الثـّاقب، والصّاخة الطامة،حمّالة الحطب، وهـّاب، ثجـّاج...)

وكلّ هذا له علاقة بالتقدير الصّوتي ، إذ المُقدّر فيه مُدغمٌ زاد المعنى قوّة وتوسيعا، ما كان له أن يتحقق فيه ذلك لو جاءت العبارة على الأصل.

• الإبدال والتقدير الصوتي :

(بَدَل) الشيء محرّكة، وبالكسر، وكأمير الخلـَف ج: أبدال، وتبَدّله، وبه، واستبدله وبه، وأبدله منه اتخذ منه مُبدلا. وحروف البدل(أنجدَتـْهُ يوم صال زُطٌّ)(1). فإذا كان الإبدال يعني التغيير والخلف فإنه اصطلاحا(جعْل مُطلق حرفٍ مكان آخر)(2)، فإن كان هذا الحرف حرف علة فهو إعلال. ولهذا كان الإبدال أشمل، فكلّ إعلال إبدال، لأنه يقع فيه تغيير حرف بآخر وليس كل إبدال إعلالا، لأنه قد يُبدل حرف وليس بحرف علة، لكن ما علاقة هذا بالتقدير؟

الحقيقة أن التغيير الذي يصيب الأصوات، ويجعل صوتا يعتلي مكان صوت لعلة، كتقارب المخارج، والاشتراك في الصفات،هذا من شأنه أن يحمل على التقدير الصوتي بردِّ المبدلات إلى أصولها، ويحدث ذلك لأغراض مختلفة كطلب الخفة وترك الثقل، وإكساب الألفاظ قوة لتصاقب معانيها كما هو الشأن في صبر- واصطبر فهذا الأخير أقوى، وأوقع في النفس . وصرخ واصطرخ

---

(1)- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- ج1- 231.
(2)-عبد العال سالم مكرم- تطبيقات نحوية وبلاغية -ج4- 522.

كما في قوله تعالى عن أصحاب جهنم: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾(1) فالاصطراخ غير الصراخ .

وهنا يعوّل على التقدير في ردِّ المبدلات الصوتية إلى ما هو أصل، سواء كان ذلك في حروف العلة ويخص الإعلال،أو فيما هو صحيح من الحروف فيكون إبدالا(2). وحتى لا يكون الأمر نظريا، أورد نماذج للإبدال من القرآن الكريم تخص أنواع الإبدال- إن وجدت- كإبدال الهاء همزة مثل: ماء، ماه والدليل نقول في الجمع أمواه. وإبدال تاء الافتعال طاءً ودالا، وإبدال النون والواو ميما، وقلب فاء الافتعال تاءً إذا كانت واوا أو ياءً أصلية ثم تدغم في تاء الافتعال مثل: وعد ، اِوْتعد،اتّعَدَ- يسر ايْتَتَسَر، اتّسَر .

كما تبدل تاء الافتعال طاءً، إذا كانت فاء الافتعال صادا،أو ضادا أوظاء (أحرف الإطباق) مثل: صبر، اصتبر،اصطبر- ضرب ، اضترب ، اضطرب- ظلم، اظتلم ،اظطلم.

- إبدال تاء الافتعال دالا: دان، اتْدان، اِدّان- وذلك إذا كانت فاؤه دالاً أو ذالاً أو زايا.

- وتبدل النون ميما بالقلب:انبعث، امْبَعث ،كما في قوله تعالى: (إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا)(3) تُقرأ مُبدلة (إذِ مْبعث).

نماذج : ومن أمثلة الإبدال ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾(4) من الفعل دعا، ادّعى (افتعل) اذْ تعَى، تبدل التاء دالا ثم تدغم في الدال(الفاء) : ادّعى.

وقوله تعالى:﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ)(5) فـ (مهين) : فاسق، حقير، من (هين) فالصيغة الأصل(مهيون) :(مفعول) تنقل حركة المعتل إلى الصحيح الساكن قبلها، ثم تعلّ الواو ياءً لتصبح : مهُيْون، فـ مهُين، ثمّ مهين، (مشاء بنميم) من مشى(فَعّال) مشاي ، تطرّفت الياء، وانفتح ما قبلها بالمدّ، فقلبت الياء همزة، مشـّاء ، والأصل مشـّاي ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾(6).المتقين من الفعل وَقى ، اِوْتقى ، تقلب الواو تاء، وتدغم في التاء الثانية اتّقى، ومنه

(1)- فاطر/ 37.
(2)- عبد العال سالم مكرم- تطبيقات نحوية وبلاغية- دار البحوث العلمية- الكويت- ط1- 1399هـ/1999م- ص522 وما بعدها.
(3)الشمس/ 12.
(4)- الملك/ 27.
(5)-القلم/10.
(6)- القلم/ 34.

اسم الفاعل: الموتقين، المتـّقين(إبدال فاء الافتعال تاء، وإدغامها في تاء الافتعال طلبا للخفة).

الحاقـّة:

﴿ **وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾(1) من الفعل وقى وقد سبق بحثه في سورة القلم.

نوح:

﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ** ﴾(2) واتـّقوه من وقى، اوْتـَقى، قلب فاء الافتعال تاءً وإدغامها في تاء الافتعال :اوْتَقوه ، اتـْتقوه ، اتـّقوه.

-﴿ **إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً** ﴾(3)اتـّبَعُوا، تبع،اتـْتبعَ إدغام فاء الافتعال في تاء الافتعال اتـّبع للدلالة على الاتـّخاذ والمطاوعة.

الجن:

﴿**مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً** ﴾(4) اتخَذ، صيغة افتعل، اتـْتخذَ، إدغام تاء الافتعال في التاء الثانية لتصبح(اتـّخذ) وقوله: ﴿ **إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ** ﴾(5) ارتضى من(رَضيَ) تصاغ صيغته افتعل ارْتضَيَ، أبدلت لام الفعل(ي) ألفا لمجانسة الفتحة فتصبح ارتضى.

المزمّل:

قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً** ﴾(6) اتخذ، إدغام فاء الافتعال في تاء الافتعال ، وقد سبق بحثه.

وقوله:﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾(7) فاتبع من تـَبع، مصوغ منها صيغة افتعل اتـْتبَع، ثم أدغمت التاءان لتصبح اتـّبع، وتفيد الطلب والمطاوعة أيضا.

---

(1)-الحاقة/ 48.
(2)-نوح/ 3.
(3)-نوح/ 21.
(4)-الجن/ 3
(5)-الجن/ 27.
(6)-المزمّل/ 19.
(7)-القيامة/18.

و قوله:﴿ **وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ** ﴾(1) فـ (أقّتت) من الفعل (وقتَ) بقلب الواو همزة، وقّتت أقّتت. وبُني الفعل للمجهول للعلم المطلق بالمُؤقّت .

وقوله تعالى:﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ** ﴾(2) فقوله المتقين، من وقى، اِوْتَقى، موْتقى. قلب فاء الافتعال تاء وإدغامها في تاء الافتعال اتتقى، اتّقى، وقد سبق بحثه.

وقوله أيضا:﴿ **مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ** ﴾(3) (متكئين) وكأ، اوْتكى، قلب فاء الافتعال(الواو) تاءً،وإدغامها في تاء الافتعال اِتْتكأ، اِتّكأ، وتفيد الصيغة الاِتّخاذ، لكن في الآية جاءت حالا.

وقوله:﴿ **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً** ﴾(4) (ميقاتا) وقّت، من مِوْقاتا، سكنت الواو، وكسر ما قبلها فقلبت ياء لمجانسة الكسرة.

وقوله ﷻ:﴿ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ** ﴾(5) (اكتالوا)أصلها من كيَل، اِكتيَل، قلب الياء ألفا لمجانسة الفتحة.

وقوله تعالى:﴿ **وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ** ﴾(6) اتّسق، من وَسَقَ، ضمّ وجمع، فتصاغ صيغة افتعل: اِوتسَق، تقلب فاء الافتعال تاء، وتدغم في تاء الافتعال اِتْتسق، ثم تدغم التاءان اِتّسَقَ لتفيد الاستواء والاكتمال.

وقوله أيضا:﴿ **إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا** ﴾(7) يلاحظ إبدال النون ميما(إقلاب) لاشتراكهما في صفة الغنة واشتراك الميم والباء في المخرج(حرفان شفويان)، فتقرأ(إذ مْبعث أشقاها).

وقوله:﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى** ﴾(8) اِتقى، من وقى، فصيغة افتعل منها تكون(اِوْتقى) تقلب فاء

---

(1)-المرسلات/ 11.
(2)- المرسلات/ 41.
(3)- الإنسان/ 13.
(4)-النبأ/ 17.
(5) -المطففين/ 2/1.
(6)-الانشقاق/ 18.
(7)-الشمس/ 12.
(8)- الليل/ 17.

الافتعال تاءً، وتدغم في تاء الافتعال، اتْتقى، اتّقى. فالأتقى، الأفعل، الأصل أوقى، قلبت الواو تاءً وجاء على صيغة التفضيل.

وقوله أيضا:﴿ **أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى** ﴾(1) فالتقوى من وقى، أصلها الوَقْوَى، ولكن بقلب الواو تاء وإدغامها في تاء الافتعال أصبحت (التقوى) وقد سبق بحثه.

استنتاج:

نستنتج ممّا سبق بحثه أنّ ظاهرة الإبدال من المقدّر الصوتي، وأنّ الأصوات المبدلة هي الأصوات المتجانسة صفة، كالميم والنون (الغنّة) في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا** ﴾ أو المتقاربة مخرجاً كالتاء والدال، والتاء والطاء (ادّكر) . والإبدال الذي مسّ الأصوات الصحيحة والمعتلة إنما كان للخفة وتأدية معان يتطلبها الموقف، ويقتضيها السياق، فيزيد اللفظة قوّة.

كما أن الإبدال يفيد معاني إضافية ، بإحداث صيغ جديدة يتطلبها السياق كما هو الشأن بالنسبة إلى صيغة (اِفتعل): ارتضى، بإعلال الواو ألفاً من (ارتضو) و(اوتسق) وفخامة مثل ﴿**يصطرخون فيها** ﴾ فالاصطراخ أنسب للمقام من الصراخ ، فصيغة (افتعل) أشدّ كما في قوله تعالى: ﴿**والليل إذا اتّسق** ﴾ بقلب الواو تاء، وإدغامه في تاء الافتعال، لإعطاء معنى المطاوعة والتحوّل من حال إلى حال، ونحو: اكتال من اكتيل ، بإعلال الياء ألفاً، لمجانسة الفتحة، دلالة علة الطلب والمطاوعة، فـ (كالَه): منحه كيلا أمّا (اكتال) فـ: أخذ عنه. ونحو ﴿**فاطّلع فرآه في سواء الجحيم** ﴾ بقلب تاء الافتعال طاء، وإدغامها في الطاء لتفيد الطلب والتكلف.

ومن هنا كان الإبدال ظاهرة صوتية في القرآن الكريم، أتاحت معانيَ جديدة، كما دخلت اللفظ فسهّلت نطقه، وحققت خفتّه، فانتظم ضمن التراكيب ، وكان بمثابة الخرزة المنضودة في نظم النص القرآني.

---

(1)-العلق/ 12.

- **الفاصلة ، ودورها في التقدير:**

الفاصلة لغة من (فصل) و الفصل الحاجز بين الشيئين، وكل ملتقى عظمين من الجسد، والحق من القول، والفاصلة الخرزة ، تفصل بين الخرزتين في النظام، وأواخر آيات التنزيل فواصل، بمنزلة قوافي الشعر، الواحدة فاصلة (1)

من هذا التعريف، يتبيّن أن الفاصلة تعني الحاجز، والفصل بين الأشياء، وأواخر الآيات. ومن الباحثين من أشار إلى أن مفهوم الفاصلة استوحي من القرآن نفسه، بذكر الفصل والتفصيل في قوله تعالى: **(وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ)** (2) وقوله أيضا: **(آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ)**(3) ولكني أرى هذا من البيان والتوضيح ، لا من الحجز والقطع.

ومصطلح الفاصلة ظهر قديما، حيث نجد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) قد ذكره في مادة (سجع):« سجع الرجل، إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر، من غير وزن، كما قيل(في أرض): لصّها بطل، وتمرها دقل، ، إن كثر الجيش بها جاعوا، وإن قلوا ضاعوا»(4) . بينما نجد تلميذه سيبويه يستعمل مصطلح الفواصل ، وهو يتحدّث عن الوقف في القرآن الكريم. جاء ذلك في (باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف، وهي الياءات) فقال:« وجميع ما لا يحذف في الكلام وما يختار فيه ألا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي. فالفواصل ، قول الله عز وجلّ : **(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)**(5) و(**مَا كُنَّا نَبْغِ**)(6) و(**يَوْمَ التَّنَادِ**)(7) و(**الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**)(8) والأسماء أجدى أن تحذف،إذا كان الحذف فيها في غير الفواصل والقوافي»(9). فسيبويه يجعل الفاصلة آخر الآية أي رؤوس الآي وقابلها بالقوافي لمشابهتها إيّاها، في كونها حدّا وحاجزا بين قولين.

---

(1)- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- ج3- 496.
(2)- الأعراف/ 51.
(3)- الأعراف/ 132.
(4)- الخليل بن أحمد الفراهيدي- العين- مادة سجع- 244.
(5)- الفجر/ 4.
(6)-الكهف/ 64.
(7)- غافر/ 32.
(8)-الرعد/ 9.
(9)- سيبويه- الكتاب - ج 4- 145.

ويرى محمد الحسناوي، أنّ مصطلح الفاصلة ، لم يستقر نهائيا حتى جاء الفرّاء(207هـ) حيث استخدم عددا من المصطلحات للدلالة على نهايات الآيات. من بين هذه المصطلحات،رؤوس الآيات في قوله :«...وإن شئت جعلتها ياء إضافة حُوِّلت ألفا لرؤوس الآيات» (1).

بالإضافة إلى مصطلح الفاصلة، ورد مصطلح **الفصول** في قوله :«وهذا في القرآن كثير، وذلك لأنه جواب يستغنى أوّله عن آخره بالوقف عليه، فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول القائل: قال كذا وكذا، فكأن حسن السكوت يجوز به طرح الفاء، وأنت تراه في رؤوس الآيات-لأنها فصول- حسنا»(2)

كما استعمل الفرّاء مصطلحين آخرين، هما: آخر الآية(3) وآخر الحروف(4). ورؤوس الآيات بمثابة رؤوس الأبيات في الشعر، لذا كانت الفاصلة بمثابة القافية . علق الزركشي في البرهان على ما قاله الفرّاء عن الفاصلة في قوله تعالى:(**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**)(5) بما يلي: « وإنما ثنّاهما ها هنا لأجل الفاصلة، رعاية للتي قبلها، والتي بعدها على هذا الوزن والقوافي تحتمل في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام» (6)

كما نقل السيوطي عن الفرّاء تعليقه عن الآية الكريمة (**إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا**) (7) فقال: «قال الفرّاء فإنهما رجلان: قُدار، وآخر معه، ولم يقل أشقياها للفاصلة»(8) . ولكن مصطلح الفاصلة استوى عوده عند أبي الحسن الأشعري (ت 324هـ) وتلميذه القاضي أبي بكر الباقلاني (ت 403هـ) والرماني(ت 384هـ) بيد أن الباقلاني قد أفرد بحثا مطوّلا للحديث عن الفاصلة في كتابه " إعجاز القرآن" ومنه فصل في نفي السجع عن القرآن(9) و(الفواصل والفرق بينها وبين الأسجاع) (10)

---

(1)- الفرّاء- معاني القرآن- ج 2- 172.
(2)- الفرّاء- معاني القرآن- ج1- 43/44.
(3)- المرجع نفسه- ج 1- 16.
(4)- المرجع نفسه- ج1- 200/201.
(5)- الرحمن / 46.
(6)- الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج1- 65.
(7)- الشمس/ 12.
(8)- السيوطي- الإتقان في علوم القرآن – طبعة محققة- ج1- ص 65- وفي ط:غ.محقق- ج2- 100.
(9)- الباقلاني- إعجاز القرآن –31/36.
(10)- المرجع نفسه- 270/271

بعد هذه اللمحة عن الفاصلة وأهمّ من وظفها مصطلحا، ينبغي أن نشير إلى أن هناك فئات عدّة تناولت الفاصلة، كلّ من زاوية معيّنة، ولأغراض تخدمها. وتتمثل هذه الفئات في علماء الكلام معتزلة وأشاعرة، واللغويين، والنحاة، والمفسِّرين، والبلاغيين.

وقد أفرد الرماني بحثا للفاصلة، فقال في تعريفها:«حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعنى»(1) . كما حدّها الزركشي بقوله: « هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السمع»(2) . وهي زيادة على ذلك، الجملة التي تأتي في آخر الآية، وتدلّ على معنى شبه مستقلّ، لكنه مرتبط بما سبقه من الكلام، ارتباط العلة بالمعلول ، أو المجمل بالمبيّن، والعام بالخاص(3).

وإذا تحدّث العلماء عن الفواصل، فإنهم حدّدوا ما يحدث في الصيغ من تغيير، مراعاة لهذه الفواصل. وقد تناوله الزركشي في ترتيب الأحكام ، كما أكّده محمد الحسناوي في كتاب "الفاصلة في القرآن الكريم"(4) . ومن هذه المعتريات:

1- زيادة حرف. 2 - حذف همزة،أو حرف اطرادا. 3- الجمع بين المجرورات.

4- تأخير ما أصله أن يتقدّم. 5- إفراد ما أصله أن يجمع. 6- جمع ما أصله أن يُفرد.

7- تأنيث ما أصله أن يذكر. 8-صرف ما أصله ألا ينصرف. 9- إمالة ما لا صلة لإمالته.

10- العدول عن صيغة الماضي إلى المستقبل.

ومن أمثلة تغيير الضمير مراعاة للفاصلة، ما أورده الفرّاء عن قوله تعالى: **(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)**(5) ولم يقل فتشقيا، لأن آدم هو المخاطب، وفي فعله اِكتفاء من فعل المرأة (6)

ومثله قوله تعالى في سورة (ق) **(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ)**(7) اكتفى بالقصد من صاحبه لأن المعنى معروف»(8) .

---

(1)-محمد يونس كبير - أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن- دار الأمة- نيجيريا- د.ت- 87- 11.
(2)- الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج1- 53.
(3)- محمد يونس كبير - أسس فنية –87.
(4)- محمد الحسناوي- الفاصلة في القرآن الكريم – دار عمار- بيروت- 1406هـ/1986م- 58
(5)- طه/ 117.
(6)- الفرّاء- معاني القرآن- ج2- 192.
(7)- ق/ 17.
(8)- الفرّاء- معاني القرآن- 88.

كما نجد السيّد قطب ـ رحمه الله- تحدّث عن دور الفاصلة في كتابه"مشاهد القيامة في القرآن " فأبان فائدة الفاصلة وأنواع الفواصل، ودورها في التصوير، مثل الإيقاع الداخلي في السور القصار والدقة في آيات التشريع (1). ومثل تمكن الفاصلة معنى وموسيقى بلا خضوع للضرورات، وغِنى إيقاع الفواصل الموسيقي ، وتنوّعه بين القصر المتوسّط والطول، بحسب الأجواء والسور، وبحسب السياق في السورة الواحدة« فهناك السور السريعة الحركة، وهناك الوافية الحركة، فالمتموّجة الرّضية، فالطويلة الخاشعة فالمتموّجة طويلة الموجة، فالرّضية المتماوجة»(2)

كما نجد الدكتور إبراهيم أنيس تناول الفاصلة في القرآن الكريم ، خاصة في كتابه " موسيقى الشعر"، وفي محاضرته " على هدى الفواصل القرآنية " قال مبيّنا عجز الفصحاء العرب حيال القرآن الكريم، معنى وأسلوبا:« وُصِف القرآن بأنه من كلامهم، وهو مع هذا معجز لهم يسمو بأدب القرآن إلى الذروة، وهذا خير من وصفه ذلك الوصف المبهم الغامض الذي يسمّونه أحيانا الفواصل» (3) . وتراه يهتمّ بالوقف، وعلاقته بالفواصل، حيث يبيّن أن وقف الفواصل على أنواع فمنه السكون، وهو الغالب، ومنه الفتح، وهو قليل، ومنه هاء السكت، أو الضمير (ها) وهما أقلّ (4).

نلاحظ أن العلماء، قدماء ومعاصرين، تناولوا بالبحث- حسب انتماءاتهم وثقافاتهم- موضوع الفاصلة لما لها من دور كبير في القرآن ،كما أشار إلى ذلك السيد قطب- رحمه الله-

ونورد أمثلة وشواهد عمّا يحدث في الصيغ مراعاة للفواصل.

1- زيادة صوت (الألف) كما في قوله تعالى:(**وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**) (5) فمراعاة للفاصلة أضيف ألف في الاسم المنصوب (الظنونا) والأصل(الظنون) لأن ما قبلها ﴿**بصيرا**﴾ وما بعدها ﴿**شديدا**﴾ .

---

(1)- سيّد قطب- مشاهد القيامة- طبعة 1944- 87.
(2)- المرجع السابق- 87/86-
(3)- إبراهيم أنيس- موسيقى الشعر- طبعة 1965- مصر- 304.
(4)- إبراهيم أنيس- محاضرة: هدى الفواصل القرآنية – البحوث والمحاضرات- مجمع اللغة العربية- القاهرة- 1961م/1962م- 108/107.
(5)- الأحزاب/ 10.

2- حذف ياء المنقوص المعرّف خلافا للقاعدة التي توجب حذف ياء المنقوص النكرة، كما في قوله تعالى: (**الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**) (1) والتقدير (المتعالي) لأن ما قبلها﴿**بمقدار**﴾ وما بعدها ﴿**بالنهار**﴾.

3- حذف ياء المضارع الناقص دون جزم، كما في قوله تعالى: (**وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**)(2) والتقدير(يسري) و لكن، مراعاة للفاصلة التي قبلها، والتي بعدها ، حذفت الياء (**وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**) (3).

4- تقديم ما حقه التأخير زمانا كما في قوله تعالى: (**فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى**) (4) والتقدير فلله الأولى -الدنيا- والآخرة، ولكن ما قبلها ﴿**أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى**) وما بعدها (**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**)(5)

5- إيثار أغرب اللفظتين نحو قوله تعالى :(**تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى**) (6) فمعنى ضيزى مجحفة جائرة، لكن عُدِل عن أية كلمة إلى ضيزى ، مراعاة للفواصل (**أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى**) . وقيل غير هذا، وذلك لأن المقام يستدعيها ، فكيف نسبوا إلى الله ما لا يليق بجلاله، وما يتنزه عنه (النسل) ! ثمّ خصّوه - تعالى عن ذلك علوّا كبيرا- بما يكرهون ،أي الأنثى.فهل هناك قسمة أجحف من هذه؟ وهل هناك لفظة تصوّر جورَهم غير كلمة ضيزى ؟ التي يقول البلاغيون أنها ليست فصيحة(لجمعها صوتين لا يجتمعان : الضاد والزاي) ولكن في هذا المقام كانت أفصح كلمة تصف الاشتطاط في الإجحاف.

---

(1)- الرعد/ 9.
(2)-الفجر/ 4.
(3)- الفجر/ 4/3/2/1.
(4)-النجم/ 25.
(5)- النجم/ 26.
(6)-النجم/ 22.

ومنه قوله تعالى: (**كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ**)(1) يقول العلماء إن لفظة الحطمة أغرب من لفظة الجحيم، فهي تحطّم كلّ ما يُلقى فيها(2) وقرئ الحاطمة بمعنى أنها تدخل في أجوافهم حتى لتصل إلى صدورهم وتطّلع على أفئدتهم، وهي أوساط القلوب(3).

6- حذف المفعول به في مثل قوله تعالى:(والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) فقد حذف المفعول:(قلى) والتقدير(قلاك) فحذف الضمير من(قلى) كحذفه من الذاكرات في قوله: (**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ**)(4) يريد (والذاكراته) (5) وهو- اختصار لفظي- ولو أظهر الضمير لتكسرت الفواصل(سجى – قلى – الأولى) لأن الألفاظ معتلة الآخر.

وهناك من المفسِّرين من يرى أن حذف الضمير من(قلى) لا يعود إلى اعتبار لفظي، لأن القرآن فوق هذا، وأنها لاعتبار معنوي، وهو دلالة ما قبله على المحذوف، وتقتضيه حساسية معنوية بالغة الدقة واللطف والإيناس« وهي تحَاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى ﷺ بعبارة: (ما قلاك) لما في القِلى من الطرد والإبعاد، وشدة البغض. أمّا التوديع فلا شيء فيه من ذلك. وأمّا تعليل الحذف برعاية الفاصلة ، فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظيّ »(6)

7- حذف ياء المتكلم كما في قوله تعالى:(**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**)(7) مراعاة لما قبلها وما بعدها .

ومن دواعي الفواصل دور التكرار في إيقاظ المشاعر بقرع الأسماع، لتثبيت الإيمان في القلوب وإقامتها على الشريعة التي تحملها الدعوة .

ومنه التكرار في قوله تعالى: (**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**)(8) للتقريع والتبكيت، والمآل السيئ

---

(1)- الهمزة/ 6/5/4.
(2)- محمد حسن الحمصي- مفردات القرآن- 602.
(3)-الزمخشري- الكشاف -ج4-795
(4)- الأحزاب/35.
(5)- الكشاف- ج3- 539 .
(6)- عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ)- التفسير البياني للقرآن الكريم- دار المعارف بمصر- 1996م-ج1- 29.
(7)- القمر/ 16- 18- 21- 30.
(8)- المرسلات/ 15-19-24-28-34-37-40- 45- 47- 49.

باعتبار الويل والهلاك والثبور ، لكل مكذب بيوم الدين. وصحّ هنا الابتداء بالنكرة لأنها للدعاء .

ومنه أيضا قوله تعالى:(**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**) (1) فالتكرار هنا لإثبات مآل كل جبار عنيد وبسط إرادته تعالى، النافذة متى شاء، وفيمن شاء، والاستفهام للتهويل وبيان سوء العاقبة .

ومن دور الفاصلة إشاعة روح التناسق بين الآيات، ومضمون السياق الذي وردت فيه ، كما في قوله تعالى عن السحرة:(**قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**) (2) فقوله: (**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**) فاصلة متناسقة مع صدر الآية من حيث المعنى، لأنها تلخص مضمونها، ومتناسقة مع صدر الآية لفظا(لا تفتروا) والتقدير الحاصل عن الفاصلة(من افترى كذبا) فحذف المفعول به مراعاة للفاصلة(3) فالسابقة (أتى) ثم الفاصلة، ثم (افترى) والتي بعدها (النجوى).

ومنه قوله تعالى:(**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**)(4) فقد حذف المخصوص بالمدح المبتدأ المؤخر، طبقا لما تقتضيه الفاصلة، فالتقدير: فنعم الماهدون (نحن)(5) فالضمير يعود على الذات الإلهية ،فحذف لدلالة ما سبق عليه (الضمير في فرشناها) فتناسق مع الفاصلة.

وقوله تعالى:(**لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**) (6) فقوله (**وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**)متناسق مع صدر الآية(**لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ**) والتقدير في الفاصلة(كفى الله شهيدا على صدق ما أنزل) (7) ولكن نظام الفاصلة اقتضى مجيء الآية على وجه مخصوص، فكانت دلالة التوكيد على كفاية شهادته تعالى بزيادة حرف الجرّ (الباء). ومنه قوله تعالى: (**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**) (8) فقوله (**وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**) متناسق مع أوّل الآية من حيث

---

(1)- القمر/ 16. (2)- طه/ 61.
(3)- محمد كبير يونس – أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن الكريم- 87.
(4)- الذاريات/ 48.
(5)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 404. (6)- النساء/ 166.
(7)- محمد كبير يونس – أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن الكريم- 93.
(8)- الإسراء/ 21.

المعنى، و التي ذكر فيها التفاضل الدنيوي، وفي آخرها ذكر التفاضل الأخروي، والتقدير (أكبر درجات وتفضيلا ممّا هو دنيوي).

ومن الفواصل التي جاء فيها التقابل ملفوفا ، فنَجَم عنه تقدير، ما ورد في قوله تعالى: **(وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** (1) فقد لفّ معمول الليل والنهار. والتقدير بعد الترتيب العادي : (جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، والنهار لتبتغوا من فضله) أي لتطلبوا الرزق بالسّعي نهارا وتسكنوا ليلا(2). ولكن السياق خالف هذا الترتيب، فأتى بالموضوعات متقابلة، ثم جاء بما هو متعلق بها (لتسكنوا- وتبتغوا) كالصفات متقابلة أيضا. ثم كانت الفاصلة (لعلكم تشكرون) متناسقة مع ما قبلها(**أَفَلَا تَسْمَعُونَ**)(3) ومع ما بعدها (**أَفَلَا تُبْصِرُونَ)** (4) . وكان النظام العام في قمّة التناسق ومضمونَ الآيات،إذ التدبّر في الكون يكون عن طريق أهمّ حاستين (السمع : أفلا تسمعون، والبصر: أفلا تبصرون) وجاء عن طريق استفهام إنكاري ، للحث والاستفزاز.

ومن التقابل الملفوف في الفواصل، قوله تعالى:(**وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)** (5) أي من دلائل قدرته – عز وجلّ- نومكم بالليل، وطلبكم الرزق بالنهار. فهذا هو الأصل في المعنى، لكن التركيب خالف المألوف فجاء النظم طريفا، إذ قدّم ما يتعلق بالليل عليه، وأخّر ما يتصل بالنهار عنه، فاتصل الليل والنهار،وانفصل ما يتعلق بهما ، و ناسقت الفاصلة ما قبلها(**لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**)(6) وما بعدها **(لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**) (7) . ومن ذلك قوله :(**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**

---

(1)- القصص/ 73.
(2)- محمد حسن الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن- 394.
(3)- القصص/ 71.
(4)- القصص/ 72.
(5)- الروم/ 23.
(6)- الروم/ 22.
(7)- الروم/ 24.

وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ) (1) . فهذا من الفواصل الملفوفة، فالأصل أن يجعل الليل مع القمر،لأن القمر ضرورته تكون ليلا، والنهار مع الشمس،إذ طلوعها لا يكون إلا فيه ، وجود ملازمة، ولكن قوبلا مقابلة تجنيح، وناسقت الفاصلة ما قبلها (**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**) (2) وما بعدها (**لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**) (3) . وقوله تعالى:(**فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**) (4) فقد حذف متعلق الفعل تناسقا للفواصل، والتقدير (ماذا يرجعون من جواب؟ وما الذي يرجع بعضهم إلى بعض فيه من القول عند التشاور؟)(5)

ومن التقدير الحاصل لمراعاة الفواصل ،ما جاء في المقابلة ، كقوله تعالى:(**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**) (6) (فأمّا من أعطى واتقى): فالفاصلة ألف مقصورة، ومراعاة لها حذف المعطى في قوله تعالى : (**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى**) لأنّ الغرض هو العطاء، لا نوعه.

فالمعطى مقدّر وإنما المقصود جنس العطاء مطلقا. وكذا (اتقى) حذف المفعول به (المتقى) وكلّ ما لا يحلّ متقى، وقيل: اتقى الله فلم يعصه(7). وكذا في قوله تعالى: (**بَخِلَ وَاسْتَغْنَى**) فحذف المفعول به والمستغنى عنه، وقيل استغنى : زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه (8) وحتى جزاء المحسنين ، وعاقبة المكذبين المستغنين مقدّر أيضا. ولو ذكرت المحذوفات لتكسّرت الفواصل، فالعسرى و اليسرى تعنيان العسر واليسر، الألف فيهم زائدة لتوافق رؤوس الآي(9).

---

(1)- النحل/ 12.
(2)- النحل/ 11.
(3)- النحل/ 13.
(4)- النمل/ 28.
(5)- محمد حسن الحمصي- مفردات القرآن- 380.
(6)- الليل/ 5-10.
(7)- الزمخشري- الكشاف- ج4-762.
(8)- المرجع السابق.
(9)- هويدا إبراهيم حسن إبراهيم- بلاغة المقابلة في القرآن الكريم- مجلة الزهراء- جامعة الأزهر-العدد الثالث والعشرون-1426هـ/ 2005م- 170.

ومن مراعاة الفواصل ما جاء في قوله تعالى: (**كَلَّا وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ**)(1)

فقد أقسم تعالى بالقمر، والليل إذا تولى، والنهار إذا اتضح، وحذف المبتدأ وجوبا (والقمر يمين) . وتناسقت الفواصل في تناغم وتجانس ،حتى لتـُحيلك السابقةُ إلى اللاحقة في غير ما ارتباك، ولا تململ، آخذة برؤوس بعض في عقد منضود، فتحدث تقديم ما حقه التأخير، والكل في السياق العام كقوله تعالى: (**وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ**) (2) أي أترك كل ما يؤدي بك إلى العذاب من المعاصي والآثام وحرّرْ جوارحَك من كل ما يغضب ربك (3) . فالأصل أن يكون (فاهجر الرجز) لكن تقديم المفعول به كان للتحذير من الوقوع في الرجز، فوافق الفواصل المقام، وإن كان الأصل تقديم الفعل والفاعل على المفعول .

وممّا جاءت فيه الفواصل مصاحبة الحذف قوله تعالى: (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**) (4) . فقوله تعالى: (**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**) فيه حذف المفعول به لتناسق الفواصل، قبلا وبعدا. (خالدون) بحذف المفعول في (يعلم) و (ما يصلحكم وما هو خير لكم) و(وأنتم لا تعلمون ذلك) (5) . ومن الحذف الحاصل لمراعاة الفواصل ما جاء في قوله تعالى : (**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)(6) ففي قوله تعالى: (**مَا لَمْ يَعْلَمْ**) حذف العائد مراعاة للفاصلة، والتقدير(ما لم يعلمه) أي علـّم البشر ما لم يكونوا يعرفونه.

ومن الفواصل التي كانت وراء التقدير في المقابلة، قوله تعالى: (**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى**)(7) فالمقابلة بين الليل وغشيانه، والنهار وتجلـّيه، ولكن حذف المَغشي وهو الكون والتقدير:

---

(1)- المدثر/ 32-34.
(2)- المدثر/ 5
(3)-محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 548.
(4)- البقرة/ 216.
(5)- الزمخشري- الكشاف- ج 1- 358.
(6)- العلق/ 3-5.
(7)- الليل/ 1-2.

والليل إذا يغشى الكونَ بظلامه، والنهار إذا أنار الكونَ بإشراقه، أو تجلى بإشراقه(1). ولكن ذلك جاء مقدّرا، وقد أدّت المقابلة الرائعة بين الليل وغشيانه، والنهار وتجليه، دورها في تصوير الكون في هيئتين متناقضتين، لتدلا على قوّة الله تعالى، ودقة صنعه، و عظمته في تصريف الكون كيف يشاء.

إذن، كان لمراعاة الفاصلة شأن في بعث التقدير، فالفاصلة تنتهي بألف ، فروعي هذا في السياق(يخشى- يتجلى- الأنثى- شتى). ومنه قوله تعالى : (**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**) (2) فقوله: (**عَلَى مَا فَاتَكُمْ**) أي من نعيم الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم من زهرة الحياة الدنيا، فكان المنهي عن اليأس عليه مقدّرا، وكذا ما يفرح به أيضا مقدّرا، مراعاة للفاصلة والمراد بالحزن، الحزن الذي يوجب القنوط. وبالفرح، الفرح الذي يورث البطر، لا الفرح الذي يورث الشكر على النعمة (3)

ومن المقدّر مراعاة للفواصل ، ما جاء في قوله تعالى:(**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى**)(4) أي يعلم ذلك الشقي السفيه (أبو جهل) وقيل (أميّة بن خلف)أن الله مطلع على أحواله، مراقب لأفعاله(5) لكن حُذف مفعول (يرى) تناسقا مع الفواصل القبلية والبعدية (ينهى- صلّى- فهدى- التقوى- تولى- يرى) .

ومنه قوله تعالى: (**فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً**) (6) (به نقعا) فقد قدم شبه الجملة للاهتمام به، أي بالموضوع الذي عدَتْ به، وكذا (فوسَطن به) أي بذلك المكان، فالأصل: فأثرن نقعا به، فوسطن جمعا به ، والسياق جاء مراعيا للفواصل(صبحا- قدحا- نقعا- جمعا) .

وقوله:(**إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ**)(7) و(**إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ**)(8) الأصل: إن الإنسان لكنود به، وإنه لشهيد على ذلك. فالكنود في الأصل، الأرض التي

---

(1)- هويدا إبراهيم حسن إبراهيم- بلاغة المقابلة في القرآن الكريم- مجلة الزهراء- العدد23-
(2)- الحديد/ 23.
(3)- حاشية الصاوي- ج4- 175.
(4)- العلق/ 14.
(5)-الزمخشري- الكشاف- ج4- 778.
(6)- العاديات/ 5.
(7)- العاديات/ 6-7.
(8)- العاديات/ 11.

لا تنبت ، وشبّه بها الإنسان الجاحد لنعم الله، والخير والحق. وشديد ، معناه: بخيل ممسك، شديد الضنّ (1). ولكن قدّم شبه الجملة على الخبر (لربِّه) و(على ذلك) تناسقا للفواصل من جهة، وأهمية المقدّم لعلم الله بصنيعهم ، ومُجازيهم به يوم القيامة (**إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ**) والأصل(إن ربّهم لخبير بهم يومئذ) ولكن خصّ يومئذ، لأنه يوم الجزاء وبهذا يقصد الوعيد والتهديد (2) . ومن بديع الكلام المُرصّع بالفواصل التي كانت باعثة على التقدير، ما جاءت به المقابلة في قوله تعالى:(**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ**) (3) فقول: (**عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**) فالعيشة لا تكون راضية ، أي راض بها صاحبها. ففيها إسناد مجازي (مرضي بها) وجاءت صيغة (مفعول) على (فاعل) مراعاة للفواصل، زيادة على ما قبل (هاوية – ماهية- حامية).

استنتاج:

يتبيّن ممّا سبق تناوله أنّ مصطلح (الفاصلة) ظهر مُبكّرا عند الخليل بن أحمد حين تحدّث عن السجع فقال: « سجع الرّجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن...» (4) وقصد بالفواصل نهاية كلّ آية، أو رؤوس الآيات ، أو آخر الآية، كما سمّاها الفرّاء.

واهتمّ بدراستها المُفسّرون والبلاغيون، كلّ من وجهة معيّنة، وعلى رأس هؤلاء أبو الحسن الأشعري، وتلميذه أبو بكر الباقلاني الذي أفرد لها باباً خاصّا في كتابه "إعجاز لقرآن".

وسمّيت الفواصل كذلك، تمييزاً لها عن الأسجاع لتي تخصّ كلام البشر، كأسجاع الكُهّان وغيرها والتي يكون فيها المعنى تابعاً للسّجعة.

وللفواصل غاية بلاغية –كما مرّ بنا في العرض- بلهَ تحقيق الفروق بين المعاني المختلفة في الآيات، بعكس الأسجاع التي تكون المعاني تابعة لها، إذ السّامع مُقيّد باللفظة التي تستوجب معنى خاصّاً ، وتعالى القرآن الكريم عن ذلك عُلوّا كبيرا.

---

(1)-محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج 2- 600.
(2)- المرجع السابق-
(3)- القارعة/ 6-9.
(4)- ينظر تعريف الفاصلة من هذا البحث، ص 242.

ومن غاياتها إسهامها في تقريب المعاني إلى الأذهان، بطريقة مجانسة الجرس للفظ المُصاحب للمعنى، قوّة ولينا، تبشيراً وإنذارا، طمأنة وتخويفا، فيُؤدّي ذلك إلى حصر المعاني، وتركيزها في الأذهان ، وهذا الذي أكّده الرّماني حين قال:« فواصل القرآن كلّها بلاغية، وحكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يُحتاج إليها في أحسن صورة يدلّ بها عليها، والفائدة في الفواصل دلالتُها على المقاطع ، وتحيينُها الكلام بالتشاكل، وإبداؤها في الآي بالنظائر»(1)

وقد وردت الفواصل في القرآن الكريم بحروف مُتشابهة مخرجاً وصفة، كما في قوله ﷻ : ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾(2) وقوله: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾(3) وبالحروف المُشتركة صفة كالغنّة في الميم والنون، نحو قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ**﴾(4) وكصفة الشدّة بين الباء والدال، كما في قوله ﷻ : ﴿**وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾ (5) وبين الجيم والدال، نحو قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ**﴾(6) .

كما وردت الفواصل بالإيقاع التكراري، فكان لها أبلغ وقع، وأروع جرس، وأشدّ تأثير في الأسماع ممّا يُمكّن المعاني في النفوس، ويُثير مشاعر الرّغبة والرّهبة في القلوب، فتستجيب إلى داعي ربّها نحو قوله ﷻ: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾ (7)وقوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ (8) وقوله أيضا : ﴿**لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ**

(1)- الرّماني- النكت في إعجاز القرآن- 67.
(2)- الانفطار/13-14.
(3)- التكوير/17-18.
(4)- الانفطار/ 14-15.
(5)- المسد/4-5.
(6)- البروج/1-2.
(7)-القمر/17-18.
(8)- الرحمن/ 34-35-36.

الْفَصْلِ﴾(1) .

أمّا دور الفاصلة في التقدير فيتجلّى في كونها مظهراً من مظاهر التقدير كما في قوله تعالى: ﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾**(2) فهنا حذف المفعول به لمراعاة الفواصل -كما مرّ بنا- والتقدير (ما قلاك) وكذا في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾**(3) حيث حُذف مفعول (يرى) تناسقاً مع الفواصل القبلية والبعدية (ينهى ، صلّى، الهدى، التّقوى، تولّى...) وكتقديم شبه الجملة كما في قوله ﷻ : ﴿**فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً** ﴾ (4) فقد قدّم شبه الجملة للاهتمام به، أي بالموضع الذي عُدي به، والأصل (فأثرن نقعاً به، فوسطن جمعاً به) لكن شتّان بين السّياقين فحرفا (الحاء) و(العين) مدّا التركيب انسيابا ، والوقف وقعاً في قولهﷻ: ضبْحا، وقَدْحاً ، وصبْحاً، ونقعا وجمْعاً...

وقد تكون الفاصلة باعثة على تقدير كلام كثير، كما في قوله تعالى: ﴿ **لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾**(5) فالتقدير : بما فاتكم من نعيم الدنيا ولذاتها، وأتاكم من زهرة الحياة الدنيا ومباهجها.

---

(1)- المرسلات/13-14.
(2)- الضحى/ 3.
(3)- العلق/ 14.
(4)- العاديات/ 4-5.
(5)- الحديد/ 23.

المبحث الثاني: مستوى المقدّر المعجمي.

كما ورد في القرآن الكريم مقدّر صوتي كالإدغام والإبدال والقلب ، فقد وردت ألفاظ لها دلالات مختلفة ، وإن اتحدت في الأصوات، وقد يفسّر في غير هذا الموضع بالمشترك اللفظي، لكن في هذا الباب يعتبر بابا من أبواب التوسّع المعنوي ، وطريقا من طرق النظم القرآني حيث تأتي الألفاظ بالحقيقة والمجاز معا، من غير تعارض، وهذا ليس بغريب على البيان القرآني . ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ** ﴾(1) . فالفعل (ترى) بمعنى (تعلم) من العلم لا من الرؤية، و(يسجد) كما قال المفسِّرون استعمل بالمعنى المجازي، الذي يعني الخضوع والانقياد (2) تخصّ مخلوقاته تعالى من سموات وأرض وشمس وقمر، ونجوم وبحر ، ودواب. وخصّ الشمس والقمر والنجوم بالذكر،لأنها قد عُبدت من دون الله وكثير من الناس ،أي يسجدون له سجود طاعة وعبادة (3) فالسجود الثاني على الحقيقة الشرعية، فلفظ (يسجد) استعمل مجازا في ما لا يعقل وحقيقة لمن يعقل.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ (4) فيُلاحظ أن الفعل (يُصَلِّي) تعدّد إسناده بالعطف ، فأسند إلى الله تعالى فصلاته تعالى رحمة لنبيِّه مقرونة بالتعظيم، ثمّ صلاة ملائكته ، تكون بالدعاء والاستغفار،ومن الأمّة الدعاء والتعظيم لأمرﷺ(5) ﴿ **صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ أي قولوا الصلاة على الرسول والسلام،ومعناه الدعاء بأن يَتَرحّم عليه الله ويُسلّم (6) . إذن فمن المقدّر المعجمي في هذه الآية الصلاة على النبيّ ﷺ فاللفظ واحد،ولكن دلالاته مختلفة متعدّدة كما بُيِّن.

(1)-الحج/ 18.
(2)- محمد التونجي- تفسير غريب مفردات القرآن الكريم – 231.
(3)- الزمخشري- الكشاف- ج3- 149.
(4)- الأحزاب/ 56.
(5)- القرطبي- ج14- 232.
(6)- الزمخشري- الكشاف- ج3- 557.

وقوله تعالى:﴿ **وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**﴾(1) أي ولا يمتنع الشهداء عن أداء الشهادة أو تحمّلها إذا طلِب منهم ذلك ليقيموا الشهادة (2) فلفظ (الشهادة) هنا يحتمل أن يراد به الذين تحمّلوا الشهادة فعلا، فإذا ما دعوا لأدائها ،وجبت عليهم الإجابة، وهذه حقيقة . ويحتمل أن يراد بالشهادة في الآية من يُدْعَون لتحمّل الشهادة عند المداينة ليؤدوها ، وهذا مجاز لا حقيقة وسمّوا شهداء باعتبار ما سيكون، إذ هم قبل الدعوة ليسوا شهداء، لأنهم لم يحضروا الشهادة بعد. وهذا نظيره في القرآن قوله تعالى ،على لسان سيِّدنا نوح عليه وعلى نبيِّنا السلام :﴿ **وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً** ﴾ (3) أي لا يلدون إلا من سيفجر ويكفر، فوصفهم بما يصيرون إليه كقوله ﷺ : « من قتل قتيلا فله سلبُه» (4)
ومنه قوله تعالى:﴿ **وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ** ﴾ (5) أي فعلَ الله ذلك ليكفر من كفر عن وضوح وبيان(6). وذهب الطبري إلى أن المعنى (ليموت من مات من خلقه عن حجّة لله قد أثبتت له وظهرت لعينه فعلمها)(7) . فالفعل (يهلك) استعمل بمعنيين مختلفين : حقيقي (الهلاك الحسِّي) ثمّ هناك معنى الموت ، وله معنى مجازي ، فالهلاك قصد به التمادي في الكفر ، فهو هلاك و(يحيا) له معنيان : حسِّي، من الحياة، ومجازي ، أي ليحيا حياة الإسلام والإيمان ، والتقدير أي (ليصدر كفر منْ كفر عن وضوح وبيِّنة، ويصدر إسلام منْ أسلم ، أيضا على يقين)(8) فالحياة والهلاك في هذا التوجيه معنويان، هلاك روحي وحياة روحية.

ومن الهلاك الحسِّي قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً** ﴾ (9) أي والله قد جاءكم يوسف بن

---

(1)- البقرة/ 282.
(2)- الكشاف- ج1- 403.
(3)- نوح/ 27.
(4)- الكشاف- ج4- 165.
(5)- الأنفال/ 42. غافر/40
(6)- صفوة التفاسير- ج1- 506.
(7)- المرجع السابق نفسه.
(8)- الكشاف- ج2- 224.
(9)- غافر/ 34.

يعقوب من قبل موسى بالمعجزات الطاهرات ، فلم تزالوا شاكّين ، كافرين بما جاء به حتى إذا قبُض قلتم : (لن يأتي أحد يدّعي الرسالة) (1). فالفعل (هلك) في هذه الآية الكريمة جاء حسّيا ، أي مات وانقضى أجله. ومن الهلاك المعنوي قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(2) هذا يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، أي سيحلفون عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يهلكون أنفسهم إمّا بدل من (سيحلفون) أو حالا بمعنى (مهلكين) والمعنى أنهم سيُوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب (3) . فالهلاك هنا معنوي لأنهم كذبوا بحلفهم.

وممّا جاء من المقدّر المعجمي الخاص بالألفاظ ، قوله تعالى:﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (4) أي (طهّر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يعبد الله)(5) قال القرطبي: « والقائمون هم المصلون، ذكر تعالى من أركان الصلاة أعظمها وهو القيام والركوع والسجود » (6) فالطهارة هنا معنوية، فقد فسّر تطهير البيت من الشرك والدنس والمعاصي، كما دلّت على الجانب الحسّي و أشير إليه سابقا كالدنس والنجاسة وهذه حقيقة ، قال في ذلك القاضي أبو بكر بن العربي يعني (لا تقرب معصية ولا نجاسة ولا قذارة) (7) . والطهارة في القرآن تتغيّر دلالتها ، فمرّة تكون حسّية كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى

(1)- الكشاف- ج4- 166. ينظر صفوة التفاسير- ج3- 102.
(2)- التوبة/ 42.
(3)- الزمخشري- الكشاف- ج2- 274.
(4)- الحج/ 26.
(5)- صفوة التفاسير- ج2- 287.
(6)-القرطبي- 12-31.
(7)-ابن العربي- أحكام القرآن- - دار الفكر – بيروت- لبنان- 1392هـ/ 1972- ج3- 1278.

يَطْهُرْنَ ﴾ (1) فهي حسِّية، لما في غيرها من الاستقذار والأذى(2) الذي قد بيّنه الله لعباده المؤمنين.

أمّا الدلالة المعنوية ففي قوله تعالى في اليهود:﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ**﴾(3) فالطهارة هنا معنوية. ومن المقدّر المعجمي الحاصل على تنوّع الدلالة ما جاء في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ (4) أي ثمّ بعد تلك الآيات الباهرة، والبراهين القاطعة على وجود الله، ووحدانيته، يشرك الكافرون بربِّهم، فيساوون به أصناما نحتوها بأيديهم (5) . فالفعل (يعدلون) يحتمل أنه من العدول عن الشيء بمعنى الانحراف عنه، وعلى هذا يكون (بربِّهم) متعلقا بقوله (كفروا) أي الذين كفروا يجعلون لربِّهم عدلاء ونظراء يسوّونهم به (6) أي يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه (7)

إذن، قد يكون من العدول و الانحياف ، وإمّا من العدل ، والتسوية بين الأصنام والله الخالق،وفي هذا كفر بواح، واستعمال (ثمّ) هنا جاءت للاستبعاد ، استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته (8) .

ومنه قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾(9) ﴿**قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ** ﴾ (10) الملأ ، أراد الأعيان من العلماء والحكماء، والرؤيا غير الحلم إذ هي ما كان صادقا ، وجاء ذلك في القرآن الكريم سبع مرّات: في سورة يوسف، الآيات 5/ 43/ 100، وفي الإسراء الآية 60، والصافات الآيتان 105/104، والفتح الآية 27. أمّا الحلم فيكون لما يراه النائم ، ولكن ليس في الرؤيا الصادقة ومنه قوله تعالى على لسان العابرين للرؤيا ﴿**أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ** ﴾ أي أخلاط كاذبة، فالأضغاث أصله ما جُمِع من أخلاط النبات

---

(1)- البقرة/ 222.
(2)- الكشاف- ج1- 264.
(3)-المائدة / 41.
(4)- الأنعام/ 1.
(5)- محمد التونجي- تفسير غريب مفردات القرآن الكريم- 312.
(6)-المرجع نفسه.
(7)- حاشية الصاوي- ج2- 2.
(8)-المرجع نفسه.
(9)- يوسف/ 43.
(10)- يوسف/ 44.

وحزم ، الواحد ضغث (1) . فالرؤيا عند العامّة تعني الحلم وهذا قبل تحققها ،ولهذا ردّ المُسْتفـْتون (أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعارفين، أي ما يكون من حديث نفس، أو وسوسة شيطان(2) و(تعبرون) التعبير ،معرفة تفسير الرؤيا المُنامة (3) وعبرتُ الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها (4) .

ومن المقدّر المعجمي دلالة الحلف والقسم، فالمعاجم العربية لا تكاد تفرِّق بين الحلف والقسم (5) . جاء في القاموس المحيط :« حلف، يحلِف ويُكسر ، وحَلِفاً ككـتِف ، ومحلوفا أي أحلف محلوفة أي قسماً » (6) . فالحلف هنا يعني القسم عند الفيروز أبادي . ولكنْ في القرآن الكريم اختلاف دلالي وفرق بين اللفظين ، فاستعملت لفظة الحلف ، في اليمين الكاذبة ، أو في حنث اليمين ، لهذا جاءت هذه الكلمة في أكثر مواردها في سياق الحديث عن المنافقين وكذبهم، والكافرين وحنثهم ، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾(7) وسيحلفون لكم يمينا كاذبة ما أردنا ببناء هذا المسجد (مسجد ضرار) إلا الخصلة والإرادة الحسنى ، وهي الصلاة والتوسعة على المصلين (8) ولكنهم كاذبون فيما قالوا. وقد أتى الله بثلاثة مؤكدات تفضح كذبهم ،ثمّ أضاف شهادته تعالى، وكفى بها تأكيدا حيث قال: ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ فأكـّد بشهادته وهذا شاهد داحض لا مؤكّد بعده. ثمّ كانت (إن) التي تفيد توكيد الجملة الاسمية التي هي بدورها توكيد ،فاللام المزحلقة .

فأيّ كذب هذا؟ وأيّ جرم أعظم من جرم حلفهم كذبا ؟ مع علم الله به، وفضحه إيّاهم ؟ فهنا جاء الحلف بمعنى اليمين الكاذبة .

---

(1)- الكشاف- ج2- 474.
(2)- المرجع نفسه.
(3)- صفوة التفاسير- م2- 54.
(4)- الكشاف- ج2- 474.
(5)- الصحاح للجوهري- لسان العرب لابن منظور- المعجم الوسيط – المنجد للغة والإعلام.
(6)- الفيروز أبادي- القاموس المحيط- ترتيب: الطاهر أحمد الزاوي- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط 1399هـ/ 1979- ج1- 692.
(7)- التوبة/ 107.
(8)- الكشاف- ج2- 310.

ومنه أيضا قوله تعالى:﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (1) فهؤلاء المنافقون اليهود، قد آذوا رسول الله ﷺ بأقوالهم وأفعالهم ، وبما لا يليق بمقامه ، ومع ذلك فهم يحلفون كاذبين ليرضوا المؤمنين مع أن إرضاء الله ورسوله أحقّ.

إذن فالحلف هنا جاءت للدلالة على الكذب بدليل (ليرضوكم) ولفظة الحلف جاءت في آيات مختلفة كلها كانت في السياق الذي يدلّ على أنها اليمين الكاذبة.

منه أيضا في سورة التوبة: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ (2).

أمّا القسم فقد جاء في القرآن الكريم في اليمين الصادقة ، وهو الغالب، وفي اليمين الكاذبة وهو قليل وخاصّة عندما يتعلّق الأمر بالمنافقين والمشركين والكفار ، بينما الحلف لا يكون إلا كذبا، ومعنى هذا أن القسم أعمّ من الحلف، إذ يشمل الصادق والكاذب، وإن كان قليلا.ومن هنا دخلت لفظة القسم ضمن المقدّر المعجمي لتنوّع دلالته، وتغيّرها بتغيّر المسند إليه ، إمّا خالقاً وما اِتّصل بصدق شريعته ، ورسله ، وعباده المؤمنين، وإمّا مشركا كافرا منافقا معاندا.

ومن الشواهد التي ورد فيها لفظ القسم قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (3) فلقد أقسم الله بمساقط النجوم ومغاربها (4) واللام - كما قال الزمخشري- للاِبتداء (5) وليست للقسم لعدم اِقترانها بنون التوكيد ، و(إنّ) لجواب الاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال ، وقسمه تعالى هنا ما بعده قسم ،لأنه قد استعظمه ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ تقديره (قسم عظيم لو تعلمون) .

ومن مواطن ورود القسم في اليمين الصادقة قوله تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ

---

(1)- التوبة/ 62.
(2)- التوبة/ 74.
(3)- الواقعة/ 76/75.
(4)- الكشاف- ج4- 468.
(5)- المرجع نفسه.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ (1) فالواو للقسم، وقد أقسم تعالى بمخلوقاته، وقوله ﴿ **هَلْ فِي ذَلِكَ..**﴾ أي هل فيما ذكر من الأشياء قسم مقنع لذي لبّ وعقل؟ والاستفهام تقريري لتفخيم هذا القسم وتعظيمه، وجواب القسم محذوف وهو (ليُعذبُنّ)(2)

كما ورد القسم في اليمين الكاذبة حكاية عن المشركين والكفار ، قال تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً**﴾(3) القسم هنا بمعنى الحلف بالله أشدّ الأيمان، لئن بعث الله رسولا لاتبّعوه وآمنوا به، فبعث الله سيّدنا محمّدا ﷺ فكذّبوه، وما زادهم إلا تباعدا عن الهدى .

ومنه قوله تعالى عن الشيطان - لعنه الله- في قصّته مع سيّدنا آدم عليه السلام :﴿ **وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ** ﴾ (4) وقاسمهما أي أقسم لهما ، وقد يقال أن صيغة فاعل تفيد المشاركة كما بيّنّا في دلالة الصيغ ، وهنا لا مشاركة، كقوله تعالى:﴿ **تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ**﴾(5) إمّا لأنّ الفعل (قاسم) يجوز فيه وروده على هذه الصيغة، كقولنا(قاتله الله) وإمّا على سبيل الحكاية ، كما أوردها الزمخشري، بأنّ إبليس - لعنة الله عليه- كأنه قال لهما (أقسم لكما إني لمن الناصحين) وقالا له (أتُقسِم بالله إنك لمن الناصحين) فجعل ذلك مقاسمة بينهما(6)والدليل على ذلك أنه أزلـّهما إلى الأكل من الشجرة فدلاهما بغرور، بما غرّهما به من القسم بالله (7) . فالقسم في هذه الآية الكريمة جاء بمعنى اليمين الكاذبة ، فكان حِلْفاً.

ومن الألفاظ التي جاءت مختلفة الدلالة في المقدّر المعجمي (ظنّ) و(حسب) فقد تستعملان بمعنى واحد ، أي أن (ظنّ) تستعمل بمعنى (حسب) وهذه الأخيرة تستعمل بمعنى (ظنّ) أيضا.

---

(1)- الفجر/ 1-5.
(2)- القرطبي-ج9- 442.
(3)- فاطر/ 42.
(4)- الأعراف/ 22/21.
(5)-النمل/ 49.
(6)- الكشاف- ج2- 95.
(7)- الكشاف- ج2- 95.

قال الرّازي:« حسَبَ، حسَبَه، عدّه، وبابُه نصَر وكتبَ، حساباً وحُسباناً، المعدود: محسوب ...وحسبته صالحاً ، بالكسر أحسَبه ،بالفتح: ظننته»(1) . وقال ابن منظور : « وحسب الشيء كائنا يحسِبه، ويحسَبه، والكسر أجود اللغتين،حسبانا و محسبة ظنّه» (2) . ولكن في القرآن يُفرّق بينهما إذ تأتي (ظنّ) أعمّ من (حسب) لأنّ (ظنّ) في القرآن تأتي للصادق والكاذب، والممدوح والمذموم.

فمن (ظنّ) الصادقة قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام :﴿ **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ** ﴾ (3) أي قال يوسف للذي اعتقد نجاته،وهو الساقي ،فـ(ظنّ) هنا لليقين لأن سيِّدنا يوسف كان معتقدا بخروجه اِنطلاقا من تأويله الرؤيا ،لما ألهمه به اللهُ.

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ** ﴾ (4) أي عَلِمَ وأيقن أنّما اختبرناه ، فبهذه الحادثة ، وتلك الحكومة، رجع إلى الله، وخرّ راكعا أي ساجدا. وعبّر بالرّاكع عن الساجد لأنه ينحني ويخضع كالسّاجد (5) . ومنه فإن (ظنّ) في هذه الآية الكريمة جاءت لليقين والعلم.

ومنه قوله تعالى:﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ** ﴾ (6) فـ (ظنّوا) هنا بمعنى (علموا وتيقّنوا)(7) .

أمّا في سورة يونس، فقد ورد قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا**

---

(1)- محمد بن أبي بكر الرّازي- مختصر الصّحاح- 107.
(2)- ابن منظور- لسان العرب- ج1- 311 - مادّة (حسب).
(3)- يوسف/ 42.
(4)- ص/ 24.
(5)- الكشاف- ج2- 88.
(6)- التوبة/ 118.
(7)- موسى بن محمد بن موسى- التحفة القليبية في حلّ الألفاظ القرآنية- تحـ: محمد محمد داود- القاهرة- ط1- 1423هـ/ 2002- 159.

أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ (1) فـ (ظنّ) هنا غير صادقة بل تدلّ على زعمهم ، حين ازّينـت الأرض وأخذت زخرفها – على التمثيل بالعروس- بالحبوب والثمار والزهور وشتّى ألوان الزخرف ، أنهم متمكنون من كلّ ذلك ،محصّلون للغلال والثمار ، جعلنا زرعها حصيدا في قطعه واستئصاله (2) وجعَلهُ هشيما. فـ(ظنّ) هنا كاذبة لأنّ زعمهم كان هباءً منثوراً ، وتسمّى (ظنّ) الخطأ . أمّا (ظنّ) التي تفيد المدح ففي مثل قوله تعالى:﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾ (3) فـ(ظنّ) هنا أفادت التفخيم والرفعة، بمعنى أنْ ظنوا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات خيرا تنزيهاً لهم عمّا لا يليق ،وإبعاداً لهم عن كلِّ ريبة .فهذا في المؤمنين عامّة فكيف والحال أمّ المؤمنين ورسول العالمين ﷺ ؟!

ومنه (ظنّ) التي تفيد الذمّ ، وتسمّى (ظنّ) المذموم، ومنه قوله تعالى:﴿ **إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ**﴾(4) أي لن يرجع إلى الله تعالى، تكذيباً بالميعاد. فحار، يحور، بمعنى يحول ويرجع(5)،كقول لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع (6)

فهذه (ظنّ) المذموم معناها إذ كيف يظنّ المرء أنه خالد ،ويُكذب بالميعاد مع أنّ كلّ ما في الكون يوحي بأنّ لكلّ شيء نهاية ؟!

ومنه قوله عزّ وجلّ : ﴿ **وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ** ﴾ (7) فقد كانوا يستخفون حتى لا يراهم أحد من الناس ،ولكنّ الله كشفهم ، بأنهم إن كانوا يستترون من الناس حين اِرتكابهم المعاصي، فكيف يستخفون من شهادة جوارحهم عليهم؟!

---

(1)- يونس/ 24.
(2)- الكشاف- ج2- 341.
(3)- النور/ 12.
(4)- الانشقاق/ 14.
(5)- الكشاف- ج4- 727.
(6)- لبيد بن أبي ربيعة- ديوانه- دار صادر- بيروت- لبنان- من شواهد الكشاف- 234.
(7)- فصلت/ 23/22.

هذا أخيبُ ظنّ وأذمّه، كما كان ﴿ **ذلك ظنكم**﴾ هذا للتقريع والتوبيخ والتبكيت، لأنّ هذا الظنّ المقيت هو الذي أهلككم فأرداكم. إذن ، فـ(ظنّ) في هذا المقام سواء كانت اِسما أم فعلا، كانت للذمّ ومآل الخيبة، ولأنها كانت مدعاة لترديهم في الهلاك . ومنه قوله تعالى:﴿ **يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ (1) (ظنّ) هنا للتكذيب، والتوهّم إذ إنّ فئة في غزوة أحد، وهم منافقون ساورتهم آراؤهم ،ووسوست لهم أنفسهم، فظنّوا الظنّ السيِّئ، وأنّ شوكة الإسلام قد اِنكسرت إلى الأبد، وهذا أسوأ الظنّ وأخيبه.

أمّا (حسب) التي تفيد الظنّ فلا تأتي في القرآن إلا في نوع الظنّ الذي يكون وهما، ومعنى هذا أنّ (ظنّ) غير (حسب) فقد يكون للاعتقاد واليقين كما في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾(2) أي أنّي أيقنت وتحققت بأنّي سألاقي حسابي وجزائي يوم القيامة . الظنّ هنا لليقين وقد تأتي لغيره. أمّا (حَسِب) فتكون للوهم إذا كانت بمعنى (ظنّ) ومنه قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ**﴾ (3) فـ(حَسِبَ) هنا بمعنى (ظنّ) الواهمة. فكيف لهؤلاء الكفرةِ أن يتخلّوا عن عبادة ربّهم والتعلّق به، واللجوء إليه طالبين العزّة عند غيره من عباده الضعفاء؟!

ومن (حَسِب) بمعنى (ظنّ) التي لا تفيد اليقين، قوله تعالى عن بلقيس وصَرْحِها: ﴿**فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا**) (4) فلمّا نُكّر لها عرشها ظنّته لُجّةً ماءٍ غَمْر كثير فـ(حسب) هنا أفادت الظنّ الواهم غير اليقيني ، بدليل ردّ سليمان عليها بقوله: ﴿**إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**﴾(5) . أمّا الآية الوحيدة التي ورد فيها الفعل(حسِبَ) يحتمل وجه الصدق وتحقّق المحسوب

---

(1)- آل عمران/ 154.
(2)- الحاقة/ 20.
(3)- الكهف/ 102.
(4)- النمل/ 44.
(5)- النمل/ 44.

وعدم تحقّقه ، فقوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً** ﴾(1) فيترجّح أنّ المظنونَ بين الوقوع وعدمه، فقد يكون أصحاب الكهف عجبا أي ليس هناك عجب من قصّة هؤلاء الفتية الغريبة، إبقاء حياتهم مدّة طويلة (2) فنعلم تقلـّبهم وبعثهم... كلّ ذلك عجب فهنا (حسب) تحتمل الحقيقة أي كلّ ذلك يدعو فعلا إلى العجب، ولكن هناك ما هو أغرب منها وأشدّ عجبا، فآياته العظمى، وخلق السموات والأرض،وخلق الإنسان وإيجاد الكون وما فيه، فهذا أشدّ عجبا من قصّة هؤلاء الفتية ، فهنا يكون عدم المحسوب ، فإن استحقت القصة العجب فالنظر إلى غيرها من آيات الله يقلل من العجب ولا يدعو إليه، لأنها ليست هي المعجزة الوحيدة.

من المقدّر المعجمي الناجم عن تنوّع دلالته كلمة (العيون) ما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ** ﴾ (3) فالعيون في الآية تعني المياه (4) فـ (الجنات) تستدعي وجود الظلال، أي (في ظلال وارفة، وعيون جارية) وقيل عيون من العسل واللبن والخمر (5). ومنه قوله: ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ** ﴾ (6) أي قد تركوا كثيرا من البساتين والحدائق والعيون الجارية (7) فالمقصود هنا، المياه التي تجري فتروي البساتين ، وتكون منها الجنات. وقدّم الجنّات بما فيها من خيرات حُبلى بالثمار، كانت سبب سعادتهم ﴿ **كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ** ﴾ (8) لأنّ العين قد ينضب ماؤها ، وتبقى تسمّى عينا بدليل ورود كلمة عين في القرآن موصوفة بالجريان حيث قال : ﴿ **فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ** ﴾ (9) أي ينبوع دائم الجريان (10) لا ينقطع ثجاجه.

---

(1)- الكهف/ 9.
(2)-الكشاف- ج2- 407.
(3)- المرسلات/ 4.
(4)- محمد أحمد حجازي- التفسير الواضح- ج2- 560.
(5)- حاشية الصاوي- ج4- 280.
(6)- الدخان/ 26/25.
(7)- الصابوني-صفوة لتفاسير- ج3- 172.
(8)- الدخان/ 27.
(9)- الغاشية/ 12.
(10)-التفسير الواضح- ج2- 584.

ومن أمثلة المقدّر الدلالي الخاصّ بالمعجم تغيّر سياق الدلالة فيكون التقدير لبعض الألفاظ القرآنية كالعدل عن لفظ إلى آخر، ومنه ما جاء في قوله تعالى:﴿ **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ** ﴾ (1) الظاهر والمتبادر أن يقال (من خشي الجبّار أو القهار) بدل (الرحمن) لأن الخشية تناسبها صفات القوة والجلال فعدل عن ذلك إلى صفة الرحمن، ليدلّ على رسوخ هؤلاء المتقين في الخشية من الله سبحانه وتعالى حتى أنهم مع كمال معرفتهم بسعة رحمته تعالى، لا يعصونه منيبون إلى ربّهم طائعون (2) . فهنا تقدير دلالي لتغيّر المعجم بإحلال لفظة (الرحمن) بدل الجبار والقهار . وهذا نظير قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾(3) فهم يخافون الله عزّ وجلّ مع قيامهم بالطاعات، جادون في طلب رضاه تعالى ،والخوف من سخطه (4) .

ومن المقدّر المعجمي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾(5) ففي قوله﴿ **مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ يستدعي المقام لهيبته وقوته وبطشه أن يقال (ربّك الجبّار أو القهار) لأن التحذير الذي جاء بأسلوب الاستفهام الإنكاري (ما غرّك) لا يكون إلا مخافة جبّار وقهار إذا غضب. ولكن عدل عن هذا إلى لفظ (الكريم) ليدلّ بذلك على كرم الربّ وجوده،وإحسانه. كلّ ذلك موصول به الإنسان حتى حالة عصيانه . كما يدلّ على أنّ تلك النعم المُغْدَقة جديرة بأن تقابل بالشكر والإحسان والطاعة،لا الكفر والجحود والمعصية.

وقد غرّ الإنسانَ- كما قال عمر رضي الله عنه- حمقُه وجهلُه(6) . إذن فلفظة (الكريم) جاءت بدل الجبّار أو القهار . فهذا هو المقدّر المعجمي في هذه الآية .

ومنه قوله تعالى مخاطبا سيّدنا نوح عليه السلام :﴿ **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ**

---

(1)- ق/ 31-33.
(2)- سيّد قطب- في ظلال القرن- دار الشروق- ج6- 3365.
(3)- المؤمنون/ 60.
(4)- محمد أحمد حجازي- التفسير الواضح- ج2- 90.
(5)- الانفطار/ 6.
(6)- الكشاف- ج4- 715.

صَالِحٍ ﴾ (1) فقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ﴾ تعليل لكونه ليس من أهله (2) ولكن الظاهر المتوقع أن يقال إنه عمل فاسد، لأن العمل لا يوصف بغير الصلاح . فالمقدّر المعجمي أن يقال (إنه عمل فاسد) ولكن عُدِل عنه إلى (غير صالح) وذلك لعلة كونه أوجز في اللفظ ، وأكثر اختصارا وللدلالة على أن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب، وليكشف أنه نجا من نجا، لا لكونه من أهل نوح وإنما لصلاحه. وهناك علة أخرى مفادها أنه لو قال (عمل فاسد) لما دلّ على عدم قابليته للإصلاح لأن (غير الصالح) لا يصلح، ولكن الفاسد قد يصلح.

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً** ﴾(3) فالمتبادر أن يقال (ولا توتوا اليتامى أموالهم) لأن ما قبلها حديث عن اليتامى،وهو قوله تعالى: ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ** ﴾(4) وقال قبل هذا : ﴿ **وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ** ﴾ (5) ولكن لماذا عُدِل عن اليتامى إلى السفهاء؟ ليدلّ على أنّ مناط الحجر ليس اليتم بذاته، وإنما على السفه الذي يجعل صاحبه يبذر أمواله في ما لا ينفع، ويكون مدعاة للإفلاس، إذ لا دراية لهم باستثمارها وإنمائها حلالا، فينتفعون وينفعون، وبذلك يدخل في الآية كل السفهاء حتى الذين لم يكونوا يتامى، كالمعتوه والمجنون،والمبذِّر، ونحوه(6). وإن كان السفيه غير هذا ولكن النتيجة واحدة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (7) بضرّ من مرض أو غير ذلك، والظاهر لما قيل الضرّ، ينتظر أن يقال النفع لأنه مقابله في الحقيقة، ولكن عُدِل عنه إلى لفظ (الخير) ، فما علة ذلك؟

---

(1)- هود/ 46.
(2)- الكشاف- ج2- 399.
(3)- النساء/ 5.
(4)- النساء/ 2.
(5)- النساء/ 6.
(6)- محمد يونس كبير- أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن الكريم- 37.
(7)- الأنعام/ 17.

الحقيقة أن الله منزّه عن كلّ نقيصة، وكلّ صفة لا تليق بمقامه، لذا فإن الله لا ينسِبُ الشرّ إلى نفسه مباشرة في القرآن، فسياق الآية يستدعي ذكر الشرّ مقابل الخير، لكن عدل عنه إلى الضرّ، وقد لا يأتي ممّا يتوقع أنه خير، ومن ثمّ ليدلّ أيضا على أن رحمته أقرب ،وأوسع من عقوبته . فعدول الكلام عن أصل اللفظ تولد عنه تقدير معجمي دلالي من لفظة(النفع) إلى (الخير) ومن (الخير) إلى لفظة (الضرّ) التي بدورها جاءت مكان لفظة (الشرّ) التي لا تليق بمقامه تعالى . وكذا لأن الشرّ أعمّ من الضرّ فاختار الأخصّ الأقلّ ،على الأكثر الأعمّ ، وخاصّة المخاطب رسول الله ﷺ .

ومن أمثلة العدول المعجمي، ما ورد في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ** ﴾ (1)

إن هؤلاء المُكذبين المستكبرين لا يصعد لهم عمل صالح(2) إذ أساس التقبّل والرضا والإيمان التصديقُ بما جاءت به شريعة الله. يلاحظ أن في الآية الكريمة عدولاً معجميا، فالسياق يقتضي أن يَردُ الكلامُ على الظاهر المتوقع في الجزاء فيقال: فكذلك نجزي المكذبين، وكذلك نجزي المستكبرين،لأن الجزاءَ من جنس العمل. ولكن عُدِل عن الظاهر (المُكذبين المستكبرين) إلى لفظة (المجرمين) فلِمَه؟ وذلك للدلالة على أن الذي ارتكبوه هو قمّة الإجرام، لأن الكفر ما بعده إجرام وظلم، إذ كيف ينكر العبدُ وجودَ خالقه وهو يرى آياته كلّ حين وفي كلّ مكان؟! وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (3) بالإضافة إلى هذا حتى تربّى المخافة ُ في قلوب المجرمين جميعا ،حيث علق الحكم عليهم بدخول النار بالصفة التي يدخل فيها المكذبون المتكبّرون . وهذا لتعليق الأحكام بأعمّ الصفات دون أخصّها .

---

(1)- الأعراف/ 40.
(2)- الكشاف- ج2- 103.
(3)- البقرة/ 254.

كما قال تعالى في قوم نوح :﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً ﴾ (1) فعلّقَ دخولَهم النارُ بارتكابهم الخطايا وعلله به، دون خاصة كفرهم وتكذيبهم (2) . إذن عُدِل عن المكذبين ليؤذن أن الإجرام هو سبب الوصل إلى العقاب، وأنّ كلّ مجرم ٍ ظالمٌ لنفسه.

ومن المقدّر المعجمي ما ورد في لفظ (جعل) ما وقع فيه من انزياح، فوُظفَ في سياق ٍ بمعنى آخر. منه قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (3) فالظاهر المتوقع أنه لمّا قال :﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ أن يُقال (وخلق الظلماتِ والنورَ أيضاً) ولكن عُدل عن ذلك إلى (جعل) للتفريق بين ما هو أصلي، وهو الخلق الذي فيه معنى التقدير ،وبين الجعل والتصيير ،وفيه معنى التضمين (4) أي ما (يُجْعَل) يكون في حكم الموجود وإلاّ يحُولُ. فالسموات والأرض كانتا بالخلق، إذ أوجدهما من غير سابق وجود، بينما الظلماتُ والنورُ، إنشاء شيء من شيء . ومن ثمّ عدل عن لفظ (خلق) للظلمات والنور إلى (جَعَل) وإن كان قد ورد (جعل) بما يوحي بأنه خَلَق ، مع سبْق الخلق ِ للجعل رتبة ً ووجودا. كما في قوله تعالى:﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (5) وفي آية أخرى {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا } (6) . ومنه أيضا ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾(7) أي ما يسرّكم من رخاء وخصب ونصرة وغنيمة فذلك يسوؤهم ، وما يضرّكم يفرحهم. فقد جاء في جانب الحسنة (تمسسكم) وجانب السيِّئة (تـُصِبْكم) فخُولف بين الأمرين مع أنه قد وردت تسوية بينهما في آية أخرى،وفي سياق آخر،حيث قال تعالى:﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا

---

(1)- نوح/ 25.
(2)- محمد يونس كبير – أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن- 37.
(3)- الأنعام/ 1.
(4)- الكشاف- ج2- 3.
(5)-النساء/ 1
(6)- الأعراف/ 189.
(7)- آل عمران/ 120.

أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾(1) يتبيّن أن الفرق بين المقامين يتمثل في كون الآية الأولى كانت في اليهود ، وأن أية التوبة في المنافقين، وبغض النظر فعداوة اليهود للمسلمين أشدّ ، وإن كان منهم منافقون ، فآية آل عمران تصور بدقة حسد اليهود،حيث إن أقلّ حسنة يكرّم بها الله المسلمين (إن تمسسكم) تسوء اليهود حسدا وبغضا. أمّا السيِّئة أي ما يسوء المسلمين يكون باعثا لفرحهم، ومُثير سرورهم. وتلك طبيعة اليهود إذ بغضهم للمسلمين أشدّ وأنكى . قال تعالى:﴿ **فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ** ﴾ (2) فقوله (إذا جاءتهم) بالماضي يتوقع أن يقال أيضا (وإذا أصابتهم) ففعل الشرط ماض، أي إذا أكرمهم الله بالخصب والنماء، قالوا هذه مختصّة بنا، ونحن مستحقوها، وإن يصبهم شيء من ضيق وجدب، تشاءموا بموسى(3) ونكّرت (سيئة) لأنها نادرة الحصول ولأن (الحسنة) أكثر وأوسع فعرِّفت، فوُقوعُها كالواجب(4).

ومن المقدّر المعجمي ما جاء في الفعل(أتى) حيث عدل عنه إلى الفعل (جاء) لأنّ من معاني (أتى) (جاء) والإتيان : المجيء (5) . ومنه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام على لسان فرعون:﴿**قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾(6) فقوله﴿ **إِنْ كُنْتَ جِئْتَ**﴾ تتطلب الفعل(جئتِني) لكن عدل عنها إلى (فأت) لأن المعنى (إن كنت جئت مِنْ عندِ مَنْ أرسلك بآية فَأتِ بها، وأحضِرْها عندي لتصحّ دعواك)(7) والتقدير (فجئني) إذن (أتى) قدِّرت بـ (جاء) .

ومن المقدّر المعجمي للفعل (أتى) من خلال اختلاف السياقات ما جاء في قوله تعالى:﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ (8) فأمر الله ما وُعِدوه من قيام الساعة، أو نزول العذاب بهم(9) واستعمل الفعل ماضياً فكيف ينهون على استعجال حلوله؟فالفعل (أتى) دلّ على أنه آت واقع محقق، وكان

---

(1)- التوبة/ 50.
(2)- الأعراف/ 131.
(3)- الزمخشري- الكشاف-ج2- 144.
(4)- المرجع السابق- ج2- 144.
(5)- محمد بن أبي بكر الرازي- مختصر الصّحاح- 11.
(6)- الأعراف/ 106.
(7)- الكشاف-ج2- 138.
(8)- النحل/ 1.
(9)- محمد التونجي –المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- 38.

استعجالهم تكذيبا واستهزاء . وقدّر (أتى) هنا بمعنى (دنا وقوعه) لهذا جاء بصيغة الماضي (أتى) لتحقّق وقوعه. ومن مقدّر(أتى) معنى الفعل (أصاب) كما في قوله:﴿ **قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ** ﴾(1) فالاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي (ما يهلك هلاكَ تعذيب وسخط إلا الظالمون(2)). ففي الآية الكريمة قدّر الفعل (أتى) بمعنى (أصاب) أي (إن أصابكم عذاب الله بغتة أو جهرة).

ومنه قوله تعالى: ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾ (3) أي (كان نتيجةَ مكرهم أن اقتلع الله بنيانهم من أساسه، فتهدّم بنيانهم وسقط عليهم بما فيه سقفهم). فـ(أتى) هنا بتقدير (هدّم وقلع) وعدل عن ذلك إلى (أتى) بقصد التهويل والتفخيم لأن الهدم لا يعني الكل، فقد يعني جانبا دون آخر، ولكن (أتى بنيانــهم) يعني (الهدم الكلي الذي لا يبقَى منه شيء) (4). ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا** ﴾ (5) فالفعل (أتاهم) في الآية الكريمة بتقدير (عَذبهم). وجعل سيّد قطب الإتيان في هذه الآية الكريمة ليهود بني النضير من داخل أنفسهم فأرعبهم، فصاروا يخرِّبون بيوتهم بأيديهم .قال:(أتاهم من داخل أنفسهم، لا من داخل حصونهم ، أتاهم من قلوبهم فقذف فيها الرعب، ففتحوا حصونهم بأيديهم)(6) فـ(أتى) في الآية السابقة جاء بمعنى (عذب) .

ومنه قوله تعالى: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** ﴾ (7) فـ(أتوا) في الآية الكريمة جاءت بمعنى (عاشروا) وهذا تعبير لطيف من الأسلوب القرآني الربّاني الذي يترفع عن ذكر الأمور بألفاظها، ويكني عنها بالعدول إلى ما هو ألطف وأكثر احتشاما وأدبا،ومن ثمّ جاءت لفظة (فأتوا حرثكم) وهنا تولدت استعارة تصريحية ذكر فيها المشبّه به (الحرث) بمعنى مكان

---

(1)- الأنعام/ 47.
(2)- الكشاف- ج2- 24.
(3)- النحل/ 26.
(4)- محمد يونس كبير- أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن- 66.
(5)- الحشر/ 2.
(6)- سيد قطب- في ظلال القرآن - م6- 252.
(7)-البقرة/ 223.

النبت ومكان الحرث، المرتبط بالغرض الأسمى (طلب النسل) (1) ومن هذا قوله تعالى مخاطبا آل لوط : ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾(2) فكنّى عن ارتكاب الخبائث مخالفة للفطرة، بلفظ (تأتون) وفي هذا أدب جمّ ، وترفع عمّا لا يليق ذكره. وأراد من (العالمين) الناس أي(أنتم مرتكبون لمعصية ما سبقكم إليها أحد) إذن اللفظ كان نتيجة عدول عن أصل. فالمقدّر هنا يُترَفّع عن ذكره وعبّر عن الفعل الممقوت (بالإتيان لتسارعهم إلى ارتكابه) (3) .

ومن مقدّرات الفعل (أتى) ما ورد في قوله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام : ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (4) فالفعل (يأتي) معدول إليه من فعل آخر،هو الأصل المقدّر أي (يكون) وذلك لتصوّر تحقق وجوده ، فكأنه غائب يأتي(5) فيكون فيه عموم لكن (يأتي) لا يمنعه إلا وصول مأتاه، وهذا لتصوّر حلقات الرسالة المترابطة،يُسلـّم بعضُها إلى بعض، وهي متماسكة في حقيقتها، واحدة في اتجاهها ،ممتدة من السماء إلى الأرض، فالبعدية لم تكن متوالية والإتيان لم يكن آنـيا (من بعدي). ومن عدول الفعل (أتى) إلى غيره، ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (6)فهنا توجيه ربّاني لعباده المؤمنين حتى على مستوى كيفية دخول البيوت. فقد كان الأنصار في الجاهلية إذا حَجّوا وجاءوا لم يدخلوا من أبواب البيوت ،فجاء رجل مخالف ، ودخل من بابه ،فنزلت هذه الآية (7) (فأتوا) في هذه الآية بمعنى (أُدخلوا) فعدل عن (أُدخلوا) إلى (فأتوا) على سبيل الحث ، لما لذلك من ابتعاد عن سلوك قد يكون فيه ريبة،وهو عدم الدخول من الأبواب ، وربط ذلك بالتقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (8). ومن قبيل العدول

---

(1)- الكشاف- ج1- 226.
(2)- الشعراء/ 165.
(3)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 199/198.
(4)- الصف/ 6.
(5)- محمد يونس كبير- أسس فنية للإعجاز القرآني- 67.
(6)- البقرة/ 189.
(7)- سيد قطب- في ظلال القرآن - م6- 184.
(8)- البقرة/ 189.

الوارد في الفعل (أتى) ما ورد في قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ** ﴾ (1) لقد مرّت قريش مراراً في متاجرتها إلى الشام على قرية (سدوم) عظمى قرى لوط التي أمطرها الله بالحجارة من السماء فدمّرها تدميرا وأهلكها إهلاكاً (2) فـ(أتى) هنا بمعنى (مرّ) فكثرة مرور قريش لتجارتهم بالشام بالقرية المدمرة عبّر عنها بـ(أتوا) لتـرْدادِهم عليها ذاهبين قافلين. وحسب ظني أن المرور لا يعني الانتباه والتذكّر والاعتبار ، ولكن (أتوا) وكأنهم جاؤوها خصيصا لكثرة مرورهم بها حتى أصبحت معروفة.

ومن مقدّرات الفعل (أتى) معدولاً ما جاء في قوله تعالى:﴿ **حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً** ﴾ (3) التحذير من الاغترار بما لدى العباد، لأن مكر الله عظيم . فالفعل (أتى) في الآية الكريمة بمعنى (جاءها) وبينما القوم مطمئنون إلى نعيم الأرض وزخرفها وزينتها ، وظنوا أنهم متمكنون من التمتع بخيراتها فاجَأهم الله، وجاءهم عذابُه فجعلها حصيداً.

ومن مقدّر (أتى) ما جاء في قوله تعالى:﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً** ﴾(4) فـ(هل) هنا بمعنى (قد) أي أنه (قد أتى على الإنسان وقت لم يكن فيه موجودا) لأن خلق الإنسان حادث (5) إذ الحين جزء محدود من الزمان، شامل للقليل والكثرة ، وهو عند العرب مطلق(6) . إذن فـ(أتى) في هذه الآية الكريمة دلّ على معنى (مرّ ومضى) إذ في حين مضى، لم يكن موجودا، كان في العدم تقديرا، ولم يكن على هذه البسيطة، والاستفهام في الآية تقريري لإثبات قدرته تعالى إذ أوجد الإنسان بعد أن لم يكن موجودا ، ولا شيئا مذكورا.

فانزياح وعدول على مستوى اللفظ (أتى) وكذا على مستوى الحرف (هل) الذي خرج به عن دلالة الاستفهام إلى التحقيق مقام (قد) وهذا من عجيب الأسلوب القرآني.

---

(1)- الفرقان/ 40.
(2)- صفوة التفاسير- م2- 363. ينظر: التفسير الواضح- ج2- 132.
(3)- يونس/ 24.
(4)- الإنسان/ 1.
(5)- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تفسير القرآن –م12- 129.
(6)- محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب ألفاظ القرآن الكريم- 141.

ومن أمثلة المقدّر المعجمي المتولّد عن العدول الفعل (اتـّخذ) وما تصرّف منها ، ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾ (1) وهذا مجازا عن اصطفائه برسالته، واختصاصه بكرامته(2) . فـ(اتـّخذ) هنا بمعنى (اصطفى واختار)فعدل عنه إلى (اتـّخذ) لمحبّته نبيّه ﷺ لأنه قال له أسلم، قال: أسلمت لربّ العالمين.

ومنه قوله تعالى : ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ** ﴾(3) قال الحافظ ابن كثير :« يخبر تعالى عن ضلال من ضلّ من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتـّخذه لهم السامريّ من الحلي» (4) فـ(اتـّخذ) هنا جاء بمعنى (صاغ وشكـّل من الحلي جسدا).

ومن مقدّر الفعل (اتـّخذ) ما ورد في قوله تعالى، في قصّة سيّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا السلام ﴿**فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً** ﴾ (5)

أي (اتـّخذ الحوتُ سبيلا ومَسلكاً ، رغم كونه مشويّا) وتلك معجزته لموسى عليه السلام. فمعنى (اتـّخذ) في هذه الآية الكريمة (قدّر وسلك) أي أن الحوت الذي كان مشويّا خرج من المكتل ودخل في البحر سالكا طريقا ، وتلك آية من آياته العجيبة (6) . ومن مقدّراته ما جاء في قوله تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ (7) يضيعونهم في المعاصي، وتحليل ما حرّم الله، وتحريم ما أحلـّه (8) . فـ(اتـّخذوا) هنا يقدّر بـ(جعلوا) أي (جعلوهم أربابا ظلوا طائعين لهم وتركوا أمر الله فكأنهم عبدوهم) .

ومن مقدّر (اتـّخذ) ما جاء في قوله تعالى:﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ**

---

(1)- النساء/ 125.
(2)- الكشاف- ج1- 569.
(3)- الأعراف/ 148.
(4)- مختصر ابن كثير – ج2- 51.
(5)- الكهف/ 61.
(6)- الكشاف- ج2- 732.ينظر: صفوة التفاسير- ج2- 198.
(7)- التوبة/ 31.
(8)- الزمخشري- الكشاف- ج2- 265/264.

الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾(1) . فـ(اتّخذت) هنا بمعنى (نسجت) ولم يرد (اتخذت نسيجا) ذلك لأن البيت يكون للسكن وللوقاية من حرّ الشمس، وزمهرير البرد ، ومنع العدوان، إلى غير ذلك من المنافع، ولكن بيت العنكبوت لا يحقق شيئا من ذلك، ولا يقي خطرا، فكذلك معبوداتهم، ففي الآية تشبيه تمثيلي مثل صورتهم وهم يعبدون غير الله، كصورة عنكبوت اتخذت بيتا ، فوجه الشبه الخيبة والفراغ والهلاك في كلّ . إذن (اتخذ) هنا معدول عن (نسج) .

ومنه ما جاء في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾(2)

فـ(اتخذتم) في هذه الآية دلّ على معنى (عبدتم) العجل، من بعد غيبة موسى عليه السلام (3).

ومن المقدّر المعجمي للفعل (اتخذ) قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً** ﴾ (4) وهم المنافقون، قد بالغوا في إجرامهم فابتنوا مُجمّعاً يديرون فيه الشرّ والمكائد تفريقا بين المؤمنين(5) .

فقوله (اتخذوا) جاءت بمعنى (ابتنوا) فعَدَل عن (ابتنوا) إلى (اتخذوا) لأن الاتخاذ له غرض معيّن وهذا يتناسب وأغراض المنافقين اليهودِ الذين كانوا يخططون للإضرار بالنبي ﷺ والمسلمين ويتحيّنون أيّة فرصة للانقضاض على الإسلام.

وهذا التقدير يدعمه ما ورد في قوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً** ﴾ (6) حيث فسّر الزمخشري الاتخاذ بالبناء فقال: « قال الذين غلبوا على أمرهم من المسلمين ومَلِكهم،وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتّخذنّ) باب الكهف مسجدا ، يصلي فيه المسلمون » (7) .

---

(1)- العنكبوت/ 41.
(2)- البقرة/ 51.
(3)- الفخر الرازي- تفسير الفخر الرازي- دار الفكر- ط1- 1401هـ/ 1981- ج3- 80.
(4)- التوبة/ 107.
(5)- الكشاف- ج2- 310.
(6)- الكهف/ 21.
(7)- الكشاف- ج2- 711.

إذن فالاتخاذ هنا مقدّر بالبناء، فعدل عنه للاتخاذ ، لأنّ في الاتخاذ تعدّدَ المنافع، ودلالة على مكانة هؤلاء الفتية لدى الفئة المؤمنة، لما فيها من معجزة.

ومنه أيضا ما ورد في قوله تعالى:﴿ **وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً**﴾ (1) في الآية تقدير مفاده (ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر، تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) (2) فـ(مِنْ) هنا للتبعيض،لأنهم يأكلون بعضها، ويتخذون من بعضها السكر فالفعل (تتخذون) معدول عن (تعْصِرون) لأن السكر من قبيل النبيذ ، وهو عصير العنب،وقيل خمر الأعاجم(3) .

وكما سبق تقدير الأفعال، فإنّ **من الأسماء ما يعدل عنه** إلى غيره لأغراض متنوعة. وجاء ذلك في القرآن الكريم واعْتـُبر مقدّرا معجميا، لأنه خاص بالمعجم، وما يصيبه من انزياح دلالي . من ذلك لفظة (الحق) كما في قوله تعالى:﴿ **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ** ﴾ (4) فلفظة (الحقّ) جاءت في هذا المقام بمعنى (الإسلام) (5) في مقابل الباطل أي الكفر،فعُدِل عن الإسلام إلى الحق،لإطلاقه وشموله.

ومن معاني الحق ، أنه اسم من أسماء الله تعالى ، كما تؤكده الآية الكريمة : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾ (6) أي أن الله هو الإله الحق، وما عداه من المعبودات هو الباطل لا وجود له (7) .

ومن تقديرات لفظة (الحقّ) ما ورد في قوله تعالى:﴿ **حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ**﴾(8) فالحق في هذه الآية جاء بمعنى القرآن (9) ويدعم هذا قولـه تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ** ﴾(10)

---

(1)- النحل/ 67.
(2)-محمد التونجي- المعجم المفصل في تفسير غريب ألفاظ القرآن الكريم -245.
(3)- الكشاف- ج2- 617.
(4)- الأنفال/ 8.
(5)- محمد كبير يونس- أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن-69. ينظر: الكشاف- ج2- 144 /145.
(6)- الحج/ 62.
(7)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 77.
(8)- الزخرف/ 29.
(9)- الكشاف- ج4- 246.
(10)- ق/ 5.

وهذا إضراب أفاده لفظ (بل) وجاء بعد الإضراب الأوّل (بل كذبوا بالحق) للدلالة على أنهم جاءوا بأفظع وأشنع من تعجّبهم السابق ممّا أنذروا به (1) مع أنهم كذبوا بالقرآن والنبوة مع قيام الشواهد المحسوسة والمعقولة على صدق نبوّته ﷺ . ومنه أيضا ما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾ (2) فالحق في الآية (الإسلام)والباطل الشرك (3) و(زهق) ذهب وهلك. ومنه قولهم (زهقت نفسه) إذا خرجت. إذن فقد جاءت لفظة(الحق) هنا بمعنى (الإسلام) وعُدِل عنها لإفادة الشمولية والتعميم ، فكلّ ما جاء به الإسلام، أو نهى عنه حق. وهذا يدعمه قوله تعالى:﴿ **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ** ﴾(4) أي ليثبت الإسلام، ويزيل الكفر.

ومن التقدير المعجمي للفظة (الحق) ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ**﴾ (5) أي يوفيهم جزاءهم العادل، ويعلمون أن الله هو العدل المبين (6) فالحق في الآية الكريمة دلّ على معنى العدل. وفي العبارة القرآنية(الحق المبين) من البلاغة ما يرُوقُ، ويسحر فيخلب ،لأنه أوجزَ وأشبع، وفصّل وأجمَل(7) وأكّد بالصيغة، لأنه العادل الظاهر في عدله، الذي لا ظلم في حكمه، والحق الذي لا يوصف بالباطل . ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ**﴾ (8) أي (ربَّنا احكم بيننا والفتاحة الحكومة)(9). وقوله في قصة الخصمين :﴿ **فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ** ﴾ (10) أي احكم بالعدل ولا تجُرْ، لأن الشطط الإفراط في الظلم، ويطلق على البُعد عن الحق، والجور في الشيء (11).

---

(1)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 436.
(2)- الإسراء/ 81.
(3)- الزمخشري- الكشاف- ج2- 689.
(4)- الأنفال/ 8.
(5)- النور/25.
(6)- محمد كبير يونس-أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن -66.
(7)- الكشاف- ج3- 223.
(8)- الأعراف/ 89
(9)-الكشاف- ج2- 130.
(10)- ص/22.
(11)- موسى بن محمد بن موسى- التحفة القليبية في حلّ الألفاظ القرآنية – 141. ينظر: محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- 265.

كما ورد لفظ (الحق) بمعنى (الصدق) في قوله تعالى:﴿ **وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴾(1) أي (صدق هو) (2)

وممّا ورد لفظ (الحق) بمعنى (الصدق) في قوله تعالى :﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ** ﴾(3) أولئك للتحقير، الذين حقت عليهم كلمة العذاب لكفرهم وجحودهم (4) فـ(حقّ) في الآية الكريمة تعني (وجب) فالحقّ :الوجوب. ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ (5) حقت أي وجبت عليهم كلمة ربّك بالعذاب (6)

ومن تقديرات لفظة (الحق) أنها تفيد معنى (الدّيْن) ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿ **وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ** ﴾ (7) . فالحق في قوله : ﴿ **عَلَيْهِ الْحَقُّ** ﴾ فُسِّر بالدّيْن أي (وليملل على الكاتب ويُلقِي عليه المدينُ ، وهو الذي عليه الحقُّ لأنه المقرّ المشهودُ عليه)(8) .

ومنه ورود كلمة (أحق) مقدّرة بلفظة (أولى) كما في قوله تعالى في بني إسرائيل:﴿ **قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ** ﴾ (9) أي قالوا معترضين على نبيِّهم:كيف يُؤمّر عليهم طالوتُ ملكاً ، والحال أنتم أحق بالملك منه ؟ أي أولى وأجدر، والاستفهام في قوله (أنّى) (10) للإنكار والاستبعاد والتعجّب.

---

(1)- يونس/ 53.
(2)-محمد كبير يونس- أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن- 70
(3)- الأحقاف/ 18.
(4)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 404/403.
(5)- غافر/ 6.
(6)- تفسير ابن كثير- الربع الأخير- شركة الشهاب- الجزائر- د.ت- 42.
(7)- البقرة/ 282.
(8)- محمد يونس كبير - أسس فنية - ص 70.ينظر: الكشاف- ج1- 325.
(9)- البقرة/ 247.
(10)- أنّى: تعني أين ، كيف.

ومن هذا القبيل قوله تعالى:﴿ **وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ**﴾(1) فالمنافقون يتكلمون بالمطاعن، أو يتخلفون عن الجهاد، ثمّ يأتون المسلمين فيعتذرون إليهم . فأحقّ مَنْ أرْضيتُم اللهَ ورسولَه ﷺ (2) فـ(أحق) هنا جاء بمعنى(أولى وأجدر) فعُدل عنه إلى (أحق) لأن الأمر يتعلق بالخالق ورسوله ﷺ. فلفظة (الحق) صادفت مكانها ، فقد يكون اثنان جديريْن بشيء، ولكن لابدّ أن يكون أحدهما أحقّ به من الآخر ،وجاء الضمير (يرضوه) مع أن المطلوب رضا الله و رضا رسوله ﷺ .

كما ورد لفظ (الحق) مقدّرا في قوله تعالى :﴿ **فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾(3) هذا خاص بصنف المصلين المتّقين الذين يجعلون للفقير حقا من مالهم ، وللمحتاج المتعفف نصيبا فالحق في الآية دلّ على النصيب المقدّر (معلوم) هذا الحظ والنصيب قد أوجبوه على أنفسهم من أموالهم ، وهذا مدح للمتقين.

ومن المنزاح المقدّر ما ورد في قوله تعالى على لسان قوم لوط:﴿ **قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ** ﴾ (4) فكلمة (حقّ) مقدّرة بـ(حاجة) (5) أي (ما لنا في بناتك حاجة وإرب) فعُدِل عنهما إلى (حق) لأن فيه خصوصيةً وتخويلَ ملكية ،والحاجة قد لا تدلّ على ما يقصدون.

وممّا ورد مقدّراً معنًى غيرَ الذي جاء به ، قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** ﴾ (6) فقد عدل عن لفظة (الغشيان) إلى (الرفث) ثمّ عدل عن معنى ذلك إلى تضمين معنى (الإفضاء) وهو من أروع الكنايات ، إذ يترفع القرآن الكريم عمّا لا يليق.

وهذا كثير في القرآن الكريم ليسمو بالأخلاق، ويرقى بالأذواق ، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾(7) فعدل عن المعاشرة بالملامسة ، لما لذلك من ترفّع عمّا لا يحسن ذكره.

---

(1)- التوبة/ 62.
(2)- الكشاف- ج2- 285.
(3)- المعارج/ 25/24.
(4)- هود/ 79.
(5)- محمد كبير يونس- أسس فنية- 71.
(6)- البقرة/ 187.
(7)- المائدة/ 6.

ومنـه مـا ورد معدولا قولـه تعـالى:﴿ **إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾ (1) . فالمعروف أن الغسل يكون قبل القيام إلى الصلاة ، فعدل عن ذلك إلـى (قمتم) فعبّر عن إرادة الفعل ، بالفعل ذاته، وأقام المسبّب مقام السبب ، للملابسة بينهما (2) .

ومنـه قولـه تعـالى: ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً**﴾(3). فأصـل النسـك العبـادة ، فمناسككم عبـاداتكم التـي تؤدّونهـا أيّـام الحـجّ(4) وسمِّيت ذبيحـة الأنعام نسكا،لأنها من أعرق العبادات التي يتقرّب بها المؤمن إلى الله تعالى. ولكن عُـدِل عن الذبيحـة إلى النسك، من إطلاق الخاص على العام، إذ المناسك العبادات الحجية كلها (5) ويدخل فيها النحر والهدي.

<u>استنتاج:</u> نستنتج ممّا سبق بحثه، أنّ المقدّر المُعجمي ناجم عن تشبّع ألفاظ ٍ بمعانيَ متباينـة ، حقيقة ومجازا. وهذا باب من أبواب التوسع المعنوي، يكون فيه المقدر المعجمي مجالا من مجالات تخريج الآيات انطلاقا من معاني الألفاظ في التركيب. وذلك كدلالة لفظة (يُضَارّ) الواردة في سياق تسجيل الديون ﴿ **وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ**﴾ [البقرة /282] حيث تحتمل اللفظـة (تُضـارّ) بناءَهـا للمعلوم وللمجهول . فإن حُملت على المعلوم، كان التقدير (لا يُضـاررُ كاتبٌ ولا شـهيدٌ مِنْ طلب ذلك منهمـا إمّـا بعدم الإجابـة إلـى الكتابـة، أو بـالتحريف فـي كتابـة الدّيْن، أو التبـديل فيمـا عقد، أو بـالزيـادة ، أو بالنقصان) . فهنا : المضاررُ أو المضارّ يقصد به الكاتب.

أما إنْ حُمل على المجهول (يُضارَرُ) كان التقدير (لا يـُضـارَرُ كاتبٌ ولا شـهيدٌ ، إذا مـا دُعيـا إلـى ذلك أي لا يمارس عليهما أيّ عنت، أو إكراه في الكتابة ، أو إذاعة ، إذا لم يستعجلا الحضور ، لأمر جادّ حال دون حضورهما).

أنظر ، فقد كان للمعجم دورٌ واضح في التقدير ، بتقليب معاني الألفاظ ، وتحديد دلالاتها في السياق.

---

(1)- المائدة/ 6.
(2)- الكشاف- ج2- 609.
(3)- البقرة/ 200.
(4)-محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب ألفاظ القرآن الكريم- 474/473.
(5)- الكشاف- ج1- 198.

المبحث الثالث: التقدير النحوي(سورة البقرة أنموذجا):

من الملاحظ أنّ اختيار سورة البقرة نموذجاً للمُقدّر النحوي كان لاعتبارات عدّة. من ذلك : أنها سورة مدنية تناولت مجال التشريع، ومُختلف ميادين حياة المُسلمين من عقائد وعبادات، ومعاملات وأخلاق، وعلاقة بعضهم ببعض، وعلاقتهم بغيرهم،خاصّة المُشركين من اليهود، والمُنافقين منهم الذين كشفتهم السورة ، وبيّنت خطورتهم على الدّعوة ومستقبلها، ووجّهت أنظار المُسلمين إلى كيفية التعامل معهم، ومع غيرهم من الذين يكيدون للإسلام ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** ﴾(1)

كما أرست السورة دعائم قوّة الإسلام ، بما يكفل له التمكين في الأرض في كلّ عصر ومصر. وتناولت السورة أيضا خلق الإنسان ، واستخلافه في الأرض، والدور الذي يجب أن يؤدّيَه في الكون ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ (2) وما يتبع ذلك من تبيان حقيقة الإنسان ، وطبيعته ، وما يتطلّب ذلك من منهج ربّاني يقوّم سلوكه ، ويُحدّد دوره، ويضبط مُعاملاته، وعلاقاته بما يحفظ للإنسانية أنفسها، وأعراضها، وأموالها.

وهذا كله يتطلّب أساليب خاصّة من الخطاب، وتنوّعا في أفانين القول ، وضروباً شتى، مخصوصة في الكلام ، ينجم عنه قلبٌ في طبيعة الكَلِم من حذوف ، وتقديم وتأخير، وإيجاز وإطناب، وأمر ونهي، حسب المقام ، ممّا يؤدّي إلى تقديرات لأوضاع الكلم، بردّ العدول إلى الأصول، وتبيّن أصولُ أساليب الحِلّ والتحريم، والإباحة والتخيير، وغيرها من الأوضاع والموضوعات التي زخرت بها السورة. الأمر الذي يتيح للدّارس مجالات يجد فيها ضالته من المقدّر النحوي الذي يستحثه، ويتحدّاه بتعدّد تخريجاته ، وتشعّب مسالكه، ووجوه إعراباته.

من هنا كان اختياري لسورة البقرة نموذجاً للمُقدّر النحوي. مع الملاحظ بأنّي أركّز على أهمِّ الآيات التي تتيح التقدير.

---

(1)- البقرة/40-41.
(2)- البقرة/30.

نماذج المُقدّر النحوي من خلال الإعراب:

﴿ألم﴾ قد تكون خبرا لمبتدإ محذوف تقديره (هذه ألم) (1) أو مبتدأ خبره (ذلك الكتاب) تقديره .

﴿ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (2) فخبر (لا) النافية للجنس متعلق بمحذوف في محلّ رفع تقديره (لا ريب موجود أو كائن فيه) (3). (هدى للمتقين) فـ(هدى) في موضع رفع مبتدإ ، أو خبر لمبتدإ محذوف تقديره (هو هدى) (4) . ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ (5) فـ(الذين) تعرب صفة في محلّ جرّ للمتقين، أو بدلا، كما تعرب مفعولا به لفعل محذوف على المدح ، والتقدير (أخصّ الذين يؤمنون بما أنزل الله) (6). ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (7) (لايؤمنون) في محلّ رفع خبر لمبتدإ محذوف تقديره (هم لا يؤمنون) (8) والجملة الاسمية في محلّ رفع خبر (إنّ) (9).

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (10) (لهم) شبه جملة متعلق بمحذوف في محلّ رفع خبر مقدّم (11) .

﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (12) (الباء) حرف جرّ زائد للتوكيد (مؤمنين) مجرور لفظا على أنه خبر لـ(ما) الحجازية ، والتقدير(وما هم مؤمنين أو مؤمنون) على أنّ (ما) تميمية (13) .

وفي قوله :﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (14) فمفعول (يشعرون) محذوف تقديره (بإطلاع الله نبيَّه على

---

(1)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج1- 74.
(2)- البقرة/ 2.
(3)- - البحر المحيط- ج1- 64.
(4)- المرجع نفسه -74.
(5)- البقرة/ 4.
(6)- البحر المحيط- ج1- 67.
(7)- البقرة/ 6.
(8)- البحر المحيط- ج1- 77.
(9)- مجموعة أساتذة- إعراب القرآن الكبير- 24.
(10)- البقرة/ 7.
(11)- البحر المحيط-ج1- 84.
(12)- البقرة/ 8.
(13)- البحر المحيط- ج1- 90.
(14)- البقرة/ 9.

خداعهم وكذبهم) (1) وجملة (يشعرون) في محلّ نصب حال. وقوله تعالى :﴿ **كَمَا آمَنَ النَّاسُ**﴾(2) يجعلها أبو حيان في موضع نصب، وأكثر المفسّرين يجعلون ذلك نعتا لمصدر محذوف تقديره (آمنوا إيمانا كما آمن الناس) (3) وهناك من يرى الجملة في محلّ جرّ بالكاف،لأنه يعتبر (ما) مصدرية منسبكة مع مابعدها لتأويل مصدر تقديره (كإيمان الناس) (4) . وهذا الذي أميل إليه لأن تأويل المصدر جائز ولا لبس فيه.

وقوله تعالى:﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ**﴾(5) ففُعْل جموع كثرة ، وهي أخبار عن مبتدإ محذوف تقديره (هم) (6) . وقد تكون (بُكم، عُمْي) خبرا ثانيا وثالثا للمبتدإ المحذوف(7) . وهنا تشبيهات بليغة ، فبعد أن وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، عقّب ذلك بهذا التشبيه حيث جعلهم صمّا ، بكما، عُميا، إذ كيف يُعقل أن يتخلّوا عن الحق والنور والهداية ، ويطلبوا الكفر والشرك؟! ﴿**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ**﴾(8) فجملة (لا يبصرون) في محلّ نصب مفعول به ثانٍ لـ (ترك) : تركهم غيرَ مبصرين.

وفي قوله تعالى:﴿ **ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ** ﴾ (9) فالباء في قوله (بنورهم) للتعدية بمثابة الهمزة أي (أذهب الله نورهم).

وقوله تعالى:﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ** ﴾ (10) الصيّب المطر النازل، على وزن (فيْعل) أي (منهم من يشبه بحال ذوي صيّب) (11). ومن المفسِّرين من جعل الآية على التشبيه واعتبر أن ّدِين الإسلام شُبِّه بالصيّب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر (12) .

(1)- البحر المحيط- ج1- 95.
(2)- البقرة/ 13.
(3)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج1- 100.
(4)- مجموعة من الأساتذة - إعراب القرآن الكبير- 27.
(5)- البقرة/ 18.
(6)- البحر المحيط- ج1- 123.
(7)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن الكبير- 30.
(8)-البقرة/ 17.
(9)- البقرة/ 17. (10)- البقرة/ 19.
(11)- موسى بن محمد بن موسى –التحفة القليبية في حلّ الألفاظ القرآنية- 151.
(12)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 83/82.

أو كصيّب : جار ومجرور متعلق بمحذوف في محلّ رفع خبر لمبتدإ محذوف أيضا، تقديره (هم أو مثلهم) وفي الكلام حذف مضاف أي (أصحاب صيّب) أو (ذوي صيّب) (1) أي شُبّه المنافقون في وقوعهم في ضلالتهم وما يتخبطون فيه من الحيرة، بمن انطفأت ناره بعد اتقادها في ظلمة الليل وبحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد، وبرق وخوف. وقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا** ﴾ (2) هنا حذف مفعول الفعل (تفعلوا) إثارة لهممهم وتحدّيا لعجزهم ، وهذا أبلغ وأبدع والتقدير (فإن لم تفعلوا الإتيان بسورة مماثلة، ولن تفعلوا ذلك) (3) .

وقوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾(4) فيه تقدير ، فـ(منْ) زائدة عند بعضهم ، والتقدير (تجري تحتها الأنهار) (5) .

وقوله تعالى: ﴿ **هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ** ﴾ (6) في الآية تقدير بالحذف ، حيث حذف مفعول (رزق) الثاني والتقدير (وهذا مثلُ الذي رزقناه من قبل) (7)

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**) (8) فـ(إذ) ظرف لاستغراق الماضي مبني على السكون في محلّ نصب بفعل محذوف تقديره (اذكروا) (9) وجملة (اذكروا) استئنافية ونصب (أربعين) على المفعول الثاني لـ(واعدنا) ، أو على حذف المضاف ، والتقدير (إتمام الأربعين ، أو انقضاء الأربعين) فحذف، وأقيم المضاف إليه مكانه (10)

وقوله تعالى: ﴿ **حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ (11) فقد انتصبت (جهرة) على المصدر النائب عن الحال.

---

(1)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن- 30.
(2)-البقرة/ 24.
(3)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط – ج1- 170.
(4)- البقرة/ 25.
(5)- البحر المحيط- ج1- 181
(6)- البقرة/ 25.
(7)- البحر المحيط-ج1- 187.
(8)- البقرة/ 51
(9)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن الكبير- ص 48.
(10)- البحر المحيط- ج1- 322.
(11)- البقرة/ 55.

فهو حال جامدة مؤوّلة بمشتق، والتقدير (جاهرين) فـ(رأى) هنا بصرية،ولهذا فهي تحتاج إلى حال لا إلى مفعول ثان(1) . وقرأ ابن عبّاس ، وسهل بن شعيب، وحميد بن قيس بفتح الهاء (جهَرة) وعلى هذا تكون إمّا مصدر كـ(غلبة) وإمّا جمعاً لـ(جاهرة) كـ(حَمَلَة وكَتَبَة) .

وقوله تعالى: ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ (2) حطـّة معناها بالعبرانية حطّ الخطايا .أي أُطلبوا حط خطاياكم بهذه الصيغة (3) وفي إعراب (حطة) أقوال أهمّها: أنها خبر لمبتدإ محذوف تقديره (أمرنا حطة، أو دخولنا حطة) (4) والحطة من الحط، الإزالة (ومسألتنا حطة) (5) .

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ** ﴾ (6) فالفعل (استسقى) يتطلب مفعولا، حذف في الآية فالتقدير (استسقى موسى ربّه)(7)فيكون المُسْتسْقى هو المحذوف، و(إذ) ظرف مبني على السكون في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره(اذكر) أي : اذكر وقت(8)

﴿**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ** ﴾ (9) أي علمت كل قبيلة مكان شربها حتى لا يتنازعوا، ففي الآية محذوف تقديره (مشربهم منها) (10) أي من الاثنتي عشرة عينا (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) الفاء متعلقة بمحذوف ، والتقدير (فضرب فانفجرت، أو: فإنْ ضربت فقد انفجرت)(11) ﴿**اهْبِطُوا مِصْراً** ﴾(12) و(مصرا) بالتنوين قيل هو البلد الذي كان فيه فرعون، وقيل أيّ مكان. وقيل بالمنع: هو بلد محدّد ، وبالصرف غير محدّد (13) . وفي الآية حذف على تقديره إن القائل في (أتستبدلون)

---

(1)- البحر المحيط- ج1- 340.
(2)- البقرة/ 58.
(3)- محمد بن موسى بن محمد- التحفة القليبية في حلّ الألفاظ القرآنية – 269.
(4)- البحر المحيط- ج1- 359.
(5)- فخر الدين الرازي- تفسير الفخر الرازي- ج2- 65.
(6)- البقرة/ 60.
(7)- الزجاج – إعراب القرآن- ج1- 61.
(8)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن - 54.
(9)- البقرة/ 60.
(10)- البحر المحيط- ج1- 370.
(11)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 144.
(12)- البقرة/ 61.
(13)- تفسير الفخر الرازي- م2- 108.

هو موسى عليه وعلى نبيّنا السلام، وتقدير المحذوف (فدعا موسى ربّه فأجابه قال : اهبطوا) (1)

﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ (2) فالجملة المكوّنة من (إنّ ومعموليها) في محلّ جزم جواب شرط مفسّر بمحذوف تقديره(إن تهبطوا فإنّ لكم) (3)

﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (4) فجملة (إن كنتم صادقين) فعل الشرط جوابه محذوف ، تقديره (فانبئوني) يدلّ عليه الفعل المذكور السابق. هذا مذهب سيبويه وجمهور البصريين . أمّا الكوفيون فزعموا أن جواب الشرط هو المقدّم(5). وإني أميل إلى رأي البصريين لأن الجواب لا يتقدّم على الحرف العامل،حسب علمي .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ (6) يلاحظ أن في الآية حذفاً في قوله (فسجدوا) حيث حذف شبه الجملة المتعلق ، والتقدير (فسجدوا له) . واللام في آدم للتبيين، تبيين المسجود له . وفي قوله : ﴿ أَبَى ﴾ تقديره بحذف المفعول به أي (أبى السجود)(7).

﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾(8)و(إيّاي) مفعول به لفعل محذوف يفسِّره ما بعده لانفصال الضمير، وتقديره (فارهبون إيّاي) والفاء داخلة على جواب أمر مقدّر ، والتقدير (تنبّهوا فارهبونِ)(9) وحذف الضمير للقصر والتخصيص ، والرهبة منه تعالى وحده. وقوله تعالى: ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ ﴾ (10) فـ(ما) موصولة، وعائدها محذوف تقديره (أنزلته) لأن شروط جواز الحذف موجودة،فالمُنزل معروف من كتاب ورسولٍ يجدونه مكتوبا عندهم(11).

---

(1)- البحر المحيط- ج1- 378.
(2)- البقرة/ 61.
(3)- إعراب القرآن الكبير- 56.
(4)- البقرة/ 31.
(5)- البحر المحيط- ج1- 230.
(6)- البقرة/ 34.
(7)- البحر المحيط- ج1- 247.
(8)- البقرة/ 40.
(9)- البحر المحيط- ج1- 284.
(10)- البقرة/ 41.
(11)- البحر المحيط- ج1- 286.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (1) فقد قرأ بعضهم (وتكتمون) بإثبات النون على أنّ الجملة حالية وليست معطوفة ، والتقدير (كاتمين الحق) مثلما قال الزمخشري(2). كما قدّروا مبتدأ محذوفا ، في (تكتمون الحق) والتقدير (أنتم تكتمون الحق) أي (لا تلبسوا الحق بالباطل مع علمكم الحق يقينا)(3) ومفعول (تعلمون) محذوف اختصارا، وهو إمّا النبي ﷺ، وإمّأ القرآن، وإمّا البعث والجزاء؟

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(4) فالاستفهام هنا للتوبيخ والتبكيت. وقد قدّمت همزة الاستفهام على حرف العطف لاستحقاقها الصدارة (أفلا) (5) إذ كيف يأمرون الناس بالقيام بأعمال الخير، وأوجه البرّ،، ولا يأتون ذلك ؟! فهذا منتهى الضلال. ويقال إن المعنيين بالكلام هم اليهود، حدّث به ابن عبّاس، إذ كانوا يأمرون مقلديهم وأتباعهم باتباع التوراة،وكانوا يخالفونها في جحدهم صفة النبيّ ﷺ (6) والتقدير في هذا (أتعقلون فلا تعقلون) للتبكيت (7).

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ (8) فانتصاب (يوما) إمّا على الظرف، وفي هذه الحال يكون المتقى محذوفا تقديره(واتقوا العذاب يوما) وإمّا على المفعول به اتساعا باعتبار(يوم) ليس ظرفا بل اسم زمان، أو على حذف مضاف ، والتقدير (هول يوم، عذاب يوم) (9) . وأميل إلى اعتبار (يوم) مفعولا به على أنه اسم زمان ، ولأنّ جملة(لا تجزي) جاءت في محل نصب صفة لـ (يوم) والتقدير (يوما غير جازٍ فيه نفسٌ عن نفس شيئا) ونكرت(نفس) مرّتين لنفي العموم، وإفادة الشمول في عدم نفع الناس بعضهم بعضا يوم القيامة (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) .

---

(1)- البقرة/ 42.
(2)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 133.
(3)- البحر المحيط- ج1- 290.
(4)- البقرة/ 44.
(5)- الكشاف- ج1- 133.
(6)- القرطبي- الجامع لأحكام القرآن – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- ط2- 1387هـ/ 1981- ج1- 365.
(7)- الكشاف- ج1- 133.
(8)- البقرة/ 48.
(9)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج1- 306.

وقولـه تعـالى: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ (1) يسـومونكم، فهـو مـن (سـامه) خسـفا إذا أولاه ظلما(2) وأصله من (سام) السلعة إذا طلبها كقول عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقرّ الخسف فينا (3)

وتعرب(سوء) مفعولا به ثانيا لـ(سام) (4) أو معنى (يعلّمونكم) بعلامات العذاب. ويكون في هذه الحال (سوء) منصوبا بنزع الخافض والتقدير (بسوء العذاب).

وقوله تعالى:﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ (5) فمتعلق الدعاء محذوف، والتقدير (ادعُ لنا ربّك بأنّ يخرج كذا وكذا) (6) ولغـة بنـي عـامر بكسر العين (فـادْعِ) جعلـوا (دعـا) مـن ذوات اليـاء. وقيـل فـي الكـلام محذوف، والتقدير (قالوا فادْع لنا ربّك قل له أَخرج) (7)

﴿ اهْبِطُوا مِصْراً ﴾ (8) في الآية حذف على افتراض أن القائل (أتستبدلون) هو موسى،فالتقدير (فدعا ربّه فأجابه قال اهبطوا) (9)

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ (10) في الآيـة حذف،والتقدير (فـإنّ لكم فيهـا مـا سـألتم)(11) . كما أن المفعول به محذوف للاختصار في (سألتم) والتقدير (ما سألتموه).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ (12) حذف خبر المبتدإ (فضل) بعد (لولا) والتقدير : فلولا فضل الله موجودٌ (13)

---

(1)- البقرة/ 49.
(2)- تفسير الفخر الرازي- ج3- 71.
(3)- مفيد قميحة – شرح المعلقات السبع- دار ومكتبة الهلال- بيروت- ط 2000- 230.
(4)-مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن- 48.
(5)- البقرة/ 61.
(6)- البحر المحيط- ج1- 375.
(7)- المرجع السابق.
(8)- البقرة/ 61.
(9)- البحر المحيط- ج1- 378.
(10)- البقرة/ 61.
(11)- البحر المحيط- ج1- 380.
(12)- البقرة/ 64.
(13)- البحر المحيط- ج1- 393.

وفي قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ** ﴾ (1) حذف مضاف ،والتقدير (ما هي صفتها) ولذلك أجيبوا بالوصف ،وهو قوله تعالى: ﴿ **لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ**﴾(2) وفي هذا حذف أيضا والتقدير (لا هي فارض، ولا هي بكر، هي وسط بين ذلك) (3) ﴿ **فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ**﴾(4) فالعائد محذوف ، تقديره (ما تؤمرونه) وحذف مراعاة للفواصل، لأن ما سبق وما لحق فاصلتها النون (الجاهلين، تؤمرون، الناظرين) . وقوله تعالى:﴿ **وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ** ﴾ (5) يلاحظ أنّ جواب الشرط في الآية محذوف يدلّ عليه مضمون الجملة، فكان فعل الشرط ماضيا، إن شاء الله ولكن الجواب جاء اِسما ، والتقدير (لنحن مهتدون) والعلة في ذلك، قوّة دلالته على الثبوت ، وعلى أنّ الهداية حاصلة لهم (6) .

وقوله تعالى: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا** ﴾ (7) أي اِضربوا القتيل بشيء من البقرة، ففي الآية تقدير بالحذف أي (فضربوه ببعضها فحيي) والدّليل على ذلك قوله تعالى:﴿ **كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى**﴾(8) فكان هذا علة للمحذوف (9) .

---

(1)- البقرة/ 68.
(2)- البقرة/ 68.
(3)- البحر المحيط- ج1- 406.
(4)- البقرة/ 68.
(5)- البقرة/ 70.
(6)- البحر المحيط – ج1- 411.
(7)- البقرة/ 73.
(8)- البقرة/ 73.
(9)- تفسير الفخر الرازي- ج3- 134.

وقوله تعالى:﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (1) فهنا صورة بلاغية رائعة، دلت على ما وصل إليه بنو إسرائيل من تحجّر في العقول، وإصرار على المكابرة(قلوبهم كالحجارة أو أشدّ قسوة) فـ(أشدّ) خبر لمبتدإ محذوف تقديره (هي أشدّ) (2) فيكون التشبيه بليغا، رغم أن الفعل (قسا) قابل للتفاوت، ولكن استعير له صيغة (أشدّ) لتبيان حالتهم في الإعراض عن الحق.

وقوله تعالى:﴿ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (3) قالوا معاتبين بعضهم : كيف تخبرون أصحاب محمد ﷺ ما بيّن الله لكم في التوراة من صفته ﷺ (4) فـ(ما) موصولة وعائدها محذوف تقديره (بما فتحه الله عليكم) وجوّزوا أن تكون نكرة موصوفة ، ومصدرية أي (فتح الله عليكم) (5) ولكني أميل إلى الإعراب الأوّل لأنه أقرب مأخذا ، ولا تأويل فيه.

وقوله تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ (6) فقد قدّروا في هذه الآية مضافا، والتقدير (وببرّ الوالدين إحسانا) ، ونصب (إحسانا) بفعل محذوف تقديره (أحسنوا إحسانا)(7) ويعرب (إحسانا) مفعولا مطلقا مؤكدا لعامله المحذوف ، كما يمكن أن يكون مفعولا لأجله، لعامل محذوف تقديره (ووصيناهم بالوالدين إحسانا) أي التوصية لأجل الإحسان إلى الوالدين، وأميل إلى الإعراب الأوّل لأن التقدير فيه غير متكلف وقريب المأخذ.

وقوله تعالى: ﴿ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (8) فقد انتصبت (قليلا) على أنه نعت لمصدر محذوف تقديره (فإيمانا قليلا يؤمنون). و عند مذهب سيبويه كان انتصابه على الحال، والتقدير (فيؤمنون أيّ إيمان في حالة قلته) (9) وأرى أنّ أقرب مأخذ في التقدير الأوّل لعدم التمحّل والإيغال في تقليب التراكيب .

---

(1)- البقرة/ 74.
(2)- البحر المحيط- ج1- 323.
(3)- البقرة/ 76.
(4)- صفوة التفاسير- ج1- 71.
(5)- البحر المحيط- ج1- 441.
(6)- البقرة/ 83.
(7)- البحر المحيط- ج1- 458.
(8)- البقرة/ 88.
(9)- البحر المحط- ج1- 484.

وقوله تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ (1) فيحتمل أن يكون المخصوص بالمدح محذوفا و(اشتروا) في محلّ رفع صفة له،والتقدير (بئس الشيء شيءٌ اشتروا به أنفسهم).

و﴿ أَنْ يَكْفُرُوا ﴾(2) بدل من ذلك المحذوف، فهو في موضع رفع ، أو خبر لمبتدإ محذوف تقديره (هو أن يكفروا) (3) .

وقوله تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾(4) أي تداخلَهم حبُّه، والحرص على عبادته وكأنهم أشربوه . وفي هذا استعارة مكنية، حيث شبّه حبّهم عبادة العجل بإشراب شيء مادي وحذف المشبّه به، وكنّي عنه بأحد لوزامه (أشربوا).

وفي الآية حُذف مضافان، والتقدير (أشربوا حبَّ عبادةِ العجلِ) والعلة في حذف المضافين جريا على التوسع نظرا لشدة حبّهم إيّاه حتى صوّروا على أنهم أشربوه ، مبالغة (5) ولم يعبدوه توهما.

﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (6) وهذا من المعجزات لأنه إخبار بالغيب ،كونه تعالى نفى أن يتمنوا الموت ، وهم لم يتمنوه فعلا.

وفي قوله تعالى:﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾(ما) موصولة ، وعائدها محذوف تقديره (قدّمته) وهو كناية عمّا اجترحوه من المعاصي والآثام، ونُسبَ التقديم لليد مجازاً ، والتقدير (بماقدّموه) وقيل النسبة حقيقية، والذي قدّمته أيديهم هو تفسير صفات الرسول ﷺ ، وكان ذلك بكتابة أيديهم (7) .

---

(1)- البقرة/ 90.
(2)- البقرة/ 90.
(3)- البحر المحيط-ج1- 488.
(4)- البقرة/ 93.
(5)- الزمخشري - الكشاف- ج1- 166.
(6)- البقرة/ 95.
(7)- البحرالمحيط- ج1- 501.

وفي قوله تعالى: ﴿ **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ (1) فاختلف المفسّرون النحاة في إعراب (لو) في هذه الآية، وأهمّ الآراء رأيان ، أحدهما أنها حرف مصدر لسبقها بالفعل(يودّ) ويعرب المصدر المنسبك في محلّ نصب مفعول به للفعل (يودّ) والتقدير (يودّ تعمير ألف سنة) وجملة (يودّ) في محلّ نصب حال (2) (وادّين). أمّا الرأي الثاني فيعتبر حرف (لو) حرف امتناع للامتناع تضمّن معنى الشرط. ومفعول الوداد محذوف تقديره (يودّ أحدهم طول العمر) (3) وجواب (لو) محذوف والتقدير (لو يعمر ألف سنة لسرّ بذلك) .

وقوله تعالى: ﴿ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ (4) فجواب (لو) محذوف ، والتقدير (لو كانوا يعملون لكان تحصيل المثوبة خيراً) لأن سبب المثوبة الإيمان والتقوى ،ولذا قدّر بعضهم (لآمنوا) (5) .

وقوله : ﴿ **كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ** ﴾ (6) ففي الآية حذف،حيث نجد المبتدأ هو (كلّ) منونا تنوينَ عوض ٍ عن كلمة لأنه من ألفاظ العموم ،وهو المضاف إليه (كلٌّ له قانتون) والتقدير : كلّ المخلوقات ، أو كلّ العباد .

وقوله تعالى على لسان سيّدنا إبراهيم:﴿ **قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي** ﴾(7) فـ(من ذريّتي) متعلق بمحذوف والتقدير (واجعل من ذريّتي إماما)(8) لأنه فهمَ الاختصاص من قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً** ﴾(9) فسأل الله أن يجعل من ذريّته أيضا إماما ،فقال (ومن ذريّتي) .

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ** ﴾(10) فشبه الجملة (من البيت) يمكن أن يكون متعلقا بـ(يرفع) ويحتمل أن يكون في موضع الحال (من القواعد) فيتعلق بمحذوف تقديره (كائنةً من البيت) (11) . والملاحظ أنّ (القواعد) لم تضف إلى البيت (قواعد البيت) لما في عدم

(1)- البقرة/ 96.
(2)- إعراب القرآن الكبير- 80.
(3)- البحر المحيط- ج1- 504.
(4)- البقرة/ 102.
(5)- البحر المحيط- ج1- 537.
(6)- البقرة/ 116.
(7)- البقرة/ 124.
(8)- البحر المحيط- ج1- 592.
(9)- البقرة/ 124.
(10)- البقرة/ 129.
(11)- البحر المحيط- ج1- 619.

الإضافة من الإيضاح بعد الإبهام.

وقوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ**﴾ (1) ففي الآية تقدير بالحذف أي (أسلم لربّك) (2) وأجاب بأنه (أسلم لربّ العالمين) تضمّن أنه أسلم لربّه، وفي الآية عموم ، وفي العموم من الفخامة ما لا يكون في الخصوص، ذلك عدل عن أن يقول (أسلم لربّ العالمين) .

وقوله : ﴿ **بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً** ﴾ (3) في الآية حذف أيضا ، فقد قرأ الجمهور بنصب (ملة) بإضمار فعل تقديره(بل نتبعُ ملـّة) لأنّ معنى قوله﴿**كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا**﴾(4) اتبعوا اليهودية والنصرانية، أو على إضمار فعل ناقص ، تقديره (بل تكون ملـّة إبراهيم) أو منصوبا على الإغراء (اِلزموا). وقيل منصوبة على القطع ، أي القطع الذي حدث بإضافة (ملة) إلى (إبراهيم) فلمّا نكـّر (حنيفا) ولم يتبعه للتأنيث (ملـّة) على تضمين معنى (الدِّين) فكأنه قال (نتبّع دين إبراهيم حنيفا) (5)

وأرى أنّ (ملـّة) مفعول به لفعل محذوف سواء كان (نتـّبع) أو (اِلزموا) على الإغراء. أمّا (حنيفا) فأراه من باب التضمين أي (دينا حنيفا) فيكون (حنيفا) صفة لـ(دين). أو حالا باعتبار إضافة (ملة)التي تعني دين إبراهيم. وهذا ما ذهب إليه الزمخشري، وقاسه على مثل قولهم (رأيتُ وجهَ هندٍ قائمة) (6).

وقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** ﴾ (7) فالكاف للتشبيه و(ذلك) اسم إشارة (اللام) للبعد و(الكاف) للخطاب و (ذا) في موضع نصب ، إمّا لكونه نعتاً لمصدر محذوف، وإمّا لكونه حالا والتقدير (جعلناكم أمّة وسطا جعلاً مثلَ ذلك) (8) وأرى أنه في محلّ نصب متعلـّق بمحذوف مفعول مطلق (جعلا).

---

(1)- البقرة/ 131.
(2)- البحر المحيط- 631.
(3)- البقرة/ 135.
(4)- البقرة/ 135.
(5)-البحر المحيط- ج1- 446.
(6)- الكشاف – ج1- 194.
(7)- البقرة/ 142.
(8)- البحر المحيط- ج1- 11.

وقوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ (1)هذه تسلية للرسول ﷺ عن عدم اتباع أهل الكتاب له ، عند تحويل القبلة. (اللام) في (لئن) للقسم، وهي تؤذن بقسم محذوف متقدّم، فقد اجتمع القسم المتقدّم المحذوف ، والشرط المتأخر عنه، فالجواب للقسم المحذوف (2) وهو قوله (ما تبعوا) ولذلك لم تدخله الفاء ، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه. وفي الآية لطيفة بلاغية تمثلت في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾قد أضيفت القبلة إلى الرسول ﷺ تشريفا له ، وتكريما (3) ثمّ جُعلت تُتبَّع، وكأنها شيء يجب اتباعه، وإنما يُصَلَّى إليها ، على سبيل الاستعارة المكنية . ثمّ هناك تيئيس وحكم بسوء عاقبتهم ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ فهم يعلمون أنه الحق ، ولكن إصرارا على الباطل، وتمشيا وطبيعتهم المخالفة لسنن الله . وقوله : ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾(4) فكلّ طائفة لها وجهتها ، فلليهود وجهة ، وللنصارى وجهة، وذلك بعد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وتصميم اليهود والنصارى على مخالفة النبي ﷺ في اتّباع القبلة ، وهم يعلمون صدق نبوّته لما ظهر عليها من المعجزات (5) وكان الأجدر اتّباع ما جاء به ﷺ ، فكان التحويل حقا.

(الواو) للاستئناف . (لكلّ) شبه جملة متعلق بمحذوف في محلّ رفع خبر مقدّم، و(وجهة) مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية جملة مستأنفة . والتنوين في (لكلٍّ) للعوض عن كلمة (يهود ونصارى) والتقدير (لكلّ طائفة). فالتقدير هنا جاء بتقديم ما حقّه التأخير (لكلّ وجهة) (وجهة لكلّ) .

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (6) أي (اذكروني بالعبادة

---

(1)- البقرة/ 145.
(1)-أحمد الصاوي-حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين- ج1- 66.
(2)-الزمخشري- الكشاف- ج1- 303.
(3)- البقرة/ 148.
(4)- الفخر الرازي- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب- دار الفكر- لبنان- ط1- 1401هـ/ 1981- ج3- 136.
(5)- البقرة/ 152.

والطاعة، أذكركم بالثواب والمغفرة ، واشكروا نعمتي عليكم ، ولا تكفروها بالجحود، ولا تجحدوا نعمائي) (1) فقوله (ولا تكفرون) هذا كفر نعمة ، وجحدها ، وهو على حذف مضاف ولو كان الكفر ضدّ الإيمان لكان(ولا تكفروا) أو (لا تكفروا بي)(2) وحذفت ياء المتكلّم المفعول به مراعاة للفواصل.

وقوله تعالى :﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**﴾(3) (إذ تبرّأ) بدل من (إذ يرون العذاب) وعامل الإعراب في (إذ) معنى (شديد) كأنه قال: (هو شديد العذاب إذ تبرّأ) يعني في وقت التبرّؤ (4) وقيل العامل محذوف ، تقديره (اذكرْ إذ تبرّأ الذين اتّبعوا) والعائد في (الذين اتّبعوا) محذوف أيضا تقديره (اتّبعوهم) وحذف لمراعاة موقع البديع(الطباق) بين (اتّبَعوا، واتّبِعوا).

وفي قوله :﴿ **تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ** ﴾ استعارة تصريحية، لذكر المشبّه به(الأسباب) والمقصود (الروابط والمودّات) فلا علاقة بينهم حينئذ.

وقوله تعالى: ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾(5) أي (صُمّ عن سماع الحق، خرص عن النطق به، عُمي عن رؤيته، فهم لا يفقهون ما يقال لهم كمثل البهائم لا تسمع إلا ظاهر الصوت) (6) . صُمّ: خبر لمبتدإ محذوف تقديره (هم صمّ). وكذا في(بكم وعُميٌ) وقيل رفع على الذمّ، بحذف المبتدإ ذمّا لهم حتى لا تذكر أسماؤهم، وهذا اِحتقارا لهم فكنّوا بالضمائر(هم) ثمّ حذفت .

وقوله: ﴿ **فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** ﴾(7) فقد اختلفوا في أصل (ما) ،أهي تعجّبية للتهويل ؟ وهذا هو الأظهر ، وهو قول الجمهور من المفسِّرين، أم استفهامية، صاحبها معنى التعجّب؟ أم

---

(1)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 206.
(2)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج2- 50.
(3)- البقرة/ 166.
(4)- الفخر الرازي- التفسير الكبير- ج3- 232.
(5)- البقرة/ 171.
(6)- الكشاف- ج1- 214.
(7)- البقرة/ 175.

موصولة ، وصلتها الفعل الذي بعدها،والخبر محذوف ؟ كما قدّروا مضافا قبل (النار) (فما أصبرهم على عمل أهل النار)(1) والذي أراه بعيدا عن التمحّل والإعنات، الرأي القائل بأن (ما) تعجّبية لأن السياق يقتضي ذلك ، فهو تعجّب من حالهم في التباسهم من موجبات النار من غير مبالاة منهم (2) . وحتى وإن كانت استفهامية، فهي في معنى التعجّب لأن معناها(أيّ شيء أصبرهم على النار و حرِّها ؟!)

﴿ **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ**﴾(3)

مثل(البأساء) الشدائد، وحين القتال، وقيل (البأساء) الفقر والشدّة، والمرض والزّمانة (4) . ونصب (الصابرين) بفعل محذوف على المدح، والتخصيص، تقديره(أمدح الصابرين وأخصّ الصابرين وبشّر الصابرين)(5) . وقرأ الحسن والأعمش « والصابرون» بالرفع عطفا على (الموفون)(6) .

وقوله: ﴿**الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى** ﴾(7) هذا ورد في القصاص بأن يكون التجانس بين المقتصِّ منه والمقتصِّ له ،لكن اختلف في دلالة الحَمْل ، فقيل يدلّ على مراعاة المماثلة في الحرِّية والعبودية والأنوثة، فلا يكون القصاص مشروعا إلا بين الحرّين وبين العبدين، وبين الأنثيين،لأن الألف واللام تدلّ على الحصر ، أي لا يُؤخذ الحرّ إلا بالحرّ، والعبد إلا بالعبد، والأنثى إلا بالأنثى(8) . وفي الآية تقدير مفاده : الحرّ مقتول أو مأخوذ بالحرّ،والعبد مقتول بالعبد، فالخبر محذوف ، والباء للسببية على هذا التقدير.

﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾(9) قرأ الجمهور برفع (شهر) على أنه خبر لمبتدإ

---

(1)- البحر المحيط- - ج2- 124.
(2)- الكشاف- ج1- 216/215.
(3)- البقرة/ 177.
(4)- محمد التونجي- تفسير غريب ألفاظ القرآن- 54.
(5)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط – ج2- 140.
(6)- المرجع نفسه.
(7)- البقرة/ 178.
(8)- البحر المحيط-ج2- 144.
(9)- البقرة/ 185.

محذوف تقديره (هو شهر رمضان) أو (المكتوب شهر رمضان) قاله الأخفش. وقدّره الفرّاء: (ذلك شهر رمضان، وهو قريب) (1) وهذا لتعظيمه وعلوّ شأنه. كما قيل (ذلك الكتاب) . بينما رأى بعضهم (2) أنه مبتدأ وخبره اسم موصول (الذي أنزل). ولكني أميل إلى الرأي الأوّل وأعتبر الاسم الموصول في محلّ رفع صفة لـ(شهر) لأن (الذي) لا يصحّ أن يكون خبرا لعدم الإفادة في هذا المقام . بينما هناك من قرأ بالنصب لـ(شهر) على تقدير فعل (صوموا شهرَ رمضان) .

﴿ **وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ** ﴾(3) فالميم في (لتكملوا) بالتخفيف والتشديد(4) والعدّة عدد صوم رمضان.

واختلف في لام (لتكملوا) فقيل هي للأمر، وهنا حضٌّ على إكمال عدد أيّام الشهر، وقدِّر هنا فعل محذوف تقديره (لتعملوا ما تعملون ولتكملوا العدّة) (5). وقيل اللام للتعليل وهناك فعل محذوف وتقدير الكلام (يريد الله بكم اليسر ولتُكبِّروا اللهَ حامدين على ما هداكم) (6).

﴿**وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ** ﴾(7) فالتكبير التعظيم والتحميد ،وهو علة لما عُلم من كيفية القضاء، والخروج من عهدة الفطر بعد أداء الصوم (8) . واخْتلِف في إعراب (ما) في الآية فاعتبرت مصدرية عند أبي حيّان، والتقدير(على هدايته إيّاكم) (9) كما جَوّزوا بأن تكون (ما) بمعنى (الذي) وفيه حذف العائد منصوبا ليكون حذفه أسهل، والتقدير (على الذي هداكموه).

﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾(10) فحذف فعل القول الذي قبل جملة الجواب (فإني

---

(1)- البحر المحيط- ج2- 192.
(2)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن الكريم- 142.
(3)- البقرة/ 185.
(4)-الصاوي- حاشية الصاوي- ج1- 84.
(5)- البحر المحيط- ج2- 201.
(6)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 286.
(7)- البقرة/ 185.
(8)- الكشاف- ج1- 286.
(9)- البحر المحيط- ج2- 201.
(10)- البقرة/ 186.

قريب) التي أعطت تمثيلا لجلالِه تعالى في سهولة إجابته لمن دعاه ،وسرعة إنجاز حاجة من سأله بحال من قرُبَ مكانُه ، فإذا دُعِي أسرعت تلبيته (1) (فإني قريب) ، فـ : رابطة لجواب الشرط وجملة (إني قريب) في محلّ نصب مقول القول المقدّر (قلْ إني قريب) وجملة القول المقدّر جواب شرط غير جازم .

وفي قوله ﴿**إِذَا دَعَانِ**﴾(2)حذف للضمير الذي هو في محل نصب مفعول به تحقيقا للفواصل والتقدير (دعاني).

﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**﴾(3)أي لا يأكل بعضُكم مالَ بعض بالوجه الذي لم يُبِحْهُ الله، ولم يُشرِّعْه ، والناصب للظرف (بينكم) تأكلوا، والبينية هنا مجازية،لأن موضوعها الظرفية المكانية، ثم تُجُوِّز فيها، فاستعملت للأشخاص ثم بين المعاني، وانتصاب (بينكم) على الحال من أموالكم، متعلقة بمحذوف تقديره(كائنة بينكم)(4).

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ** ﴾(5) فسأل عنه و به، بمعنى واحد، أي لا يراد بذلك السؤال عن الذات، بل عن حكمة اختلاف أحوالها ومنازلها، كما ثبت عن ابن عباس وقتادة وغيرهما أن معاذ بن جبل، وثعلبة بن غنم الأنصاري قال:«يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط، ثم يزيد حتى يمتلئ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ، لا يكون على حالة واحدة»(6) فنزلت الآية لكن بأسلوب الحكيم، أي بإجابة بفوائد الأهلة في معرفة المواقيت ووظائفها، كونها مواقيت للناس في الآجال والمعاملات، والعدد، والصوم، والفطر، ومدة الحمل والرضاع والنذر(7).

---

(1)- الكشاف- ج1- 228.
(2)- البقرة/ 186.
(3)- سورة البقرة/ 188.
(4)-البحر المحيط-ج2- 225.
(5)-سورة البقرة/ 189.
(6)-البحر المحيط-ج2- 235.
(7)-المرجع السابق- 235.

ولكن لما كان الحج من أعظم ما يطلب ميقاته، وأشْهُرُه بالأهلة، أُفرِد بالذكر،والتقدير في الآية (قل هي مواقيتُ للناس).

فـ (للناس) جار ومجرور ومتعلق بمحذوف في محل رفع نعت لمواقيت، والتقدير: مواقيت معلومة موجهة أو محكمة للناس.

﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى**﴾(1)في الآية حذف مضاف على رأي الزمخشري(2) والتقدير(ولكن البِرّ،برّ من اِتَّقَى ما حرم الله،ثم إن مفعول اتـّقى محذوف أيضا(3)بدليل ذكره في قوله تعالى:﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾(4).

﴿**وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**﴾(5) ففي الآية حذف، فقد نُهي المسلمون عن مقاتلة الكفار والمشركين في المسجد الحرام، ولكن إن قوتِلوا فيه وجَبَ قتالـُهم، والتقدير(وإن قاتلوكم فيه فاقتلوهم فيه)(6)كذلك جار ومجرور متعلق بمحذوف في محل رفع خبر مقدم،جزاء الكافرين مبتدأ مؤخر،والتقدير(جزاء الكافرين كذلك).

﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**﴾(7) أتِمّوا، أي اِئْتُوا بها تامِّين كاملين بمناسكها، وشرائطها لوجه الله(8) والأمر للوجوب هنا. وأُحصِرتُم(9) مَنَعكم مانعٌ من خوف أو مرض أو عجز أو عدو ، فما توفر لكم من الهدي تقربونه إلى الله.

---

(1)-سورة البقرة/ 189.
(2)- الزمخشري- الكشاف- ج1-243.
(3)-البحر المحيط- ج2- 240.
(4)- سورة البقرة/ 189.
(5)- سورة البقرة/ 191.
(6)-البحر المحيط-ج2-191.
(7)-سورة البقرة/ 196.
(8)-الكشاف- ج1- 238.
(9)- تفسير غريب ألفاظ القرآن الكريم- 133.

فـ(ما) في قوله:﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ ﴾(1) موصولة، مبتدأ، وخبرها محذوف تقديره(فعليه) قالـه الأخفش. أو في محلّ نصب مفعول بـه، والتقدير حينها(فلْيَـهـْدِ مـا استيْسَـر)(2)، وأرى كلا الإعرابين قريب المأخذ.

﴿وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ﴾(3)قيل إن الخطاب موجه للمُحصَرين، أي لا تحلقوا رؤوسكم قبل أن تتأكدوا أن الهدي الذي بعثتموه قد بلغ محلـّه(4).ففي الآيـة مجاز في الفاعل والمفعول . أمّا الفاعل فقد أسند حلق الرأس إلى الجميع، وإنما في الحقيقة يحلق بعضهم رأس بعض، ثم مجاز في المفعول فالحلق لشعر الرأس لا للرأس، فهو على حذف مضاف تقديره (شعور رؤوسكم)(5) والخطاب يخص الذكور فقط ،لأن النساء يقصرن.

﴿ فَفِدْيَـةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾(6) (فـ)رابطـة لجواب الشرط (فديـة) مبتـدأ، وخبـره محـذوف تقـديره (فعليـه فديـة) مـن صـيام: جـار ومجـرور متعلـق بمحـذوف فـي محـل رفـع نعـت لـفِدْيـة(7). كما قرأ بعض المفسرين بنصب فدية على تقدير فعل:فلْيُفْدِ فِدْيَـةً (8).

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾(9) فالظاهر من الآيـة مبتدأ وخبر، وهذا لبيان أوقات الحج(شوال وذي القعدة، وعشرة ذي الحجة) عند أبي حنيفة، وعند الشافعي تسعة ذي الحجة، والعاشر يوم النحر وعند مالك ذي الحجة كلـّه، بمعنى أن شيئا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها(10).وفي الآية حذف لأن الحج ليس أشهرا، والتقدير: (أوقات الحج أشهر) وقد يقدَّر خبر محذوف أي الحج حجّ أشهر(11) واختلفوا بهذا التقدير في الإحرام بالحج، أهي أفعال الحج، لأنه عند الشافعي لا ينعقد الإحرام إلا

---

(1)- البقرة/ 196.
(2)-البحر المحيط-ج2-258.
(3)- البقرة/ 196.
(4)-الكشاف-ج1-240.
(5)-البحر المحيط-ج2-258.
(6)-سورة البقرة/ 196.
(7)-إعراب القرآن الكريم-152.
(8)-البحر المحيط-ج2-261.
(9)-سورة البقرة/ 197.
(10)-الكشاف-ج1-242.
(11)-البحر المحيط-ج2-267.

فيها، وعند أبي حنيفة ينعقد ولكنه مكروه (1).﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾(2).الرفث كناية عن المعاشرة، وكل ما يسْتحْيا من ذكره، ويطلق على اللغو أيضا(3) الفسوق والمعاصي (4).فهناك من رفع الكلمات الثلاثة(رفث، فسوق، جدال) بالابتداء على أنها مبتدآت، وأبطل عمل لا، والخبر في الجميع شبه جملة متعلق بمحذوف، تقديره(موجود أو كائن(5). ويجوز أن يكون(في الحج خبراً للأوّل) أما المبتدأ الثاني والثالث، حُذِف خبرهما لدلالة ما سبق عليه، أو حُذِفا لقبُح التركيب إن ذكِر. وهذا حسن عندي، لأن الأسلوب القرآني يترفع عن فضول الكلام، ولأن قراءة الجمهور بإعمال لا النافية للجنس، وخبرها شبه جملة متعلق بمحذوف، وخبر لا الثانية والثالثة متعلق بمحذوف يدل عليه خبر لا رفث(6).كما جاز أن تكون لا الثانية والثالثة لتوكيد النفي والكتمان.

(فسوق وجدال) معطوفتان على رفث، والخبر شبه جملة متعلق بمحذوف موجود في الحج(7).

أما قراءة النصب والتنوين، فإنها منصوبة على المصادر(المفعول المطلق) والعامل فيها أفعال محذوفة من لفظها والتقدير:(فلا يرفث رفثاً، ولا يفسق فسوقاً، ولا يجادل جدالاً في الحج)(8).

وهذا لا أميل إليه لأن المفاعيل المطلقة هنا جاءت مؤكدة لعاملها، بمعنى أنه يسمح بالرفث والفسوق والجدال في الحج، وإنما المَنْـهي عنه الكثرة والتجاوز! وهذا مخالف لتصريح الآية التي نهت في شكل نهي كلي، لأن دلالة (لا) التبرئة، نفي كلي لجنس الشيء.ومن هنا، أرى إقحام المفاعيل المطلقة مخالفا لمقصد الآية.إلا أن بعضهم رأى أن الجدال معناه الخلاف. فقرأ الرفث والفسوق بالرفع أبو عمرو بن العلا وابن كثير، حملاً لهما على معنى النهي، إذ التقدير (فلا يكوننّ رفث ولا فسوق) (9) والثالثة بالنصب على معنى الإخبار بانتفاء الجدال، كأنه قيل: (ولا شك ولا رفث ولا

(1)-الكشاف-ج1-242.
(2)- سورة البقرة/197.
(3)- محمد التنوخي -المعجم المفصل في تفسير القرآن الكريم- 204.
(4)-حاشية الصّبان-ج1-91.
(5)-البحر المحيط-ج2-280.
(6)-إعراب القرآن الكريم-154.
(7)-المرجع نفسه .
(8)-البحر المحيط-ج2- 282.
(9)- الكشاف- ج1- 243.

خلاف في الحج) فاعتبر الجدال خلافا، واستدل على أن المنهي عنه الرفث والفسوق دون الجدال(1) بالحديث الشريف«من حج، فلم يرفث، ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه»(2).

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾(3) حثّ على الخير عُقَيْب النهي عن الشر(4) فـ(ما):مبتدأ اسم شرط جازم و(تفعلوا):فعل الشرط مجزوم . (مِنْ):حرف جر زائد و(خير):مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحلِّ بحركة حرف الجر الزائد والتقدير(وما تفعلوا خيراً، يعلمه الله) والخبر الجملة الشرطية من فعل الشرط وجوابه .

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾(5) أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اِتّقاء القبائح(6).

ومفعول (تزوّدوا) محذوف تقديره(وتزوّدوا التقوى) وهي كناية عما يُتـَّقى به النار(7). ولمّا حُذف المفعول، جيء بخبر (إنّ) ظاهرا ليدلّ على أنّ هذا المحذوف هو هذا الظاهر.

﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾(8) فاذكروه بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات(9).

فالكاف في قوله(كما) للتشبيه بمعنى (مثل) في محلّ نصب، إمّا على النعت لمصدر محذوف،تقديره:(اذكروه ذكرا مماثلا) وإمّا يكون الكاف للتشبيه حرف جرّ و(ما)مصدرية والمصدر المنسبك من (ما وما بعدها) في محلِّ جرّ بالكاف، والتقدير (كهدايته إيّاكم) أو(فضل هدايته إيّاكم) وتجوز أن تكون الكاف متضمِّنة معنى(على) أي (على ما هداكم)(10).كما أجازوا أن تكون الكاف للتعليل والتقدير(لهدايته إيّاكم)(11).

---

(1)- الكشاف-ج1-244.
(2)- من حديث أبي هريرة، متفق عليه.
(3)- البقرة/ 197.
(4)-الكشاف- ج1- 244. هناك من يعتبر جملة فعل الشرط هي الخبر ، وهذا غير مسوّغ لأنه ناقص.
(5)-البقرة/ 197 .
(6)- الكشاف-ج1- 244.
(7)-البحر المحيط- ج2- 299.
(8)- البقرة/ 198.
(9)-الكشاف-ج1- 246.
(10)-إعراب القرآن الكريم- مجموعة من الأساتذة- 155.
(11)-البحر المحيط- ج2-298.

﴿**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ** ﴾(1) فالمفعول الثاني لـ(استغفر) محذوف تقديره:(واستغفروا الله ذنوبكم ممّا كان من مخالفاتكم في الوقوف والإفاضة(2).

﴿ **فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**﴾(3) هنا التفات في الخطاب، فمن المخاطب في الآية السابقة،إلى الغائب في هذه الآية، للفت الانتباه وتجديد المقام.

من خلاق أي من نصيب(4). فمن الناس:شبه جملة متعلق بمحذوف في محلّ رفع خبر مقدّم.

مَن:اسم موصول مبني على السكون في محلّ رفع مبتدأ مؤخر، وقُدِّم الخبر لإفادة التبعيض بمنْ والتقدير:(من يقول...من الناس).ففي الآية حث ضمني على ذكر الله ودعائه،لأن بعض الناس لا يطلبون بذكر الله إلا الدنيا، ومن ثمّ كان الحث على الإكثار من طلب خير الدارين(5).

﴿ **وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾(6)على حذف مضاف، تقديره (سريعُ مجيء يومِ الحساب)(7)أي يوشك أن يُقيم يومَ القيامة ويُحَاسِب العباد(8).

﴿ **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾(9)هنا حذف مضاف، والتقدير:(فمن تعجّل في ثاني يومين)(10) فـ (تعجّل النفر، واستعجل النفر)بمعنى واحد، يجيئان مطاوعين، بمعنى (عجِل) ومتعدِّيين، يُقال(تعجّل الذهاب واستعجله ،يوم النحر، واليوم الذي بعده، ينفر إذا فرغ من رمي الجمار) . وفي الآية طباق بين تعجّل وتأخر، أي فمن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث فلا حرج عليه(11). فخبر(لا) النافية للجنس محذوف تقديره(مترتب عليه) (12) فلا إثم مترتب عليه.

---

(1)-البقرة/ 199.
(2)- البحر المحيط-ج2- 298.
(3)-البقرة/ 200.
4)- محمد التونجي-المعجم المفصل في تفسير غريب ألفاظ القرآن الكريم- 163.
(5)- الكشاف- ج1- 248
(6)- البقرة/202.
(7)- البحر المحيط- ج2- 213.
(8)-الكشاف- ج1- 248.
(9)-البقرة/ 203.
(10)-البحر المحيط-ج1-319.
(11)- الكشاف- ج1- 249.
(12)- المرجع نفسه.

﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾(1) ألدّ :أشدّ،و الخصام الجدال والعداوة(2) . قيل نزلت هذه في الأخنس بن شريق الذي كان رجلا حلو المنطق، إذا لـقِي الرسول ﷺ ، ألانَ له القولَ، وادّعى أنه يحبّه، وأنه مسلم ولكنه كان عكس ذلك. ففي قوله ألدّ الخصام، حذف مبتدأ ثانٍ أي (وهو خصامه ألدّ الخصام)(3).

﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾(4) فالفساد ضد الصلاح، والاستفساد ضد الاستصلاح(5).

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(6) المهاد الفراش والبساط(7) ففي الآية حذف، والتقدير:(ولبئس المهاد مهادُه) أو (لبئس المهاد جهنّم) (8).

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾(9) ظلل، جمع ظُلة،وهي السحب العظيمة،هيّأها الله للعذاب،كعذاب مدين(10) حين قال الله تعالى:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾(11) فسياق الآية يتطلب ردّ المضاف، لأنّ الله لا يأتي في ظلل، وإنّما الذي يأتي عذابه وأمره ،والتقدير(أمر الله)(12) ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾(13) يستشف منه بلاغة الإيجاز، كلمتان ينضوي تحتهما جميعُ أحوال العباد، منذ أن خُلِقوا إلى يوم التنادي(14) فعُبِّر عن المستقبل بالماضي لأنه

(1)- البقرة/ 204.
(2)- محمد التونجي- المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم -432.
(3)-البحر المحيط- ج2-327.
(4)- البقرة/ 205.
(5)- محمد التونجي – المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن -368.
(6)- البقرة/ 206.
(7)- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن – 460.
(8)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن الكريم- 160.
(9)-البقرة/ 210.
(10)- محمد التونجي- معجم تفسير غريب القرآن الكريم- 7.
(11)- الشعراء/ 189.
(12)- حاشية الصاوي- ج1- 95.
(13)-البقرة/ 210.
(14)-البحر المحيط- ج2-344.

كالمفروغ منه ،والتقدير (ويُقضى الأمر) ولكن الأسلوب القرآني يجعل القارئ المتدبِّر يتابع المشهد دون إرباك، ويعيش الأحداث دون أن يشعر باهتزاز في زمن التصوير.

﴿ **وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** ﴾ (1) تقديم ما حقه التأخير ، وذلك للاختصاص وبيان المآل إلى الله فهو وحده متفرِّد بالتصرّف والحكم والملك دون مخلوقاته ، والتقدير (ترجع الأمور إلى الله) (2)

﴿ **وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾(3) فمفعول (يشاء) محذوف ،والتقدير (من يشاء أن يرزقه) دلّ عليه ما قبله(4)

﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾(5) أمّة واحدة متّفقين على دين الله الواحد الأحد، فهنا جملة مقدّرة،والتقدير (فاختلفوا فبعث الله النبيِّين) (6)

﴿ **وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** ﴾ يريد بالكتاب الجنس ، لا كتابا واحدا معيّنا . وفي هذا حال مقدّرة ، أي مصطحبين معهم الكتاب (7)

﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾ (8) فالاستفهام للإنكار: فكيف تظنون أنكم تدخلون الجنة بلا ابتلاء؟ و(لمّا) للنفي، ولكن إلى حين التكلم،لا نفيا مطلقا أي فيها توقّع حصول الفعل (الابتلاء). وفي الآية حال مقدّرة في جملة (لمّا يأتكم) والتقدير

---

(1)- البقرة/ 210.
(2)- البحر المحيط- ج2- 244.
(3)- البقرة/ 212.
(4)- المحيط- ج2- 355.
(5)- البقرة/ 213.
(6)- الكشاف- ج1- 270.
(7)- البحر المحيط- ج2- 356.
(8)- البقرة/ 214.

(غير أتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم)(1)

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾(2) فـ (ماذا) يمكن إعرابها كلمة واحدة، وكلمتين،تعرب اسم استفهام مبني على السكون في محلِّ نصب مفعول به مقدّم للفعل (ينفقون) . كما تعرب (ما) اسم استفهام في محلّ رفع مبتدأ ، و(ذا) اسم موصول في محلّ رفع خبر ، والجملة الاسمية في محلّ نصب مفعول به ثان لـ(يسألونك) و(ينفقون) صلة الموصول ،والعائد محذوف تقديره (ينفقونه) (3).

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(4) فـ(عسى) اعتبرها أبو حيّان تامّة، وفاعلها المصدر المؤوّل ،والتقدير (وعسى كرهكم الشيء وهو خير لكم) (5)

﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾(6) كفرٌ معطوف على (صدّ) و(صدّ) مبتدأ مرفوع ، و(كفر) مصدر حذف فاعله والتقدير (وكفركُم به) والمخاطب المشركون (7) والتقدير (وصدّ ُعن سبيل الله كُفركم به كبير)(8)

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾(9) فالمصدر (إخراجُ) أضيف إلى فاعله المحذوف ، والتقدير (وإخراجكم أهلَه منه أكبر)(10)

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾(11) العفو، ما فضُل عن الأهل، أو هو فضل المال أو ما فضل على قدر الحاجة (12) . فالعفو مفعول به لفعل محذوف تقديره (أنفقوا العفو أي ما فضُل مِنْ

---

(1)- البحر المحيط- ج2- 371.
(2)- البقرة/ 215.
(3)- البحر المحيط- ج2- 376.
(4)- البقرة/ 216.
(5)- البحر المحيط- ج2- 380.
(6)- البقرة/ 217.
(7)- البحر المحيط- ج2- 380.
(8)- المرجع السابق.
(9)- البقرة/ 217.
(10)- البحر المحيط- ج2- 389.
(11)- البقرة/ 219.
(12)-محمد التونجي- تفسير غريب القرآن الكريم- 332.

من مالكم أو ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد)(1). كما قرئ (العفو) بالرفع على أنه خبر لمبتدإ محذوف تقديره (المُنْفَـق العفوُ) (2) . وقد رفعوا على الابتداء أي (العفوُ إنفاقـُكم) والجملة الاسمية جملة مقول القول.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾(3) ففي الآية التفات

من غيبة إلى خطاب (ويسألونك ...قل إصلاح لهم) فتحويل الخطاب من الغائب إلى المخاطب ليتهيّأ

لسماع ما يُلقى إليه ، ويتقبّله ويعيه(4)

﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾(فجواب الشرطِ الجملةُ الاسمية المُكوّنة من المبتدإ المحذوف

وخبرها (إخوانكم) والتقدير (فهم إخوانكم) . وهناك من قرأ بنصب (إخوانكم) على تقدير فعل

(فتخالطون إخوانكم) (5) وفي قوله: (إخوانكم) دليل على أنّ أطفال المؤمنين مؤمنون في الأحكام

لتسمية الله تعالى إيّاهم إخوانا لنا(6) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ (7) أعنتكم أحْرَجَكم وضيّق عليكم، وشقّ عيكم وشدّد (8) فمفعول

(شاء) محذوف لدلالة الجواب عليه: والتقدير (ولو شاء الله إعناتكم لأعنتكم)(9)

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ (10) أي: ولَامرأة مؤمنة حرّة كانت أو

---

(1)- الكشاف- ج1- 262.
(2)- البحرالمحيط- ج2- 407.
(3)- البقرة/ 220.
(4)- المحيط- ج2- 408.
(5)- المرجع نفسه.
(6)- المرجع السابق- 413.
(7)- البقرة/ 220.
(8)- محمد التونجي-المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- 340.
(9)- البحر المحيط- ج2- 314.
(10)- البقرة/ 221.

مملوكة خير من مشركة أعجبتكم (1) . اعتبر أبو حيّان (لو) بمعنى (إن) الشرطية ، نحو (ردّوا السائل ولو بظلف شاة محرّق) والواو في (ولو) للعطف على حال محذوف ،والتقدير (خير من مشركة حالة إعجابها إيّاكم)(2)

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾(3) المحيض مصدر ميمي كالمبيت والمجيء. واختلف فيه أهو موضع الدم أم زمانه؟ وهنا قدّروا مفعولا فيه أي (اعتزلوا النساء زمان المحيض)(4) فاعتزلوا أي اجتنبوا مُباشرتهنّ ،على عكس الجاهليين الذين كانوا لا يؤاكلون الحائض ولا يشاربونها ،ولا يجالسونها في فراش، ولا يساكنونها في بيت كما يفعل اليهود والمجوس (5) . فالفاء في قوله (فاعتزلوا) رابطة لجواب شرط مقدّر ، تقديره(إذا كان الأمر كذلك ،فاعتزلوا) والجملة (اعتزلوا) جواب الشرط المقدّر المشار إليه (6) ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾(7)تشبيه بليغ على حذف الأداة والوجه، أي مواضع الحرث لكم ممّا يُلقى في بواطن الحرث من بذور، وكلّه كناية عن النسل، بما يتفق وشرعة الله. (نساؤكم) مبتدأ و خبره إمّا على حذف أداة التشبيه (كحرثٍ لكم) وإمّا أن يكون على حذف مضاف قبل المبتدإ أي (وطءُ نسائِكم)(8) وما هو أقرب، التخريج الأوّل الذي ينصّ على موضع الحرث.﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (9)فمفعول (قدِّموا) محذوف تقديره (ذكرَ اللهِ عند القربان)(10) .﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾(11)عُرضة أي نصباً مانعا عن الخير(12) بحلفكم به على تركه ،أو عدّة لها، يقال (هذا عرضةٌ لك ، أي عُدّة تبتذله فيما تشاء .

---

(1)- الكشاف- ج1- 264.
(2)-مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن الكريم- 171.
(3)- البقرة/ 222. (4)-المحيط- ج2- 428.
(5)- الكشاف- ج1- 265.
(6)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن الكريم- 173.
(7)- البقرة/ 223.
(8)- البحر المحيط- ج2- 428.
(9)- البقرة/223.
(10)- البحر المحيط- ج2- 431.
(11)- البقرة/ 224.
(12)- موسى بن محمد بن موسى- التحفة القليبية في حل الألفاظ القرآنية- 124.

والعرضة ما ينصب ويعرض) (1) عرضة مفعول به ثان لـ(تجعلوا) . (أن تبرّوا) المصدر المؤوّل في محلّ نصب مفعول لأجله ، والتقدير (مخافة أن لا تبرّوا، أوكراهة أن لا تبرّوا) (2)

ولكن أبا حيّان الأندلسي اعتبرّ المصدر في محلّ رفع على أنه مبتدأ ،والتقدير (بَرّكم وتقواكم). وأراني أميل إلى الرأي الأوّل لأن النهي عن كثرة الحلف بالله ،وجعل الله عرضة للأيمان علّته مخافة ألا يبرّ الحالف بقسمه.

﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾(3) في الآية حذف ،والتقدير (ولكن يؤاخذكم في إيمانكم بما كسبت قلوبكم) (4)

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (5)عزم بمعنى جدّ ،وهنا تضمّن الفعل معنى نوى

لذا نصب مفعولا به (الطلاق) (6) غير أن هناك من رأى أن (عزم) نصب المفعول على نزع الخافض ، أي (عزموا على الطلاق) (7)

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾(8)أي المدخول بهنّ من ذوات الأقراء(9). القروء جمع قرء وهو الحيض والطهر ، وهو من الألفاظ المشتركة. و(المطلّقات) مبتدأ وخبره الجملة الفعلية (يتربّصن) . ولكن من الكوفيين من رأى في الآية تقديراً بحذف لام الأمر والتقدير (ليتربّصن) لأن عدّتهن واجبة لاستبراء الأرحام.

وهناك من رأى حذف مضاف سابق للمبتدإ والتقدير (وحكم المطلّقات ليتربّصن) (10). ولكن

---

(1)- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم- 321.
(2)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن الكريم- 174.
(3)- البقرة/ 225.
(4)- البحر المحيط- ج2- 445.
(5)-البقرة/ 227.
(6)- مجموعة من الأساتذة - إعراب القرآن الكريم- 175.
(7)- البحر المحيط- ج2- 450.
(8)- البقرة/ 228.
(9)- الكشاف- ج1- 70.
(10)- البحر المحيط- ج1- 453.

ظاهر الآية جاء برفع (المطلّقات) على الابتداء، فلا أرى حاجة إلى هذا التأويل.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾(1) (إن كنّ يؤمنّ) هذا شرط ، جوابه محذوف على الأصحّ ،حذف لدلالة ما قبله عليه، ويقدّر هنا من لفظه أي (إن كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر فلا يكتمن) (2)

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (3) هذا من بديع الكلام لما فيه من إيجاز بالحذف، إذ حُذف شيء من الأوّل وأثبت نظيره في الآخر. وأصل التركيب(ولهنّ على أزواجهنّ مثل الذي لأزواجهنّ عليهنّ) فحذف (على أزواجهنّ) لإثبات (عليهنّ) وحذف (لأزواجهنّ) لإثبات (لهنّ) واختلف في المماثلة فقيل (بالتزيّن والتصنّع) وقيل في (الموافقة والطواعية) وقيل المماثلة في (تقوى الله فيهنّ كما عليهنّ)(4).و(لهنّ) متعلّق بمحذوف في محلّ رفع خبر مقدّم و(مثلُ) مبتدأ مؤخر.

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ (5) فالطلاق بمعنى التطليق ، كالسلام بمعنى التسليم، أي تطليق الشرع تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة (6) هذا عند من يرى أنّ الطلاق لا يتمّ إذا كان مجتمعا. فـ (الطلاق مرّتان) مبتدأ وخبر على الظاهر، ولكن بعضهم يرى أن في الآية حذفا والتقدير(عددُ الطلاق المشروع فيه الرّجعةُ مرّتان) أي تطليقة بعد تطليقة على التفريق،عند من قال (إذا طلّقها مرّات في لحظة واحدة عُدّت طلقة)(7)

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾(8) تخيير للمؤمنين بعد أن علّمهم كيفية الطلاق

---

(1)- البقرة/ 228.
(2)- المحيط- ج2- 257.
(3)- البقرة/ 228.
(4)- المحيط- ج2- 460.
(5)- البقرة/ 229.
(6)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 273
(7)- البحر المحيط-ج2-465.
(8)- البقرة/ 229.

إمّا الإمساك مع حسن العشرة، والقيام بالواجب أو التسريح الجميل(1).

فـ(إمساك) مبتدأ والخبر محذوف تقديره(فعليكم إمساك بالمعروف) (2) و(الفاء) للتعقيب بعد صدور طلقتين ووقوعهما (أو تسريح) هذا بلاغ صريح بعد الطلقة الثالثة، ويؤكّده الحديث الشريف لما رُوي أنّ سائلا سأل النبيّ ﷺ :«أين الثالثة؟» فقال عليه الصلاة والسلام:«أو تسريحٌ بإحسان»(3)

﴿ **إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ** ﴾ (4) أي (إن ظنّ كلّ واحد منهما أنّه يحسن عشرة صاحبه وزوال ما بينهما من الكدر الذي كان سببا في الطلاق (5) (إنْ ظنّا) شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه فيكون جواز التراجع موقوفا على شرطين، هذا بعد الطلقة الثالثة. الأوّل طلاق الزوج الثاني بمشيئته ودون إكراه ، والثاني ظنّهما إقامة حدود الله (6). ففي الآية طباق بين الإمساك والتسريح، ثمّ في لفظة التسريح من اللطافة والمعاملة الرقيقة التي لا تخدش كرامة المرأة المطلقة.

﴿ **لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ** ﴾(7) أي لا يُضَرّ الوالدان بالولد فيفرِّطان في تعهّده وتربيته ، والتقدير على رأي آخر (لا تضارّ والدة زوجَها بمطالبته بما لا يقدر عليْه)(8)

هذا الجملة خبرية لفظا، ولكنها إنشائية المعنى، باعتبارها تضمّنت معنى النهي، فهي مفتوحة الراء المشدّدة على الجزم ، والأصل(لا تضارِرْ أو لا تُضارَرْ) إن كانت مبنية للمفعول وسُكنت الراء الأولى للإدغام فالتقى ساكنان فحُرِّك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التي قبلها (9) . وقرأ ابن عبّاس وابن معوذ بفكّ الإدغام (10) .

---

(1)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 273.
(2)-مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن -177.
(3)-أخرجه الدار قطني من رواية عبد الواحد ابن زياد عن إسماعيل ابن سميع عن أنس.
(4)- البقرة/ 229.
(5)- حاشية الصاوي- ج3- 108.
(6)- البحر المحيط- ج2- 481.
(7)- البقرة/ 233.
(8)-البحر المحيط- ج2- 502.
(9)-المرجع السابق-502.
(10)- المرجع نفسه-502.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾(1) الجُناح الإثم والحرج (2) هذا جوابٌ لشرط ، وقبله جملة حذفت لفهم المعنى، والتقدير (فاسترضعتم أو فعلتم ذلك فلا جناح عليكم في الاسترضاع)(3)

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾(4)

يتربّصن: ينتظرن، ويعْتدِدْن ويتمكثْن (5) وفي هذا محذوف تقديره (يتربّصن بعدهم) كما في بداية الآية مضاف محذوف ، والتقدير (وأزواج الذين يتوفـّون منكم) لأن المعنى لا يستقيم مع (الذين) دون التقدير ، فالمتربّصات الأزواج اللواتي توفـّى بعولتهنّ (6) . وقرئ بفتح الياء (يَتوفـّون) للدلالة على استيفائهم آجالـَهم (7)

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾(8)

(على الموسع قدره) فيه حذف، والتقدير (على الموسع منكم قدره)(9) وقدِّم الخبر للاهتمام به ولوجود ضمير يعود على المتقدِّم . (حقا) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (حقّ حقا) أو صفة لموصوف محذوف جاء لتوكيد عامله ممّا يفسِّر وجوب المتعة،وهنا يتبيّن دور التقدير في تبيين الأحكام .

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً ﴾ (10) (الفاء) رابطة لجواب الشرط . (رجالا) حال والتقدير (فصلـّوا رجالا أو ركبانا) (11). وقرئ(رُجّالا) بضمّ الراء والتشديد ، وعند أبي حنيفة لا يصلـّون في حال المشي والمسايفة ، وعند الشافعي يصلـّون في كلّ حال ، والراكب يومئ ، ويسقط عنه

---

(1)- البقرة/ 233.
(2)- محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن- 112.
(3)-البحر المحيط- ج2- 510.
(4)- البقرة/ 234.
(5)- محمد التونجي- المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن- 189.
(6)- البحر المحيط- ج2- 515.
(7)-الكشاف- ج1- 282/281.
(8)- البقرة/ 236.
(9)-البحر المحيط- ج2- 532.
(10)- البقرة/ 239.
(11)-مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن- 189.

التوجّه إلى القبلة (1).

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ ﴾ (2) فانتصبت (وصيّة) على أنها مفعول ثان لفعل محذوف تقديره(اِلزم الذين يتوفّون منكم وصيّة)(3) والتقدير عند من قرأ (وصيّة) بالرفع على أنها خبر لمبتدإ محذوف كالكسائي، والتقدير (فحكم الذين يتوفّون ...وصيّة) (4) ونُصب(متاعا) على الحال من (الأزواج) أو على المفعولية المطلقة، والتقدير (متّعوهنّ متاعا)(5) وهذا الأقرب مأخذاً عندي . أمّا النصب على الحال ففيه تمحّل، لتأويل المصدر الجامد بمشتق (مُتمتّعا) .

﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ ﴾ (6)(في أنفسهنّ) من التزيّن والتعرّض للخطبة وترك الحداد (7) (في ما فعلن) ما: اسم موصول، والعائد محذوف تقديره (فعلنه). و(بالمعروف) شبه جملة متعلّق بمحذوف في محلّ نصب مفعول مطلق ، والتقدير (فعلن فعلا بالمعروف) (8)

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ (9) ففي الآية إيجاز بالحذف، والتقدير (فقال لهم الله موتوا فماتوا ثمّ أحياهم)(10) .

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾(11)(أن يأتيكم) المصدر المنسبك من (أنْ ومعمولها) في محلّ رفع خبر (إنّ) والتقدير (إنّ آية ملكه إتيان التابوت إيّاكم) .(إن كنتم

---

(1)- الكشاف- ج1- 288.
(2)- البقرة/ 240.
(3)-البحر المحيط- ج2- 552.
(4)- الكشاف- ج1- 289.الصاوي- حاشية الصاوي- ج3- 112.
(5)- البحر المحيط- ج2- 552.
(6)- البقرة/ 240.
(7)- الكشاف- ج1- 289.
(8)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن- 185.
(9)- البقرة/ 243.
(10)- الكشاف- ج1- 290.
(11)- البقرة/ 248.

مؤمنين) (إن) حرف شرط جازم ، (كنتم) فعل ناقص مبني على السكون في محلّ جزم فعل الشرط وجواب الشرط محذوف ، تقديره (إن كنتم مؤمنين فهذه آية لكم) (1)

﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾(2) فـ(شربوا) (فـ) رابطة لجواب شرط محذوف تقديره (ومهما حذّرهم فشربوا) (3). وقرأ أبَيّ والأعمش، إلا قليلٌ بالرفع على اعتبار سبق نفي بالمعنى، فلمّا كان معنى (فشربوا منه) في معنى (فلم يطيعوه) حُملَ على النفي، واعتبر الاستثناء مُفرّغا، أي (فلم يطعْه إلا قليلٌ من بني إسرائيل)(4).

﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (5) (لولا أنّ الله تعالى يدفع بعضَ الناس ببعض ويكفّ بهم فسادَهم لغلب المفسدون وفسدت بذلك الأرض)(6) فـ(دفع) مبتدأ خبره محذوف وجوبا تقديره :موجود وكائن وحاضر. وجملة(لفسدت) جملة جواب الشرط . وعلة الحذف الواجب للخبر كون المبتدإ جاء بعد (لولا).

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (7)(لا) نافية للجنس (إله) اسمها، وخبرها محذوف تقديره(موجود وكائن) وجملة (لا إله إلا هو) في محلّ رفع خبر المبتدإ (الله) . أو يكون الخبر محذوفا، والتقدير (موجود) والجملة الاسمية صفة.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (8) (ألم ترَ) استفهام للتعجّب وإثارة الاستغراب من محاجّة نمرود في الله وكفره به(9). و(ترَ) تضمّن الفعل : يَنتهي ويصلُ إلى علمك والمعنى (ألم ينتهِ إلى علمك؟)(10) . بينما اعتبرها الزركشي هنا بمعنى (تعجَبْ) ألم تعجَبْ إلى كذا ؟ فتعدّت بـ (إلى) التي تفيد التعجّب، وعُلّق الفعل على جملة الاستفهام)(11) . (أن أتاه الله

---

(1)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن- 197.
(2)- البقرة/ 249.
(3)-مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن الكريم- 198.
(4)- الكشاف- ج1- 295.
(5)- البقرة/ 251.
(6)- الكشاف- 296.
(7)- البقرة/ 255.
(8)- البقرة/ 258 (9)- الكشاف-ج1-305.
(10)- حاشية الصاوي- ج1- 122.
(11)- بدر الدين الزركشي- البرهان في علوم القرآن - ج4-

الملك) مصدر مؤوّل في محلّ جرّ، والتقدير (لإتيانه اللهُ الملكَ) (وأن أتاه الله الملك) متعلّق بـ(حاجّ) من وجهين . أحدهما: (حاجّ نمرود لأنه أتاه الملك) أي أنّ إيتاء اللهِ الملكَ أبطره وأورثه الكبر والعتوّ والثاني : أنه (حاجّ وقت أنْ أتاه الله الملك) (1).

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾(2)فالعروش : السقوف، أي خلت وخرّت أركانها (3) قدّر الزمخشري فعلا محذوفا قبل (الذي) والتقدير (أوَ رأيت مثل الذي مرّ) فحذف الفعل المقدّر لدلالة ما سبق عليه (ألم تر) الأولى لأنّ كلتيهما كلمة تعجّب واستغراب(4)

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(5) (له) الضمير يعود على (الذي مرّ) قيل أنه (أرميا)أو (عزير). (فلمّا تبيّن له) فيها حذف فاعل للفعل (تبيّن) والتقدير (فلمّا تبيّن له قدرة الله ، قال : أعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير) فالفاعل المحذوف هو المصدر المنسبك من (أنّ ومعموليها) (6) والتقدير (فلمّا تبيّن له قدرة الله، قال: أعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير) .

﴿ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾(7) على تقدير جملة محذوفة قبل (بل) والتقدير (ما لبثتَ يوما أو بعض يوم، بل لبثتَ مئة عام)(8)

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً ﴾(9) قيل (الواو) مقحمة ، والتقدير (لنجعلك آية) وقيل (اللام) متعلّقة بفعل محذوف والتقدير(أريناك ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك آية للناس) (10)

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾(11) فالعامل في (إذ) محذوف تقديره (واذكر إذ قال...) (12) ﴿ قَالَ بَلَى﴾ (13) فيه حذف والتقدير أي (بلى آمنتُ ولكن ليطمئنّ قلبي).

---

(1)- الكشاف- ج1-305.
(2)- البقرة/ 259.
(3)- محمد التونجي- 320.
(4) -الكشاف-ج1- 309.
(5)- البقرة/ 259.
(6)- الكشاف- ج1- 308.
(7)- البقرة/ 259.
(8)- البحر المحيط- ج2- 634.
(9)- البقرة/ 259.
(10)- البحر المحيط- ج2- 636.
(11)- البقرة/ 260.
(12)-البحر المحيط- ج2- 642.
(13)- البقرة/ 260.

وتعلّقت اللام في(ليطمئنّ) بمحذوف تقديره(ولكن سألتُ ذلك إرادة طمأنينة قلبي) (1)

﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (2) مفعول (يشاء) محذوف تقديره (لمن يشاء المضاعفة) (3)

﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ (4) (الطلّ) الندى أو المطر الخفيف و(الوابل) المطر الشديد الثقيل القطر (5) . (فطلّ) الفاء: رابطة لجواب الشرط، (طلّ) خبر لمتبدإ محذوف تقديره (فمُصيبها طلّ) وابتدئ بالنكرة لأنها واقعة في جواب الشرط.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا ﴾ (6) (الباء) للسببية حرف جرّ ،(أنهم قالوا) مصدر منسبك متعلّق بمحذوف في محلّ رفع خبر للمبتدإ (ذلك) أي (ذلك العقاب بسبب قولهم: إنما البيع مثل الربا) والحقيقة أن يُقال (إنما الربا مثل البيع) (7) ولكن لمّا بلغ من اعتقادهم في المعاملة بالربا جعلوه أصلا وقانونا حتى شبّهوا به البيع،وكأنه أُشكل عليهم لكثرة تعاملهم به والتقدير على الأصل (إنما الربا مثل البيع) .

وجاء الإنكار في الآية نفسها لتسويتهم الربا بالبيع ، وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا ﴾(8) .

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ (9) (العُسرة) الشدّة والضيق(10) أي: إن وقع غريمٌ ومدينٌ من غرمائكم في عُسرة، فالحكم أن تمهلوه حتى تزول عسرته ، فـ(كان) هنا تامّة بمعنى (وقع

(1)- الكشاف- ج1- 309.
(2)- البقرة/ 261.
(3)-البحر المحيط- ج2- 660.
(4)-البقرة/ 265.
(5)-محمد التونجي- تفسير غريب القرآن الكريم-505/301.
(6)- البقرة/275.
(7)- الكشاف- ج1- 321.
(8)- البقرة/ 275.
(9)- البقرة/ 280.
(10)- محمّد التونجي-المعجم المفصّل في تفسيرغريب القرآن- 326.

وحدث) فيكون (ذو) فاعلا. وقد قال الزمخشري أن عثمان ﷺ قد قرأ بنصب (ذا) وإعمال (كان) الناقصة (1) غير أن ما ورد في المصحف يُخالف ما ذهب إليه الزمخشري، إذ جاءت (ذو) مرفوعة على اعتبار (كان) تامّة . وفي الآية تقدير مُفاده (فإن كان ذو عُسرة فالأمر والحكم انتظاره إلى ميسُرة) على اعتبار حذف مبتدإ ، والخبر (فنظرة) . والجملة الاسمية من المبتدإ المحذوف، وخبره في محلّ جزم جواب الشرط .

فالتقدير هنا يبيِّن حكما شرعيّا تمثّل في الأمر بالتيسير على المدين المُعسر، حتى يزول عُسره ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(2) (تصدّقوا) بالتّضعيف على إدغام التاء في الصاد، والأصل (أن تتصدّقوا على المُعسر بالإبراء، وإسقاط ديْنه فهو خيرٌ لكم) (3) وهذا للتيسير على المُعسرين، وهو ما حثّ عليه ﷺ حين قال:« من أنظر مُعسراً،أو وضعَ عنه أظلّه الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه»(4) فالمصدر المؤوّل (أن تصدّقوا) في محلّ رفع مبتدأ وتقدير الكلام (وتصدّقُكم على المعسر خير لكم فافعلوه)(5)

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ (6) فقبْل هذا ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾(7)من رجالكم المؤمنين يشهدون على الديْن فإذا تعذر، فليشهدْ رجلٌ وامرأتان، حتى إذا نسيت إحداهما ذكرّتْها الأخرى. وشهادة النساء مع الرِّجال مقبولة عند أبي حنيفة، فيما عدا الحدود والقصاص(8). وقوله (فرجلٌ وامرأتان) فارتفع (رجل) على أنه خبر لمبتدإ

---

(1)- الكشاف- ج1- 322/ 323.
(2)- البقرة/ 280.
(3)- الصبّان- حاشية الصبّان- ج1- 132.
(4)- الحديث رواه مسلم- حاشية الصبّان- ج1- 132.
(5)- المرجع السابق.
(6)- البقرة/ 282.
(7)- البقرة/ 282.
(8)-الكشاف- ج1- 326.

محذوف تقديره (فالشهود رجلٌ وامرأتان) (1) بينما يرى الزمخشري أن ارتفاع (رجل) كان بالفاعلية والتقدير(فليشهد رجلٌ وامرأتان) (2) . ولا أرى تعارضا بين التقديرين، لأنّ كليهما ينسجم وسياق الآية هنا﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**﴾(3) (الرهان والرهن) حبس الشيء مطلقا، وما يوضع تأمينا للديْن، والشيء المرهون (4) فـ(رهان مقبوضة) يستوثقون بها وهذا يبيِّن اشتراط القبض في الرهن (5) فـ(الفاء) في قوله (فرهان) رابطة لجواب الشرط (رهان) خبر لمبتدإ محذوف ، والتقدير (الوثيقة رهان) والجملة من المبتدإ المحذوف، وخبره في محلّ جزم جواب الشرط.

﴿**كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ (6) ففي قوله (كلٌّ آمن) حذف، والتقدير (كلّ المؤمنين وكلّ المتقين) فالتنوين هنا للعوض عن كلمة .

وفي قوله (لا نفرِّق...) جملة مقول قول محذوف في محلّ نصب ، والتقدير (يقولون: لا نفرِّق بين أحد من رسله) (7) (غفرانك) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره(اغفرْ غفرانا) أو مفعول به لفعل محذوف أيضا تقديره (نطلب ونرجو غفرانك).

﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾(8) (الوسع) ما يسعُ الإنسان ولا يُضيِّق عليه ولا يُحرجه، و (وسْعها) طاقتها وقدر إمكانها (9) (لها ما كسبت) من

---

(1)- مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن الكريم- 229.
(2)- الكشاف- ج1- 326.
(3)-البقرة/ 283.
(4)-محمد التونجي- المعجم المفصّل في فسير غريب القرآن- 221.
(5)-حاشية الصبّان - ج1- 135.
(6)-البقرة/ الآية: 285.
(7)-مجموعة من الأساتذة – إعراب القرآن الكريم- 233.
(8)- البقرة/ 286.
(9)- محمد التونجي- المعجم في تفسير غريب القرآن- 515.

الخير ، جار ومجرور متعلّق بمحذوف في محلِّ رفع خبر مقدّم، و(ما) اسم موصول في محلِّ رفع مبتدأ مؤخر . و(عليها ما اكتسبت) من الشرِّ لأنّ (اكتسب) أشدّ من (كسب) . (عليها) جار ومجرور متعلّق بمحذوف في محلِّ رفع خبر مقدّم، و(ما) اسم موصول مبني على السكون في محلِّ رفع مبتدأ مؤخر، والتقدير (ما كسبت من الخير لها، وما اكتسبت من الشرّ عليها) وقدِّم الخبر هنا للتخصيص (عليها ولها).

استنتاج:

- يتبيّن ممّا سبق تقديمه من نماذج مُعربة لسورة " البقرة" أنّ التقدير يمسّ عناصر التركيب المختلفة للآيات، وهو في ذلك يكشف عن امتزاج النحو بالبلاغة، بحيث يصعب الفصل بينهما في التركيب القرآني، فما من لفظة إلا وتحيلك علاقة إلى ما يجاورها، وتؤانسك بما سبقها، فإذا المعنى مسترسلٌ والوشيجة مُمتدّة، والعلاقات مُنثالة . حتى إذا ما السامع تصوّر انفصال المعاني واستقلالها، فلا يلبث بعد تدبّر، أن يكتشف عذوبة انسيابها في أوصال الكلم لها إيناسٌ و وَشجٌ، تقديما وتأخيرا، ذكرا وحذفا، إطنابا وإيجازا. ومن هنا تكون دهشة الباحث وعجبه، وتسليمُه بعجزه، وتحرّجه ممّا قد لا يليق من التخريجات المقدرة بكلام الله العليّ القدير.
- المُقدّر النحوي المُتناوَل في سورة البقرة كان نتيجة أحوال إعرابية أملتها أوضاع وأنساق مقامية، استدعتها الآيات من حلّ وتحريم وإباحة ،وبيان أحكام ، وتشريعات.

وهذا المُقدّر جاء على صور مختلفة كالحذف، وهو أكثر ورودا،والزيادة ، والتقديم والتأخير والتأويل بالمصدر.

- مسّت صور الحذف التي جاء بها التقدير مختلف عناصر التركيب ، كحذف المُسند إليه في الجملة الاسمية مثل قوله تعالى: ﴿ **هُدىً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (1) بحذف المبتدإ، والتقدير (هو هدى للمتقين) زيادة في تكريمهم ، و إعلاء شأنهم . وقوله ﷻ : ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا**

(1)- البقرة/3.

﴿ **يَرْجِعُونَ** ﴾ (1) . فهذه أخبار لمبتدإ محذوف ، والتقدير (هم) . ولكن لما اشتروا الضلالة بالهدى، صُوِّروا على أنهم صم ، بكم ، عمي ، فكلها تشبيهات بليغة لتأكيد التصوير.

- وكما حذف المسند إليه ، حذف المسند أيضا، كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى** ﴾ (2)

ففي الآية حذف للمُسند (الخبر) بيّن حكماً شرعياً ، وذلك في حالة القتل العمد ، والتقدير (فالحرّ مقوُود (3) ومأخوذ بالحرّ، والعبد مأخوذ بالعبد...) إلا في حالة عفو صاحب الحق في القتل الخطإ.

- وكحذف المفعول به لدلالة العموم ،والتعجيز نحو ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا** ﴾(4) فالمفعول به لم يُذكرْ، نظراً لتحدّيهم، وإشعارهم بالعجز نفياً للماضي والمستقبل. ويحذف المفعول أيضا مراعاة للفواصل، كما في قوله تعلى: ﴿**وإِيّايَ فارهبون**﴾ بحذف الضمير (الياء) والتقدير (فارهبوني) لأن (إيّا) مبني على السكون في محلّ نصب على الاشتغال.

- وجاء في السورة أيضا حذف العامل اختصارا كقوله ﷻ : ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** ﴾(5) والتقدير (وببرّ الوالدين أحسنوا إحسانا) . وقوله تعالى: ﴿ **بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً** ﴾(6) والتقدير (بل نتّبع ملة إبراهيم).

- كما ورد التقدير بحذف المضاف إليه للإيجاز ، وإعطاء المعنى قوّة وتفخيما، نحو قوله ﷻ: ﴿ **وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** ﴾(7) بحذف المضاف إليه، والتقدير (حبّ عبادة العجل).

---

(1)- البقرة/18.
(2)- البقرة/178.
(3)- من القوْد وهو القصاص، القاموس المحيط- ج3- 712.
(4)-البقرة/24.
(5)- البقرة/83.
(6)- البقرة/135.
(7)-البقرة/ 93.

ولكن لدلالة شدّة حبّهم العجل، وحرصهم على عبادته، حُذف المُضاف إليه، وجُعل (العجل) تتشرّبه أنفسهم، وكأنه أصبح يجري في دمائهم. ولا يخفى الفرق بين التركيبين حالة الذكر وحالة الحذف.

- وقد جاء التقدير أيضا بالمصادر المُؤوّلة كما في قوله ﷻ :﴿ **وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾(1) والتقدير (إنذارك وعدم إنذارك إيّاهم سواء) . وقوله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**﴾(2) والتقدير (وصيامكم خيرٌ لكم) . وكان المصدر المُنسبك أبلغ دلالة لما فيه من حث على الصّيام الذي فيه منافع كثيرة، وتغلّب على النفس حتى في وقت الشدّة.

- كما جاء المُقدّر بالزيادة ، كزيادة بعض الأحرف لتقوية المعنى، وتفخيم المواقف، وتهويل الشأن، نحو : زيادة فاء الاستئناف في قوله ﷻ: ﴿ **أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾(3) والتقدير (ألا تعقلون) ولكن دخول (الفاء) على (لا) النافية بعد همزة الاستفهام، زاد صيغة التوبيخ والتقريع فخامة. وكزيادة (لا) في قراءة "عليّ" و"ابن عبّاس"رضي الله عنهما لقوله تعالى: ﴿ **فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾(4) فجاءت قراءتهما (ألا يطوّف بهما) (5) فأجاز "ابن جنيّ" أن تكون (إلا) زائدة على معنى التخفّف من الطواف ترخيصا (6).

---

(1)- يس/10.
(2)- البقرة/184.
(3)- البقرة/44.
(4)- البقرة/158.
(5)- محمد أحمد خضير- علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم- مكتبة الأنجلو مصرية- القاهرة- د.ت- 84.
(6)- ابن جنيّ- المحتسب- ج1- 116.

- يُضاف إلى ما سبق أنّ المُقدّر جاء في سورة "البقرة" بتقديم ما حقّه التأخير كما في قوله ﷻ : ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾(1) بتقديم الخبر ، وتأخير المبتدإ، وذلك للقصر، وبيان ضرورة القِصاص، وأهمّيته في الحفاظ على الأنفس والأرواح. وجاء المبتدأ نكرة ليُفيد العموم، فهو حياة لارتداع الناس بالقصاص.

(1)- البقرة/179.

المبحث الرّابع:

مستوى المقدّر البلاغي:

فالمقدّر البلاغي خاصّ بالبنية المتحوِّلة ، والصورة المنزاح إليها الكلام، في صورته المجازية وللتقدير البلاغي دواع وأسباب ،منها : مخالفة الأصل، كالقلب المكاني ، وتقديم ما حقه التأخير بالعدول عن الأصل، فيُضْطرّ حينها إلى ردِّ العدول إلى الأصول، فيكون التقدير. والمقدّر عكس الظاهر، وضدّ المذكور ، ومقابله، والمخالف للأصل ، لأنّ الأصل ذكر، والحذف فرع . فكما أنّ هناك مقدّراً صوتيا ونحويا فثمّة مقدّر بلاغي، قد يكون على مستوى الإفراد، وقد يكون على مستوى الصورة(تشبيها واستعارة).

وزيادة على ما ذكِر من دواعي التقدير البلاغي السالفة الذكر ، يُذكر التوجّه الخاص للقراءات القرآنية تمشيا مع قوله ﷺ : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسّر منها » (1) والحديث ورَدَ بروايات مختلفة دون أن ينصّ على ماهية الأحرف السبعة،الأمر الذي جعل العلماء يختلفون فيها ، كما يقول السيوطي(ت 911هـ) على نحو أربعين قولا (2) . هذه الأقوال لا تعدو على أن تكون مجرّد استنتاجات تعكس اتِّجاهات أصحابها، تبعا لاختلافهم في فهم الحديث، وطبيعة العلم الذي ينتمون إليه. فهناك تأويل ينسب إلى الفقهاء،وثان إلى النحاة ، وثالث يُعْزى إلى المتصوِّفة، ورابع إلى القرّاء. و كلّ طائفة كانت تحاول جاهدة أن تجد ضالتها في الحديث.

ولكن مهما كانت اختلافات الطوائف في فهم الحديث، فإن أصحابها متّفقون على « ...أنه ليس المقصود أن يكون الحرف يقرأ على سبعة أوجه » (3)

---

(1)- مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن والبلاغة القرآنية-45.
(2)- أحمد سعد محمد- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية – مكتبة الآداب – القاهرة- ط2- 1421هـ/ 2000م-17.
(3)- ابن الجزري- النشر في القراءات العشر- ج1- 24.

ولعلّ أرجح هذه الآراء وأقواها ، هو تأويلها بوجوه التغاير التي يقع بها الاختلاف في القراءة(1) وهذا الاختلاف هو الذي يوجب التقدير عامّة، والبلاغي خاصّة، ويتيح أحوالا ما كانت لتكون لولا هذا التغاير الذي يمسّ جوانب شتى منها:

1- اختلاف الأسماء إفرادا، وتثنية، وجمعا ، تذكيرا وتأنيثا، كما في قوله تعالى:﴿ **كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾(2) فقد قرئت (كتبه) بالجمع وبالإفراد (3)

2- الاختلاف في وجوه الإعراب: فقد تُخَرّج الآية تخريجاً مغايرا لظاهرها فيكون التقدير، كما في قوله تعالى على لسان سيِّدنا لوط:﴿ **هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ** ﴾ (4) فقد قرئت (أطهرُ) بالرّفع على الخبر ،والجملة الاسمية في محلّ نصب حال، كما قرئت بالنصب (أطهرَ) على الحال السادّة مسدّ الخبر (5)

3- الاختلاف في الجانب الصرفي : وذلك لتغيير يصيب بنية الكلمة، حذفا أو تضعيفا، أو تخفيفا، في مثل قوله تعالى: ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا** ﴾ (6)فقرئت بإثبات الألف بعد الباء،خفيفة العين، وهي قراءة جمهور السبعة. وقرئت (بعِّد) بحذف ألف (فاعل) وإثبات التضعيف على العين وهي قراءة ابن كثير ،وأبي عمرو. كما قرئت بإثبات الألف،وفتح العين والدال، ورفع (ربُّ) (باعَدَ ربّنا) على أنه فعل ماض ، و(ربّ) فاعل ، وهذه قراءة ابن عبّاس ، وابن يعمر(7).

4- الاختلاف بالتقديم والتأخير:إمّا في حروف الكلمة، كما في قوله تعالى:﴿ **أَفَلَمْ يَيْأَسِ**﴾(8)

---

(1)- ابن قتيبة- تأويل مشكل القرآن- تحـ: السيّد أحمد سقر- دار التراث- القاهرة- ط2- 1973- ص 36.
(2) - البقرة/ 285.
(3)- قرأها بالجمع ابن كثير ،ونافع، وعاصم . وقرأها بالإفراد الكسائي وحمزة. ينظر: السبعة في القراءات – 195.
(4) - هود/ 78.
(5) - قرأ العامّة بالرفع، وقرأها بالنصب الحسن، وزيد بن علي ، وعيسى بن عمر. ينظر: البحر المحيط- ج5- 247.
(6)-سبأ / 99.
(7)-البنا- إتحاف فضلاي البشر- تحـ: الدكتور شعبان محمد إسماعيل- دار عالم الكتب- بيروت- ط1- 1987- ج2- 385/386.
(8) -الرعد/ 31.

وقرئت بياءين متتاليتين،كما قرئت بياءين بينهما همزة (يَأيِـس) رُوي هذا عن البزّي(1) كما يقع في الكلمات إفرادا نحو قوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ (2)قرئ بالبناء للفاعل في الأوّل وللمفعول في الثاني، وقرئ بالعكس، حيث قرأها جمهور السبعة بتقديم المبني للفاعل، وقرأها حمزة والكسائي بالعكس(3)

5- الاختلاف بالإبدال: سواء كان حرفا بحرف ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾ (4)قرئت بالزاي المعجمة، مع ضمّ النون الأولى، كما قرئت بالرّاء المهملة مع ضمّ النون الأولى أيضا (5) أو إبدال لفظ بلفظ على نحو ما ورد في قوله تعالى:﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾(6) فقد روي (كالصوف المنفوش) وهي قراءة ابن مسعود (7)

6- الاختلاف بالزيادة والنقصان: مثلما هو الشأن في قوله تعالى:﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (8) فقد قرئ بإثبات الواو الأولى، وحذفها (وسارعوا) و(سارعوا) (9). وقد نسبت قراءة الحذف إلى نافع وابن عامر(10). وكذا قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (11) فقد قرئت بإثبات(هو) وبحذفه (12)

---

(1)- البنا- إتحاف فضلاي البشر- ج2- 266.
(2)- التوبة / 111.
(3)- ينظر: السبعة –319.
(4)- البقرة/ 259.
(5)- قراءة ابن عامر، وحمزة، والكسائي بالزاي ضمّ النون، وقرأها ابن كثير وابن نافع وأبو عمرو بالراء ينظر: السبعة- 319.
(6)- القارعة/ 5.
(7)- ينظر: مختصر في شواذ القراءات- من كتاب البديع ، لابن خالويه- عني بشرحه ج. برجستر ستراسر- مكتبة المتنبي بالقاهرة- د. ت- 178.
(8)- آل عمران/ 133.
(9)- أحمد سعد محمد- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية- 18.
(10)-ينظر: السبعة- 216.
(11)- الحديد/ 24.
(12)-ينظر : السبعة- 227.

هذه الأوجه وغيرها ممّا يفسِّر الاختلاف القرائي الذي يكشف عن العلة الكبرى لنزول القرآن على سبعة أحرف، تخفيفا على الأمّة وتسهيلا عليها، ولمّاً للسانها، وتهويناً عليها، نظرا لكون لغات العرب الذين نزل القرآن بلسانهم كانت مختلفة، يعسر الانتقال من حرف إلى آخر ، ومن لغة إلى أخرى، إلا بالتعليم والتروِّي ، وبعد مدّة ، وهذا غير متأت في بداية الوحي(1)

ويروى أنّ جبريل عليه السلام ، جاء النبيّ ﷺ فقال له:« إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمّتك القرآن على حرف . فقال ﷺ أسأل الله معافاته ومعونته ، إنّ أمّتي لا تطيق ذلك » ومنه أيضا: « إنّ ربِّي أرسل إليّ أن اِقرإ القرآن على حرف ، فرددت عليه: أن هوِّن على أمّتي »(2) .

المُقدّر البلاغي

- **الناتج عن القلب المكاني**

القلب لغة : قَلَبَه،حوّله عن وجهه، كأقلبه، و قلّبه، و الشيء حوّله ظهرا لبطن (3) و في **الاصطلاح**: تصيير حرف مكان حرف آخر بالتقديم و التأخير(4)

وقد عرّفه الشريف الجرجاني بقوله: « وهو جعل المعلول علة ،والعلة معلولا، وفي الشريعة عبارة عن عدم الحكم لعدم الدليل ، ويراد به ثبوت الحكم بدون العلة »(5) ومن هذا الباب قوله ﷺ : «الخال وارث من لا وارث له »(6). فعدم وجود وارث، علة تجعل الخال وارثا لعدم الدليل- من لا وارثَ له-

فالقلب المكاني ، كما هو ظاهر،من سنن العرب في كلامها . وكان للقراءات القرآنية دورٌ في ظهور القلب المكاني لدواع كمراعاة الفواصل مثلا ، كما في قوله تعالى: ﴿**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾ (7) إذ التقدير (بل الإنسان بصيرةٌ على نفسه).

---

(1)- النشر في القراءات العشر- ج1- 22.
(2)- المرجع السابق- ينظر:الإتقان- ج1- 61.
(3)- الفيروز أبادي- القاموس المحيط - ج 3 -671
(4)- محمد أحمد عبد الرحمن الطيب-القلب المكاني في بعض الصيغ في القرآن الكريم – مجلة كلية الآداب- جامعة أسيوط- 171.
(5)- علي بن محمد الجرجاني- كتاب التعريفات- 168.
(6)- صحيح ابن ماجه- مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض- ط3- 1408هـ/1988م- ج2- 117- رقم الحديث: 1212- رواه أبو داود والنسائي.
(7)- القيامة/ 14.

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمّىً**﴾ (1) إذ التقدير (لولا كلمة سبقت من ربِّك وأجل مسمّى لكان لزاما) . ومنه مراعاة لأصل الكلمة،كقراءة الحسن ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ**﴾(2) على أن أصل مفردة(طاغوت) كان قياسه على الطغيان أن يكون(طياغيت) (3) .

وقد تباينت أقوال العلماء في حقيقة القلب المكاني في القرآن الكريم إنكارا وإثباتا ، وكان ملخص ذلك ثلاثة آراء:

الأوّل: قد أنكرته جماعة ، منهم أبو حيان الأندلسي ، على أساس أن بابه الشعر، وكلام الله ينزّه عنه(4)

الثاني:قد قبلته جماعة مطلقا، بشرط عدم اللبس ، ومن هؤلاء المبرّد .

الرأي الثالث: يؤخذ به إذا تضمّن لطائف بلاغية ، وإلا رُدّ .

و ظاهرة القلب المكاني، سواء كانت تمس الحرف، أو الكلمة، سنـّة من سنن العرب في كلامها وتدخل الشعر كما تكون في النثر كقولهم : بَتّ و تبّ بمعنى واحد، و جذب ،و جبذ، وهدهد و دَهْدَهَ .

و القرآن الكريم جاء متمشيا و سننَ العرب في كلامها في وقوع القلب المكاني، بقراءاته المختلفة حسب الأحرف، و مراعاة للفواصل القرآنية، كقوله تعالى: ﴿**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**﴾ (5)

فقد وقع في الآية قلب والتقدير: بل الإنسان بصيرةٌ على نفسه أي حجة بيِّنة، وُصِفت بالبصارة على المجاز، أي أنه شاهد على أعماله لأن جوارحه تنطق بذلك (6)

---

(1)- طه/ 129.
(2)- البقرة/ 257.
(3)- محمد أحمد عبد الرحمن الطيب- القلب المكاني في بعض الصيغ في القرآن الكريم- 179.
(4)-أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج7- 13.
(5)- القيامة/ 15/14.
(6)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 191.

لكن قـُلِب مكان بصيرة فأخرت لتوافق الفاصلة التي بعدها (و لو ألقى معاذره) و جاء في نسق معنوي يسند ما سبق، أي أنه يصير شاهدا على نفسه، و لو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها، و معاذير اسم جمع لمعذرة، و جمعها معاذر (1). و قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمّىً** ﴾ (2). ففي الآية قلب مكاني ، فالأصل (ولولا كلمة سبقت من ربِّك وأجلٌ مُسمّى لكان لزاما) لكن وقع القلب لغرض بلاغي ومراعاة للفواصل .

ومن القلب المكاني مراعاة أصل الكلمة ، كقراءة الحسن ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ**﴾(3) جاء بالجمع،على أن أصل مفرده (طاغوت)، فاعول، وكان قياسه على الطغيان أن يكون طياغيت كما سبق ذكره.

والقلب المكاني يصيب الأصوات أيضا، كجعل صوت مكان صوت آخر، نحو قوله تعالى ، في قراءة قنبل عن ابن كثير للآية الكريمة:﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً** ﴾ (4) بهمزتين بينهما ألف(ضئاءً) وقراءة ابن مسعود﴿ **وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾(5) فرقئت (معيق).

ويكون على مستوى الألفاظ معدولة عن أصلها السياقي، وينجم عن ذلك تقدير بلاغي بردِّ العدول إلى الأصل ، إذ تترتـّب عليه تحويل الدلالة من الباطن إلى الظاهر ، أومن المستعمل إلى ما هو أصل، فتتكشـّف المعاني المكتنـّة في طيّات التركيب الظاهر ، كما في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه وعلى نبيِّنا السلام: ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾(6) فالتقدير بالردِّ إلى الأصل(فإني عدوّ لهم إلا ربّ العالمين) فهنا حدث قلب مكاني لكلمة (عدوّ) فكون الأصنام أعداءَه يستلزم أنه عدوّهم بالضرورة ، لذا عدل عن التركيب الثاني إلى الأوّل .

ثمّ إن هناك لطيفة بلاغية أوجدها الحذف الناتج عن القلب ، والمتمثلة في حذف المضاف، في قوله:

---

(1)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 661.
(2)- طه/ 129.
(3)- البقرة/ 257.
(4)- يونس/ 5.
(5)-الحج/ 5.
(6)- الشعراء/ 77.

﴿ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾والتقدير : إلا عبادة ربّ العالمين ،فالاستثناء منقطع لأن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، على رأي مَنْ قدّر الحذف.

ومن أمثلة القلب المكاني للألفاظ في التركيب ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (1) فقد ترتب على التقديم ، أي القلب المكاني للألفاظ تغيير في الدلالة ، يشوّق القارئ، ويدعوه إلى التأمّل، وإعمال الفكر، إذ كيف تكون الوفاة قبل الرفع؟! إذ الأصل (إني رافعك إليّ ومتوفّيك ومطهّرك من الذين كفروا) (2) إلا أن يكون للآية تخريج آخر ، كما قال الزمخشري: « مميتك في وقتك ، بعد النزول من السماء ورافعك الآن» (3) . غير أن سياق الآية لا يتطلب مثل هذا التمحّل،مثل ما قاله بعض المفسِّرين كالصابوني مثلا (إني رافعك إلى السماء ، ثمّ مميتك بعد استيفائك كامل أجلك) (4) والمقصود بشارتـه بنجاته من اليهود ورفعه إلى السماء سالماً دون أذى.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (5) فقد أسند المجيء إلى سكرة الموت ، بقلب الإسناد ، فهي اِستعارة مكنية ، ولكن الأصل والتقدير: وجاءت سكرة الحق بالموت، فالسكرة الأخيرة حق، وتقع على كلِّ إنسان، وتلك قراءة أبي بكر وابن مسعود (سكرة الحق بالموت) بإضافة السكرة إلى الحق، وقيل سكرة الله، أضيفت إليه تعظيماً لشأنها وتهويلا (6). وعبارة ذلك (ما كنت منه تحيد) أي حيادة آنية بالمداوة والمداراة، ولكن سكرة الحق نهايتها الموت. هذا على رأي القائلين بالقلب المكاني كابن عصفور الإشبيلي (ت 66هـ) الذي يعدّ من أكثر النحاة إحصاء لأنواع القلب في الجملة العربية ، سواء كان المُحْصى شعرا أم نثرا، وقد ورد ذلك في كتابه (ضرائر الشعر)(7).

---

(1)- آل عمران/ 55.
(2)- محمد أحمد عبد الرحمن- القلب المكاني- 184.
(3)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 367.
(4)- محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير- م1- 205.
(5)- ق/ الآية: 19.
(6)- الزمخشري- الكشاف- ج4- 386.
(7)- ابن عصفور أبو الحسن علي- ضرائر الشعر – تح: السيد إبراهيم محمد- دار الأندلس- بيروت- لبنان- ط2- 1402هـ/1982- 669.

وقد أورد أمثلة وشواهد متنوعة عن هذه الظاهرة اللغوية الصوتية ، ومن أمثلة ذلك ما قاله خداش بن زهير (الطويل) :

وتـُركـَبُ خيْلٌ لا هوادة بيننا وتشـْقى الرماحُ بالضياطرة الحمْر

فقد قلب الإسناد ، حيث أسند الشقاء إلى الرماح ، والأصل أن يسند الشقاء إلى الضياطرة، لأنّ الضياطرة الأبطال،هم الذين يشقون ويتعبون من كثرة الضرب والطعان. فقلب الإسناد فتولدت عنه استعارة مكنية . وحتى الموقع الإعرابي تغيّر ، فالفاعل صار اِسما مجروراً،والمجرور أصبح فاعلا، ومنه قول الراعي النميري(1):

وصبـّحتـْهُ كلاب الغـَوْثِ يؤسدها مستوضحون يرون العين كالأثر

فالشاهد في قوله: يرون العين كالأثر، وهو مقلوب لفظي، إذ الأصل : يرون الأثر كالعين والمستوضح المستكشف الذي يتفحّص الأمر لعله يرى شيئا، فالأثر هو الذي يندرس، ويعْفى فيصبح رسمًا،بعد أن كان عيانا باديا .

ومن القلب المكاني للتركيب قولهم في النثر (أدخلت القلنسوة في رأسي ،والخاتم في إصبعي) والأصل (أدخلت رأسي في القلنسوة ،وأصبعي في الخاتم) وقولهم (إذا طلعت الجوزاء انتصب العود في الحرباء) يريدون (انتصبت الحرباء في العود).

ويرى ابن عصفور أن القلب المكاني مقيس في الشعر، بخلاف النثر، لذا لم يُجز القياس عليه ،أي في النثر، قال : « والقلب مقيس في الشعر بلا خلاف، لكثرة مجيئه فيه، وقد جاء أيضا في الكلام ... إلا أن ذلك لم يكثر في الكلام كثرته في الشعر، فلم يمكن لذلك القياس عليه » (2)

كما نجد ابن هشام في كتابه " مغني اللبيب" تناول القلب المكاني ، واستشهد بشواهد نثرية وشعرية من كلام العرب،وآيات قرآنية . من ذلك تعليقه على الآية الكريمة :﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا** ﴾ (3) فاعتبر قوله تعالى : ﴿**يُعْرَضُ الَّذِينَ**

---

(1)- الراعي النميري- شعر الراعي النميري وأخباره- جمع وتقديم : ناصر الحاني- مراجعة عز الدين التنوخي- مطبوعات المجمع العلمي- دمشق- 1383هـ/1964م- 105.
(2)- ابن عصفور – ضرائر الشعر- 272.
(3)- الأحقاف/ 20.

﴿ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ مقلوبا، واستدلّ بقول الزمخشري حين قال: « وجعل منه ، أي المقلوب ، عند إشارته للآية الكريمة السالفة »(1) بمعنى أن النار تُعرض عليهم وكأنها بضاعة، فالقلب في الآية تولدت عنه استعارة مكنية ، حيث صوّرت النار كشارٍ ،والكفار –لاحتقارهم- كمعروض.

والمقلوب البلاغي في اللفظ على مستوى الصوت ، وهو نوع من أنواع الجناس، يسمّى "الجناس المخالف" (2) وهو أنواع:

1- مقلوب البعض: الشاعر والشارع، والرقيب والقريب، ومنه ما جاء دون قصد في قوله ﷺ: اللهمّ استر عوراتنا ، أمّن روعاتنا» فالعورات والرّوعات قلب بعض. ومنه قول العرب: (الدنيا حيّة ليّنٌ مسّها، قاتلٌ سمّها » من (سمّ) و(مسّ) .

2- مقلوب الكلّ:أي قلب الأصوات قلبا مكانيا كليا، كالدرب والبرد، وسردَ ودرسَ. وحام وماح.

ومنه قول الشاعر :

حسامك منه للأحباب فتحُ   رمحك منه للأعداء حتف(3)

ولمّا كان على طرف البيت سمِّي مجنّحا(فتح،حتف).

3- قلب المستوى: يعني هذا أنه اللفظ الذي إذا قلب كان إيّاه في التركيب،كقول القاضي الأرجّاني(4):

مودّته تدوم لكلّ هول   وهل كلٌّ مودّته تدوم؟!

وفي القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(5) ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾(6).

ومن المقلوب في البلاغة ما يقع في جملتين تبدوان شبه متضادتين، مثل قوله تعالى:﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (7) . ومنه في الشعر قول الحماسي (الوافر) :

---

(1)- ابن هشام – مغني اللبيب- ج2- 737.
(2)- محمد أحمد الطيب- القلب المكاني- 187.
(3)- قائله مجهول. من شواهد معيار النظار في علوم الأشعار، للزنجاني عبد الوهاب – تحـ: محمد علي رزق الخفاجي – دار المعارف بمصر- د.ت- 125.
(4)- القلب المكاني- 187.
(5)- يس/ 40.
(6)- المدثر/ 3.
(7)- يونس/ 31.

فردّ شعورَهنّ السودَ بيضا وردّ وجوهَهنّ البيض سودا (1)

- ونوع آخر ما يقع بين الجملتين ومعلقيهما، كقوله تعالى :﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾(2) فلكم ، ولهنّ ، وهنّ أنتم.

فإن كان القلب المكاني يقع على مستوى التراكيب والجمل ، وقد تحدّث عن هذا النوع كثيرٌ من العلماء والنحاة أمثال ثعلب (ت 291هـ) والسيرافي (ت 368هـ) وابن عصفور(ت 669هـ) وابن هشام (ت 761هـ) والسيوطي (ت 911هـ) وغيرهم، فإنّ هناك قلباً آخر كحذف الفاعل لأغراض وإنابة المفعول عنه، كما يسند الفعل إلى ما ليس له في الحقيقة، فيترتب عنه سياق يؤدّي إلى التقدير من ذلك قوله تعالى:﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ (3) أي الرّحمة، وهي لا تحسّ ، ومعنى (عُميت عليكم) فلم تهدِكم ، كما لو عُمي على القوم دليلُهم في المفازة بقوا بغير هادٍ (4) . فترتّب على ذلك ورود استعارة مكنية، قال بذلك أبو عليّ الفارسي (5) حيث حُذف الفاعل (الملأ الذين كفروا من قوم نوح) وناب عنه الرّحمة (فعميت) والأصل (فعميتم عنها) لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره (6). وقد تلطف نوح عليه السلام مع قومه لاستمالتهم حين قال: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً﴾(7) فاستعمال الشرط بالنسبة إليهم افتراء وإغراء، وعنده حقيقة ، فهو مؤمن بأن أتاه الله رحمة فعموا عليها، ولكنّ السياق ورد مقلوبا (فعميت عليكم) أي اِلتبست عليكم بل هم اِلتبسوا في فهمها.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ (8) ففي الآية قلب ، حيث جعل المفعول الثاني مضافا إليه ، والتقدير (فلا تحسبنّ اللهَ مخلفَ رسلِه وعدَه نصرَها) أي نزّهَ الله عن

---

(1)- ابن الزبير الأسدي- من شواهد شرح ابن عقيل- ج1- تحت رقم 128- وقبله:
رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا.

(2)-البقرة/ 187.
(3)- هود/ 28.
(4)- الزمخشري- الكشاف- ج2- 389.
(5)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج6-142.
(6)- الكشاف- ج2- 389.
(7)- هود/ 28.
(8)- إبراهيم/ 47.

إخلافِه رسلَه مَا وعدهم إيّاهم من نصر . فهنا إيجاز بالحذف زيادة على القلب المكاني، بجعل المفعول الثاني مضافا إليه (فمفعولا تحسبنّ هما الله مخلف) أمّا وعده فمفعول لاسم الفاعل (مخلف) .

- وقوله تعالى: ﴿ **خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾ (1) قيل في الآية قلب ترتّب عليه ظهور صورة بيانية تمثلت في الاستعارة ، وكأنّ العَجَل مادة يشكّل منها الإنسان والأصل (خلق العجل من الإنسان) وذلك لشدّة صدوره عن الإنسان ،حتى كأنه خلق منه ، وإلى هذا ذهب عمرو بن العلاء، وأبو عبيدة، وقطرب ، وثعلب، وابن السكيت(2) .

ومن العلماء من يرى أنّ الآية على الأصل ، ولا قلب فيها ، أي ركّب الإنسان على العجلة فخلق عجولا ، يستعجل كثيرا من الأشياء وإن كانت مضرّة (3) وهناك من يرى أنّ العجل هو الطين بلغة حمير (4)

- ومن أمثلة القلب المكاني ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ**﴾(5) وجاء في تخريج الآية رأيان: أحدهما أن الباء في قوله (بالعصبة) للتعدية كالهمزة ،ولا قلب في هذه الحال ، والمعنى (لتنُيء المفاتيحُ العصبة الأقوياءَ) كما تقول (أجئته وجئت به) و(أذهبته،وأذهبتَ به) . وثاني الرأيين: أن في الآية قلبا :أي (لتنهض بها) متثاقلة (6) ولكن عُدِل عن هذا إلى إسناد الفعل إلى ما لا يَعقِل(المفاتيح) لتنوء بالعصبة فتولد عن الإسناد المقلوب اِستعارة مكنية ، حيث شبِّهت المفاتيح بإنسان ينوء تحت حمل ثقيل ، ولا يخفى جمال الصورة وروعتها وفخامتها من تولد الاستعارة، إذ دلت على التكثير والمبالغة في إظهار مدى بذخ قارون وعظمة ملكه ، ومع ذلك فلم يلبث أن خُسف به وبما يملك ، فلم يغنه ذلك من عذاب الله شيئا.

---

(1)- الأنبياء/ 37.
(2)- محمد أحمد الطيب- القلب المكاني(مرجع سابق)- 186.
(3)- محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير – ج2 -262.
(4)- الكشاف- ج2- 117.
(5)- القصص/ 76.
(6)- ابن هشام – مغني اللبيب- ج2- 778.

ومن مواطن القلب المكاني باب المضاف إليه وباب الخبر ، نحو قوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً** ﴾ (1) أي يحرقون بها صباح مساء. ومن العلماء من يرى المقصود بالنار هنا نار القبر ، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾(2) ففي الآية قلب ، إذ الأصل أن تعرض النار عليهم لأنها،الشيء المُعذَّب به لكن بقلب الإسناد كانت الاستعارة المكنية،وكأن تراجعَ النار متاع يُعرَض عليه آل فرعون غدوا وعشيا، زيادة في الإذلال والتبكيت ،يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم، فهناك قلب وتقدير الكلام(يدخلون النار يعرضون عليها) (3) .

ومن أمثلة التقدير المكاني قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ** ﴾ (4)

أي هم المطبوع على قلوبهم ، الذين علم الله أنه لا لطف لهم (5) .

ففي الآية الكريمة قلب تمثل في قوله تعالى: ﴿ **ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ** ﴾ (6) فالتقدير (ولقد ذرأنا جهنّم لكثير من الجنّ والإنس) أي من عصاتهم ، وهم المطبوع على قلوبهم، الذين علم الله أنه لا لطف لهم (7) فعدل عن الأصل فتولّدت بذلك استعارة مكنية ، حيث شبّهت جهنّم بشيء يُذرأ له وحذف المشبّه به، وكني عنه بأحد لوازمه (ذرأنا).

ومنه قوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ** ﴾ (8) ففي الآية قلب أيضا، فقد نهى الله عن اِقتراب الرجس،أي أمر باجتنابه،والمقصود (اِجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رجس كله، كما تتجنّب الأنجاس) إذ التقدير: فاجتنبوا الأوثان من الرجس، لأن عبادة الأوثان والإشراك بالله أكبر رجس

---

(1)- غافر/ 46.
(2)- غافر/ 46.-
(3)- الزمخشري- الكشاف- ج3- 170.
(4)- الأعراف/ 179.
(5)- الزمخشري- الكشاف- ج1- 179.
(6)- الأعراف/ 179.
(7)- محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير- ج2- 288.
(8)-الحج/ 30.

وكلّ الأرجاس دون الشرك بالله . نلحظ هنا تقديم ما حقّه التأخير لشناعة إتيانه، وهذا غاية المبالغة في النهي عن عبادة الأوثان .

ونجد القلب في الآية الكريمة ﴿ **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ (1) فالله سبحانه وتعالى لم يحرِّم على سيِّدنا موسى كلّ المراضع تحريم أمر أو نهي،لأن المراضع لسن من المحارم فوقع قلب في الإسناد ، إذ التقدير (وحرّمنا على المراضع أن يرضعنه من قبل) ووجه التحريم استعاره للمنع(2) وهذا راجعٌ إلى كونه لا يقبل إرضاعهنّ إيّاه ، من قبْل مجيء أمِّه . والوجه البلاغي يتجلّى في إسناد الفعل إلى غير ما وضع له أصلا (حرِّم على المراضع أن يرضعنه) .

ومن المقدّر البلاغي الحاصل عن القلب المكاني في التركيب قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ** ﴾(3) وسلكهُ السلسلةَ أن تلْوّى على جسده حتى تلتفّ عليه أثناؤُها،وهو فيما بينها مرهق مضيّق عليه، لا يقدر على حركة (4) فقد قدّم شبه الجملة للتخصيص ، أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعا، فهنا قصر موصوف على صفة. ﴿**ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ**﴾ (5) قدّم المفعول الثاني لمراعاة الفواصل، والأصل (ثمّ صلّوه الجحيم) ولكن بهذا تتكسّر الفواصل، ولبيان سوء المآل لمن لا يؤمن بالله.

ومن المقدّر المكاني في الأفعال بتقديم العين على الفاء جاءت منه أوزان مقلوبة ، في القرآن الكريم وللقراءات أثر في ذلك مثل ورود الصيغة (يعْفل، وتعْفل، بدل تفعَل) ومنه قراءة البزّار عن ابن كثير ﴿ **وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ** ﴾ (6) على (تأيسوا) أي لا تقنطوا من رحمة الله، وفرَجه وتنفيسه(8) فتأيسوا ، من الفعل (يئس) فعِل، لكن ورودها على (تأيسوا) قدّمت العين على الفاء بدليل

(1)- القصص/ 12.
(2)- الكشاف- ج3- 296.
(3)- الحاقة/ 32.
(4)- الكشاف- ج4- 604.
(5)- الحاقة/ 31.
(6)- يوسف/ 87.
(7)- الكشاف- ج2- 500.

قوله تعالى أيضا ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾(1)

ومنه صيغة (استفعل) كقراءة البزّار عن ابن كثير أيضا: ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ** ﴾ (2)

وقوله تعالى:﴿ **ولمّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً** ﴾ (3) من الفعل (يئس) فعِل، لكن القراءة كانت بقلب العين مكان الفاء ، والأصل (اِستأيس) على (استفعل) أمّا ما جاء على وزن (اِستعْفل) فقد عدّه بعضهم من (أيس) لا من (يئس) (4)

ومنه قلب صيغة (فعِل) إلى (فلعَ) كما في قراءة أبي جعفر وابن ذكوان على ابن عامر ﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَاءَى بِجَانِبِهِ** ﴾ (5) فالأصل في (ناء، نأي) لأن النأي البعد على وزن (فعل) أمّا (ناء) فوزنه (فلعَ) وقرئت (ناء).

ومنه التقديم والتأخير في الحروف الزائدة ، ونحو (ولا يتألَّ) بزنة (يتفعّل) في (ولا يأتل) بزنة (يفتعِل) في قراءة الحسن وابن عيّاش (6) في قوله تعالى: ﴿**وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ**﴾(7) وقراءة الجمهور ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ** ﴾ ومعناه (ولا يقصر ، ولا يحلف (8).

ومنه بيت اِمرئ القيس :

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه   بمدركِ أطرافِ الخطوب ولا آل (9)

---

(1)- يوسف/ 87.
(2)- يوسف/ 110.
(3)- يوسف/ 80.
(4)- محمد أحمد عبد الرحمن الطيب- القلب المكاني- 206.
(5)- الإسراء/83.
(6)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج5- 240.
(7)- النور/ 22.
(8)- صفوة التفاسير- ج2- 333.
(9)- البيت لإمرئ القيس في ديوانه –129. وهو من شواهد البحر المحيط – ج5- 215.

ومنه (جَأتَكَ) في (جَاءتْك) في قراءة الأعرج والأعمش (1) في قوله تعالى: ﴿ **بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا** ﴾ (2) بهمزة دون ألف، ولكن في القراءة قولان :

الأوّل: يحتمل أن تكون القراءة قصرا ، كقراءة قنبل.

الثاني: أن يكون في الكلمة قلب ،بأن قدمت اللام على العين ، فالتقى ساكنان ، فحذفت الألف لالتقائهما ، نحو: رمت وعزت.

القلب المكاني في الأسماء كتقديم عينها على فائها، من مثل (آفدة) في (أفئدة) جمع(فؤاد) في قراءة(4) وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ** ﴾ (5) وهذه القراءة يرى بعضهم أن لها وجهين :

الأوّل: أنها مقلوبة من (أفئدة) بزنة (أفعِلة) بتقديم الهمزة على الفاء، فصارت (أأفدة) فقلبت الهمزة ألفا ، فأصبحت (آفدة) فصار وزنها (أعْفلة) مقلوبة من (أفْعِلة) .

الثاني: أنها اسم فاعل بزنة (فاعلة) من (أفِد، يأفد) بمعنى (قرب ودنا) . ويكون بمعنى(عجل) وهو صفة لمحذوف ، تقديره (جماعة أو جماعات آفدة) .

وزن (أعْفل) ومنه لفظ أوّل في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ** ﴾ (6) فأوّل ، إمّا من (آلَ، يؤول) إذا رجع ، فأصله (أأول) بهمزتين، الأولى زائدة ، والثانية فاؤه بزنة (أفعل) ثمّ قلبت فأخرّت الباء بعد العين ، فصار (أوْأل) بزنة (أعْفل) ثمّ قلبت الهمزة الثانية واوا ، وأدغمت في الواو الأولى، وهذا مذهب الكوفيين. والقول الثاني أنها من (وألَ) إذا نجا، فأصله (أوْأل) ففاؤه وعينه واو، ثمّ خففت الهمزة الثانية بأن قلبت واوا، وأدغمت فيها الواو الأولى فصار (أوّل) بزنة (أفْعُل) (7) . وهناك رأي آخر على أنّ (أوّل) أصله (ووّل) بزنة (فَوْعَل) فأبدلت الواو الأولى همزة فصار (أوّل) بزنة(أفعل) (8) .

---

(1)- البحر المحيط- ج9- 215.
(2)- الزمر/ 59.
(3)- البحر المحيط- ج9- 215.
(4)- دون أن تنسب هذه القراءة – البحر المحيط- ج6- 447.
(5)- إبراهيم/ 37.
(6)- البقرة/ 41.
(7)- محمد أحمد عبد الرحمن الطيّب- مجلة الزهراء- 210
(8)- المرجع نفسه- 211.

وزن (مَعَافِلَة) ومنه (ملائكة) في (مَآلِكة) في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ (1) والملائكة ، جمع تكسير مُختلَف في أصله ، وفيه أربعة أقوال أهمّها: أنه مشتقّ من (ألَكّ) أي أرسل ، ففاؤه همزة ، وعينه لام، ومنه قول لبيد:

وغلامٍ أرسلتْه أمـّهُ بألوكٍ ، فبذلنا سألْ (2)

إذن، فأصل (ملك) (مالـَك) ثمّ نقلت العين إلى موضع الفاء ، والفاء إلى موضع العين، فصار (مَلأك) ثمّ نقلت حركة الهمزة إلى الساكن لصحيح قبلها، ثمّ حذفت الألف تخففا فصار(ملكا).

قال الشاعر:

فلستُ لإنـْسِيٍّ ولكنْ لملاكٍ تنزّل من جوّ السماء يصوبُ (3)

فصار وزنه الآن (معْفل) والجمع ملائكة، بوزن (مَعافِلة) .

تقديم اللام على الفاء على وزن (لفـْعاء) وذلك لكلمة (أشياء) في قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ (4) وفي أصل كلمة (أشياء) مذاهب خمسة أهمّها: أنّ أصلها (شَيْئاء) بهمزتين بينهما ألف، وهي (فعلاء) من الفعل (شَيءَ) وهذا رأي الخليل وسيبويه والمازني وجمهور البصريين (5) ولأجل همزة التأنيث لم يتصرّف، والهمزة الأولى التي هي لام الكلمة قدّمت فجعلت قبل الشين كراهية الهمزتين بينهما ألف خصوصا بعد الياء ، فصار وزنها (لفـْعاء) . وهذا يراه النحويون صحيحا لأنه من باب القلب المكاني للأصوات ، وهو موجود في كلام العرب ، كالجاه (عفـْل) من (وجُه) والحادي (عالف) من (وَحَد) وآرام (أرْآم) .

ومنه المقلوب (أفـْلع) للفظة (أولى) كما في قوله تعالى: ﴿ **فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ** ﴾(6) وقوله تعالى: ﴿ **أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى** ﴾ (7) . فقد اِختلف اللغويون في أصل (أولى) أهي اسم أم فعل؟

---

(1)- البقرة/ 30.
(2)- البيت للبيد من ديوانه – 123- ألوك من لاك أي أرسله، والألوك الرسالة والحاجة.
(3)- قائله علقمة الفحل- وهو من شواهد البحر المحيط- ج1- 222.
(4)- المائدة/ 101.
(5)- محمد أحمد عبد الرحمن الطيب- القلب المكاني- 215.
(6)- محمد/ 21/20.
(7)- القيامة/ 34.

فالأصمعي (1) يرى أنها فعل ماض بمعنى (قارب) وفاعله مضمر يدلّ عليه المعنى، وقد أضمر لكثرة الاستعمال كأنه قال (قارب لهم هو، أي الهلاك) (2) .

ومنه قول الشاعر:

فعادى بين هاديتين منها وأولى أن يزيد على الثلاث (3)

وجمهور النحاة يرى أنها على وزن (فعْلى) والألف فيها للإلحاق لا للتأنيث، أو هما على وزن (أفعل) وإليه ذهب أبو البقاء. فقدِّمت لام الكلمة على عينها فصارت (أفلع) بدل (أفعل) ، وهي غير متصرِّفة للعلمية ، وزنة الفعل.

ومن المقدّر للصيغ، ما جاء على وزن (فِلاع) ومنه قراءة قنبل عن ابن كثير (ضئاء) بهمزتين بينهما ألف على القلب المكاني، بتقديم اللام على العين ، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً ﴾ (4) فصار وزن (ضِئاء) على هذه القراءة (فلاعا) وأصله (فِعال) ضوء، فعْل، ضِواء، تعلّ الواو ياء لسبقها بكسر، فتصبح (ضياء) .

ومن القلب المكاني في التركيب والجمل قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾(5) أي قدّرها السقاة على مقدار حاجتهم (6) قدّروها، جعلها أبو علي الفارسي من المقلوب(7) قال كان اللفظ (قدّروا عليها) . وفي المعنى قلب أيضا، لأن حقيقة المعنى أن يقال (قُدّرَت عليهم) أي على مقدار حاجتهم إليها. قال ابن عبّاس :« أتوا بها على قدر الحاجة، لا يفضلون شيئا،ولا يشتهون بعدها شيئا»(8) .

---

(1)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج9- 470.
(2)- القلب المكاني- 220.
(3)- قائله مجهول- من شواهد همع الهوامع- ج1- 132.
(4)- يونس/ 5.
(5)- الإنسان/ 16.
(6)- صفوة التفاسير- ج3- 494.
(7)- البحر المحيط- ج10- 364.
(8)- تفسير الألوسي- ج29- 160.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ** ﴾ (1) أي أخبر يا محمد عن حال من ترك عبادة الله ، وعبد هواه ، أي هو مطواع لهوى النفس ، يتبع ما تدعوه إليه، فكأنما يعبده كما يعبد الرجل إلهه.

هناك من بين المفسِّرين من قال (2) بأنّ في الآية قلبا ، وأصل الكلام (أفرأيت من اِتـّخذ هواه إلهه) كما تقول (اتـّخذ الصنمَ معبودا) لكن قدّم المفعول الثاني على الأوّل للاهتمام به والتعجّب من شناعة الجرم(3).

﴿ **وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً** ﴾ (4) أي (جعل عذابَها ليلا ، أو في زمن القيلولة. وخصّ مجيء البأس بهذين الوقتين لأنهما وقتان للسكون والدعة والاستراحة،فمجيء العذاب فيهنا أشق وأفظع (5) . وقد اختلف المفسِّرون والنحاة في تخريج القلب في هذه الآية الكريمة فمنهم من يرى التقدير على هذا النحو (ومَا مِن قرية جاءها بأسنا فأهلكناها) ومنهم من يرى أنه لا حجة لهذا القلب إذ التقدير عندهم (وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا) كقوله:﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ (6) فالمعنى المقدّر الناتج عن القلب (أردنا إهلاكها فجاها بأسنا) لأن الإهلاك بعد مجيء البأس (7) . ويرى الفرّاء أن الإهلاك هو مجيء البأس ومجيء البأس هو الإهلاك، فلمّا كانا متلازمين ،لم يُبال بأيِّهما قدّمت الرتبة (8) ومنه قوله تعالى:﴿**فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ**﴾ (9) ضحكت سرورا بزوال الخيفة ، أو لهلاك أهل الخبائث (10) . فمنهم مَنْ حمل الآية على القلب إذ التقدير (11) (فبشـّرناها بإسحاق ، فضحكت

---

(1)- الجاثية/ 23.
(2)- الكشاف- ج4- 291.
(3)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج5- 48.
(4)- الأعراف/ 4.
(5)- الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج3- 272.
(6)- النحل/ 98.
(7)- الزمخشري- الكشاف- ج2- 87.
(8)- الفرّاء- معاني القرآن- ج1- 371.
(9)- هود/ 71.
(10)- الكشاف- ج2- 410.
(11)- الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج3- 280.

استبشارا وسرورا ، إذ الضحك كان بعد البشارة ، لا قبلها. وهناك من حمل الفعل (ضحكت) على معنى (حاضت بعد الكبر) فعادت إلى عادات النساء من الحيض والحمل والولادة، وإن كان هذا الرأي ضعّفه بعضهم لعدم ورود (ضحك) بمعنى (حاض)(1) .

ومن مواطن القلب قوله تعالى:﴿ **اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** ﴾ (2) أي (إذهب بهذا الكتاب وأوصله إلى ملكة سبأ وجُنْدها ، ثمّ انظر ماذا يردّون من جواب) (3) . فمن النحاة اللغويين من يرى أن الآية على التقدير، لأن فيها قلبا ناتجا عن التقديم والتأخير. فالتقدير على رأي أبي علي الفارسي (فانظر ماذا يرجعون ثمّ تولّ عنهم) وهو من قلب المعطوف ، كما يرى الزركشي (4) . ومنه قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى** ﴾(5) أي قرب فتعلّق في الهواء (6) أي اقترب جبريل من سيّدنا محمّد ﷺ ، وزاد في القرب منه (7)

فقد حملت الآية الكريمة على القلب إذ التقدير(ثمّ تدلّى جبريل عليه السلام من الأفق الأعلى فدنا من الرسول ﷺ لأنه تدلّى للدنوّ، ودنا بالتدلّي) فيكون إشعارا بأنه عرج به ، غير منفصل عن محلّه تقريرا لشدّة قوّته (8)

ومنه قوله تعالى: ﴿ **حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ** ﴾ (9) أي جدير بي ، وحقّ عليّ ألا أخبر عن الله إلا بما هو حقّ وصدق، فلمّا كان قول الحق حقيقا عليه ، كان هو حقيقا على قول الحق أي لازماً له (10) فهذا من المقلوب، كما يراه ابن هشام والزمخشري: فحقيق عليّ أن لا أقول – وهي قراءة نافع- أي أن ما لزمك فقد لزمَه .

---

(1)- المرجع السابق- 292.
(2)- النمل/ 28.
(3)- الصابوني- صفوة التفاسير- ج2- 407.
(4)- الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج3- 292.
(5)- النجم/ 8.
(6)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 406.
(7)- صفوة التفاسير- ج3- 272.
(8)- محمد أحمد عبد الرحمن – القلب المكاني- مجلة الزهراء- كلية الآداب- جامعة أسيوط- العدد 23- 2005- 178. ينظر: مغني اللبيب – ج2- 777- البرهان- ج3- 292.
(9)- الأعراف/ 105.
(10)- الكشاف- ج2- 136.

ومنه قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (1) فانشقاق القمر آية ظاهرة على هذا القرب ، وعلى مكانه في العقول والأذهان (2) . وروى ابن مسعود وعمرُ وأنسُ، أنّ قريشا سألت النبي ﷺ آية فانشق القمر . وهذا من المقلوب في نظر بعضهم ، إذ الأصل (اِنشق القمر واِقتربت الساعة) لأن اِنشقاق القمر دلالة على قرب الساعة، و(عن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثمّ قال: ألا إنّ الساعة قد اِقتربت ، وإنّ القمر قد اِنشق على عهد نبيِّكم)(3) .

ومنه قوله تعالى على لسان المشركين :﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾(4)

حُملت هذه الآية الكريمة على القلب ،إذ التقدير (نحيا ونموت) لأنهم لا يؤمنون بالبعث والنشور، أي لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا (5) .

ومن المقلوب ما ورد في قوله تعالى:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ (6) أي كذّبوه فيما حذرهم من زوال العذاب ، إن فعلوا (7) فالعقر نتيجة التكذيب ، ولهذا حُمِلت الآية على القلب، والتقدير (فعقروها فكذّبوه بالعقر) . وفي هذا يقول الطبري:« وقد يحتمل أن يكون التكذيب بالعقر، وإذا كان ذلك كذلك جاز تقديم التكذيب قبل العقر ، والعقر قبل التكذيب، وذلك أن كل فعل وقع عن سبب»(8)

القلب في الحال والمعطوف عليه:

من ذلك قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (9)أي الثناء الكامل مع التعظيم والإجلال لله الذي أنزل على رسوله محمد ﷺ القرآن،لا عوج في ألفاظه، ولا في المعاني، أي نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه (10) . يرى بعض النحاة والمفسّرين أنّ في الآية

---

(1)- القمر/ 1.
(2)- التفسير الواضح- ج2- 457.
(3)- الكشاف- ج4- 431.
(4)- الجاثية/ 24.
(5)- صفوة التفاسير- م30 -187. ينظر: الكشاف- ج4- 512.
(6)- الشمس/ الآية: 14.
(7)- الكشاف- ج4- 761.
(8)- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – جامع البيان في تفسير القرآن- ط1- ج3- 137.
(9)- الكهف/ 1.
(10)- الكشاف- ج3- 702.

قلبا، وأنّ المعنى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيّما ولم يجعل له عوجا) وعلى هذا التخريج تكون جملة (ولم يجعل له عوجا) جملة اعتراضية لا حالية ، وهذا قال به أبو حيان الأندلسي (1) . فقيّما حال للكتاب (القرآن) أي مستقيما، لا اختلاف فيه ولا تناقص، قال الطبري هذا من المقدّم والمؤخر، أي أنزل الكتاب قيّما ولم يجعل له عوجا ، لا اختلاف فيه ولا اعوجاج ، ولا ميل عن الحق (2) .

القلب في الفاعل والمفعول :

من ذلك قوله تعالى : ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾(3) التلقّي في الأصل الاستقبال أي تقبّل آدم دعوات من ربِّه وعمل بها بعدما علمها، فدعاه بها فتقبّل ربّه دعوته،فتاب عليه (4) . من المفسِّرين من رأى أنّ في الآية قلبا لأن آدم عليه وعلى نبيِّنا السلام هو المتلقّي للكلمات حقيقة، وقد يجوز أن ينسب التلقّي للكلمات لأنه قرئ بنصب (آدم) ورفع (الكلمات) على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به (5) وهذه الكلمات قوله تعالى﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**﴾ (6)

ومن هنا عدّت الآية الكريمة السابقة من المقلوب ، لكن الظاهر والحقيقة أن آدم عله السلام هو المتلقّي حقيقة، ولذا أميل إلى الرأي الأوّل ، وإن كان الرأي الثاني له ما يبرِّره.

ومن المقدّر الناتج عن المقلوب ما جاء في باب الإغراء ﴿ **كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ** ﴾ (7) من قوله:

﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾ (8) أي حرّم عليكم نكاح المتزوّجات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم . يريد : ما ملكت أيمانكم من اللاتي سُبين ولهنّ أزواج في دار الكفر ، فهنّ حلال للغزاة المسلمين (9) فالكوفيون (10) يرون أن (كتابَ) منصوب بفعل

(1)- البحر المحيط- ج7- 35.
(2)- الطبري- تفسير الطبري- ج15- 190.
(3)- البقرة/ 37.
(4)- الكشاف- ج1- 128.
(5)- الزمخشري – الكشاف- ج1- 274.
(6)- الأعراف/ 23.
(7)- النساء/ 24.
(8)- النساء/ 24.
(9)- الكشاف- ج1- 497.
(10)- ابن الأنباري- الإنصاف - ج1- 200.

محذوف على الإغراء (عليكم) والتقدير (عليكم كتابَ الله ، اِلزموا حدوده ومثاله﴿ **عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ (1) . قال الزمخشري : «كان المسلمون تذهب أنفسهم حسرة على الكفرة ، يتمنون دخولهم الإسلام ، فقيل لهم عليكم أنفسكم بإصلاحها » (2). ومعنى هذا أن القلب وقع في تقديم معمول اسم الفعل (عليكم) على رأي الكوفيين الذين يجيزون في الإغراء تقديم اسم الفعل (عليك، ودونك، وعندك) نحو: زيدا عليك، وبكرا دونك غير أن البصريين يمنعون ذلك، وكذلك الفرّاء من الكوفيين (3) . واحتجّوا بأبيات مشهورة من مثل:

يا أيّها المائحُ دَلْوي دونكا   إنِّي رأيْتُ الناسَ يحْمَدونكا

يُثنون خيراً ويُمجِّدونكا (4)

والتقدير فيه: دونك دلوي ، فـ(دلوي) في موضع نصب بـ(دونك) فدلَّ على جواز تقديمه(5) ومنه قوله تعالى:﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ** ﴾ (6) فنصب (صنعَ) على المصدر بفعل مقدّر ، وإنما قدّر هذا الفعل ولم يظهر لدلالة ما تقدّم وتقدير الكلام (صنع صنعاً اللهُ) فحذف الفعل ، وأضيف المصدر إلى الفاعل.

ومن **القلب المكاني في المضاف إليه والخبر** قوله تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** ﴾ (7) أي لكلِّ مدّة مضروبة كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ، وكلّ شيء عنده بمقدار،في كلِّ وقت حكمٌ يكتب على العباد،والشرائعُ مصالحُ تختلف باختلاف الأحوال(8) يُلاحظ في الآية قلبٌ مكاني نتج عن التقديم والتأخير، والتقدير (لكلِّ كتابٍ أجَلٌ) قاله الفرّاء

---

(1)- المائدة/ 105.
(2)- الكشاف- ج1- 685.
(3)- ابن الأنباري- الإنصاف- ج1- 200.
(4)- البيت لجارية ابن مازن- وهو من شواهد الإنصاف- ج1- 200.ينظر معاني القرآن وإعرابه-ج2- 36.
(5)- الإنصاف- ج1- 201.
(6)- النمل/ 88.
(7)- الرعد/ 38.
(8)- الكشاف- ج2- 534.

والضحّاك (1) أي لكلِّ أمرٍ كتبه الله -عزّ وجلّ- أجلٌ مؤقّت ووقت معلوم،نظيره قوله تعالى: ﴿**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ** ﴾ (2) أي (لكلّ خبر من أخبار الله ،عزّ وجلّ، يُعذبون به لابدّ من حصوله في حينه(3) . ومن القلب المكاني في **جواب الشرط** ،ما رآه بعض المفسِّرين للآية الكريمة ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ (4) أي إذا دنا وقت إهلاك قوم ، ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل ،أمرناهم ففسقوا ، فدمّرناهم وحاشاه تعالى أن يأمر بالفسق ، وإنما (صبّ عليهم النعمة صبّاً ، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتّباع الشهوات فحقّ عليهم العذاب (5) . رأى بعض المفسِّرين (6) في الآية قلبا إذ أنّ التقدير (وإذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا، واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم) (7) .

ومنه قوله تعالى: ﴿**أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ** ﴾ (8) فقد أقيم المسبّب مقام السبب، فقد عبّر عن القصد له بالقيام إليه (9) إذ لا يكون الوضوء مؤخرا عن القيام للصلاة ، إنما الطهارة تجب قبل القيام .

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ** ﴾ (10) فقيام

---

(1)- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- ج6- 397.
(2)- الأنعام/ 67.
(3)- الكشاف-ج2- 34/33.
(4)- الإسراء/ 16.
(5)- الكشاف- ج2- 654.
(6)- محمد عبد الرحمن الطيب- القلب المكاني- 171. ينظر: تفسير البيان للطوسي- ج6- 460/459.
(7)- الكشاف- ج2- 654.
(8)-المائدة/ 6.
(9)- الكشاف- ج1- 609.
(10)- النساء/ 102.

الطائفة معه ﷺ ، يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة، لأن إقامتها تعني الإتيان بها بجميع شروطها على الكمال، وإنما هذا خاص بصلاة الخوف (فلتقم طائفة معك) فاجعلهم طائفتين: فلتقم إحداهما معك فصلِّ بهم (1) .

ومن المقلوب الذي يخصّ التوكيد والمؤكـّد، قوله تعالى:﴿ **وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾ (2) جُدَد أي طرائقُ وخطوط مختلفة الألوان، وخطوط واحدتها خُطة وهي كلّ طريق في الجبل (3) بِيض مختلفة البياض، وحمر مختلفة في حمرتها، وسود شديدة السواد (غرابيب) . قال ابن الجزري : « قدُّم الوصفُ الأبلغُ وحقـّه أن يتأخر، وذلك لقصد التأكيد(4). وهذا من المقلوب لأن التقدير، سود غرابيب، فـ(غربيب) شديد السواد، فالأصل أسودُ غربيب، كما قالوا: (أسودُ حلـْكوك)(5) ولكنْ في الكلام تقديم وتأخير تولـّد عن قلب مكاني . وممّا يؤكد دلالة غربيب على شدّة السواد قول اِمرئ القيس في وصف فرسه:

العين طامحة، واليد سابحة والرجل لافحة، والوجه غربيب(6).

استنتاج:

القلب المكاني في القرآن الكريم ظاهرة موجودة تؤكدها السياقات المعدول عنها إلى غيرها.

يتبيّن أن القلب المكاني في القرآن الكريم، يمس الأصوات ،نحو (مَعيق) بدل (عـَميق) و(الصواقع) بدل (الصواعق) و(شرّذ) بالذال بدل (شرّد) بالدال، كقراءة ابن مسعود في قوله تعالى:﴿ **فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ** ﴾ (7) لمشاركتهما في الجهر ،أي بقلب صوت مكان صوت، أو تغيير صوت بآخر.

---

(1) - الكشاف- ج1- 559.
(2)- فاطر/ 27.
(3)- محمد التونجي- تفسير غرب ألفاظ القرآن- 103.
(4)-صفوة التفاسير-ج2- 574.
(5)- الكشاف- ج3- 610.
(6)- اِمرؤ القيس- الديوان- 416.
(7)- الأنفال/ 57.

كما تبيّن أن للقراءات – شاذة أو متواترة- دوراً في بعث التقدير المكاني، وأن هذا الأخير ظاهرة لغوية ،وسنة من سنن العرب في كلامها، كما هو الشأن في لفظة (غرابيب) كما جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ :« إن الله يُبغِض الشيخَ الغربيب » ويعني الذي يخضب بسواد.

إن للتقديم والتأخير أثراً في القلب المكاني ، فأحيانا لا تؤثر تانك الظاهرتان في المعنى ، مثل قوله تعالى:﴿ **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى** ﴾ (1) ففي الآية قلب مكاني لم يؤثر في المعنى ، وإنما كان لمراعاة الفواصل، والتقدير(ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمّى لكان لزاما) . بينما هناك قلب له تأثير في السياق ، ويغيّر المعنى ، كقوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾ (2) ففي الآية قلبٌ مكاني غيّر المعنى بتغيّر الإسناد، إذ التقدير (وجاءت سكرة الحق بالموت (3) ذلك ما كنت منه تحيد) فسكرة الحق ، السكرة الأخيرة، وقيل الحق الله تعالى فهي نهاية لحياة دنيوية ، فكان الموت الذي ظلّ الإنسان يتفلّتُ منه يمينا وشمالا بالمداواة والمداراة ، وينفر منه ويهرب بشتى الوسائل والطرق(4). إذن هنا قلب مكاني أثر في المعنى ،وأكسب السياق دلالة جديدة.

القلب المكاني يصيب الصيغ ،كما يصيب التراكيب، فيتغيّر وزن الصيغة بقلب صوت مكان آخر نحو (حادي) من (وحد) واسم الفاعل(واحد) فاعل، لكن (حادي) الياء فيه منقلبة عن أصل واوي لتطرفها ، وانكسار ما قبلها (حادِو) فقلبت ياءً لمجانسة الكسرة، فأصبح الوزن (عالف) بدل(فاعل) و(عدة) من (وَعَد) فعَل، ومنه (وَعْد) فعْل، أمّا (عدة) فوزنها (عِلَفٌ) لأن التاء فيه للعوض عن فاء الكلمة أوالواو. هذه الفاء تحذف مضارعاً ، وأمراً، ومصدراً نحو: (ورَد يَردُ) يعِل، رِدْ، عِلْ، ردَة عِلف.

والقلب المكاني الذي يصيب الأصوات يكون في الأصوات المتجاورة، قريبة المخارج المشتركة في

---

(1)- طه/ 129.
(2)- ق/ 19.
(3)- الكشاف- ج4- 385. وهي قراءة أبي بكر وابن مسعود ،رضوان الله عليهما.
(4)- محمد محمود حجازي- التفسير الواضح- ج2- 437.

الصفات، مثل الهاء والهمزة، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾(1) والهمزة الشديدة أنسب في هذا المقام ، أي تهزّهم هزّاً قويّا . فالهمزة والهاء حرفان حلقيان، ولهذا يتبادلان المكان . قال الأصمعي :« يقال للصّبا أيْر وهَيْر، ويقال للقشور في أصول الشعر إبرية وهبرية»(2)

أحيانا يجوز الأخذ بالقلب المكاني ، كما يجوز إلغاؤه، وذلك إذا لم يخلّ بالمعنى ، كما في قوله تعالى في سورة النمل، على لسان سيِّدنا سليمان عليه السلام:﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾(3) فهنا يجوز القلب، ويكون التقدير كما سبق ذكره (فانظر ماذا يرجعون ثمّ تولّ عنه) أي تنحّ إلى مكان قريب تتوارى فيه، ليكون ما يقولونه بمسمع منك مستترا عنهم،فانظر ماذا يردّون من جواب(4) .

فقد انقسم النحاة والمفسِّرون حيال الأخذ بالقلب المكاني،ورفضه، آراء ثلاثة:

رأي يرفضه وينزّه القرآن الكريم منه ،وعلى رأس هؤلاء المفسّر النحوي أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ،وأبو جعفر النحاس. ورأي ثان يقول به مطلقا بشرط عدم اللبس ، ومن هؤلاء المبرّد وابن هشام . ورأي ينفي الأخذ به إلا إذا كان ذا لطيفة ، وعلى هذا الرأي محمد بن علي الجرجاني.

وما أميل إليه أن القلب المكاني ظاهرة لغوية موجودة في الشعر وبكثرة ، دعت إليها الضرائر ولكن النثر لا يخلو منها. والقرآن الكريم لا يخلو منها أيضا، سواء في الصيغ أو في الجمل، دعت إليها دواع ، كالقراءات ، واختلاف لغات العرب،واشتراك الأصوات في المخارج والصفات، ومحاولة المفسِّرين تخريج الآيات تخريجا يتماشى والسياق القرآني ، كما في قوله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ

---

(1)- مريم/ 83.
(2)- أبو علي القالي- منشورات الآمال- مراجعة لجنة إحياء التراث العربي- دار الآفاق الجديدة- بيروت- طبعة مصحّحة- 1400هـ/ 1980- ج2- 68.
(3)- النمل/ 28.
(4)- الكشاف- ج2- 363.

أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (1) قال المفسِّرون في الآية قلب، فما معنى قوله (أهلكناها فجاءها بأسنا؟ والإهلاك إنما بعد مجيء البأس، والمعنى عندهم (أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا) ، وذكرت القرية، وأريد أهلها، والتقدير(وكم من أهل قرية) لكن عدل عن (أهل) إلى (القرية) . ذكر المحلّ وإرادة الحال نيابة، ثمّ ذكر القرية دون الأهل للشمول وعموم الإهلاك، بهذا دلّ على أنّ جميع مَن في القرية، و ما فيها، إلا وشمله الوبار والهلاك. وهذا له نظير في سورة يوسف إذ قال إخوته ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ (2)أي أهلها، ولكن عمّم ليفيد الشمول فالقرية تضمن ساكنيها، وأشجارها التي استظلوا بها ،إن استظلوا، والطرق التي سلوكها، والأماكن التي تنقلوا عبرها ، وفي هذا تعميم للمسؤول وتأكيد لهم على صدقهم.

---

(1)- الأعراف/ 4.
(2)- يوسف/ 82.

خاتمة

خاتمة .

- التقدير ظاهرة لغوية لجأ إليها النحاة لإيجاد مسوّغ لأوضاع التراكيب التي خرجت على الأصول ، وذلك لردّ العدول إلى الأصل. مع الملاحظ بأنّ النحاة الأوائل لم يولوا التقدير بتعريف - فيما أعلم-
- أوّل ما درج مصطلح " التقدير" كان على ألسنة المُفسِّرين كـ (عبد الله بن عبّاس) رضي الله عنهما و(قتادة) و(عكرمة) وهذا ما أثبته (أبو حيّان الأندلسي) في " البحر المحيط" .
- يعتبر التقدير عند المفسِّرين باباً من أبواب الاتّساع،لتحديد معاني الآيات التي خالف ظاهرُ تركيبها الأصلَ الذي يُسمّى المعنى النحوي الذي ينشأ من تركيب الألفاظ بالإسناد أو الإضافة. ويعني هذا أنّ المعنى النحوي رابط بين عناصر التركيب حسب ترتيبها في النفس قبل سبكها واقعاً ، إذ مضمون الكلام لفظ حامل ، ومعنى به قائمٌ ينتظمهما رابط.
- لقد كانت فئة المفسِّرين النحاة أكثر الفئات معايشةً للتقدير في النصِّ القرآني بصياغاته المختلفة ، وأساليبه متعدِّدة التراكيب، من تقديم وتأخير، ونفي وإثبات، وتخصيص،واشتغال وهذا ما حملهم على الغوص في بُناه،مُستعينين بالتقدير لتخريج الآيات تخريجاً يتماشى وسياقها، ويقود إلى استنباط الأحكام الواردة فيها، وإدراك روعة نظمها. فكان (أبو عبيدة) بمجازه و(الفرّاء) بمعاني القرآن، و(الأخفش) بمعاني القرآن وإعرابه، و(النحاس) و(ابن خالويه) وغيرهم. والنماذج المُقدّمة في الفصل الثاني تثبت أهمِّية التقدير عند المفسِّرين .
- أجرى النحاة التقدير وفق قوانين اِرتأوْها، وشروط حدّدوها، حتى يحافظوا على الأصل. وهذا،لأنّ التقدير يتمّ انطلاقاً من مبدإ الأصل والفرع الذي عماده القياس عند الجمهور واستصحاب الحال عند بعض النحاة، فما ساير القياس أخذوا به، وما خالفه قدّروا له ليردّوه إلى القاعدة، أو على الأقلِّ ليجدوا له مخرجاً مقبولا. وإن كان عندهم أنّ الأصل عدمُ التقدير. والمعوّل عليه الأقرب مأخذاً ،والأكثر إيجازاً. وأنّ التقدير يكون في موضعه ،بمعنى لا يُقدّر إلا في الموضع الذي حدث فيه العدول.
- كما كان لنظريّة العامل وما أثارته من ردود –رفضا وقبولا- دورٌ في التقدير، إذ للعامل - حذفا وتنوّعا - أثرٌ في بعث التقدير ،وبيان نوعية المقدّر.

- لقد راعى الآخذون بالتقدير في القرآن الكريم مبدأ الأصل والفرع الذي كان عماد القياس والذي هو بدوره عماد النحو أيضا، سواء كان أولئك مفسِّرين أم مُعربي القرآن. وانطلاقا من هذا المبدإ، كان إجراؤهم للتقدير في الآيات الكريمة، وكانت تخريجاتهم للسياقات التي تبدو كأنها منزاحة، ومعدول عنها. وهذا ما ساعدهم على استخراج الأحكام،وتفسير ما استغلق من المسائل، وذلك بالرجوع إلى الأصول، سواء كان ذلك على مستوى الرتبة،أو العامل ظاهراً أو مضمرا، مذكورا أم محذوفا.
- إذا عدنا إلى مشتقات جذر " التقدير" في القرآن الكريم، نجدها قد وردت بصيغ مختلفة حسب السياق والمقام، وتكرّرت ستا وأربعين ومائة مرّة(حسب المعجم المفهرس) على صيغة اسم الفاعل ،واسم المفعول،وصيغة المبالغة،والمصدر. ودارت معانيها- حسب الجدول المُثبت بداية الفصل الأوّل- حول المعاني التالية: القدرة الإلهية المطلقة،والطاقة والتضييق، والإمكان والتعظيم،والحساب المُحكم، والتصيير، والحدّ، والإيجاد، والأجل والتعداد، والمقدار المعيّن والتهيئة لما يصلح والحكم ، والقضاء المحتوم ، والإحكام والتدبير، والزمن، والحين.
- للتقدير آلياتٌ يتمّ من خلالها، ويكون نتيجة ظواهر معينة يتطلبها المقام، من ذلك الحذف الذي يطال الأصوات، والمعجم، والجملة برمّتها. وفي الحذوف يكون التقدير لردِّ العدول إلى الأصل فيتيح تخريجاً للسياقات القرآنية التي أملتها أنساقٌ مقامية، تطلّبها التشريع من حِلّ وتحريم، وإباحة وتخيير، وتبيان أحكام في العبادات والمعاملات.
- من أنواع الحذوف التي وردت في القرآن الكريم: الاقتطاع ونعني به حذف بعض أجزاء الكلمة، وحذف الاكتفاء بإبقاء شيء من شيئين متلازمين لنكتة بلاغية . أمّا النوع الثّالث فيتمثّل في الاحتباك، و يتمّ بدمج عناصر سياقية بحيث لا يصل السامع إلى تحديدها إلا بعد تأمّل وتقليب، كما هو مثبت في مبحث " المقدّر البلاغي".
- إنّ التقدير الذي كان نتيجة للحذف مسّ جميع عناصر التركيب،من مسند ومسند إليه، وفضلة وهذا تثبته الشواهد المقدّمة في الجانب التطبيقي.

- ومن أهمّ مسوّغات التقدير- إضافة إلى الحذف- التضمين الذي يعني إشراب لفظ معنى لفظ آخر أو صوت معنى صوت آخر. وقد ورد في سور كثيرة على أوجه مختلفة، استغلها المفسِّرون في تخريج الأحكام. والشّواهد كثيرة عنه في الفصل الثالث من البحث.
- قد نجم التقدير أيضا عن الحمل على المعنى الذي عند بعضهم يُعدّ توهما الذي عُدّ صورة من صور التخريج، بقصد تفسير سياق تركيبي، أو ظاهرة صوتية ليس لها قاعدة في الظاهر. واختلف النحاة في الأخذ بالتوهّم وردِّه بعضهم، بحجّة ألا توهّم في القرآن الكريم، بينما أخذ به آخرون لكونه ظاهرة لغوية عرفها العرب قبل نزول القرآن ، ووردت في أشعارهم. وعُرف التوهّم بلفظ الغلط عند سيبويه. وكان يقصد به الاتّساع في تخريج الظاهرة. وقد خرِّجت الآيات في مواطن كثيرة على التوهّم، كما أشير إلى ذلك في المبحث الخاصّ به.
- تبيّن من البحث أنّ التقدير لم يكن في الجانب المعجمي والنحوي فحسب، بل شمل أيضاً الجانب الصوتي، والبلاغي. وكان له تأثير في كشف مواطن الإعجاز في القرآن، وبواعث اللطائف البلاغية.

نتائج التقدير الصوتي:

وفيما يخصّ المقدّر الصوتي ،فقد كان على مستوى نوعية الأصوات في الألفاظ، وصفاتها وتوارد بعضها دون آخر،مراعاة للمقام،بقصد تشخيص الدلالة،من تفخيم وتعظيم، أو تحقير وإنكار. كما كان ذلك على مستوى المقاطع بحذف بعض منها،أو بإدغام بعض الأصوات في مماثلها،أو مشاركها في الصفة والمخرج، ممّا يُعطي الألفاظ جرْساً خاصّاً ينسجم والجوّ العامّ للآية، ويتجانس وسياقها. من ذلك تجاور الأصوات متنافرة الصفات،متباعدة المخارج كصوتيْ الضاد والزاي في (ضِيزى)لأنّ المقام يستدعي الاستغراب، ويتطلّب الاستهجان والتنفير ممّا ذهبوا إليه في حقّ الله. وفي المقابل،تجانس الأصوات تكراراً وصفة، ممّا يُكسب الكلمة جرساً هامساً يتطلّبه المقام ،كما في لفظتيْ (عسعس،تنفّس) الذي أضفى على التركيب وقعاً هامساً تناسق وتخييم الليل وانبلاج الصبح.

- كان لتشكيل الصيغة في القرآن الكريم دورٌ بارزٌ في تحديد المعاني و تنوّعها،قوّة ولينا،شدّة و انبساطا. ومن ثمّ، كان لها أثر في تقريب المفاهيم التي تزخر بها الآيات، وتوضيح

الدلالات الضافية التي تنساب من بين الصيغ المُشكّلة تشكيلا خاصّا، ممّا جعل النفوس تعي المجرّدات، وتتصوّر كلّ ما هو آت، ممّا هو غيبي، متعلّق بالآخرة، وحتميّ من مآل وجزاء،وما هو خاصّ بقدرة الله تعالى التي لا تضاهى، وإرادته النافذة في الوجود. وجاءت هذه الصيغ متنوّعة، أهمّها صيغتا (**تتفعّل**) و(**تتفاعل**) بإثبات التاء وبحذفها (تلظّى، تميّز وتتشقّق) وهذا لبيان هول الموقف،وقوّة المعنى، وضراوة المُخبر عنه. كما جاءت على وزن (**فعّل**) للتكثير، والمبالغة، مثل (سوّى، وقدّر، وسبّح) وبالبناء للمجهول (**فُعِّل**) مثل (كوِّر تسُجِّرت، زوِّجت) للمعرفة بالفاعل معرفة مطلقة.وبالبناء للمعلوم على وزن (**انفعل**) لمطاوعة الأشياء لخالقها نحو (انفطرت، انشقّت).

- وُظّف الإدغام في مختلف الصيغ لتأكيد معان، وتوضيح دلالات معيّنة (تزكّى،دسّ، شققنا المُكذبين). وقد طغى إدغام المَثلين. وورد بصيغ (**تفعّل، فعّل، انفعل، فُعِّل**) مثل (تولّى،صلّى،انشقّ،دُكّت،كوِّرت). وجاء الإدغام في الأسماء ،وزن(**فاعِل،وفعّال**) مثل (والطارق،الثّاقب،وهّاج،ثجّاج...)ولهذا علاقة بالتقدير،إذ المُقدّر فيه مُدغَم زاد قوّة وتوسيعا.
- ومن مظاهر التقدير الصوتي أيضا،الإبدال الذي أتاح معانيَ جديدة، ومسّ اللفظ فسهّل نطقه وحقق خفّته ، فانتظم ضمن التركيب . ومن الأصوات المبدلة، الأصوات المتجانسة صفة كالميم والنون (الغنّة) أو المتقاربة مخرجا كالتاء والدال ، والتاء والطاء (ادّكر،اصطرخ) . وكان ذلك، للخفة وتأدية معان إضافية ، بإحداث صيغ جديدة يتطلبها الموقف كما هو الشأن بالنسبة إلى صيغة (**افتعل**) : ارتضى ، بإعلال الواو ألفاً من (ارتضو) و (اتّسق) من (اوتسق).
- ومن مظاهر التقدير الصوتي، الفاصلة التي تتيح إبراز الفروق بين المعاني المختلفة في الآيات،بعكس الأسجاع التي تكون المعاني تابعة لها. والفواصل تسهم في تقريب المعاني إلى الأذهان بطريقة مجانسة الجرس للفظ المصاحب للمعنى قوة وليناً، تبشيرا وإنذاراً، طمأنة وتخويفاً، سواءً كان ذلك بالحروف المشتركة صفة، كالغُنّة في الميم والنون، وكصفة الشدّة بين الباء والدّال، أو بالإيقاع التكراري الذي كان له أبلغ وقع وأروع جرس، وأشدّ تأثير في الأسماع،نحو قوله تعالى في سورة " نوح":﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً**

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾[10-11-12] فالفاصلة بالرّاء المشبعة أنتجت التناغم الصّوتي الأخاذ، والتآنس النّغمي المتمائس،فإذا المعاني محدودة المعالم، وإذا الألفاظ متآنسة،وإذا الأسماع تستزيد، مع تقدير المفعول بعد (غفـّار) الذنوب.

- وقد يصيب التركيب حذف، ويلحقه تقديم وتأخير مراعاة للفواصل، كما أشير إلى ذلك في المبحث " المقدّر الصّوتي".
- بعد دراسة المقاطع في التركيب القرآني، تبيّن أنّها تتغيّر طولا وقصراً نتيجة حذف بعض الأصوات منها ، ممّا يعطي دلالة إضافية للفظة داخل التركيب. كلفظة (تجسّسوا) والتقدير (تتجسّسوا) التي تفيد المطاوعة وتكلّف الحدث، لكن حذف تاء (تتفعّل) أفاد هنا النهي المطلق لما في التجسّس من هتك لأسرار الناس وكشف لعوراتهم.
- كان للقلب المكاني دورٌ في التقدير، ومن ثمّ في تخريج أوضاع الكلم التي جاءت على غير الأصل ، سواء كان ذلك خاصّا بالأصوات،أو بالألفاظ ، أو التركيب.

نتائج التقدير المعجمي:

- أمّا فيما يخصّ المستوى المعجمي فنجد الألفاظ معبِّرة عن المعاني أصدق تعبير، فإذا كان المعنى للترغيب والتحبيب والبُشرى،نجد الألفاظ تلين متناغمة، خضلة تجعل السامع يتشوّف إلى المرغوب، ويتعجّله (سِدرٍ مخضود،وطلح منضود،وظلّ ممدود،وماء مسكوب،وفاكهة كثيرة). وأمّا إن كان المقام يتطلب التحذير والتخويف والتهويل،فتكون الألفاظ القوية ذات الأجراس المُجلجلة مُؤدِّية إلى المعاني في روعةٍ أخـّاذة،حتى لكأنّ السامع يعيش الأهوال حقيقة. من ذلك لفظة (يصْـطرخون) فتجاور الصاد والطاء المُفخـّميْن المطبقيْن والراء التكرارية،والخاء المهموسة،أكسب الكلمة قوّة ودلالة، خاصّة لتصوير حالة الكفار وهم في أتون اللهب،اختلطت اصطراخاتهم من شدّة العذاب وأوار الضرام.

نتائج التقدير النحوي:

- لقد اعتمد المفسِّرون التقدير وسيلة لتخريج معاني الآيات، واستنباط الأحكام، وتحديد الأوجه التي تعنّ من خلال تحديد وظيفة الوحدات التركيبية في الآيات، وأثر ذلك في تنوّع المعاني والأحكام كتنوّع أوجه إعراب (ما)و(منْ) و(أيّ) وكتضمين الألفاظ معاني ألفاظ أخرى، وما ينجم عن التعريف والتنكير، والتخصيص والعموم، والتقديم والتأخير،وأثر ذلك وغيره في التفسير. ومن أمثلة التقديرات الناجمة عن مثل ذلك ما جاء في قوله تعالى في حكم العدّة بالنسبة للمطلقات المدخول بهنّ ﴿ **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ** ﴾[الطلاق/4] والتقدير بالنسبة لـ(اللائي لم يحضن)كما حدّدها القرطبي (فعدّتهنّ ثلاثة أشهر) فالحكم جاء بتقدير الجملة الاسمية المحذوفة المخبر بها عن المبتدإ الأوّل.والحكمة الشرعية في جعل عدّة اللائي لم يحضن ثلاثة أشهر عدم الإقراء فيها عادةً.

فتأمّل دور التقديرات النحوية في تخريج الآيات واستنباط الأحكام، ولنتأمّل دور التقدير في تبيين ما جاء ظاهره موهماً مخالفة النظام النحوي، ومن ثمّ يوحي بتناقض التركيب والمعنى المقصود. وذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾[الأنعام/ 151]

فظاهر الآية يعرض بأنّ المحرّم هو نفي الشرك(ما حرّم عليكم ألا تشركوا) وهذا مُجانف للحقيقة الإيمانية. والمُراد لا يتمّ إلا بالتقدير عن طريق التأويل أي مفاده، كما ذهب إليه المفسِّرون أنّ الله تعالى قال لنبيِّه عليه السلام: قل لهؤلاء تعالوا أتلُ ما حرّم ربّكم عليكم، فلمّا اجتمعوا إليه، قال لهم: وصّاكم ربّكم ألا تشركوا به شيئا فلولا التقدير لما استقام المعنى،ولما تبيّنت الدلالة.

نتائج التقدير البلاغي:

نجد المقدّر البلاغي يختلف باختلاف الأوجه البلاغية الخاصّة بالتركيب، فهو إمّا ناتج عن الصور المختلفة من خلال الحذف،أو القلب المكاني تبعا لاختلاف القراءات، تقديما وتأخيرا على مستوى الأصوات، والمعجم، والتركيب. وقد تبُدّل الأصوات متقاربة المخارج، مشتركة الصفة

فتوقع جرساً خاصّاً يقرع الأسماع،قوّة وشدّة، وقد نجد الحرف المبدل يدغدغ المسامع همسا ولينا. كما مسّ المقدّر البلاغي التركيب بتبديل الإسناد، ممّا يحدث قلباً في أوضاع الكلم ممّا يتطلب تحويل الدلالة من الظاهر إلى الباطن لاكتشاف المعاني المكتنّة في طيّات التركيب الظاهر، وإن شئنا قلنا الوصول إلى البنية العميقة من خلال البنية الظاهرة. وهذا يحفز السامع ويشوقه ويدعوه إلى التأمّل، وإعمال العقل للوصول إلى الحقائق الكونية، والأسرار الربّانية التي أودعها الله في خلقه واستودعها مخلوقاته والتي تجعل الفكر يسبح في ملكوت الله، وبديع صنعه.

كما أنّ المقدّر البلاغي شمل السور أيضا بطرق شتى كالتضمين، والحذف، والتشخيص أحيانا ممّا يحفز السامع بالتلميح، ويشوقه بالإشارة، ويروعه بالتصوير،كإنزال القرية منزلة أهلها (واسأل القرية) لتنويع الشاهد وتبرير الشهادة، أو بث الحركة، والفعل في المعقولات بقصد إحداث وقع شديد بإسناد الفعل إلى سكرة الموت(وجاءت سكرة الموت بالحق) وهذا التغيير في الإسناد أحدث زلزلة في نفس السامع، والأصل(وجاءت سكرة الحق بالموت) لكن لمّا كان الموت حقا لا مراء فيه ، ولا مناص، أسند إليه الفعل.

- يتبيّن من نتائج هذا البحث المتواضع أنّ التقدير لا يقتصر على المُقدّر النحوي، بل يتعدّاه إلى الصوتي، والبلاغي. وهذان المُقدّران الأخيران لا يقِلان أهمِّية عن التقدير النحوي،حيث كان لهما أثرٌ كبيرٌ في إبراز المعاني السامية، وجلاء الحقائق القرآنية، وتقريب الغوامض الغيبية إلى الأذهان،وإعطاء دلالات تزخر بها الألفاظ القرآنية، وتكشف عن جلال الأسلوب القرآني، المتفرّد في نظمه، إذ الأصوات أوعية المعاني، وأجسامها، بل هي أمشاج اللغة وإكسيرها.

وإن كان البحث قد حاول الوصول إلى أهمِّية المقدّر الصّوتي في إنشاء الصيغ، وتفريع الدلالات وتنويع المعاني وتصوير الأحداث، وبث الحياة والحركة في أوصال اللغة، وشحنها بطاقة ما كان لها أن تكون لولا هذا المقدّر الصوتي،قلباً،وحذفا، وإدغاما، وإبدال مكان وأماط البحث اللثام عن بعض أنواع المقدّر البلاغي الذي يزخر به القرآن الكريم ومكّن من كشف أسرار السّياقات القرآنية، ومكمن السحر البياني في الآيات، وعلاقة ذلك بالتبليغ واستنباط الأحكام، قلت فإن كان البحث قد حاول أن يتلمّس طريقه بين هذا وذاك، بلهَ سعيَه

إلى تحديد المقدّر النحوي في القرآن، وعلاقته بالمُقدّريْن الصوتي والبلاغي،فإنِّي أرى أنّ ما توصّلت إليه قليلٌ ممّا يجب بحثه ، وما أثير لا يرقى إلى أهمِّية المقدّريْن المذكوريْن لأنّ جهد فرد لا يفي بالغرض مهما كان العمل، واشتدّ النصب. وبحث متواضع مثل هذا، لا يحقق المُراد، خاصّة مع تنوّع المقدّرات، والنصّ هو القرآن الكريم.

لذا آمُل أن تكون الآفاق أرحب، وأوسع، وأن يتولّى دراسة المقدّر عامّة، والصوتي والبلاغي في القرآن خاصّة، فِرق بحث، حيث يتّسع رحاب الدراسة، ولكن، بدقة وتعمّق لتقصِّي عناصر هذين المجالين، إذ جهد الجماعة أوفر حظا، وأكثر تنقيبا، وأشدّ تنقيرا.

وقد بدا لي من خلال عملي المتواضع هذا، أنه إن تبنّت فرقة دراسة المقدّرين المذكورين فستكتشف – بإذن الله- من خلال البحث والدِّراسة أسرارا عجيبة، وستتوصّل إلى حقائق جديدة، يكون للصوت القرآني دورٌ في إبرازها، وللمقدّر البلاغي شأن في تخريجها وفق معان متميّزة في الأحكام، ما كانت لتظهر لولا هذه الصورة المقدّرة.

المصادر و المراجع

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم (المصحف الشريف برواية حفص) لأنّ معظم التفاسير المعتمدة كانت بهذه الرواية.

1. إبراهيم أنيس- محاضرة " هدى الفواصل القرآنية" – مجمع اللغة العربية- القاهرة – 1962/1961.
2. " - موسيقى الشعر- موسيقى الشعر- طبعة 1965- مصر
3. إبراهيم مصطفى- إحياء النحو- لجنة التأليف والترجمة والنشر-1937-
4. ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات- الإغراب في جدل الإعراب –تحـ: سعيد الأفغاني-دار الفكر بيروت- ط2- 1971-
5. " - الإنصاف في مسائل الخلاف- دار الطلائع للنشر- القاهرة- د.ت-
6. " - لمع الأدلة في أصول النحو- تحـ: سعيد الأفغاني- مطبعة الجامعة السورية – 1377هـ/ 1957م-
7. " - البيان في غريب القرآن- تحـ: طه عبد الحميد طه- اللجنة العامّة للتأليف والترجمة والنشر- القاهرة- 1390هـ/ 1970م-
8. ابن الجزري - النشر في القراءات العشر- تصحيح ومراجعة: علي محمد الصباغ- المكتبة التجارية الكبرى- القاهرة- د.ت-
9. ابن جني، أبو الفتح عثمان – الخصائص- تحـ: محمد علي النجار- دار الهدى للطباعة- بيروت- لبنان.
10. " - سرّ صناعة الإعراب- دار الكتب- القاهرة- 1370هـ-
11. " - اللمع في العربية –تحـ: الدكتور حسنين محمد محمد شرف- ط 1- 1398هـ/ 1978م- جامعة القاهرة-
12. " - المحتسب في وجوه شواذ القراءات الإيضاح عنها – دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان - ط1- 1419هـ/ 1998م-
13. ابن الحاجب- شرح الكافية للاستراباذي- دار الكتب العلمية- د ت-
14. ابن حجرالعسقلاني(ت 852هـ)- فتح الباري لشرح صحيح البخاري- تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي ومحبّ الدين الخطيب- دار الريّان للتراث- ط1- 1987-
15. ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد –إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم –دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- د ت
16. ابن السرّاج- الأصول في النحو- مؤسسة الرِّسالة- بيروت- لبنان- ط4- 1420هـ/1999.

ابن سهل ، أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي-

17. أصول السرخسي- حقق أصوله أبو الوفاء الأفغاني-عنيت بنشره لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد-مطابع دار الكتاب العربي1372هـ-
18. ابن سينا- أسباب حدوث الحروف- مراجعة وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد-مكتبة الكليات الأزهرية- الصادقية- القاهرة – 1398هـ/1978م-
19. ابن العربي- أحكام القرآن- دار الفكر – بيروت- لبنان- 1392هـ/ 1972-
20. ابن عصفور- ضرائر الشعر- تحـ: السيد إبراهيم محمد- دار الأندلس- بيروت- لبنان- 1402هـ/1982م.
21. ابن قتيبة- تأويل مشكل القرآن- تحـ: أحمد صقر- دار التراث- القاهرة- ط 1954-و ط2- 1973
22. ابن قيم الجوزية- بدائع الفوائد- دار الفكر- بيروت- لبنان- د. ت-

23. ابن ماجة- صحيح ابن ماجة- مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض- ط3- 1408هـ/1988م.
24. ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى- كتاب السبعة في القراءات –تحقيق شوقي ضيف- دار المعارف – القاهرة- ط2- 1980م-
25. ابن مضاء القرطبي- الردّ على النحاة- تحقيق الدكتور شوقي ضيف- مطبعة دار المعارف-ط2-1982م
26. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم- لسان العرب- الدار المصرية العامّة للتأليف والأنباء والنشر- وطبعة دار صادر- بيروت- لبنان- ط3- 1414هـ/1999م-
27. ابن هشام ، جمال الدين- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط2 1424هـ/ 2003-
28. " - مغني اللبيب- حققه وخرّج شواهده: مازن المبارك- مراقبة: سعيد الأفغاني- ط2- 1969
29. ابن يعيش- شرح المفصّل- طبعة عالم الكتب- مكتبة المتنبي- القاهرة- 1978-
30. أبو البقاء الكفوي- الكليات- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق- ط 2-1982-
31. أبو جعفر أحمد النحاس- إعراب القرآن- تحـ: زهيد غازي زاهد- عالم الكتب والنهضة العربي- ط2- 1985-
32. أبو حامد الغزالي- المستصفى من علم الأصول- المكتبة الأميرية ببولاق- ط:1-1322هـ-
33. أبو الحسن البصري- المعتمد في أصول الفقه- قدم له وضبطه الشيخ خليل الميس-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1-1403هـ-1983مـ-
34. أبو الحسن الرماني- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل- تحـ: محمد زغلول سلام وزميله- ط . دار المعارف- مصر-
35. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- 1992/1412-
36. أبو عبد المرزباني- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء- تحقيق محمد حسين شمس الدين-دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان- ط:1- 1415هـ-1998م-
37. أبو عبيدة معمر بن المثنى- مجاز القرآن- تحـ: محمد فؤاد سزكين- مكتبة الخانجي- 1955/ 1962-
38. أبو علي القالي- الأمالي- منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت- لبنان- ط 1400هـ/1900م.
39. أبو القاسم الزجاجي- مجالس العلماء –تحـ: عبد السلام هارون – وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت- ط 1962م-
40. " - الإيضاح في علل النحو- تحـ: مازن المبارك- دار النفائس- بيروت- ط5- 1986-
41. أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني- البرهان في أصول الفقه- حققه د.عبد العظيم الديب-دار الأنصار-القاهرة- ط2-1400هـ-
42. أحمد بن فارس- مقاييس اللغة العربية- تح عبد السلام هارون-دار الجيل-بيروت- لبنان- ط:1- 1413هـ/1991مـ
43. أحمد بن يوسف السمين- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون –تحـ: أحمد خرّاط- دار العلم – دمشق- 1987م-

44.أحمد جمال العمري- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني- مكتبة الخانجي- القاهرة- 1410هـ/ 1990م-
45.أحمد الزاوي- ترتيب القاموس المحيط للفيروز أبادي - دار المعرفة-بيروت- لبنان- ط 1399هـ/ 1979م-

46.أحمد سعد محمد- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية –مكتبة الآداب – القاهرة- ط2- 1421هـ/200م.
47.أحمد عبد المجيد هريدي- حذف تاء تتفعل وتتفاعل في القرآن الكريم- مكتبة الخانجي – القاهرة- ط1- 1411هـ/ 1999م-

48." - ظاهرة المخالفة الصوتية، ودورها في نمو المعجم العربي- مكتبة الزهراء- القاهرة- 1989-
49.الأخفش، سعيد بن مسعدة- معاني القرآن- تحـ: فايز فارس الحمد- الكويت- ط 1979.
50.الأزهري، خالد بن عبد الله - شرح التصريح على التوضيح - مصر- ط 3. 1344هـ/1925
51.أسعد علي- تهذيب المقدمة اللغويّة للعلايلي- دار النعمان- أسعد علي- بيروت -ط1 -1388هـ/ 1968 م –
52.الباقلاني- إعجاز القرآن –طبع دار المعارف- تحـ: السيِّد صقر- د.ت.
53.البدخشي- مناهج العقلاء- دار الكتب العلمية بيروت- لبنان- ط:1405هـ- 1984مـ
54. بشيرة علي فرج العشيبي- أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي- منشورات جامعة قان يونس- بن غازي- ط1- 1999م-
55.البنا- إتحاف فضلاي البشر- البنا- تحـ: الدكتور شعبان محمد إسماعيل- دار عالم الكتب- بيروت- ط1- 1987
56.تاج الدين الإسفراييني- لباب الإعراب- تحـ: بهاء الدين- دار الرّفاعي- الرياض- ط1- 1405هـ/ 1958-
57.تمام حسان- الأصول- دار عالم الكتب- القاهرة- ط 1425هـ/ 2004م
الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر-
58.الحيوان- الجاحظ- تحـ: عبد السلام هارون- مكتبة الحلبي- د.ت.
59.جلال الدين السيوطي- الأشباه والنظائر في النحو- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- د.ت.
60." - الإقتراح في علم أصول النحو- قراءة وتعليق: محمود سليمان ياقوت- دار المعرفة- بيروت- لبنان.
61." - المزهر في علوم العربية – شرح وتعليق : محمد جاد المولى-المكتبة المصرية بصيدا- لبنان- 1986.
62." - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع –تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم – دار البحوث العلمية-ط1- 1394هـ / 1975 م-

63.جمال الدين أبو محمد بن الحسن الأسنوي- الكوكب الدرّي- تحـ: عبد الرحمن أسعد السعدي- كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر- 1399هـ/ 1979م-
64.جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي- نهاية السول- دار الكتب العلمية بيروت لبنان-ط:1- 1405هـ1984م

65. جمال الدين القفطي- إنباه الرّواة على أنباه النحاة –تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم-دار الكتب المصرية- 1369هـ-
66. الجوهري- الصحاح- تحقبق أحمد عبد الغفور عطار- القاهرة- ط2-
67. حسن خميس الملخ- نظرية الأصل والفرع في النحو العربي- دار الشروق للنشر والتوزيع- 2001-
68. الحسين بن موسى الدينوري- ثمار الصناعة في العربية- تحـ: حنا جميل حداد- ط1- منشورات وزارة الثقافة – عمان- 1974.
69. الحضري- حاشية الحضري على شرح ابن عقيل- المطبعة الأزهرية- ط7- 1337هـ/1929م.
70. الخليل بن أحمد الفراهيدي- كتاب العين- تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي- دار مكتبة الهلال-سلسلة المعالم والفهارس-
71. الذهبي محمد حسين- التفسير والمفسّرون- دار الكتب الحديثة- القاهرة- ط1- 1381هـ/1991-
72. الرضي الإستراباذي- شرح الرضي على الكافية- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- 1982.
73. الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن - طبقات النحويين واللغويين –تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف-مصر- ط1392هـ/ 1973م-
74. الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن سهل - معاني القرآن وإعرابه- تحـ: إبراهيم الأبياري- دار الكتب الإسلامية- ط2- 1982-
75. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر- أساس البلاغة —— دار المعرفة للباعة والنشر - بيروت – 1979-
76. السكاكي، أبو يعقوب يوسف- مفتاح العلوم –المطبعة الأدبية بمصر- 1317هـ-
77. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر- الكتاب –تحقيق : عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة- ط2- 1402هـ/1982-
78. السيد جميل- البلاغة القرآنية المختارة من الإتقان ومعترك الأقران- عالم المعرفة- ط1413هـ/1993م.
79. سيد قطب- التصوير الفني في القرآن الكريم- دار المعارف- مصر- ط1975.
80. الشريف بن علي بن محمد الجرجاني- كتاب التعريفات- الشريف الجرجاني-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط 1- 1403 هـ/ 1983م –
81. أبو إسحاق الشيرازي- اللمع في أصول الفقه- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان-ط:1- 1405هـ-1985مـ -
82. شوقي ضيف- تجديد النحو- دار المعارف- القاهرة- ط2- د ت-
83. "   - العصر الإسلامي- شوقي ضيف- دار المعارف بمصر- د.ت-
84. صلاح الدين الزعبلاوي- مشاكل القول في النقد اللغوي- الشركة المتحدة للنشر والتوزيع- ط1- دمشق- سوريا-1984م -
85. عباس حسن- النحو الوافي- عباس حسن- دار المعارف- ط6- مصر- د ت-
86. عباس محمود العقاد - أشتات مجتمعات في اللغة والأدب- عباس محمود العقاد- دار المعارف- القاهرة- 1963
87. عبد الرحمن السيد- مدرسة البصرة النحوية، النشأة والتطور- دار المعارف بمصر- ط1- د.ت-
88. عبد العال سالم مكرم- تطبيقات نحوية وبلاغية- عبد العال سالم مكرم- دار البحوث العلمية – الكويت- ط1- 1399هـ/ 1979م-

89.عبد القادر بن عمر البغدادي- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- تحـ: عبد السلام محمد هارون- الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة- 1979.
90.عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز في علم المعاني- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت- لبنان- 1398هـ/1978م-
91.عبد الله أحمد جاد الكريم- التوهم عند النحاة –مكتبة الآداب- ط1- 1422هـ/2001م-
92.علي النجدي- من قضايا اللغة والنحو- مكتبة النهضة- مصر- د.ت.
93. الفرّاء- معاني القرآن- تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار- الهيئة العامة للكتاب- ط 1980م
94. فندريس.ج – اللغة - تعريب عبد المجيد الدواخلي- مكتبة الأنجلومصرية- القاهرة – 1950-
95.المبرد- المقتضب- التحـ: محمد الخالق عضيمة- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث- ط2- 1415هـ/ 1994-
96.مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط- دار المعارف- ط3- 1392هـ/1972م
97.مجموعة من الأساتذة- إعراب القرآن- راجعه وقدّم له الدكتور فتحي الدابولي، وإبراهيم البناء- جامعة الأزهر- دار الصحابة للتراث- طنطا- ط 1425هـ/2005م-
98.محمد أبو زهرة- الجريمة- دار الكتاب العربي-مصر-
99.محمد أحمد الخضري - علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم - مكتبة الأنجلو مصرية- القاهرة- د.ت-
100. محمد أحمد عبد الرحمن الطيب- القلب المكاني في بعض الصيغ في القرآن الكريم –مجلة كلية الآداب- جامعة أسيوط-
101. محمد أحمد عرفة- النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة-
102. محمد الطيب الفاسي- مفتاح الوصول إلى علم الأصول- تقديم وتحقيق: إدريس الفاسي- دار البحوث للدّراسات الإسلامية وإحياء التراث – الإمارات- ط1- 1425هـ/2004-
103. محمد بن أحمد المالكي- الدرّ الثمين والمورد المعين- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي بمصر- ج1- ط 1373هـ/ 1954م-
104. محمد بن أبي بكر الرازي- مختصر الصحاح- دار رضوان- حلب- سوريا- ط2005-
105. محمد بن سلام الجمحي- طبقات فحول الشعراء- تحـ: محمود محمد شاكر- دار المعارف للطباعة والنشر- 1952م-
106. محمد بن علي التهانوي- كشاف اصطلاحات الفنون –تصحيح :مولاي محمد وآخرين-كلكتا- 1862-
107. محمد الحسناوي- الفاصلة في القرآن الكريم –دار عمار- بيروت- 1406هـ/1986م-
108. محمد علي الصابوني- التبيان في علوم القرآن - مكتبة رحاب- الجزائر- ط 3- 1407هـ/ 1986م
109. محمد كبير يونس- أسس فنية للإعجاز البياني في القرآن- دار الأمة- نيجيريا- د.ت.
110. محمود سليمان ياقوت- قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين- دار المعارف-1980

111. مختار عطية- علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- مصر- د.ت-
112. مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية –دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان-
113. مفيد قميحة- شرح المعلقات السبع- دار ومكتبة الهلال- بيروت- ط 2000-
114. منى إلياس- القياس في النحو- دار الفكر- ط1- 1405هـ/1985م.
115. موسى بن محمد بن موسى - التحفة القليبية في حلّ الألفاظ القرآنية- تحـ: محمد محمد داود- القاهرة- ط1- 1423هـ/ 2002-
116. موسوعة الحديث - شرح الباري- كتاب المساجد ومواضع الصلاة-
117. موسوعة الحديث- سنن الترمذي: كتاب الجهاد-
118. ياقوت الحموي- معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب- تحـ: إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- ط1- 1993-

الدواوين

1. امرؤ القيس - الأعلم الشنتمري– اعتنى بتصحيحه الشيخ ابن أبي شنب- ط2- 1394هـ/1974م- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –
2. زهيربن أبي سلمى- صنعة أبي العبّاس أحمد بن يحي الشيباني ثعلب – الدار القومية للطباعة والنشر- 1384هـ/ 1964م-
3. لبيد بن أبي ربيعة- ديوانه- دار صادر- بيروت- لبنان- من شواهد الكشاف-

الرسائل الجامعية والأطروحات

1. التأويل النحوي في القرآن الكريم- عبد الفتاح الحموز- رسالة دكتوراه- جامعة القاهرة-رقم 2044
2. ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه- رسالة دكتوراه- مخلوف بن لعلام- جامعة الجزائر- 2003/2002 -
3. الحذف والتقدير بين النحاة العرب، التحوليين والتوليديين– آدم أحمد آدم محمود – رسالة دكتوراه – إشراف: أحمد عبد العظيم - جامعة القاهرة- 1416هـ/ 1996م-
4. الحذف والتقدير في الدِّراسة النحوية- عائد كريم الحريزي- رسالة ماجستير- القاهرة
5. الحذف والتقدير في النحو العربي- علي محمد أبو تمام – رسالة ماجستير- إشراف : عبد السلام هارون- جامعة القاهرة- 1384هـ/ 1964م

التفاسير

1. ابن كثير- تفسير ابن كثير- شركة الشهاب الجزائر- د.ت.
2. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تفسير القرآن- دار المعرفة- بيروت- ط2-
3. تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية- مقدمة في أصول التفسير- تحـ: عدنان زرزور- دار القرآن الكريم- الكويت- 1291هـ/1971م.
4. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- دار الكتاب العربي- بيروت-ط3- 1407هـ/1987-
5. السيد قطب- في ظلال القرآن- دار الشروق- بيروت- لبنان- ط12- 1406هـ/1986.
6. الصاوي- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين- دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت-
7. عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ)- التفسير البياني للقرآن الكريم- دار المعارف بمصر- 1996م-
8. الفخر الرازي- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب- دار الفكر- لبنان- ط1- 1401هـ/ 1981-الفخر الرازي- تفسير الفخر الرازي- دار الفكر- ط1- 1401هـ/ 1981
9. محمد التونجي- المعجم المفصّل في تفسير غريب ألفاظ القرآن الكريم- منشورات دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان-ط1- 2002/ 1424هـ
10. محمد أمين شيخو- تأويل القرآن الكريم- جمع وتحقيق: عبد القاد بحيى الشهير بالديراني- دار نور البشير- دمشق- سوريا-د.ت.
11. محمد حسن الحمصي- تفسير وبيان مفردات القرآن- دار الرشيد – سوريا- 1978م.
12. محمد محمود حجازي- التفسير الواضح - دار الكتاب العربي-بيروت لبنان-
13. محمود شلتوت - تفسير القرآن الكريم - دار الشروق- بيروت- ط9- 1402هـ/1982م.
14. محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير- دار القرآن الكريم- بيروت لبنان- ط 1402هـ/1981.
15. مقاتل بن سليمان البلخي- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم- تحـ: عبد الله شحاتة- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة د.ت.

المجلات

1. مجلة الزهراء- كلية الآداب- جامعة أسيوط- القلب المكاني في بعض الصيغ في القرآن الكريم- محمد أحمد عبد الرحمن- العدد 23-2005م
2. مجلة الزهراء- جامعة الأزهر- العدد الثالث والعشرون- 1426هـ/2006م- نقال: بلاغة المقابلة في القرآن الكريم- هويدا- إبراهيم حسن إبراهيم.
3. مجلة اللسانيات –معهد العلوم اللسانية والصوتية- 74/1973م –مقال: مدخل إلى علم اللسان الحديث- -العدد الرابع -الحاج صالح، عبد الرحمن.
4. مجلة كلية اللغة العربية- أم القرى- العدد1- 1986.
5. مجلة مجمع اللغة – العدد الخامس والثاثون- محرّم 1430هـ/ 1999- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- مصر.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

مقدّمة
مدخل..12/1

الفصل الأوّل **تحديد المصطلح، وأوّليات ظهوره**
المبحث الأوّل: ماهية التقدير 24/13
المبحث الثاني: أوّليات ظهور المصطلح..65/25
المبحث الثالث: التقدير لدى النحاة...91/64

الفصل الثاني **الأسس التي يبنى عليها التقدير**
المبحث الأوّل: الأصل..100/92
المبحث الثاني: القياس 109/101
المبحث الثالث: استصحاب الحال 123/110
المبحث الرّابع: دور العامل في التقدير 138/124

الفصل الثالث **التقدير من خلال الحذف والتضمين والحمل على المعنى**
المبحث الأوّل: الحذف..153/139
المبحث الثاني: التضمين..175/154
المبحث الثالث:الحمل على المعنى..192/176

الفصل الرّابع **مستويات التقدير، ونماذج منه**
المبحث الأوّل: المستوى الصوتي 254/193
المبحث الثاني: مستوى المقدّر المعجمي 280/255
المبحث الثالث: المقدّر النحوي، سورة البقرة نموذجا.......................................322/281
المبحث الرّابع: مستوى المقدّر البلاغي 349/323
خاتمة 357/350
المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات